www.bustaneketab.com

بوستان کتاب

علوم القرآن عند المفسرين

المجلد الأول

مركز الثقافة والمعارف القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

علوم القرآن عند المفسرين

علوم قرآن: ۲۰ (قرآن: ۵۲)

- تخصصی (پژوهشگران و اساتید حوزه و دانشگاه)

۳۱۹

۲۸۱۹

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۳۳۷۶۳

تاریخ ثبت :

آثار مرکز فرهنگ و معارف قرآن ۸

مکتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية. مرکز الثقافة والمعارف القرآنية.

علوم القرآن عند المفسرين / مرکز الثقافة والمعارف القرآنية التابعة لمکتب الإعلام الإسلامي. ــ قم: مؤسسة بوستان کتاب (مرکز الطباعة والنشر التابع لمکتب الإعلام الإسلامي)، ۱۳۷٤.

۳ ج. ــ (مؤسسه بوستان کتاب؛ ۳۱۹. کتابهای مرکز فرهنگ و معارف قرآن؛ ۸) (علوم قرآن؛ ۲۰. قرآن؛ ۵۲)

۶۰۰۰۰ ریال: (ج. ۱) 0 - 174 - 548 - 964 - ISBN 978 ــ. (دوره) 1 - 177 - 548 - 964 - ISBN 978

فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا.

ص. ع. به انگلیسی: Markaz-u th-Thighāfa(h)t-i va l-Ma'ārif-i l-Ghur'āniyyah.

'Ulūm-u l-Ghur'ān 'ind al-Mufassirīn [Qur'ānic Sciences and Exegetists]

کتابنامه به صورت زیرنویس.

چاپ دوم: ۱۳۸۶.

۱. قرآن ـ علوم قرآنی. الف. دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم. مرکز فرهنگ و معارف قرآن. ب. دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم. مؤسسه بوستان کتاب. ج. عنوان.

۷ ع ۷ م ۶۹/ BP ۲۹۷/۱۵

۱۳۸۶

علوم القرآن عند المفسرين

الجزء الأوّل

مركز الثقافة و المعارف القرآنيّة

بوستان کتاب
۱۳۸۶

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

بوستان كتاب

علوم القرآن عند المفسرين /ج ١

● تأليف: مركز الثقافة والمعارف القرآنية

● الناشر: مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)

● المطبعة: مطبعة مؤسسة بوستان كتاب ● الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ ق، ١٣٨٦ ش

● الكمية: ١٠٠٠ ● السعر: ٦٠٠٠ تومان ● السعر الدورة: ١٧٠٠٠ تومان

جميع الحقوق © محفوظة

printed in the Islamic Republic of Iran

✔ العنوان: قم، شارع شهداء (صفائيه)، ص ب ٩١٧، الهاتف: ٧ ـ ٧٧٤٢١٥٥، الفاكس: ٧٧٤٢١٥٤، الهاتف: ٧٧٤٣٤٢٦

✔ المعرض المركزي (١) : قم، شارع شهداء (بتعاون أكثر من ١٧٠ ناشر يعرض اثني عشر ألف عنواناً من الكتب)

✔ المعرض الفرعي (٢) : طهران، شارع فلسطين الجنوبي، الزقاق الثاني (بشن)، الهاتف: ٦٦٤٦٠٧٣٥

✔ المعرض الفرعي (٣) : مشهد المقدسة، تقاطع خسروي، مجمّع ياس، الهاتف: ٢٢٣٣٦٧٢

✔ المعرض الفرعي (٤) : أصفهان، تقاطع كرماني، گلستان كتاب، الهاتف: ٢٢٢٠٣٧٠

✔ المعرض الفرعي (٥) : أصفهان، ساحة انقلاب، قرب سينا ساحل، الهاتف: ٢٢٢١٧١٢

✔ وكالات بيع كتب المؤسّسة في البلد وخارجه (انضمّ إلى ورقة الاستطلاع للآثار في نهاية الكتاب)

البريد الالكتروني: E-mail:bustan@bustaneketab.com

استلام الرسالة (SMS) بالحروف اللاتينية: ١٠٠٠٢١٥٥

الآثار الحديثة في المؤسّسة والتعرّف إليها في موقع الانترنت:

http://www.bustaneketab.com

مع جزيل الشكر والتقدير لجميع الزملاء الذين ساهموا في استخراج هذا العمل منهم:

● أعضاء لجنة دراسة الإصدارات ● أمين لجنة الكتاب: جواد آهنگر ● الملخص الإنجليزي: عبدالمجيد مطوريان ● الملخص العربي: سهيله خاتني ● فيپا: مصطفى محفوظى ● الإشراف والمراقبة: عبدالهادى اشرفى ● تصميم الغلاف: حسن محمودى ● الإعداد: حسين محمدى ● طلبات الطبع: على عليزاده و امير حسين مقدم‌منش ● شؤون الطباعة: سيد رضا محمدى وبقية الزملاء في قسم الليتوغرافيا، الطباعة والتجليد.

● الرئيس المؤسسة

سيد محمد كاظم الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى خلق الانسان وعلّمه البيان ، وسلك به سبل الهدى بعلم الدليل ومنة البرهان ، واحتجّ على عباده برسله واوصيائهم ليخرجوهم من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الهداية والإيمان ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمّد ﷺ الذى نوّر الله به صدور أنبيائه واصفيائه بلوامع العرفان وعلى اخيه ووصيّه ووارث علمه اميرالمؤمنين علىبن ابى طالب عليه السلام ، وعلى أولادهما الأطهرين وذريتهما الأكرمين ، لا سيما مؤسس الجمهورية الاسلامية وقائد الثورة الكبير الامام الخمينى (قدس سره الشريف) وخلفه آية الله السيد الخامنئي ولى أمر المسلمين وقائد ثورتنا الاسلامية أدام الله ظلّه .

أمّا بعد ، إن الكنوز العظيمة والخالدة للقرآن الكريم ، ما هي الاّ وديعة نفيسة اودعها الله بين يدى المجتمع البشري ، لينتفع بها في مسير رقيّه وكماله ، ويستمد منها العون في مواجهة أمواج الضلالة والانحرافات ، « اذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع مصدق »[1] .

والسبيل الذي رسمه القرآن للانسان سبيل مستقيم لاعوج فيه ولا باطل ، ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ... ﴾[2] .

وقد اتفقت جميع المذاهب الاسلامية على ان القرآن الكريم اكثر المصادر اصالة بين المسلمين ، لما يتمتع به من احكام وقوانين ومناهج مختلفة تعالج اصعدة الحياة العامة ، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، ولا نظير للقرآن ولا بديل له ، ومع ذلك فأنه لم يحظ بالاهمية التي ينبغي ان تكون له ، ولم يطبّق في الميادين العملية الملائمة له .

وما العصور الذهبية التي تمتعت بها الحضارة الاسلامية العظيمة ، الا نتيجة دخول هذا

---

١ . تفسير العياشي ج ١ ص ١٣ .
٢ . سورة فصلت ، الآية ٤٢ .

الكتاب صلب حياة الناس ، وتطبيق احكامه وتعاليمه في المجالات والميادين المختلفة .

يعتقد العلماء والمؤرخون الاسلاميون ، والكثير من خبراء الشرق بأن المسلمين قد سبقوا اليونانيين حملةَ رايةِ التمدن لألف عام ، بفضل حملهم للقرآن الكريم ، وقد امتد ظلهم مشارق الارض ومغاربها لقرون عديدة ، وبلغت حينها الحضارة الاسلامية مبلغاً لم يستطع المحلّلون وعلماء المجتمع من كتمان اعجابهم بها لسرعتها المذهلة في الانتشار ، وأن بيان هذه المفاخر والمنجزات العظيمة لا مجال لذكره في مقدمة هذا الكتاب .

وأسفاً نقول : إن كل ما تحقق ببركة القرآن اضمحل رويداً رويداً ، وطويت فترة رقيّ وازدهار المسلمين على اثر عوامل ومؤثرات أدّت الى خروج القرآن عن محور الحياة .

واصبح الكتاب الذي كان نوراً وهداية ، وشفاءً من كل داء : ﴿ **ونُنزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاّ خساراً** ﴾ [١] داءً عضالاً ووقفاً على رفوف المنازل وبين زوايا القبور ، وعلى اثر ذلك يواجه المسلمون اليوم اوضاعاً مأساوية .

وببركة الجمهورية الاسلامية، ظهرت في عالم اليوم ، وبالاخص في العالم الاسلامي ، اتجاهات بين الناس وخصوصاً بين الشباب والمثقفين ، تدعو الى تطبيق القرآن ، مما اقلق المستبدّين والمستكبرين اكثر فاكثر . وبعد أن ادرك العالم الاسلامي ، الظروف المهيمنة على عالم اليوم ، ايقن امكانية استرجاع عزته وعظمته المفقودة بالاعتماد على الوحدة والإتحاد ، وادخال الدين في مجال السياسة ، وذلك بجعل السياسة في خدمة القرآن والدين ، وباستخدام المنطق القويم والثقافة العالية للقرآن في ميادين الصراع مع التيارات والمذاهب بشكل ناصع ووضّاء .

وتقع اليوم مسؤولية خطيرة على عاتق المفكرين والعلماء والعارفين بالقرآن الكريم ، اذ عليهم العمل بهمّة وجهاد مخلصين لإزالة ما في الأذهان من خواطر حزينة ومآسي سببها هجران القرآن ، وعليهم الاستفادة من الأساليب الحديثة والوسائل الاعلامية المتطورة لتلبية متطلبات الحاضر .

---

١. سورة الاسراء ، الآية ٨٢.

علوم القرآن ومكانتها في الثقافة الاسلامية

أ . تعريف علوم القرآن : هي سلسلة مباحث في القرآن الكريم باستثناء معانيه وتفسير آياته ، حيث تُلقي نظرة خارجية عليه ، وهي مباحث تسبق تفسيره ، وتؤلف مباحث (الوحي ، تاريخ النزول ، تاريخ جمع القرآن ، القراءات، الإعجاز، حفظ القرآن من التحريف) جزءاً من مسائل علوم القرآن .

وليس لاصطلاح علوم القرآن حدٌّ معين لإمكانية النظر اليه بوجهات نظر مختلفة ، لذا نرىٰ اصحاب الرأي يطرحون ـ على الأغلب ـ المواضيع بما ينسجم وأذواقهم وتوجّهاتهم، وعليه فإن فهرس المباحث الموجود في المؤلفات وكتب العلوم القرآنية ، ليس فهرساً واحداً وثابتاً مؤلفاً من مجموعة المواضيع المعينة والمحددة بشكل كامل (١) .

وأما المباحث الرئيسية والمحورية لعلوم القرآن ، مثل ؛ تأريخ نزول القرآن، القراءات ، إعجاز القرآن ، المحكم والمتشابه ، الناسخ والمنسوخ وأمثالها ، فهي مباحث قد اتفق الجميع عليها، لذا فإننا نلاحظها في أغلب مؤلفات علوم القرآن .

ب . مكانة علوم القرآن : لقد اتضح من تعريف علوم القرآن ؛ أن لبعض مباحث هذه العلوم ارتباطاً مباشراً بمحتوىٰ القرآن وتفسيره ، كمباحث : أسباب النزول او المحكم والمتشابه او القراءات ، وهناك مباحث لها من الاهمية ، بحيث ان الاستناد او الاستشهاد بالآيات القرآنية لا يكون الاّ بعد اثباتها ، كموضوع (حفظ القرآن من التحريف) ، ومباحث اخرىٰ ، ومع انها ليست متشابهة من حيث الاهمية والاولوية للمجموعتين السابقتين ، إلاّ انها بشكل عام نافعة ومفيدة في تيسير الفهم الأفضل للقرآن .

وقد بلغت أهمية العلوم مبلغاً بحيث لا يمكن فهم القرآن بشكل دقيق دون ملاحظة هذه المجاميع من المباحث ، كما ان أي مفسر لا يرىٰ نفسه مستغنياً عن علوم القرآن ، بل نرىٰ أغلب المفسرين ـ وقبل شروعهم بالتفسير ـ يعتمد علىٰ تدوين بعض العلوم القرآنية.

---

١ . للتوضيح اكثر ، سنتناول ذلك في قسم علوم القرآن والمؤلفات .

التعرف على كتب العلوم القرآنية

أ . نبذة تأريخية عن تدوين كتب ومؤلفات العلوم القرآنية :

لقد اولى المسلمون اهتماماً وعناية خاصة بالقرآن وتفسيره منذ بداية نزول آياته بتعلّمهم وتعليمهم وحفظهم وقراءتهم لها ، وكان للاشتغال بهذه العلوم مكانة مقدسة ومفخرة عظيمة للمجتمع الاسلامي ، وقد حظيت هذه العلوم ، وقبل رواج علم الكلام والفلسفة والعلوم التاريخية ، أو علم الحديث والفقه ، بأهمية بالغة لدى المسلمين ، كما انهم اهتموا بنشرها في الفروع والشعب المختلفة للعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم .

ومن الممكن أن نضع ؛ علم الكتاب ، رسم الخط القرآني ، القراءات ، اعراب القرآن واعجاز القرآن، في المسائل الاولى لفروع العلوم القرآنية ، والتي نالت اهتمام المسلمين .

ومع اتساع نفوذ الاسلام في العالم ، وظهور العلماء والكتّاب المسلمين ، بدأت أسس التأليف ومنذ القرن الثاني الهجري ـ الذي أُطلق عليه عصر بداية تدوين العلوم القرآنية ـ ودُوّنت الكتب في مجال التفسير ومسائل العلوم القرآنية ، وعُرضت حينها عدة مؤلفات في ؛ القراءات ، اعراب القرآن ، أسباب النزول ، الناسخ والمنسوخ ، التفسير ، و ... الخ .

ب . بداية ظهور اصطلاح « العلوم القرآنية » .

إن التوجه نحو المباحث القرآنية الذي نشأ من علاقة العلماء الاسلاميين بالقرآن من جهة ، وتنوّع المباحث القرآنية من جهة اخرى ، أسفر بالتدريج ـ وعلى مر الزمان ـ عن ايجاد نوع من الحدود بين العلوم القرآنية والمباحث التفسيرية على الرغم من وجود تداخل بينهما في نفس الوقت ، وبهذا فقد ظهر علم التفسير الذي هو نوع من علوم القرآن وبشكل مستقل .

ويرى أهل العلم ، أن بداية هذا التحديد ، او الاصطلاح الجديد لعلوم القرآن ، تعود الى القرن السادس او السابع وما بعده ، ويقول عبدالعظيم الزرقاني [١] ، استناداً الى بعض المصادر التي شاهدها بنفسه: إنه يعد بداية القرن الخامس الهجري ، بداية لتاريخ هذا الفن ، أي منذ ايجاد الفصل بين علوم القرآن وتفسير القرآن .

---

١ . مناهل العرفان ج ١ ص ٣٥.

ج . علوم القرآن والمؤلفات .

تقسم مؤلفات وكتب العلوم القرآنية ـ بصورة عامة ـ الىٰ ثلاث مجاميع :

١ . المؤلفات التي تتضمن مجموعة من المباحث المهمة لعلوم القرآن .

٢ . الكتب التي تختص بموضوع معين من هذه المباحث .

٣ . ما ورد في مقدمات كتب التفسير من علوم القرآن .

ـ التعريف بالمجاميع

١ . إن كتابي ، « البرهان في علوم القرآن » لعبدالله الزركشي ، المولود في ٧٤٥هـ و « الإتقان في علوم القرآن » لجلال الدين السيوطي المولود في ٨٤٩هـ ، يعدّان من جملة الكتب المعتبرة والشاملة التي دُوّنت في القرن الثامن وأواخر القرن التاسع في مجال علوم القرآن ، ويمكن القول ـ وبكل تأكيد ـ : إن الذين جاءوا بعدهما قد انتفعوا كثيراً من هٰذين الكتابين القيّمين ، ويستفاد من بيان السيوطي ـ الذي ورد في مقدمة كتابه ـ أن «البرهان» كان من المصادر التي اعتمد عليها واستفاد منها كثيراً .

ويقول الزركشي في مقدمة كتابه [١] : إن المتقدّمين لم يدوّنوا كتاباً جامعاً في مجال علوم القرآن ، اذ يرىٰ بأن له السبق في هذا السبيل .

وقد قدّم كل من الزركشي والسيوطي نوعاً من التقسيم لفهرس مباحث علوم القرآن ، فَنَظَمَ « البرهان » للزركشي فى ٤٧ فصلاً ، بينما عبّر السيوطي في (الإتقان) عن كل تقسيم بـ « النوع » ، وواصل عددها الىٰ ٨٠ نوعاً . ومع أنه كان يرىٰ أن تقسيمات كتابه هي الأنسب من البرهان ، الاّ انه مضىٰ في تنويع المباحث بشكل مفصل وزائد، مثل تقسيم نزول القرآن الىٰ : النهاري والليلي ، الحضري والسفري ، الصيفي والشتائي ، الأرضي والسماوي و ... ومع ذلك يقول [٢] : « لو نوّعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة نوع » .

ومنذ القرن العاشر دُوّنت كتب عديدة في علوم القرآن باللغتين العربية والفارسية ، ونحن في غنى عن ذِكْرِ نماذج اخرىٰ لئلا يجرّنا ذلك الىٰ تفاصيل اخرىٰ [٣] .

---

١ . البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ١٠٢ ، دار المعرفة بيروت .

٢ . الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٠ ، دار ابن كثير ، دمشق .

٣ . لقد ذكر الدكتور عبدالوهاب الطالقاني عدداً من هذه الكتب في كتابه « علوم القرآن وفهرس المنابع » .

وقد عمدت مجموعة اخرىٰ من المؤلفين الىٰ بعض المباحث المهمة من علوم القرآن، وبحسب طبيعة عملها تحدثت عن المواضيع المنتخبة بتفصيل اكثر، بحيث لو انها قورنت بمؤلفات المجموعة الاولىٰ، لوجدنا مباحثهم تتمتع بإتقان وشمولية افضل من مؤلفات المتأخرين، وعلىٰ سبيل المثال ذكر «البيان في تفسير القرآن»[١]، «مدخل التفسير»[٢]، «حقائق حول القرآن الكريم»[٣]، واخيراً «التمهيد في علوم القرآن»[٤]، فقد طرحت في كل كتاب من هذه الكتب عدة مواضيع وبشكل مفصل، ثم تم بَحث كل موضوع.

وتناول «التمهيد» الذي نشرت منه لحد الآن خمسة مجلدات، هي مباحث: كتاريخ القرآن (المجلد الاول)، القراءات، الناسخ والمنسوخ (المجلد الثاني)، المحكم والمتشابه (المجلد الثالث)، إعجاز القرآن (المجلد الرابع والخامس)، وقد تم بحثها بالتفصيل.

٢. وقد اختص الكثير من مؤلفات العلوم القرآنية بموضوع خاص من مواضيع العلوم القرآنية، فعلىٰ سبيل المثال: طُبع في موضوع اعجاز القرآن ١٣٤ عنواناً في ١٣٩ مجلداً. ومثل ذلك مؤلفات أخرىٰ لمواضيع اخرىٰ: كتاريخ القرآن، القراءات، تاريخ القراءات، صيانة القرآن عن التحريف، المحكم والمتشابه، الناسخ والمنسوخ وغيرها، والتي قد يتجاوز عددها العشرات، بل المئات من المؤلفات.

٣. لقد قدم الكثير من المفسّرين -في مقدمات تفاسيرهم أو في متنها- مباحثاً من علوم القرآن، بصيغة الاستدلال والمطلوب رجحانه، والبعض منهم بحثها بشكل اجمالي ومختصر، احترازاً من الإطالة عن الحد المطلوب، وحفاظاً على اطار المقدمة، والبعض رجّح جانب الاهمية؛ فتعرض الىٰ المطالب بالتفصيل، وعلىٰ أي حال، فأن مجيء هذه المباحث كان بشكل مندمج في التفاسير وغير مستقل، وعليه فقد تعرضت كذلك الىٰ غفلة المحققين.

---

١. آية الله الخوئي قدس سره.
٢. آية الله الفاضل اللنكراني.
٣. العلامة السيد جعفر مرتضىٰ العاملي.
٤. آية الله محمد هادي معرفة.

وما سنتناوله في هذا الكتاب ، يتضمن الطائفة الأخيرة ، وسوف نوضّحه في القسم اللاحق .

الغاية من إعداد الكتاب .

تأتي اهمية مباحث علوم القرآن من مكانتها وقدسيتها بين سائر العلوم الاسلامية اولاً ، وعدم الاكتفاء بالكتب الخاصة بعلوم القرآن ـ والموجودة حالياً ـ لأجل البحث والتحقيق الكامل والشامل من قبل الباحثين والمحققين ثانياً ، وصعوبة التتبع والتحقيق في بطون الكتب المتفرقة والعديدة ثالثاً . وكان من الضروري الاقدام علىٰ تنسيق وتوحيد هذه المجاميع القيّمة والنفيسة ، ومع ان هذا العمل لم يكن ممكناً ولا ميسوراً كي يتسع ويشمل جميع مؤلفات وكتب العلوم القرآنية ، الاّ أنه يبدو ممكناً فيما يخص مقدمات الكتب التفسيرية ، في خلق الدافع البدائي لجمع وتنظيم هذه المباحث ، وقد اقدم مركز الثقافة والمعارف القرآنية علىٰ ملء هذه الفجوة ، فانطلقت خطوة ـ مع قصرها ـ لتهيئة موطيء قدم في مجال التحقيق في العلوم القرآنية .

وعليه يمكن تلخيص اهم الأهداف المتوخاة من هذا الكتاب بما يلي :

أ ـ ضرورة الاطلاع علىٰ آثار ومؤلفات العلوم القرآنية ، لمكانتها الخاصة بين العلوم الاخرىٰ .

ب . تأمين متطلبات المحققين ، وذلك بالاطلاع علىٰ نظريات المفكرين والمفسرين في جميع مباحث العلوم القرآنية .

ج . تنظيم مباحث علوم القرآن الواردة في مقدمة بعض التفاسير بتسلسل وترابط منطقي .

د . تقديم صورة واضحة عن سير تحوّل مباحث العلوم القرآنية وكيفية تطوّرها منذ عصر صدر الاسلام وحتىٰ الآن ، سيراً تكاملياً او تراجعيّاً أحياناً ، ومن الممكن اعتبار الفقرة الاخيرة من الاهداف البالغة الأهمية لهذا الكتاب ، وقد بذلت جهود في تنظيم المواضيع الرئيسية والفرعية فيه ، وإن تقدم او تأخر زمن التأليف او المؤلف معيار لتقدم او تأخر مواضيع هذه المجموعة ، فقد تمكّن المحقق بهذه الطريقة وبكل سهولة وبفترة زمنية

قصيرة ليس فقط من مشاهدة السير التكاملي ـ او النزولي أحيانا ـ لموضوع كلّي كموضوع « القراءات »، بل وتمكّن من متابعة نفس السير التكاملي في أبحاثه الفرعية مثل « منشأ اختلاف القراءات »، « القراء المشهورون »، « القراءات الشاذة » و ... الخ .

والجدير بالذكر، انه منذ بداية هذا المشروع كان من المقرر ان نجعل في نهاية كل مبحث خلاصة للتحقيق المعدّ وننتخب الرأي الافضل، ومن خلال العمل توصّلنا الى انه من الافضل ان تناط هذه المهمة الى المحققين المستفيدين من هذه المجموعة، ـ لما تمتاز بطابع التجميع ـ لذا فقد أحجمنا عن إبداء رأينا في هذه البحوث، واكتفينا بنقل أقوال المفسرين، ومن البديهي ان تقع مسؤولية صحة المواضيع الواردة على عاتق المؤلفين الأفاضل، وبذلك فقد برئت ذمتنا. ولا يخفى على المحققين ما لهذا العمل من اهمية في تلخيص التتبع والتحقيق، وتتضح قيمته في بيان المشاكل والعوائق التي تواجه المحقق في مسير التحقيق، ومن جملتها :

١ . عدم وجود مؤلفات مستقلة في مجال علوم القرآن لكل عصر من التاريخ الاسلامي الاّ ما دوّنه المفسرون في مقدمة تفاسيرهم .

٢ . عدم وجود الكتب الكافية والخاصة بعلوم القرآن والتي تفي بالتحقيق بشكل كامل وجامع .

٣ . ندرة بعض نسخ التفاسير التي طرحت مباحث العلوم القرآنية .

٤ . صعوبة توفير حوالى ستّين دورة تفسيريّة (للتحقيق) للحصول على مقدماتها .

٥ . وعلى فرض وجود الامكانات اللازمة للجمع والتحقيق في هذا الموضوع فانه مع ذلك يتطلب وقتاً كبيراً .

مراحل انجاز العمل

لقد مرّ جمع وتنظيم هذه المجموعة بالمراحل التالية :

١ . دراسة معمقة في سوابق هذا التحقيق، واستشارة أصحاب الرأي لإعداد الفكرة الاولية .

٢. المرور على جميع الكتب التفسيرية الموجودة باللغتين العربية والفارسية، للمفسرين الشيعة والسنة.

٣. انتخاب مجموعة من كتب التفسير باللغة العربية والتي تتضمن مقدمات جديرة بالاهتمام في مجال علوم القرآن، وبعد التحقيق في ١١٤ مجموعة تفسير تم انتخاب ٥٦ تفسيراً منها.

٤. تصوير واستنساخ مباحث العلوم القرآنية من مقدمات التفاسير.

٥. دراسة وتصنيف المواضيع الرئيسية والفرعية، وتنظيم خلاصة بمطالب كل بطاقة.

٦. تنظيم ملفّات خاصة للبطاقات التي تم جمعها تحت عنوان المواضيع الرئيسية والكلية.

٧. إعداد فهرس المواضيع الرئيسية والفرعية وترتيبه على أساس منطقي.

٨. مطابقة البطاقات على اساس الفهرس اعلاه، مع ملاحظة تقدمها او تأخرها الزمني في كل موضوع.

٩. انتخاب عناوين جامعة معبرة لكل موضوع (رئيسي او فرعي)، بحيث تشمل جميع البطاقات التي تدخل في مجموعتها.

١٠. استخراج الأخطاء المطبعيّة وتصحيح الآيات والروايات، وتقويم صياغة الجمل ورسم الخط.

١١. اعداد السحبة الكمپيوترية الاولى (پرينت) لغرض المقابلة والتصحيح.

١٢. مطابقة المواضيع المطبوعة مع البطاقات الرئيسية لغرض الاطمئنان على صحة الطبع.

١٣. اعداد السحبة الكمپيوترية الثانية لغرض تقويم النص.

١٤. اعداد السحبة الكمپيوترية الثالثة لغرض المقابلة النهائية، والطبع.

١٥. تنظيم فهرس التفاسير التي تم بحثها، والتي وضعت مقدماتها الحاوية على مباحث العلوم القرآنية على شكل بطاقات، والتي ذكرت بعنوان: المصادر؛ في نهاية المجلد الاول.

ملاحظات حول الكتاب

من المفيد والضروري ان تقف على الملاحظات التالية حول الكتاب الذي بين يديك :

١ . لم ترد المباحث القرآنية بصورة مستقلة في مقدمة تفسير الميزان وانما وردت بشكل متفرق في ذيل الآيات المتناظرة ، ولمكانة هذا التفسير بين العالم الاسلامي ، فقد تم استخراج بحوث العلوم القرآنية الموجودة في متن التفسير والاستفادة منها .

٢ . استفيد في هذه المجموعة من مقدمة التفاسير غير المتكاملة أيضاً مثل: البيان في تفسير القرآن ، وكذلك من التفاسير التي ليست جميعها في متناول اليد ، مثل تفسير الراغب الأصفهاني .

٣ . واستفيد كذلك من مقدمات المحققين في التفاسير كمقدمة « البحر المحيط » بقلم عادل احمد عبدالموجود وعلي محمد معوض ، ومقدمة احمد رضا في تفسير مجمع البيان ، وتم تدوين وتصنيف ما ورد منها من علوم القرآن .

٤ . ان تقدم وتأخر المطالب في اي موضوع ـ وكما أشرنا ـ يكون على اساس سنة وفاة المؤلف .

٥ . في الموارد التي توجد منها ـ بالاضافة الى مقدمة المؤلف ـ مقدمة للمحقق ، يكون تاريخ وفاة المحقق هو المعيار في تعيين مكانة المطالب .

٦ . للأسف ان بعض الموارد التي نقلت من مفسّري أهل السنة ، كانت مقرونة بتعابير الإهانة والإفتراء على الشيعة ، ومع ذلك فقد سعينا ـ للأمانة ـ على نقل نفس العبارات ، كما وان في اقوالهم مبالغة في تمجيد ائمتهم ، ومع ذلك حاولنا جهدنا عدم التدخل والتصرف فيها .

٧ . وحفاظاً على الحياد الكامل الذي يلزم كل عمل علمي وتحقيقي ، فقد حذفنا ألقاب المفسرين والمحققين ، واكتفينا بذكر اسمائهم وألقابهم القصيرة المشهورين بها .

٨ . تم نقل الحواشي الموجودة في كتب التفسير نصاً دون أي تغيير ولذلك جاءت أحاديث البحار في الحواشي على الطبعة القديمة ، وقد حذفنا بعض الموارد غير الضرورية .

٩. لقد تم في المواضع أدناه تلخيص او حذف بعض المواضيع، دون الإخلال بمحتوىٰ المطلب:

أ. عند ما تكون للموضوع تفاصيل اكثر من الحد المطلوب.

ب. عند نقل المؤلفِ نصوصاً من مؤلف سابق لنفس الموضوع.

ففي هذه الموارد حذفت المواضيع بارجاعها الىٰ المصادر الاولية مع الحفاظ علىٰ مضمون النص، وأما في حالة استعارة المؤلف من كتب غيره وتغييره للعبارة، فلم يُحذف شيء.

١٠. ان التلخيص او الحذف في الموارد المذكورة، يؤدي الىٰ بعض الخلل في أرقام الأحاديث، وعندئذٍ لا ينطبق رقم الحديث مع رقم نفس الحديث في كتاب التفسير، فعلىٰ سبيل المثال؛ اذا كانت خمسة أحاديث في كتاب للتفسير مستقلة تخص «علاقة القرآن بالعترة عليهم السلام»، وواحد او اثنان منها قد حذف، فمن البديهي ألاّ تتفق أرقام الأحاديث المنتخبة مع أرقام الأحاديث في التفسير المرجع.

١١. في المواضع التي اشير في حواشيها بحروف رمزية الىٰ النسخ البديلة كما في «نسخة أ أو ب أو ...» بحيث أن فهمها يتوقف علىٰ الرجوع الىٰ المقدمة المكتوبة للتفسير قيد البحث، فقد إمتنعنا عن ذكر الرموز.

١٢. في بعض المباحث مثل «سلامة القرآن»، كان من المتعذر تفكيك المباحث والمواضيع في اكثر البطاقات بصورة جزئية وفرعية، ماعدا بعض البطاقات الموجودة، وعليه فقد غلب جانب اكثر البطاقات.

١٣. تم إعداد هذه المجموعة في ثلاثة مجلدات، ويشمل المجلد الاول مباحث: كليات حول القرآن، نزول القرآن، جمع القرآن، سلامة القرآن.

ويشمل المجلد الثاني مباحث: القراءات، حديث الاحرف السبعة، تلاوة القرآن، اعجاز القرآن، الناسخ والمنسوخ.

ويشمل المجلد الثالث مباحث: المحكم والمتشابه، التفسير والمفسرون وبحوثهم.

شكر وتقدير :

بدأ التحقيق والإعداد لهذا المشروع في النصف من محرم الحرام عام ١٤١٤ هـ، من قبل حجة الاسلام الشيخ علي رضا ايماني . ثم قام مشكوراً السيد محمد الفاطمي الأبهري بتحقيقه وإعداده . فبسعيه تم بعون الله تعالى هذا المشروع بعد عام ونيف من بدء تأليفه .

نتقدم بالشكر الى حجة الاسلام حسين جوان آراسته على مساعدته في هذا المشروع . كما ونشكر السيد الحسيني وأسرة الكمبيوتر على جهودهم في انضاج هذا الكتاب وصدوره .

مسؤول مركز الثقافة والمعارف القرآنية
مكتب الاعلام الاسلامي للحوزة العلمية في قم المقدسة
عبدالرّضا ايزد پناه

كلّيات حول القرآن

- اسماء القرآن وصفاته
- خصائص القرآن في السنّة
- جامعية القرآن
- عربية القرآن وآثارها
- المجاز في القرآن
- حدوث القرآن
- اصناف الآيات ومقاصدها
- علاقة القرآن والعترة عليهم السلام

الف : حديث الثقلين

ب : موقف القرآن من الائمة عليهم السلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسماء القرآن وصفاته

قال أبو جعفر الطبري: «إن الله تعالى ذكرهُ سمَّى تنزيله الذي أنزله على عبده محمد ﷺ أسماء أربعة:

منهن: «القرآن»، فقال في تسميته إياه بذلك في تنزيله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾[1]، وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[2].

ومنهنّ: «الفرقان»، قال جلّ ثناؤه في وحيه إلى نبيه ﷺ يُسمِّيه بذلك: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3].

ومنهن: «الكتاب»، قال تبارك اسمه في تسميته إياه به: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قَيِّمًا ﴾[4].

ومنهن: «الذكر»، قال تعالى في تسميته إياه به: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[5].

ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب، معنى ووجهٌ غيرُ معنى الآخر ووجهه.

---

١. سورة يوسف: الآية ٣.
٢. سورة النمل: الآية ٧٦.
٣. سورة الفرقان: الآية ١.
٤. سورة الكهف: الآية ١.
٥. سورة الحجر: الآية ٩.

فأما « القرآن » فإن المفسرين اختلفوا في تأويله . والواجبُ أن يكون تأويله على قول ابن عباس : من التلاوة والقراءة ، وأن يكون مصدراً من قول القائل : قرأت ، كقولك « الخسران » من « خَسِرت » ، و « الغفران » من « غفر اللّه لك » و « الكفران » من « كفرتك » ، و « الفرقان » من « فرق اللّه بين الحق والباطل » .

١ ـ وذلك أن يحيى بن عثمان بن صالح السهمي حدثني ، قال : حدثنا عبداللّه بن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾ ، يقول : بيّناه ، ﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾(١) ، يقول : اعمل به .

ومعنى قول ابن عباس هذا : فإذا بيّناه بالقراءة ، فاعمل بما بيّناه لك بالقراءة . ومما يوضح صحة ما قلنا في تأويل حديث ابن عباس هذا ، ما :

٢ ـ حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال: حدثني أبي ، عن أبيه، عن عبداللّه بن عباس : ﴿إن علينا جمعه وقرآنه ﴾(٢) ، قال : أن نقرئك فلا تنسى ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾ عليك ﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ يقول : إذا تُلي عليك فاتّبِعْ ما فيه .

قال أبو جعفر : فقد صرّح هذا الخبرُ عن ابن عباس : أنّ معنى « القرآن » عنده القراءة ، فإنه مصدر من قول القائل : قرأتُ ، على ما بيّناه .

وأما على قول قتادة ، فإن الواجب أن يكون مصدراً ، من قول القائل : قرأت الشيء ، إذا جمعتَهُ وضممت بعضه إلى بعض ، كقولك : « ما قرأتْ هذه الناقةُ سَلًى قطُّ » ، تريد بذلك أنها لم تضمُمْ رحماً على ولد ، كما قال عمرو بن كلثوم التغلبي :

تريك ـ إذا دخلت على خلاء ، وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعي عيطل ، أدماء ، بكر هجان اللون ، لم تقرأ جنينا

يعني بقوله : « لم تقرأ جنيناً » ، لم تضمُمْ رحماً على ولد .

٣ ـ وذلك أن بشر بن مُعاذ العَقَديّ حدثنا قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ، يقول : حفظه وتأليفه ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ اتبع حلاله ، واجتنب حرامه .

---

١ . سورة القيامة : الآية ١٨.
٢ . سورة القيامة : الآية ١٧.

٤ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا محمد بن ثور.

قال: حدثنا معمر، عن قتادة بمثله.

فرأى قتادة أن تأويل «القرآن»: التأليف.

قال أبو جعفر: ولكلا القولين ـ أعني قول ابن عباس وقول قتادة ـ اللذين حكيناهما، وجه صحيح في كلام العرب. غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾، قول ابن عباس.

لأن الله جل ثناؤه أمر نبيه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحي إليه، ولم يرخّص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن له، فكذلك قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾، نظير سائر ما في آي القرآن التي أمره الله فيها باتباع ما أوحي إليه في تنزيله.

ولو وَجب أنْ يكون معنى قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾، فإذا ألّفناه فاتبع ما ألّفنا لك فيه ـ لوجب أن لا يكون كان لزمه فرض ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ولا فرض ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾[1] قبل أن يؤلّف إلى ذلك غيرُه من القرآن. وذلك إنْ قاله قائل، خروجٌ من قول أهلِ المِلّة.

وإذ صَحَّ أن حكم كلّ آية من آي القرآن كانَ لازماً النبيَّ ﷺ اتباعُه والعملُ به، مؤلّفة كانت إلى غيرها أو غيرَ مؤلّفة – صح ما قال ابن عباس في تأويل قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾، أنه يعني به: فإذا بيّناه لك بقراءتنا، فاتبع ما بيّناه لك بقراءتنا ـ دون قول من قال: معناه، فإذا ألّفناه فاتّبع ما ألّفناه.

وقد قيل إن قول الشاعر:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنوانُ السُّجُودِ بِهِ ... يُـقَطِّعُ اللَّـيلَ تَسْـبِيحاً وقُـرْآنَا

يعني به قائله: تسبيحاً وقراءةً.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يسمى «قرآناً» بمعنى القراءة، وإنما هو مقروء؟

قيل: كما جاز أن يسمى المكتوب «كتاباً»، بمعنى: كتاب الكاتب، كما قال الشاعر في صفة كتاب طلاقٍ كتبه لامرأته:

---

١ ـ سورة المدّثر: الآية ١، ٢.

تُؤَمِّلُ رَجْعَةً مِنّي وفيها كِتابٌ مثلَ ما لَصِقَ الغِرَاءُ

يريد : طلاقاً مكتوباً ، فجعل « المكتوب » كتاباً .

وأما تأويل اسمه الذي هو « فُرْقان » ، فإن تفسير أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة ، هي في المعاني مؤتلفة .

٥ ـ فقال عكرمة ، فيما حدثنا به ابن حُميد ، قال : حدثنا حَكّام بن سَلْم ، عن عَنْبسة ، عن جابر ، عن عكرمة ، أنه كان يقول : هو النَّجاة .

وكذلك كان السُّدّيّ يتأوّلهُ .

٦ ـ حدثنا بذلك محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المُفَضَّل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّي ـ وهو قول جماعة غيرهما .

وكان ابن عباس يقول : « الفُرقان » : المخرَجُ .

٧ ـ حدثني بذلك يحيى بن عثمان بن صالح ، قال : حدثنا عبدالله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

وكذلك كان مجاهد يقول في تأويله بذلك .

٨ ـ حدثنا بذلك ابن حُميد ، قال : حدثنا حَكّام ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن مجاهد .

وكان مجاهد يقول في قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾[1] يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل .

٩ ـ حدثني بذلك محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثني أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

وكل هذه التأويلات في معنى « الفرقان » ـ على اختلاف ألفاظها ـ متقاربات المعاني . وذلك أن من جُعِل له مخرجٌ من أمر كان فيه ، فقد جُعل له ذلك المخرجُ منه نجاة . وكذلك إذا نُجّي منه ، فقد نُصر على من بَغَاه فيه سُوءاً ، وفُرِق بينه وبين باغيه السُّوءَ .

فجميع ما روينا ـ عمّن روينا عنه ـ في معنى « الفرقان » ، قولٌ صحيح المعاني ، لإتفاق معاني ألفاظهم في ذلك .

---

١ . سورة الأنفال : الآية ٤١ .

وأصلُ « الفُرْقان » عندنا : الفرقُ بين الشيئين والفصل بينهما . وقد يكون ذلك بقضاءٍ ، واستنقاذٍ ، وإظهار حُجَّة ، ونَصْرٍ ، وغير ذلك من المعاني المفرِّقة بين المحق والمبطِل . فقد تبيّن بذلك أن القرآن سُمِّي « فرقاناً » ، لفصله ـ بحججه وأدلّته وحدود فرائضه وسائر معاني حكمه ـ بين المُحق والمبطل . وفرقانُه بينهما : بنصره المحق ، وتخذيله المبطل ، حُكماً وقضاءً .

وأما تأويل اسمه الذي هو « كتاب » ، فهو مصدر من قولك : « كتبت كتاباً » ، كما تقولُ : قمت قياماً ، وحسبت الشيء حساباً . والكتابُ : هو خطُّ الكاتب حروفَ المعجم مجموعةً ومفترقة . وسُمي « كتاباً » ، وإنما هو مكتوب ، كما قالَ الشاعر في البيت الذي استشهدنا به :

وفيها كِتابٌ مثلَ ما لَصِقَ الغِراء

يعني به مكتوباً .

وأما تأويل اسمه الذي هو « ذِكْرٌ » ، فإنه محتمل معنيين : أحدهما : أنه ذكرٌ من الله جلّ ذكره ، ذكر به عباده ، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه ، وسائر ما أودعه من حُكمه . والآخر : أنه ذكرٌ وشرف وفخرٌ لمن آمن به وصدَّق بما فيه . كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[١]، يعني به أنه شرفٌ له ولقومه [٢] .

قال الماوردي : « سمى اللّهُ القرآنَ في كتابه بأربعة أسماء :

أحدها : القرآن ، قال اللّه عز وجل : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذا الْقُرْآنَ ﴾[٣] .

والثاني: الفُرقان ،قال اللّه تعالى:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾[٤].

والثالث : الكتاب، قال اللّه تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾[٥] .

والرابع : الذِّكْرُ ، قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾[٦] .

فأمّا تسميته بالقرآن ففيه تأويلان :

---

١ . سورة الزخرف : الآية ٤٤ .
٢ . جامع البيان ج ١ ص ٦٧ ـ ٧٠
٣ . سورة يوسف : الآية ٣ .
٤ . سورة الفرقان : الآية ١ .
٥ . سورة الكهف : الآية ١ .
٦ . سورة الحجر : الآية ٩ .

أحدهما: وهو قول عبدالله بن عباس [١]، مصدر من قولك: قَرَأْتُ أي بَيَّنْتُ، استشهاداً بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ يعني إذا بيَّنَّاهُ فاعمل به.

والتأويل الثاني: وهو قول قتادة [٢]، أنه مصدر من قولك قرأت الشيء، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، لأنه آيٌ مجموعة، مأخوذ من قولهم: ماقرأت هذه الناقة سَلىً قط، أي لم ينضمّ رَحِمُها على ولد، كماقال عمرو بن كلثوم [٣]:

تُرِيكَ إذَا دَخَلْتَ عَلَى خَـلاَءٍ وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الْكَـاشِحِينَا
ذِراعَـيْ عَـيْطَلٍ أَدْمـاءَ بِكْـرٍ هجانِ اللَّوْنِ لَـمْ تَـقْرَأْ جَـنِينَا

أيْ لم تضمّ رحماً على ولد، ولذلك سُمِّي قرء العدة قرءاً لاجتماع دم الحيض في الرحم.

فأما تسميته بالفرقان، فلأن الله عزّ وجل فرَّق فيه بين الحق والباطل، وهو قول الجماعة، لأن أصل الفرقان هو الفرقُ بين شيئين.

وأما تسميته بالكتاب، فلأنه مصدر من قولك كَتَبتُ كتاباً، والكتاب هو خطُّ الكاتب حروف المعجم مجموعة ومتفرقة، وسمي كتاباً وإن كان مكتوباً، كما قال الشاعر [٤]:

تُؤمِّلُ رَجْعَةً مِـنِّي وَفِـيهَا كِتَابٌ مِثْلَ لَصِيقِ الْـغِرَاءِ

يعني مكتوباً، والكتابة مأخوذة من الجمع من قولهم: كتبت السقاء إذا جمعته بالخرز

---

١. هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبوالعباس ابن عم رسول الله ﷺ. قرأ القرآن على أبي، عمر، عثمان، علي، وأبي ذر وغيرهم، ومن تلاميذه: مجاهد، سعيد بن جبير، والأعرج وغيرهم. دعا النبي ﷺ له فقال: «اللهم علّمه التأويل وفقّهه في الدين»، ومناقبه رضي الله عنه كثيرة. توفي بالطائف سنة ثمان وستين، وصلى عليه محمد بن الحنيفة، وقال: اليوم مات ربّانيّ الأمة، وقد كف بصره في أواخر عمره رضي الله عنه. أنظر:- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٦٥، تاريخ البخاري الكبير ج ٥ ص ٣، حلية الأولياء ج ١ ص ٣١٤ الإستيعاب ج ٢ ص ٣٥٠، البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٩٥، الإصابة ج ٢ ص ٣٣٠ وغيرها كثير.

٢. هو قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي، أبو الخطاب. عالم أهل البصرة كان آية في الحفظ وذا باع في اللغة وأيام العرب توفي رحمه الله سنة ١١٧. أنظر: شذرات الذهب ج ١ ص ١٥٣، معجم المؤلفين ج ٨ ص ١٢٧، صفة الصفوة ج ١ ص ١٨٣.

٣. هذان البيتان من معلقة عمرو المشهورة. أنظر شرح المعلقات لأبي بكر الأنباري ص ٣٧٧، ٣٧٩.

٤. بيت من الشعر لشاعر أرسله إلى امرأته في مكتوب أعلمها فيه بطلاقها. تفسير الطبري ج ١ ص ١٧.

قال الشاعر [١]:

لاَتَأْمَنَنَّ فِـزَاريّاً خَـلَوْتَ بِـهِ   عَلَى قَلُوصِكَ وَاكْتُبْهَا بَأَسْيَادِ

وأما تسميته بالذكر، ففيه تأويلان:

أحدهما: أنه ذكر من الله تعالى ذكّر به عبادَه، وعرّفهم فيه فرائضَه وحدودَه.

والثاني: أنّه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به، وصدق بما جاء فيه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ يعني أنه شرف له ولقومه [٢][٣].

قال الطوسي (ره): «سمى الله تعالى القرآن بأربعة أسماء: سمّاه قرآناً في قوله تعالى: ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ [٤] وفي قوله: ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ﴾ [٥] وغير ذلك من الآي.

وسمّاه فرقاناً في قوله تعالى: ﴿ تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [٦].

وسمّاه الكتاب في قوله: ﴿ الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً [٧] ﴾.

وسمّاه الذكر في قوله: ﴿ إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾. [٨] وتسميته بالقرآن تحتمل أمرين: أحدهما ـ ماروي عن ابن عباس، إنه قال: (هو مصدر قرأت قرآنا) أي تلوته، مثل: غفرت غفرانا، وكفرت كفرانا.

والثاني ـ ما حكي عن قتادة، إنه قال: «هو مصدر قرأت الشيء إذا جمعت بعضه إلى بعض» قال عمرو بن كلثوم.

ذراعي عيطل [٩] أدماء [١٠] بكر   هجان [١١] اللّون لم تقرأ جنينا

---

١. بيت من قصيدة هجاء لسالم بن دارة، هجا فيها ثابت بن رافع الفزاري. فقتله الشعر والشعراء (٣٦٣).
٢. معظم هذا الفصل إن لم يكن كله مأخوذ من تفسير الطبري ج ١ ص ٩٤. وأزيد هنا أن للقرآن أسماء أخرى غير هذه تربو على المائة.
٣. النكت والعيون ج ١ ص ٢٣ ـ ٢٤.
٤. سورة الزخرف: الآية ٣.
٥. سورة البقرة: الآية ١٨٥.
٦. سورة الفرقان: الآية ١.
٧. سورة الكهف: الآية ١.
٨. سورة الحجر: الآية ١٥.
٩. عيطل: طويلة العنق.
١٠. ناقة أدماء: بيضاء.
١١. بيضاء اللون.

أي لم تضمّ جنينها في رحمها. وقال قطرب: في معناه قولان، أحدهما هذا، وعليه أكثر المفسرين. وقال قولاً آخر: معناه لفظت به مجموعاً. وقال معنى البيت أيضاً: أي لم تلقه مجموعاً، وتفسير ابن عباس أولىٰ، لأن قوله تعالى: ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ [١].

والوجه المختار أن يكون المراد وإذا تلوناه عليك، وبيّناه لك، فاتبع تلاوته. ولو حملناه على الجمع - على ما قال قتادة - لكان يجب ألاّ يلزم اتّباع آية آية من القرآن النازلة في كل وقت، وكان يقف وجوب الإتباع على حين الجمع، لأنه علقه بذلك على هذا القول، لأنه قال: ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾، يعني جمعناه على ما قالوه فاتبع قرآنه، وكان يقف وجوب الإتّباع على تكامل الجميع، وذلك خلاف الإجماع فالأول أولىٰ.

فإن قيل: كيف يسمي القراءة قرآنا، وإنما هو مقروء؟ قلنا: سمي بذلك كما يسمى المكتوب كتاباً، بمعنى: كتاب الكاتب، قال الشاعر في صفة طلاقٍ كتبه لإمرأته:

تؤمل رجعة مني وفيها كتابٌ مثل ما لصق الغراء

يعني طلاقاً مكتوباً.

وتسميته بأنه فرقان، لأنه يفرق بين الحق والباطل. والفرقان: هو الفرق بين الشيئين. وإنما يقع الفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق، وبطلان الباطل.

وتسميته بالكتاب لأنه مصدر من قولك؛ كتبت كتاباً، كما تقول؛ قمت قياماً. وسمي كتاباً وإنما هو مكتوب، كما قال الشاعر في البيت المتقدم. والكتابة مأخوذة من الجمع في قولهم: كتبت السقاء إذا جمعته بالخرز قال الشاعر:

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصك فاكتبها باسيار [٢]

والكتبة، الخرزة. وكلما ضممت بعضه إلى بعض على وجه التقارب فقد كتبته. والكتيب [٣] من الجيش من هذا، لإنضمام بعضها إلى بعض.

وتسميته بالذكر، يحتمل أمرين: أحدهما -إنه ذكر من الله تعالى ذكّر به عباده، فعرّفهم

---

١. سورة القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٨.
٢. اسيار، ج سير: الجلد.
٣. والكتيبة.

فيه فرائضه، وحدوده. والآخر -إنه ذكر وشرف لمن آمن به وصدق بما فيه. كقوله: ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ (1)» (2).

قال ابن عطية في تفسير اسماء القرآن:

«هو القرآن، وهو الكتاب، وهو الفرقان، وهو الذكر.

فالقرآن مصدر من قولك: قرأ الرجل، إذا تلى، يقرأ قرآنا وقراءة. وحكى أبو زيد الأنصاري (3) وقرءاً.

وقال قتادة: القرآن معناه التأليف، قرأ الرجل، إذا جمع وألّف قولاً (4). وبهذا فسر قتادة قوله تعالى: ﴿إن علينا جمْعَه وقرآنه﴾ (5)، أي تأليفه. وهذا نحو قول الشاعر:

ذِرَاعَــي بكــرةٍ أدمــاءَ بِكْــر هِجانِ اللَّون لَم تَقْرَأْ جـنينا (6)

أي لم تجمع في بطنها ولدا فهو أفره لها والقول (7) الأول أقوى: إن القرآن مصدر من قرأ إذا تلى، ومنه قول حسان بن ثابت يرثى عثمان ابن عفان رضي الله عنه:

ضَحُّوا بأشْمَطَ عُنْوانُ السُّجُودِ بِـه يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحا وَقُـرْآنا (8)

أي قراءة.

وأما الكتاب: فهو مصدر من كتب إذا جمع، ومنه قيل: كتيبة لإجتماعها، ومنه قـول الشاعر:

---

1. سورة الزخرف: الآية 44. 2. التبيان ج 1، ص 17 ـ 19.

3. النحوي، من أعيان أهل النحو واللغة والشعر، روىٰ القراءة عن المفضل عن عاصم وعن أبي عمرو بن العلاء وعن أبي السمال قعنب العدوي. صدوق ثقة. توفي (215 هـ).

طبقات ج 1 ص 305.

4. وهو على هذا المعنى من قبيل المجاز. انظر مجاز القرآن ج 1 ص 17. وتفسير الطبري ج 1 ص 33، والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز 221. 5. سورة القيامة: الآية 17.

6. البيت لعمرو بن كلثوم التغلبي. انظر المعلّقات السبع، ومجاز القرآن 1/2، وتفسير غريب القرآن 33. واللسان ج 1 ص 124، وتفسير الطبري ج 1 ص 32، ومجمع البيان ج 1 ص 14. والأضداد في اللغة 24.

7. وهو قول ابن عباس. قال أبو جعفر الطبري: ولكلا القولين أعني قول ابن عباس وقول قتادة وجه صحيح في كلام العرب، واعتبر رأي ابن عباس أقوى الرأيين وعلّل لذلك وأنظر تفسير الطبري ج 1 ص 33.

8. أنظر الديوان 410. وتفسير غريب القرآن 34، ج 19 ص 211، والجامع لأحكام القرآن ج 9 ص 10، وتفسير الطبري ج 1 ص 33، والعقد الفريد ج 2 ص 21، 143.

واكْتُبها بِأَسْيَارِ (١)

أي اجمعها.

وأما الفرقان (٢): فهو أيضاً مصدر لأنه فرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر فرقاً وفرقانا.

وأما الذكر: فسمي به، لأنه ذكّر به الناس آخرتهم وإلههم وما كانوا في غفلة عنه، فهو ذكر لهم، وقيل: سمي بذلك، لأنه فيه ذكر الأمم الماضية والأنبياء، وقيل: سمي بذلك، لأنه ذكر وشرف لمحمد وقومه وسائر العلماء به» (٣).

قال الطبرسي (ره) في ذكر أسامي القرآن ومعانيها:

«القرآن، معناه القراءة في الأصل، وهو مصدر قرأت أي تلوت وهو المروي عن ابن عباس، وقيل: هو مصدر قرأت الشيء، أي جمعت بعضه إلى بعض، وقال عمرو بن كلثوم:

ذراعي عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

أي لم تضمّ جنينها في رحمها وهو المروي عن قتادة، وإنما سمي بالمصدر وهو في الحقيقة المقروء وكما سمي المكتوب كتابا والمحسوب حساباً، ومن أسمائه الكتاب أيضاً، وهو مأخوذ من الجمع أيضاً يقال: كتبت السقاء إذا جمعته بالخرز، ومن أسمائه الفرقان، سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل بأدلته الدالة على صحة الحق فبطلان الباطل عن ابن عباس، وقيل سمي بذلك لأنه يؤدي إلى النجاة والمخرج كقوله سبحانه: ﴿ **ويجعل لكم فرقانا** ﴾ (٤)، ومن أسمائه الذكر، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾(٥)، وهو يحتمل أمرين أحدهما: أن يريد به أنه ذكر من اللّه لعباده بالفرائض والأحكام والآخر: أنه شرف لمن آمن به وصدق بما فيه، كقوله سبحانه: ﴿ **وأنه**

---

١. البيت غير منسوب وهو:

لا تأمننّ فزاريا خلوت به * على بعيرك واكتبها بأسيار

أنظر اللسان ج ١ ص ١٩٥، وشرح ديوان الحماسة ج ١ ص ٢٠٥، والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ٢٢١.

٢. أنظر مجاز القرآن ج ١ ص ٣، وفي تفسير الطبري ج ١ ص ٣٣ عن مجاهد.

٣. المحرر الوجيز ج ١ ص ٧٨ـ٨٠ ونقل عين هذه العبارة الثعالبي في جواهر الحسان ج ١ ص ١٧ـ١٨.

٤. سورة الانفال: الآية ٢٩. ٥. سورة الحجر: الآية ٩.

لذكر لك ولقومك ﴾ [١]، فهذه أربعة أسماء [٢].

قال ابن عربي : « واعلم أن الله أنزل هذا القرآن حروفا منظومة من اثنتين إلى خمسة أحرف متصلة ومفردة، وجعله كلمات وآيات وسوراً ونوراً وهدىً وضياء وشفاء ورحمة وذكراً وعربياً ومبيناً وحقاً وكتاباً ومحكماً ومتشابهاً ومفصلاً، ولكل اسم ونعت من هذه الأسماء معنى ليس للآخر، وكله كلام الله، ولما كان جامعاً لهذه الحقائق وأمثالها استحق اسم القرآن، فإنه ما سمي قرآنا إلا لحقيقة الجمعيّة التي فيه، فإنه يجمع ما أخبر الحق به عن نفسه، وما أخبر به عن مخلوقاته وعباده مما حكاه عنهم، فالقرآن هو الذي له صفة الجمع، من قريت الماء في الحوض إذا جمعته، وفي الجمع عين الفرقان، إذ الجمع دليل الكثرة، والكثرة آحاد، فهو عين الإفتراق من عين الجمع، فهو الفرقان القرآن، فلنذكر مراتب بعض نعوته لتُعلم منزلته.

فمن ذلك كونه حروفاً، والمفهوم من هذا الإسم أمران: الواحد المسمى قولاً وكلاماً ولفظاً، والأمر الآخر يسمى كتاباً ورقماً وخطاً، والقرآن يخط فله حروف الرقم، وينطق به فله حروف اللفظ، فلماذا يرجع كونه حروفاً منطوقاً بها؟ هل لكلام الله الذي هو صفته أو هل للمترجم عنه؟ فأعلم أن الله قد أخبرنا نبيه ﷺ أنه سبحانه يتجلى في القيامة في صور مختلفة فيُعرف ويُنكَر، ومن كان حقيقته تقبل التجلي في الصور، فلا يبعد أن يكون الكلام بالحروف المتلفظ بها المسماة كلام الله لبعض تلك الصور كما يليق بجلاله، فكما نقول: تجلى في صورة كما يليق بجلاله، كذلك نقول: تكلم بصوت وحرف كما يليق بجلاله، ونحملها محمل الفرح والضحك والعين والقدم واليد واليمين وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة، مما يجب الإيمان به على المعنى المعقول من غير كيفية ولا تشبيه، فإنه يقول: « ليس كمثله شيء » فنفى أن يماثل مع عقل المعنى وجهل النسبة، فإذا انتظمت الحروف سُميت كلمة، وإذا انتظمت الكلمات سُميت آية، وإذا انتظمت الآيات سُميت سورة، فلما وصف نفسه بأن له نَفَساً كما يليق بجلاله، ووصف نفسه بالصوت والقول،

---

١. سورة الزخرف: الآية ٤٤.
٢. مجمع البيان ج ١ ص ٨٢.

وقال: « فأجره حتى يسمع كلام اللّٰه » كان النَفَس المسمى صوتاً، وكان انقطاعه من الصوت حيث انقطع يسمى حرفاً، وكل ذلك معقول مما وقع الإخبار الإلهي به لنا، مع نفي المماثلة والتشبيه كسائر الصفات، ولما وصف نفسه بالصورة عرفنا معنى قوله: إنه الظاهر والباطن، فالباطن للظاهر غيب، والظاهر للباطن شهادة، ووصف نَفْسَه بأن له نَفَساً، فهو خروجه من الغيب وظهور الحروف شهادة، والحروف ظروف للمعاني التي هي أرواحها، والتي وضعت للدلالة عليها بحكم التواطؤ، وقال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبيّن لهم ﴾[1] وأبلغ من هذا الإفصاح من اللّٰه لعباده مايكون، فلابد أن يفهم من هذه العبارات ما تدل عليه في ذلك اللسان بما وقع الإخبار به عن الكون، فيعرف المعنى الذي يدل عليه ذلك الكلام وتعرف النسبة، وما وقع الإخبار به عن اللّٰه يعرف المعنى الذي يدل عليه ذلك الكلام وتجهل النسبة، لما أعطى الدليل العقلي والدليل الشرعي من نفي المماثلة، فإذا تحقّقت ما قررناه، تبيّنت أن كلام اللّٰه هو هذا المتلوّ المسموع، المتلفظ به المسمى قرآنا، فحروفه تعيّن مراتب كلمه من حيث مفرداتها، ثم للكلمة من حيث جمعيتها معنى ليس لآحاد حروف الكلمة، فللكلمة أثر في نفس السامع لهذا سميت كلمة في اللسان العربي، مشتقة من الكَلْم وهو الجرح، وهو أثر في جسم المكلوم، كذلك للكلمة أثر في نفس السامع، أعطاه ذلك الأثر استعداد السمع لقبول الكلام بوساطة الفهم، لابد من ذلك، فإذا انتظمت كلمتان فصاعداً سمي المجموع آية، أي علامة على أمر لم يعط ذلك الأمرَ كلُّ كلمة على انفرادها، مثل الحروف مع الكلمة، إذ قد تقرر أن للمجموع حكماً لا يكون لمفردات ذلك المجموع، فإذا انتظمت الآيات بالغاً ما أراد المتكلم أن يبلغ بها، سمي المجموع سورة، معناها منزلة ظهرت عن مجموع هذه الآيات، لم تكن الآيات تعطى تلك المنزلة على انفراد كلُّ آية منها، وليس القرآن سوى ما ذكرناه من سور وآيات وكلمات وحروف، هذا من كونه كلاماً، فإن أنزلناه كتاباً، فهو نظم حروف رقمية لإنتظام كلمات، لإنتظام آيات، لإنتظام سور، كل ذلك عن يمين كاتبة، كما كان القول عن نَفَس

١. سورة ابراهيم: الآية ٤.

رحماني، فصار الأمر على مقدار واحد وإن اختلفت الأحوال، لأن حال التلفظ ليس حال الكتابة، وصفة اليد ليست صفة النَّفس، فكونه كتاباً كصورة الظاهر والشهادة، وكونه كلاماً كصورة الباطن والغيب، فالقرآن في الصدور قرآن، وفي اللسان كلام، وفي المصاحف كتاب، والمترجم عن الله هو كل من كلّمه الله في الإلقاء والوحي، فيكون المترجم خلاّقاً لصور الحروف اللفظية أو المرقومة التي يوجدها، ويكون روح تلك الصور كلام الله لا غير.

ثم إن الله قد جعل للقرآن سورة من سوره قلبا، وجعل هذه السورة تعدل القرآن عشرة أوزان، وجعل لآيات القرآن آية أعطاها السيادة على آي القرآن، وجعل من سور هذا القرآن سورة تزن ثلثه ونصفه وربعه، وذلك ما أعطته منزلة تلك السورة، والكل كلامه، فمن حيث هو كلامه لا تفاضل، ومن حيث ما هو متكلم به وقع التفاضل لإختلاف النظم، والقرآن من الكتب والصحف المنزلة بمنزلة الإنسان من العالم، فإنه مجموع الكتب والإنسان مجموع العالم، وأعني بذلك الإنسان الكامل، وليس ذلك إلا من أُنزل عليه القرآن من جميع جهاته ونسبه.

وأما كون القرآن نورا: فبما فيه من الآيات التي تطرد الشبه المضلّة، مثل قوله تعالى: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾[1] وقوله: ﴿ لا أحبّ الآفلين ﴾[2] وقوله: ﴿ فاسئلوهم إن كانوا ينطقون ﴾[3] وقوله: ﴿ فأت بها من المغرب ﴾[4]، وكل ما جاء في معرض الدلالة فهو من كونه نوراً، لأن النور هو المنفر الظلم، وبه سمي نوراً، إذ كان النور النفور.

وأما كونه ضياء: فلما فيه من الآيات الكاشفة للأمور والحقائق، مثل قوله ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾[5] و ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾[6] وقوله: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[7]، وما أشبه ذلك مما يدل على مجرى الحقائق.

---

١. سورة الأنبياء: الآية ٢٢.
٢. سورة الأنعام: الآية ٧٦.
٣. سورة الأنبياء: الآية ٦٣.
٤. سورة البقرة: الآية ٢٥٨.
٥. سورة الرحمٰن: الآية ٢٩.
٦. سورة الرحمٰن: الآية ٣١.
٧. سورة النساء: الآية ٨.

وأما كونه شفاء : فكفاتحة الكتاب وآيات الأدعية كلها .

وأما كونها رحمة : فلما فيه مما أوجبه على نفسه من الوعد لعباده بالخير والبشرى ، مثل قوله : ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾[١] وقوله : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾[٢] ، وكل آية رجاء .

وأما كونه هدى : فكل آية محكمة ، وكل نص ورد في القرآن مما لا يدخله الإحتمال ولايفهم منه إلا الظاهر بأول وهلة ، مثل قوله :﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[٣] وقوله:﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾[٤] وقوله: ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾[٥] وأمثال هذه الآيات مما لايحصى كثرة.

وأما كونه ذكراً: فلما فيه من آيات الإعتبارات وقصص الأمم من إهلاكهم بكفرهم، كقصة نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس.

وأما كونه عربياً : فلما فيه من حسن النظم ، وبيان المحكم من المتشابه ، وتكرار القصص بتغيير ألفاظ من زيادة ونقصان ، مع توفية المعنى المطلوب في التعريف والإعلام مع إيجاز اللفظ، مثل قوله:﴿يحسبون كل صيحة عليهم ﴾[٦] وقوله : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا ﴾[٧]. وقوله : ﴿ وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولاتخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾[٨] كل ذلك في آية واحدة ، تحتوي على بشارتين وأمرين بعلم نافع ، وتبيين ببشرى من الله .

وأما كونه مبيناً : فبما أبان فيه من صفات أهل السعادة وأهل الشقاء ونعوت أهل الفلاح من غيرهم ، كقوله : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾[٩] إلى آخر الآيات ، وكل آية أبان بها عن أمر ليعرف .

فلهذا سماه بهذه الأسماء كلها ، وجعله قرآنا أي ظاهراً جامعا لهذه المعاني كلها ، التي

١ . سورة الزّمر : الآية ٥٣ .
٢ . سورة الأنعام : الآية ٥٤ .
٣ . سورة الذّاريات : الآية ٥٦ .
٤ . سورة البقرة : الآية ١٧٩ .
٥ . سورة الشورى : الآية ٤٠ .
٦ . سورة المنافقون : الآية ٤ .
٧ . سورة الزّخرف : الآية ٥٨ .
٨ . سورة القصص : الآية ٧ .
٩ . سورة المؤمنون : الآية ١ .

لا توجد إلا فيه »[١].

قال ابن تيمية : في الفرقان[٢] بين الحق والباطل :

وأن اللّه بيّن ذلك بكتابه ونبيّه ، فمن كان أعظم اتباعا لكتابه الذي أنزله ونبيّه الذي أرسله كان أعظم فرقاناً ، ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان ، واشتبه عليه الحق بالباطل ، كالذين اشتبهت عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان ، والنبي الصادق بالمتنبيء الكاذب ، وآيات النبيين بشبهات الكذابين ، حتى اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق .

فإن اللّه سبحانه وتعالى بعث محمداً بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ففرق[٣] به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغي ، والصدق والكذب ، والعلم والجهل ، والمعروف والمنكر ، وطريق أولياء اللّه السعداء وأعداء اللّه الأشقياء ، وبيّن ما عليه الناس من الإختلاف ، وكذلك النبيون قبله .

وقال تعالى:﴿الٓمٓ، اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾[٤].

قال جماهير المفسرين: هو القرآن . روى ابن أبي حاتم بإسناده عن الربيع ابن أنس قال : هو الفرقان فرق بين الحق والباطل . قال : وروي عن عطاء ومجاهد ومقسم وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك . وروي بإسناده عن شيبان عن قتادة في قوله:﴿ وأنزل الفرقان ﴾ قال : هو القرآن الذي أنزله اللّه على محمد ، ففرق به بين الحق والباطل[٥] ، وبيّن فيه دينه وشرع فيه

---

١ . رحمة من الرحمن ج ١ ص ٨ ـ ١١ .

٢ . الفُرْق بالضم والفرقان ، القرآن ، وكل ما فرق به بين الحق والباطل ، والفرقان : النصر ، البرهان ، والصبح ، والتوراة وانفراق البحر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان ﴾ سورة البقرة : الآية رقم ٥٣ ويوم الفرقان يوم بدر .

٣ . فرق بينهما فرْقاً وفرقاناً : فصل وقوله تعالى : ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ سورة الدخان : الآية ٤ أي يقضّىٰ وقوله تعالى : ﴿ وقرآنا فرقناه ﴾ سورة الإسراء : الآية ١٠٦ أي فصّلناه وأحكمناه ، وقوله تعالى ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر ﴾ أي فلقناه ، وقوله تعالى ﴿ فالفارقات فرقا ﴾ سورة المرسلات : الآية رقم ٤ أي الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل .

٤ . سورة آل عمران : الآية ١ ـ ٤ .

٥ . راجع ما كتبه الطبري في تفسيره ، ٢ : ٧٠ ـ ٧٢ وما كتبه القرطبي عند تفسير قوله تعالى ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ سورة البقرة الآية ٥٣ ـ ١ : ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

شرائعه، وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، وحدّ حدوده، وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته. وعن عبّاد بن منصور سألت الحسن عن قوله تعالى: ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ قال: هو كتاب بحق.

و «الفرقان» مصدر فرق فرقاناً مثل الرجحان، والكفران، والخسران وكذلك «القرآن» هو في الأصل مصدر قرأ قرآناً ومنه قوله:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [١].

ويسمى الكلام المقروء نفسه «قرآنا» وهو كثير كما في قوله:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [٢].

كما أن الكلام [٣] هو اسم مصدر كلّم تكليماً، وتكلّم تكلّماً، ويراد به الكلام نفسه؛ وذلك لأن الإنسان إذا تكلم كان كلامه بفعل منه وحركة هي مسمى المصدر، وحصل عن الحركة صوت يقطع حروفاً هو نفس التكلم، فالكلام والقول ونحو ذلك يتناول هذا وهذا، ولهذا كان الكلام تارة يجعل نوعاً من العمل إذا أريد به المصدر، وتارة يجعل قسيماً له إذا أريد ما يتكلم به، وهو يتناول هذا وهذا، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أن لفظ «الفرقان» إذا أريد به المصدر، كان المراد أنه أنزل الفصل والفرق بين الحق والباطل، وهذا منزل في الكتاب، فإن في الكتاب الفصل، وانزال الفرق هو إنزال الفارق، وإن أريد بالفرقان، ما يفرق فهو الفارق أيضاً. فهما في المعنى سواء، وإن أريد بالفرقان نفس المصدر، فيكون إنزاله كإنزال الإيمان وإنزال العدل. فإنه جعل في القلوب التفريق بين الحق والباطل بالقرآن، كما جعل فيها الإيمان والعدل، وهو سبحانه وتعالى أنزل الكتاب والميزان، والميزان قد فسر بالعدل، وفسر بأنه ما يوزن به ليعرف العدل، وهو

---

١. سورة القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.　　٢. سورة النحل: الآية ٩٨.

٣. الكلام: القول أو ما كان مكتفياً بنفسه. والكلمة: اللفظة، والجمع: كلم. والكلمة بالكسر لغة فيها، والجمع كلم ككسر، وكلّمه تكليماً وكلاماً تحدث، والكلمة: القصيدة. وكلمة الله عيسى عليه السلام.

والكلام يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة، وعند النحاة يقع على الجزء منه، اسماً كان أو فعلاً أو أداة، وعند كثير من المتكلمين لا يقع على الجملة المركبة المفيدة وهو أخص من القول، فإن القول عندهم يقع على المفردات، والكلمة تقع على كل واحد من الأنواع الثلاثة، وقد قيل: بخلاف ذلك. راجع بصائر ذوي التمييز ج ٤ ص ٣٧٧.

كالفرقان يفسر بالفرق، ويفسر بما يحصل به الفرق، وهما متلازمان، فإذا أريد الفرق نفسه فهو نتيجة الكتاب وثمرته ومقتضاه، وإذا أريد الفارق فالكتاب نفسه هو الفارق، ويكون له اسمان كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة الأخرى، سمي كتاباً باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب، وسمي فرقاناً باعتبار أنه يفرق بين الحق والباطل كما تقدم، كما سمي هدى [١] باعتبار أنه يهدي إلى الحق، وشفاءً [٢] باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشبهات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه » [٣].

قال ابن تيمية في أسماء القرآن وصفاته :

« القرآن، الفرقان، الكتاب، الهدى، النور، الشفاء، البيان، الموعظة، الرحمة، بصائر، البلاغ، الكريم، المجيد، العزيز، المبارك، التنزيل، المنزل، الصراط المستقيم، حبل الله، الذكر، الذكرى، تذكرة ﴿ وإنه لتذكرة للمتقين ﴾[٤]، ﴿ إنه تذكرة فمن شاء ذكره ﴾[٥]، ﴿ مصدق لما بين يديه ﴾[٦] و ﴿ تصديق الذي بين يديه ﴾[٧]، المهيمن عليه، ﴿ تفصيل كل شيء ﴾[٨]، ﴿ تبياناً لكل شيء ﴾[٩]، المتشابه، المثاني، الحكيم ﴿ تلك آيات الكتاب

---

١. قال تعالى: ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ سورة البقرة: الآية ١، ٢.

٢. قال تعالى: ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين ﴾ سورة الأسراء: الآية ٨٢.

أختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما ـ أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. الثاني شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقي والتعوذ ونحوه. وقد روى الأئمة ـ واللفظ للدار قطني عن أبي سعيد الخدري قال: بعثنا رسول الله ـ ﷺ في سرية ثلاثين راكباً قال: فنزلنا على قوم من العرب فسألناهم أن يضيفونا فأبوا قال: فلدغ سيد الحي، فأتونا فقالوا: فيكم أحد يرقي من العقرب..؟ في رواية ابن قته: إن الملك يموت.

قال: قلت: نعم، ولكن لا أفعل حتى تعطونا. فقالوا: فإنا نعطيكم ثلاثين شاة قال: فقرأت عليه ﴿ الحمدلله رب العالمين ﴾ سبع مرات فبرأ وفي رواية سليمان بن قته عن أبي سعيد. فأفاق وبرأ فبعث إلينا بالنزل وبعث إلينا بالشاة فأكلنا الطعام أنا وأصحابي وأبوا أن يأكلوا من الغنم حتى أتينا رسول الله ـ ﷺ فأخبرته الخبر.

فقال: وما يدريك أنها رقية..؟ قلت يا رسول الله شيء ألقي في روعي قال: كلوا وأطعمونا من الغنم » خرجه في كتاب السنن.

٣. تفسير الكبير (ابن تيمية) ج ١ ص ٨٧ ـ ٩١.

٤. سورة الحاقّة: الآية ٤٨.

٥. سورة المدّثر: الآية ٥٤.

٦. سورة المائدة: الآية ٤٦، ٤٨.

٧. سورة يونس: الآية ٣٧.

٨. سورة يوسف: الآية ١١١.

٩. سورة النّحل: الآية ٨٩.

الحكيم ﴾[١]، محكم، المفصّل ﴿ وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا [٢] ﴾، البرهان، ﴿ قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾[٣] على أحد القولين، الحق ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾[٤]، عربي مبين، أحسن الحديث، أحسن القصص على قول، كلام الله ﴿ فأجره حتى يسمع كلام الله﴾[٥]، العلم ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾[٦]، العلي الحكيم ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾[٧]، القيّم، ﴿ يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة﴾[٨]،﴿أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيّماً ﴾[٩]، وَحْي في قوله: ﴿ إن هو إلا وحيٌ يوحى ﴾[١٠]، حكمة في قوله: ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة ﴾[١١]، وحكماً في قوله:﴿أنزلناه حكماً عربياً﴾[١٢] ونبأ على قول في قوله:﴿عن النبأ العظيم﴾[١٣]، ونذير على قول ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾[١٤] في حديث أبي موسى: شافعاً مشفّعاً وشاهداً مصدّقاً، وسماه النبي ﷺ «حجة لك أو عليك»، وفي حديث الحارث عن علي «عصمة لمن استمسك به».

وأما وصفه بأنه يقصّ وينطق ويحكم ويفتي ويبشّر ويهدي فقال: ﴿ إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل ﴾[١٥]، ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم ﴾[١٦]، ﴿ قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب ﴾[١٧] أي يفتيكم أيضاً، ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون ﴾[١٨][١٩].

قال النيشابوري: المصحف مفعل من أصحف: أي جمع فيه الصحف. والصحف جمع

---

١. سورة يونس: الآية ١.
٢. سورة الأنعام: الآية ١١٤.
٣. سورة النساء: الآية ١٧٤.
٤. سورة يونس: الآية ١٠٨.
٥. سورة التوبة: الآية ٦.
٦. سورة آل عمران: الآية ٦١.
٧. سورة الزّخرف: الآية ٤.
٨. سورة البيّنة: الآية ٢ و٣.
٩. سورة الكهف: الآية ١ و ٢.
١٠. سورة النجم: الآية ٤.
١١. سورة القمر: الآية ٥.
١٢. سورة الرّعد: الآية ٣٧.
١٣. سورة النبأ: الآية ٢.
١٤. سورة النجم: الآية ٥٦.
١٥. سورة النمل: الآية ٧٦.
١٦. سورة الجاثية: الآية ٢٩.
١٧. سورة النساء: الآية ١٢٧.
١٨. سورة الإسراء: الآية ٩.
١٩. دقائق التفسير ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٢.

الصحيفة، والصحيفة: قطعة من جلد أو ورق يكتب فيه، وقد يقال مصحف بكسر الميم. وروي أن أبابكر الصديق استشار الناس بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا، والكتاب: معناه ضمّ الحروف الدالة على معنى بعضها إلى بعض، لأنه مصدر كتب: أي جمع، قال الله تعالى: ﴿ أولئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ ﴾[1] أي جمع حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم. فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفعل نحو هذا الدرهم ضرب الأمير، و ﴿ هذا خلق اللّه ﴾[2]، والقرآن: اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد، كما أن التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى، والإنجيل للمنزل على عيسى، والزبور للمنزل على داود عليه السلام، والقرآن يهمز، ولا يهمز. فمَنْ همزه وهو الأكثر فوزْنه فُعلان مثل قربان، والتركيب يدل على الجمع والضم، ومنه القرء للحيض لإجتماع الدم في ذلك الوقت. ومنه قولهم: قرأت الماء في الحوض. فالقرآن نزل شيئاً بعد شيء فلما جمع بعضه إلى بعض سمي قرآناً، وقيل سمي قرآناً لأنه جمع السور وضمها. قال تعالى: ﴿ إنّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[3] أي تأليفه وضم بعضه إلى بعض. وقولك قرأت: معناه جمعت الحروف بعضها إلى بعض. ومن لم يهمز القرآن وهو قراءة أهل مكة، فأما على تخفيف الهمزة فأصله كما مر، وأما على أن وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة، سمي بذلك لأنه قرن السور وما فيها بعضها إلى بعض، وقيل إن القرآن اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتوراة والإنجيل.

ويسمى القرآن فرقاناً، لأنه يفرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، والحلال والحرام[4].

قال ابن جُزَي: «وأما أسماؤه فهي أربعة: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر. وسائر ما يسمى صفات لا أسماء: كوصفه بالعظيم، والكريم، والمتين، والعزيز، والمجيد، وغير ذلك. فأما القرآن: فأصله مصدر قرأ، ثم أطلق على المقروء، وأما الفرقان: فمصدر أيضاً معناه التفرقة بين الحق والباطل، وأما الكتاب: فمصدر ثم أطلق على المكتوب، وأما الذكر:

---

١. سورة المجادلة: الآية ٢٢.
٢. سورة لقمان: الآية ١١.
٣. سورة القيامة: الآية ١٧.
٤. غرائب القرآن ج ١ ص ٢٨.

فسمي القرآن به لما فيه من ذكر اللّه أو من التذكير والمواعظ »[١].

قال الآلوسي : « اعلم أن لكتاب اللّه تعالى أسماء أنهاها شيدلة في البرهان إلى خمسة وخمسين أسماً ، وذكر السيوطي بعد عدها ، في الإتقان وجوه تسميته بها ولم يذكر غير ذلك ، وعندي أنها كلها ترجع بعد التأمل الصادق إلى القرآن والفرقان رجوع أسماء اللّه تعالى إلى صفتي الجمال والجلال فهما الأصل فيها ، وقد اختلف الناس في تحقيق لفظ القرآن ، فالمروى عن الشافعي وبه قال جماعة : إنه اسم علم غير مشتق خاص بهذا الكلام المنزل على النبي المرسل ﷺ وهو معرفاً غير مهموز عنده كما حكاه عنه البيهقي والخطيب وغيرهما ، والمنقول عن الأشعري وأقوام إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه وسمي به عندهم لقران السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض ، وقال الفراء : هو مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدّق بعضها بعضاً ويشبه بعضها بعضاً وهو على هٰذين القولين بلا همز أيضاً ونونه أصلية ، وقال الزجاج : هذا القول غلط والصواب أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركتها إلى ما قبلها ، فهو عنده : وصف مهموز على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض إذا جمعته ، وسمي به لأنه جمع السور كما قال أبو عبيدة ، أو ثمرات الكتب السالفة كما قال الراغب ، أو لأن القاريء يظهره من فيه أخذاً من قولهم : ما قرأت الناقة سلى قط[٢] كما حكى عن قطرب ، وعند اللحياني وجماعة هو مصدر كالغفران سمي به المقروء تسمية المفعول بالمصدر ، قال السيوطي : قلت والمختار عندي في هذه المسألة مانص عليه الشافعي رضي اللّه تعالى عنه انتهى - وأنا متبريء من حولي - أقول : قول الزجاج أرق من وجه ، إذ الشائع فيه الهمز وبه قرأ السبعة ما عدا ابن كثير وقد وجه إسقاطها بما مر آنفاً ولم يوجه إثباتها ، وكأن قول السيوطي محض تقليد لإمام مذهبه ، حيث لم يذكر الدليل ولم يوضح السبيل ، وعندي إنه في الأصل وصف أو مصدر كما قال الزجاج واللحياني ، لكنه نقل وجعل علماً شخصياً كما ذهب إليه الشافعي ومحققو الأصوليين وعليه لا يعرّف القرآن لأن التعريف لا يكون إلاّ

١. التسهيل ج ١ ص ٤ـ٥

٢. أي ما أسقطت ولداً ما حملت قط .

للحائق الكلية ، ولعل من عرّفه بالكلام المنزل للإعجاز بسورة منه ، أراد تصوير مفهوم لفظ القرآن وكذا من قال كالغزالي : إنه ما نقل بين دفتي المصحف تواتراً ، أراد تخصيص الإسم بأحد الأقسام الثلاثة مما نقل بين الدفتين ومما لم ينقل ، كالمنسوخ تلاوته نحو - إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وما نقل ولم يتواتر نحو - ثلاثة أيام متتابعات - ليعلم أن ذلك هو الدليل وعليه الأحكام من نحو منع التلاوة والمس محدثا ، وإلا فيرد على الأول إن أريد التمييز أن كونه للإعجاز ليس لازماً بيّناً إذ لا يعرفه إلا الأفراد من العلماء فضلا عن أن يكون ذاتيا ، فكيف يصح لتعريف الحقيقة وتمييزها وهو إنما يكون بالذاتيات أو باللوازم البيّنة ، وأيضاً أن معرفة السورة منه متوقفة على معرفته فيدور . ويرد على الثاني مثل ثاني ماورد على الأول ، إذ معرفة المصحف موقوفة على معرفة القرآن إذ ليس هو إلا ماكتب فيه القرآن فأخذه في تعريفه دور أيضاً ، هذا وقد قال ساداتنا الصوفية أفاض اللّه تعالى علينا من فتوحاتهم القدسية: إن القرآن إشارة إلى الذات التي يضمحل بها جميع الصفات ، فهي المجلى المسمى بالأحدية أنزلها الحق تعالى شأنه على نبيه ﷺ ليكون مشهد الأحدية من الأكوان ، ومعنى هذا الإنزال أن الحقيقة الأحدية المتعالية في ذراها ظهرت فيه ﷺ بكمالها وما ادخر عنه شيء ، بل أفيض عليه الكل كرماً إلهيا ذاتيا ووصف القرآن في بعض الآيات بالكريم لذلك ، إذ أي كرم يضاهي هذا الكرم ، وأنّىٰ تقاس هذه النعمة بسائر النعم ، وأما القرآن الحكيم فهوية الحقائق الإلهية يعرج العبد بالتحقق بها في الذات شيئاً فشيئاً على ما اقتضته الحكمة ، وإلى ذلك أشار الحق تعالى بقوله : ﴿ **ورتلناه ترتيلا** ﴾[1] ، وهذا الحكم لا ينقطع أبدا ، إذ لا يزال العبد في ترقّ والحق في تجل فسبحان من لا تقيده الأكوان وهو كل يوم في شان ، وأما القرآن العظيم في قوله تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾[2] فهو إشارة إلى الجملة الذاتية لا باعتبار النزول ولا باعتبار المكانة ، بل مطلق الأحدية الذاتية التي هي في مطلق الهويّة الجامعة لجميع المراتب والصفات والشئون والإعتبارات ولهذا قرن بالعظيم . وأما السبع المثاني فهو ما ظهر عليه في

---

١. سورة الفرقان : الآية ٣٢.　　٢. سورة الحجر : الآية ٨٧.

وجوده من التحقق بالصفات السبع، وأما قوله تعالى: ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾[١] فهو إشارة إلى أن العبد إذا تجلى عليه الرحمن وجد لذة رحمانية تكسبه معرفة قرآنية، فلا يعلم الحق إلا من طريق أسمائه وصفاته، وأما الفرقان عندهم فإشارة إلى حقيقة الأسماء والصفات على اختلاف تنوّعاتها فباعتباراتها تتميز كل صفة واسم من غيرها، فحصل الفرق في نفس الحق من حيث اسماؤه وصفاته، فإن اسمه المنعم غير اسمه المنتقم وصفة الرضا غير صفة الغضب وإليه الإشارة بقوله: « سبقت رحمتي غضبي » وهي متفاوتة المراتب في الفضل نظراً إلى أعيانها لا باعتبار أن في شيء منها نقصاً أو مفضولية، ولهذا حكمت بعضها على بعض كما يشير إليه قوله ﷺ: « أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك » فكانت المعافاة أفضل من العقوبة والرضا أفضل من السخط فأعاذه بالفاضل مما يليه، وكذا أعاذه بذاته من ذاته، فكما أن الفرق حاصل في الأفعال كذلك في الصفات، بل في نفس واحدية الذات التي لا فرق فيها لكن من غريب شؤنها جمعها النقيضين. قال أبو سعيد: عرفت اللّه تعالى بجمعه بين الضدين، ولكونه ﷺ مظهراً للقرآن والفرقان كان خاتم النبيين، وإمام المرسلين. لأنه ما ترك شيئاً يحتاج إليه إلا وقد جاء به، فلا يجد الذي يأتي بعده من الكمال شيئاً مما ينبغي أن ينبّه عليه. قال تعالى: ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيء ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وكل شيء فصّلناه تفصيلا ﴾[٣]. إلى غير ذلك من الآيات.

وقد يقال: القرآن والفرقان إشارتان إلى مقام الجمع والفرق بأقسامهما. قالوا: ولا بد للعبد الكامل منهما. فإن من لا تفرقة له لا عبودية له. ومن لا جمع له لا معرفة له. والجمع عندهم شهود الأشياء باللّه تعالى. والتبرّي من الحول والقوة إلا باللّه، وجمع الجمع الإستهلاك بالكلية والفناء عما سوى اللّه تعالى وهو المرتبة الأحدية، والفرق أنواع، فرق أول: وهو الإحتجاب بالخلق عن الحق وبقاء رسوم الخليقة بحالها، وفرق ثان: وهو شهود قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من غير احتجاب إحداهما

---

١. سورة الرحمن: الآية ١ و٢. ٢. سورة الأنعام: الآية ٣٨.
٣. سورة الإسراء: الآية ١٢.

عن الأخرى، وفرق الوصف: وهو ظهور الذات الأحدية بأوصافها في الحضرة الواحدة، وفرق الجمع: وهو تكثّر الواحد بظهوره في المراتب التي هو ظهور شئون الذات الأحدية وتلك الشئون في الحقيقة اعتبارات محضة لا تحقق لها إلا عند بروز الواحد بصورها، وكثيراً ما يطلقون القرآن على العلم اللدنّي الإجمالي الجامع للحقائق كلها، والفرقان على العلم التفصيلي الفارق بين الحق والباطل، وكتاب اللّه تعالى جامع لذلك كله كما لا يخفى على أهله، وذكر الشيخ الأكبر قدس سره أن القرآن يتضمن الفرقان، والفرقان لا يتضمن القرآن، لأن تفاصيل المراتب والأسماء المقتضية لها موجودة في الجمع والجمع لا يوجد في التفاصيل ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ فليفهم. ونسأل اللّه تعالى أن يلهمنا رشدنا ويزيل بعلمه جهلنا إنه على ما يشاء قدير»[١].

قال النهاوندي (ره) في أسامي الكتاب العزيز ووجه مناسبة تسميته بالقرآن:

«قال بعض: إن اللّه تعالى سمى كتابه العزيز بخمسة وخمسين أسما، كالفرقان والذكر واحسن الحديث وغيرها، والظاهر أنّ جميعها القاب وأوصاف له إلا القرآن فإن الأقوى والأظهر أن يكون علماً له بوضع اللّه تعالى، وقد ذكروا في اشتقاقه ووجه مناسبته وجوهاً، والأظهر الأشهر أن يكون القرآن مهموزاً من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض أي جَمَعته، وعلى هذا يكون وجه مناسبته التسمية كونه جامعاً لثمرات جميع الكتب السالفة المنزلة قالوا: إن اللّه جمع جميع الكتب السماوية في التوراة والإنجيل، وجمع جميع ما في التوراة والإنجيل في القرآن، ويشهد له ما روي عن النبي ﷺ قال: «أعطيت السور الطوال مكان التوراة وأعطيت المئين مكان الإنجيل وأعطيت المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة».

والأولى والأنسب كونه جامعاً لجميع أنواع العلوم كلها كما قال اللّه تعالى: ﴿ وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[٣]، وعنه ﷺ: من فهم القرآن فسر حمل العلم، وقال عليه السلام في وصف القرآن: «ظاهره

---

١. روح المعاني ج ١ ص ٨ ـ ١٠.
٢. سورة النّحل: الآية ٨٩.
٣. سورة الأنعام: الآية ٣٨.

حكم وباطنه علم، ظاهره انيق وباطنه عميق له تخوم، وعلى تخومه تخوم لا يحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة».

وعن الصادق عليه السلام قال: «ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيمة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة والنار وخبر ما كان وما هو كائن أعلم ذلك كما أنظر إلى كفّي، إن الله تعالى يقول: فيه تبيان كل شيء.

وعن ابن عباس قال: لو ضل منا عقال كنّا نجده بالقرآن، إلى غير ذلك من الأخبار»[١].

قال ابن عاشور: «فالقرآن اسم للكلام الموَحى به إلى النبي صلى الله عليه وآله، وهو جملةُ المكتوب في المصاحف المشتمل على مائة وأربعَ عشرةَ سورة، أُولاها الفاتحة وأُخرَاها سورة الناس. صار هذا الإسم علماً على هذا الوحي. وهو على وزن فعلان وهي زنة وردت في أسماء المصادر مثل غُفْران، وشُكْران وبُهْتان، ووردت زيادة النون في أسماء أعلام مثل عُثمان وحَسان وعَدنان. واسم قرآن صالح للإعتبارين، لأنه مشتق من القراءة لأن أول مابُدِيء به الرسول من الوحي ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾[٢] الآية. وقال تعالى ﴿ وقرآنا فرَقْنَاهُ لتَقْرَأَهُ على الناس على مُكْثٍ ونَزَّلناه تنزيلا ﴾[٣] فهمزة قرآن أصلية ووزنه فعلان، ولذلك اتفق أكثر القراء على قراءة لفظ قرآن مهموزاً حيثما وقع في التنزيل، ولم يخالفهم إلا ابن كثير قرأه بفتح الراء بعدها ألف على لغة تخفيف المهموز وهي لغة حجازية، والأصل توافق القراءات في مدلول اللفظ المختلف في قراءته. وقيل هو قُرَان بوزن فُعال، من القَرْن بين الأشياء أي الجمع بينها لأنه قرنت سوره بعضها ببعض وكذلك آياته وحروفه، وسمي كتاب الله قرآناً كما سمي الإنجيل الأنجيلَ، وليس مأخوذا من قرأت، ولهذا يهمز قرأت ولا يهمز القرآن فتكون قراءة ابن كثير جارية على أنه اسم آخر لكتاب الله على هذا الوجه. ومن الناس من زعم أن قرآن جمع قرينة أي اسم جمع، إذ لا يجمع مثل قرينة على وزن فُعال في التكثير فإن الجموع الواردة على وزن فعال محصورة ليس هذا منها، والقرينة العلامة، قالوا لأن آياته يصدِّقُ بعضُها بعضاً فهي قرائن على الصدق.

---

١. نفحات الرحمن ج ١ ص ١٣ ـ ١٤.
٢. سورة العلق: الآية ١.
٣. سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

فاسم القرآن هو الإسم الذي جُعل علماً على الوحي المنزل على محمد ﷺ، ولم يسبق أن أطلق على غيره قبله، وهو أشهر أسمائه وأكثرها ورودا في آياته، وأشهرها دوراناً على ألسنة السلف.

وله أسماء أخرى هي في الأصل أوصاف أو أجناس أنهاها في الإتقان إلى نيف وعشرين. والذي اشتهر إطلاقه عليه منها ستة: التنزيل، والكتاب، والفرقان، والذكر، والوحي، وكلام الله.

فأما الفرقان فهو في الأصل اسم لما يفرق به بين الحق والباطل وهو مصدر، وقد وصف يوم بدر بيوم الفرقان وأطلق على القرآن في قوله تعالى: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾[١] وقد جعل هذا الإسم علماً على القرآن بالغلبة، مثل التوراة على الكتاب الذي جاء به موسى، والإنجيل على الوحي الذي أنزل على عيسى قال تعالى: ﴿ نَزَّل عليك الكتاب بالحق ـ إلى قوله ـ وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾[٢]، فوصفه أولاً بالكتاب وهو اسم الجنس العام ثم عبر عنه باسم الفرقان عقب ذكر التوراة والإنجيل وهما علمان ليعلم أن الفرقان علم على الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ. ووجه تسميته الفرقان أنه امتاز عن بقية الكتب السماوية بكثرة ما فيه من بيان التفرقة بين الحق والباطل، فإن القرآن يعضد هديه بالدلائل والأمثال ونحوها، وحسبك ما اشتمل عليه من بيان التوحيد وصفات الله مما لا تجد مثله في التوراة والإنجيل كقوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[٣] وأذكر لك مثالاً يكون تبصرة لك في معنى كون القرآن فرقاناً، وذلك أنه حكى صفة أصحاب محمد ﷺ الواردة في التوراة والإنجيل بقوله: ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾[٤] الآيات ـ من سورة محمد ـ فلما وصفهم القرآن قال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[٥] الآية ـ آل عمران ـ فجمع في هاته الجملة جميع أوصاف الكمال.

---

١. سورة الفرقان: الآية ١.

٢. سورة آل عمران: الآية ٣ و ٤.

٣. سورة الشورى: الآية ١١.

٤. سورة الفتح: الآية ٢٩.

٥. سورة آل عمران: الآية ١١٠.

وأما إنْ افتقدتَ ناحية آيات أحكامه فإنك تجدها مبرّأةً من اللبس وبعيدة عن تطرّق الشبهة، وحسبك قوله: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاتعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا ﴾[١] فإنك لا تجد في التوراة جملة تفيد هذا المعنى بله ما في الإنجيل.

وهذا من مقتضيات كون القرآن مهيمنا على الكتب السالفة في قوله تعالى: ﴿ وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾[٢]، وسيأتي بيان هذا في أول آل عمران.

وأما التنزيل فهو مصدر نزل، أطلق على المنزل باعتبار أن ألفاظ القرآن أنزلت من السماء قال تعالى: ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾[٣]، وقال: ﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾[٤].

وأما الكتاب فأصله اسم جنس مطلق ومعهود. وباعتبار عهده أطلق على القرآن كثيرا قال تعالى: ﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه ﴾[٥]، وقال: ﴿ الحمدللّه الذي أنزَلَ على عبده الكتاب ﴾[٦] وإنما سمي كتابا، لأن اللّه جعله جامعاً للشريعة فأشبه التوراة لأنها كانت مكتوبة في زمن الرسول المرسَل بها، وأشبه الإنجيل الذي لم يكتب في زمن الرسول الذي أرسِل به ولكنه كتَبَه بعض أصحابه وأصحابهم، ولأن اللّه أمر رسوله أن يكتب كل ما أنزل عليه منه ليكون حجة على الذين يدخلون في الإسلام ولم يتلقّوه بحفظ قلوبهم. وفي هذه التسمية معجزة للرسول ﷺ بأن ماأوحي إليه سيكتب في المصاحف قال تعالى: ﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مبارك مصدِّق الذي بين يديه ولِتُنذِرَ أمَّ القرى ومَن حولها﴾[٧]، وقال: ﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مبارك فاتبعوه ﴾[٨] وغير ذلك، ولذلك اتخذ النبي ﷺ من أصحابه كُتّاباً يكتبون ما أنزل إليه، من أول مابتديء نزوله، ومن أولهم عبدُ اللّه ابن سعد بن أبي سرح،

---

١. سورة النّساء: الآية ٣.
٢. سورة المائدة: الآية ٤٨.
٣. سورة فصّلت: الآية ٢ و٣.
٤. سورة السّجدة: الآية ٢.
٥. سورة البقرة: الآية ١.
٦. سورة الكهف: الآية ١.
٧. سورة الانعام: الآية ٩٢.
٨. سورة الأنعام: الآية ١٥٥.

وعبدُ اللّه بن عَمْرو بن العاص، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان. وقد وجد جميع ماحفظه المسلمون في قلوبهم علىٰ قدر ما وجدوه مكتوبا يوم أمر أبوبكر بكتابة المصحف.

وأما الذكر فقال تعالى: ﴿ وأنْزَلْنا إليكَ الذِّكْرَ لتبينَّ للناس ما نُزِّلَ إليهم ﴾[1] أي لتبيّنه للناس، وذلك أنه تذكير بما يجب على الناس اعتقاده والعملُ به.

وأما الوَحي فقال تعالى: ﴿ قُلْ إنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بالوَحيِ ﴾[2] ووجه هذه التسمية أنه أُلقي إلى النبي ﷺ بواسطة المَلَك، وذلك الإلقاء يسمى وحياً لأنه يترجم عن مراد اللّه تعالى فهو كالكلام المترجِم عن مراد الإنسان، ولأنه لم يكن تأليفُ تراكيبه من فعل البَشر.

وأما كلام اللّه فقال تعالى ﴿ وَإنْ أحَدٌ من المشركين استَجَارَكَ فأجِرهُ حتى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ﴾[3].

واعْلم أن أبابكر رضي اللّه عنه لما أمر بجمع القرآن وكتابته كتبوه على الوَرَق فقال للصحابة: التمسوا إسما، فقال بعضهم سَمُّوه إنجيلا فكرِهوا ذلك من أجْل النصارىٰ، وقال بعضهم سَمُّوه السِّفْر فكرهوه من أجل أن اليهود يسمّون التوراة السِّفْر. فقال عبد اللّه ابن مسعود: رأيتُ بالحبشة كتاباً يَدْعُونَه المُصْحَف فسَمُّوه مصحفاً (يعنى أنه رأى كتاباً غير الإنجيل »[4].

قال السيّد مصطفىٰ الخميني (ره): «ماهو سبب تسمية هذا المؤلف القيّم بالقرآن وغيره من الأسماء المذكورة له؟.

الأسماء المعروفة أربعة:

١ ـ القرآن كما في قوله في سورة الزخرف[5] ﴿ إنّا جعلناه قرآناً عربياً ﴾، وفي موضوع آخر من البقرة ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾[6] وهذا يدل دون الأول، لأنه أريد هناك معناه اللغوي ولعله سمّي بذلك ولقوله في بدو الوحي والتنزيل: ﴿ إقرأ باسم ربك

---

١. سورة النحل: الآية ٤٤.
٢. سورة الانبياء: الآية ٤٥.
٣. سورة التوبة: الآية ٦.
٤. التحرير والتنوير ج ١ ص ٧١ ـ ٧٤.
٥. سورة زخرف: الآية ٣.
٦. سورة البقرة: الآية ١٨٩.

الذي خلق ﴾[1]، والمسمّىٰ هو هذا المؤلّف بين يدي المسلمين ، فيكون بالوضع التعيني كساير الأسماء الموضوعة للمعاني الكلية ، ونظيره كلمة سلطان ، فإنه مصدر أو اسم مصدر يطلق علىٰ الذات ، فالقرآن يطلق علىٰ ذات هذا السفر القيّم نظير اطلاق الماء على الكل والجزء .

٢ ـ الفرقان، كما في قوله تعالى: ﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان علىٰ عبده ﴾[2].

٣ ـ الكتاب ، كما في آيات .

٤ ـ الذكر ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزّلنا الذكر ﴾ [3].

وغيرها ولكنّ هذه الثلاثة مشتركة معه في ساير الكتب السماوية ، ففي قوله تعالى سورة البقرة ، آية ٥٢ : ﴿ وإذ آتينا موسىٰ الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ ، وفي موضع آخر من سورة الأنبياء آية ٤٨ : ﴿ ولقد آتينا موسىٰ وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين ﴾ ، فعلىٰ هذا يختص الاسم بالقرآن ولذلك اشتهر به ، وما وجدت في الكتاب العزيز اطلاقه على ساير الكتب .

وأما وجه التسمية والإطلاق فهو معلوم لايحتاج إلىٰ الإطالة المَنهيّة والإطناب المزعج ، وستظهر وجوه توصيفية في خلال الآيات الشريفة انشاء اللّه تعالى بالأوصاف المختلفة وعناوين شتّىٰ ، فعلىٰ هذا تزداد أسماؤه وألقابه إلى الأعشار علىٰ ضبطه بعض المفسرين ولاتنحصر بالأربعة ، وغير خفي إن الخلط بين ما هو في حكم العلم وغيره غير جائز .

وما هو العلم لهذا الكتاب، هو القرآن بر فض خصوصية المعنىٰ ،بخلاف ساير الألقاب»[4].

قال البازوري في أسماء القرآن ومعانيها :

« القرآن : معناه القراءة في الأصل . وهو مصدر قرأت ، أي تلوت . وقيل هو مصدر قرأت الشيء أي جمعت بعضه إلى بعض .

الكتاب : وهو مأخوذ من الجمع أيضاً . يقال : كتبت السقاء ، إذا جمعته بالخرز .

الفرقان : سمّي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل . وقيل سمّي بذلك لأنه يؤدي إلى

---

١ . سورة اقرأ : الآية ٣.
٢ . سورة الفرقان : الآية ١٨٩.
٣ . سورة الحجر : الآية ١.
٤ . تفسير القرآن الكريم ج ١ ص ١٣ ـ ١٤.

النجاة والمخرج كقوله سبحانه: ﴿ ويجعل لكم فرقاناً ﴾[١].

الذكر: قال تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[٢].

قال تعالى في القرآن:

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب، وأخر متشابهات﴾[٣].

وقال: ﴿ يٓس، والقرآن الحكيم ﴾[٤]، وقال: ﴿ حكمة بالغة ﴾[٥]، وقال: ﴿ ألم، ذلك الكتاب لاريب فيه هدىً للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ﴾[٦]، وقال أيضاً: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرىٰ للمسلمين ﴾[٧].. وقال عز وجل: ﴿ مافرطنا في الكتاب من شيء ﴾[٨].. وقال: ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾[٩].. وقال: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾[١٠].. وقال تعالى: ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته، وليذكّر أولو الألباب ﴾[١١]»[١٢].

قال الزحيلي:

«للقرآن أسماء: هي القرآن، والكتاب، والمصحف، والنور، والفرقان[١٣].

وسمّي قرآناً: لأنه التنزيل المتلو المقروء، وقال أبو عبيدة: سمّي القرآن: لأنه يجمع السُّور، فيضمّها. قال تعالى: ﴿ إنَّ علينا جَمْعَهُ وقُرآنهُ ﴾[١٤] أي جمعه وقراءته، ومن المعلوم أن القرآن نزل تدريجياً شيئاً بعد شيء، فلما جمع بعضه إلى بعض سمّي قرآناً.

وسمّي كتاباً من الكَتْبِ أي الجمع، لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على نحوٍ مخصوص.

---

١. سورة الأنفال: الآية ٢٩.
٢. سورة الحجر: الآية ٩.
٣. سورة آل عمران: الآية ٧.
٤. سورة يٓس: الآية ١و٢.
٥. سورة القمر: الآية ٥.
٦. سورة البقرة: الآية ١ ـ ٣.
٧. سورة النحل: الآية ٨٩.
٨. سورة الأنعام: الآية ٣٨.
٩. سورة يٓس: الآية ١٢.
١٠. سورة الحجر: الآية ٢١.
١١. سورة ص: الآية ٢٩.
١٢. الغيب والشهادة ج ١ ص ٢١ ـ ٢٢.
١٣. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة النظام ـ نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري بهامش تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٥، تفسير الرازي: ج ٢ ص ١٤.
١٤. سورة القيامة: الآية ١٧.

وسمّي مصحفاً من أصحف أي جمع فيه الصحف ، والصحف جمع الصحيفة : وهي قطعة من جلد أو ورق يكتب فيه . وروي أن أبابكر الصديق استشار الناس بعد جمع القرآن في اسمه ، فسمّاه مصحفاً .

وسمّي نوراً : لأنه يكشف الحقائق ، ويبيّن الغوامض من حلال وحرام وغيبيات لايستطيع العقل إدراكها، ببيان قاطع وبرهان ساطع، قال الله تعالى : ﴿ ياأيُّها النّاسُ قدْ جاءكم برهانٌ من ربِّكم ، وأنْزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾[1] .

وسمّي فُرْقاناً لأنه فرق بين الحقّ والباطل ، والإيمان والكفر ، والخير والشّر ، قال الله تعالى : ﴿ تباركَ الّذي نزَّل الفرقانَ على عَبْدِه ، ليكونَ للعالمينَ نذيراً ﴾[2]»[3] .

قال المدرسي :

«ما هو القرآن وكيف وصف القرآن نفسه؟.

اكثر من مئة آية تبيّن خصائص القرآن. واذا أضفنا اليها عشرات الآيات التي تُحدّثُنا عن الشؤون المختلفة للقرآن الحكيم، فإنه سيكون ذخيرة علمية غنية نحصل بالتدبر فيها على معرفة واسعة بالقرآن.

القرآن نور، القرآن كتاب مبين، القرآن سلام، القرآن صراط مستقيم. هذه هي الصفات التي جاءت في الآية التالية:

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾[4] .

وفي القرآن بصائر تعطي المؤمن قدرة على رؤية الحقائق مباشرة، ومن دون حجاب.

وفي القرآن هدى يبيّن الإتجاه السليم في الحياة.

وفي القرآن رحمة وفلاح لمن آمن به واتّبع هداه.

هكذا جاء في الآية التالية:

---

١. سورة النساء : الآية ١٧٤.
٢. سورة الفرقان : الآية ١.
٣. المنبر ج ١ ص ١٤ـ١٥.
٤. سورة المائدة : الآية ١٥ـ١٦.

﴿هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[١].

ولابد أن يتفكر الناس، لكي يحصلوا على المعرفة من خلال أمثال القرآن، هكذا يقول القرآن:

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية اللّه وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون﴾[٢].

ولقد عجزت كل الأقاويل التي حاولت تفسير ظاهرة القرآن، الا انه وحي من اللّه فلا هو بقول شاعر يسبح في غمرات أحلامه، ولا هو بقول كاهن يتخرص فيقول كلاماً مجملاً لا يعني من ورائه شيئاً. هكذا يقول القرآن:

﴿فلا أُقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون﴾[٣].

وجاء القرآن ليتدبر فيه الناس، شريطة أن يفكّوا عن قلوبهم أقفالها ليروا الحقيقة مباشرة.

﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[٤].

ومن يتدبر في القرآن يعرف انه من اللّه، لانه لا اختلاف فيه:

﴿أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غيراللّه لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٥].

والقرآن موعظة يهز اعماق الضمير، والقرآن شفاء يطهر الصدور من الحقد والحسد والعقد:

﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[٦].

والقرآن كتاب اللّه الذي أعجز الخلق عن ان يأتوا بمثله:

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان

---

١. سورة الأعراف: الآية ٢٠٣.
٢. سورة الحشر: الآية ٢١.
٣. سورة الحاقّة: الآية ٣٨ـ٤٢.
٤. سورة محمد: الآية ٢٤.
٥. سورة النساء: الآية ٨٢.
٦. سورة يونس: الآية ٥٧.

بعضهم لبعض ظهيراً﴾[١].

وفي القرآن من كل مثل عبرة، ومن كل سبيل منار، ومن كل علم درس، ولكل خير قدوة، ولكل معروف وسيلة. يعطي لكل حادثة مثلاً سابقاً، ولكل ظاهرة قانوناً عاماً، ولكل مشكلة طارفةٍ حلاً واقعياً تليداً:

﴿ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا﴾[٢].

والقرآن آيات مبينات، القرآن مثل من واقع التأريخ الغابر للحاضر **﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين﴾**[٣].

ولو ان القرآن انزل على الجبال لخشعت، لأن القرآن يذكّر الانسان بالله الذي يخشاه كل شيء **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله﴾**[٤]»[٥].

---

١. سورة الإسراء: الآية ٨٨.
٢. سورة الإسراء: الآية ٨٩.
٣. سورة النّور: الآية ٣٤.
٤. سورة الحشر: الآية ٢١.
٥. من هدى القرآن ج ١ ص ١٦ ـ ١٩.

خصائص القرآن في السّنة

في تفسير العياشي :

« ١ ـ روى جعفر بن محمّد بن مسعود عن أبيه عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيها الناس إنكم في زمان هدنة وأنتم على ظهر السفر، والسير بكم سريع، فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقرّبان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدُّوا الجهاز لبعد المفاز، فقام المقداد فقال: يا رسول الله ما دار الهدنة؟ قال: دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقِطَع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفّع، وماحل [1] مصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلُّ على خير سبيل، وهو [كتاب فيه] تفصيل وبيان وتحصيل ، وهو الفصل، ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكمة [2] وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم [3] ، لا تُحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه ، فيه مصابيح الهدى ومنازل [4] الحكمة ، ودليل على المعروف لمن عرفه [5].

١ . محل به إلى السلطان محلاً: كاده بسعاية إليه .   ٢ . وفي نسخة الصافي «حكم».

٣ . الأنيق: الحسن المعجب والتخوم جمع تخم بالفتح: منتهى الشيء.

٤ . وفي نسختي البرهان والصافي «منار» بدل. «منازل».

٥ . البحار ج ١٩ : ٥. البرهان ج ١ : ٧. الصافي ج ١ : ٩.

٢ ـ عن يوسف بن عبدالرحمن رفعه إلى الحارث الأعور قال: دخلت على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فقلت: يا أميرالمؤمنين إنا إذا كنا عندك سمعنا الذي نسدّ به [١] ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي؟ قال: أوقد فعلوها؟ قال: قلت: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبرئيل فقال: يامحمد سيكون في أمتك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من ولاّه من جبّار فعمل بغيره قصمه الله [٢]، ومن التمس الهدىٰ في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغه [٣] الأهوية ولا تلبسه الألسنة ولايخلق على الرّد [٤] ولا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء [هو الذي] لم تكنه [٥] الجنّ إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [٦] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم، هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» [٧].

٣ـ عن الحسن بن علي قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن أمتك ستفتتن، فسئل ما المخرج من ذلك؟ فقال: «كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله، ومن ولي هذا الأمر من جبّار فعمل بغيره قصمه الله، وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم، فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، وهو الذي سمعته الجنّ فلم تناها أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرآناً عَجَباً يَهْدي إِلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [٨] ولا يخلق على طول الرّد، ولاتنقضي عبره ولا تفنى عجائبه [٩]» [١٠].

---

١. وفي البرهان وبعض نسخ الصافي «نشدّ».
٢. أي أهلكه.
٣. وفي نسخة «لا تذيقه».
٤. وفي بعض النسخ «عن كثرة الرد».
٥. وفي بعض النسخ «تلبث» وفي أُخرىٰ «تناه».
٦. سورة الجن: الآية ١.
٧. البحار ج ١٩: ٧. البرهان ج ١: ٧. الصافي ج ١: ١٠.
٨. سورة الجنّ: الآية ١.
٩. البحار ج ١٩: ٨. البرهان ج ١: ٨.
١٠. تفسير العياشي ج ١ ص ١٣ـ١٧.

قال البغوي :

« أنا أبو بكر محمد بن عبدالصمد الترابي، أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد حموية السرخسي، أنا أبو إسحق ابراهيم بن حزيم الشاشي، أنا أبو محمد عبد بن حميد شاشي، ثنا حسين بن علي الجعفي، قال: سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحرث الأعور عن الحارث الأعور، قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنتهِ الجنّ - أي: لم يتوقّفوا - في قبوله، وأنه كلام الله تعالى إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به. من قال به صدق ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم»، خذها إليك يا أعور، قال أبو عيسى: هذا الحديث لانعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، والحرث فيه مقال.

أنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزياني ثنا حميد بن زنجويه، أنا أبو أيوب الدمشقي ثنا سعد: أنّ ابن يحيى ثنا عبدالله بن أبي حُميد عن أبي الحاكم الهُذلي عن واثلة بن الأسقع، عن رسول الله ﷺ قال: «أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأُعطيت مكان الإنجيل المئين، وأُعطيت مكان الزبور المثاني، وأُعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطَها نبي قبلي، وأعطاني ربي المفصّل نافلة»، غريب [1]»[2].

---

١. قوله: «غريب» هو اصطلاح المحدثين عن الحديث الذي ينفرد بروايته واحد من التابعين أو من أتباع التابعين. «انظر تدريب الراوي ج ٢ ص ١٨٠».

٢. معالم التنزيل (بغوي) ج ١ ص ٣٢-٣٣.

قال القرطبي في ذكر جمل من فضائل القرآن، والترغيب فيه، وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به:

«إعلم أن هذا الباب واسع كبير، ألّف فيه العلماء كتباً كثيرة، نذكر من ذلك نكتاً تدل على فضله، وما أعدّ اللّه لأهله، إذا أخلصوا الطلب لوجهه. وعملوا به. فأول ذلك أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين، غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شيء، وصفة من ليس له شبيه ولا ندّ، فهو من نور ذاته جل وعز؛ وأن القراءة أصوات القراء ونغماتهم، وهي أكسابهم التي يؤمرون بها في حالٍ ايجاباً في بعض العبادات، وندباً في كثير من الأوقات؛ ويُزجَرون[1] عنها إذا أجنَبُوا، ويثابون عليها ويعاقبون على تركها. وهذا مما أجمع عليه المسلمون أهل الحق، ونطقت به الآثار، ودلّ عليها المستفيض من الأخبار؛ ولا يتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو من أكساب العباد، على ما يأتي بيانه. ولولا أنه ـ سبحانه ـ جعل في قلوب عباده من القوّة على حمله ما جعله؛ ليتدبّروه وليعتبروا به، وليتذكّروا ما فيه من طاعته وعبادته، وأداء حقوقه وفرائضه، لضعفت ولا ندكّت بثقله، أو لتضعضعت له وأنّىٰ تطيقه؛ وهو يقول ـ تعالى جدّه ـ وقوله الحق: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[2]. فأين قوّة القلوب من قوة الجبال ؟! ولكن اللّه تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء أن يرزقهم؛ فضلاً منه ورحمة.

وأما ما جاء من الآثار في هذا الباب ـ فأول ذلك ما خرّجه الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ـ قال: ـ وفضل كلام اللّه على سائر الكلام كفضل اللّه على خلقه». قال: هذا حديث حسن غريب. وروىٰ أبو محمد الدارمي السمرقندي في مسنده عن عبداللّه قال: السبع الطول مثل التوراة، والمئون مثل الإنجيل، والمثاني مثل الزّبور، وسائر القرآن بعد فضل. وأسند عن الحارث عن علي رضي اللّه عنه وخرّجه الترمذي قال: سمعت[3] رسول اللّه ﷺ يقول: «ستكون فتن كقطع الليل المظلم ......

---

١. في نسخة: ويؤجرون عنها إذا أجيبوا.
٢. سورة الحشر الآية ٢١.
٣. ورد هذا الحديث في صحيح الترمذي (ج ٢ ص ١٤٩ طبع بولاق) مع اختلاف في بعض كلماته وزيادة ونقص. وتقدم في ص ٤٢ من الكتاب الحاضر.

.... إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور»[١].

«الحارث» رماه الشعبي بالكذب وليس بشيء، ولم يَبِنْ من الحارث كذب، وإنما نقم عليه إفراطه في حبّ علي وتفضيله له على غيره. ومن هاهنا ـ واللّه أعلم ـ كذّبه الشعبيّ؛ لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر، وإلى أنه أول من أسلم. قال أبو عمر بن عبدالبر: وأظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني: حدّثني الحارث وكان أحد الكذّابين»[٢].

قال البغدادي :

« وعن الحرث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت: يا أميرالمؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث قال: أوقد فعلوها ؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول اللّه ؟ قال: كتاب اللّه فيه نبأ ماكان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه اللّه ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه اللّه، وهو حبل اللّه المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرّد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنتهِ الجنّ إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾[٣] من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور، أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب وإسناده مجهول وفي الحرث مقال.

قوله: «هو الفصل» أي الفاصل بين الحق والباطل، «ليس بالهزل» أي هو جدّ كله ليس فيه شيء من الهزل، والجبار في صفة الآدمي هو المتسلّط العاتي المتكبر على الناس «قصمه اللّه» أي أهلكه، قوله «هو حبل اللّه المتين» الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الأمان فإذا اعتصم به الإنسان آواه اللّه تعالى إلى جواره، والذكر الشرف، والحكيم المحكم

١. قوله: يا أعور. لقب الحارث بن عبداللّه المذكور في سند هذا الحديث.

٢. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٤ ـ ٥.

٣. سورة الجنّ: الآية ١.

العاري من الاختلاف والاضطراب، والصراط المستقيم الطريق الواضح، ومعنى «لا تزيغ به الأهواء» أي لا يميل عن الحق»[١].

قال الفيض الكاشاني (ره) في نبذ مما جاء في الوصية بالتمسك بالقرآن وفي فضله:

« روىٰ محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه في الكافي باسناده، ومحمد بـن مسـعود العياشي في تفسيره باسناده عن الصادق عن أبيه عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إنكم في دار هدنة[٢]....

وزاد في الكافي: فليجلْ جال بصره وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب ويخلص مـن نشب، فإن التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير فـي الظـلمات بـالنور، فـعليكم بحسن التخلّص وقلة التربّص.

أقول: ما حل أي يمحل بصاحبه إذا لم يتّبع ما فيه، أعني يسعىٰ به إلى الله تعالى. وقيل: معناه خصم مجادل.

والأنيق الحسن المعجب.

والتخوم بالمثناة الفوقانية والمعجمة جمع تخم بالفتح وهو منتهى الشيء.

لمن عرف الصفة: أي صفة التعرف وكيفية الاستنباط.

والعطب: الهلاك. والنشف: الوقوع فيما لا مخلص منه.

وروى العياشي بإسناده عن الحارث الأعور قال: دخلت[٣]...

وروى العياشي بإسناده عنه ﷺ قال: « عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نجى بها من كان قبلكم فاعملوا به، وما وجدتموه مما هلك بها من كان قبلكم فاجتنبوه».

وفي تفسير الإمام ابي محمد الزكي قال: قال رسول الله ﷺ: « إنّ هذا القرآن هو النور المبين والحبل المتين والعروة الوثقى والدرجة العليا والشفاء الأشفى والفضيلة الكـبرى والسعادة العظمى، من استضاء به نوّره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثـره عـلى

---

١. لباب التأويل (خازن) ج ١ ص ٣ ـ ٤.
٢. تقدم في ص ٤١ من الكتاب الحاضر.
٣. تقدم في ص ٤٢ من الكتاب الحاضر.

ماسواه هداه اللّه، ومن طلب الهدى في غيره أضله اللّه ، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده اللّه ، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوَّله الذي ينتهي إليه ، أداه اللّه إلى جنات النعيم والعيش السليم ».

وبإسناده عن سعد الأسكاف [١] عنه عليه السلام قال: قال صلى الله عليه وآله : « أعطيت السور الطول مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور ، وفضّلت بالمفصّل ثمانٍ وستون سورة ، وهو مهيمن على سائر الكتب، فالتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود » .

أقول: اختلفت الأقوال في تفسير هذه الألفاظ أقربها إلى الصواب ، وأحوطها لسور الكتاب أن الطول كصرد هي السبع الأول بعد الفاتحة ، على أن تُعدّ الأنفال والبراءة واحدة لنزولها جميعاً في المغازي ، وتسميتهما بالقرينتين.

والمئين من بني إسرائيل إلى سبع سور سمّيت بها لأن كلا منها على نحو مائة آية، والمفصل من سورة محمد صلى الله عليه وآله إلى آخر القرآن ، سمّيت به لكثرة الفواصل بينها، والمثاني بقية السور وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصّل ، كأن الطول جعلت مبادي تارة والتي تلتها مثاني لها لأنها ثنت الطول أي تلتها، والمئين جعلت مبادي أخرى والتي تلتها مثاني لها »[٢].

قال البحراني (ره) :

« وبالإسناد مثله ابن بابويه قال : حدّثنا احمد بن الحسن القطان ومحمد بن احمد السناني وعلى بن احمد بن موسى الدقاق والحسين بن ابراهيم بن احمد بن هشام المكتب وعلي بن عبداللّه الوراق رضي اللّه عنهم، قالوا : حدّثنا ابو العباس احمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال : حدّثنا بكر بن عبداللّه بن حبيب، قال : حدثنا تميم بن بهلول، قال : حدّثنا سليمان بن حكيم، عن عمرو بن يزيد، عن محكول، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله في حديث: أوليس كتاب ربي افضل الاشياء بعداللّه عز وجل؟ ـ والذي

١. روى هذا الحديث العياشي أيضاً إلى قوله عليه السلام : وستون سورة وأورد مكان ثمان سبع.
٢. الصافي ج ١ ص ١٥ ـ ١٨.

بعثني بالحق نبياً لئن لم نجمعه باتقان لم يُجمع أبداً فخصّني الله عز وجل بذلك من دون الصحابة »[١].

قال الكاشاني :

« إعلم أن الله سبحانه جعل القرآن مهيمناً على كل كتاب، جامعاً لكل رشد وصواب، ونوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا ينتطفيء عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضلّ من أمّ قصد سنته، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلّق بعروة عصمته »[٢].

وفي نهج البلاغة[٣]، عن مولانا أمير المؤمنين ﷺ:

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم نوره[٤]، وفرقاناً لا يخمد[٥] برهانه، وبنياناً[٦] لا تُهدم أركانه، وشفاء لا تُخشى[٧] أسقامه، وعزاً لا يُهزم[٨] أنصاره، وحقاً لايُخذل[٩] أعوانه. فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثا فيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه. وبحر لا يُنزفه المستنزفون، وعيون لايُنضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجَها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون. جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً ممرعاً[١٠] لقلوب الفقهاء، ومحاجَّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء[١١]. ونوراً ليس معه ظلمة[١٢]، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولاّه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتمّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم

١. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٩.
٢. أنظر: الصحيفة السجّادية ، الدعاء الثاني والأربعون.
٣. نهج البلاغة (صبحي صالح)، ط ١٩٨ والمحجة البيضاء، ج ٢، كتاب آداب تلاوة القرآن، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.
٤. المصدر: ضوؤه.
٥. في نسخة: لا يجهز.
٦. المصدر: تبياناً.
٧. المصدر: لا تخشى.
٨. المصدر: لا تهزم.
٩. المصدر: لا تخذل.
١٠. ليس في المصدر.
١١. في نسخة : دواء.
١٢. في نسخة : ظلماء.

به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآية لمن توسّم، وجُنّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحُكماً لمن قضى».

وفي الكافي [١]، عن النبي ﷺ: من أوتي القرآن، فظنّ أن أحداً من الناس أوتي أفضل مما أوتي، فقد عظّم ما حقر الله، وحقّر ما عظّم الله »[٢].

قال النهاوندي في أفضلية الكتاب العزيز على سائر الكتب السماوية :

« لا يُداني الكتاب العزيز شيء من الأشياء وكتاب من الكتب في الفضيلة والشرف ، فان فضله على ساير الكتب كفضل الله على ساير خلقه ، حيث انه كلامه الناطق ونوره الساطع ، مضافاً الى ان فضيلة الكتاب بفضيلة ما اشتمل عليه من العلم ، والكتاب المجيد مشتمل على أفضل العلوم من علم المبدأ والمعاد والمعارف الالهية وبيان حقايق الأمور والحكم الكامنة في الاشياء والأحكام الشرعية والآداب الدينية.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه « خير الحديث كتاب الله » ، وعن ابن عمر مرفوعاً « القرآن أحبّ الى الله من السماوات والأرض ومن فيهن » ، وعن تفسير الإمام عليه السلام : قال : قال رسول الله ﷺ: « إن هذا القرآن هو النور المبين والحبل المتين والعروة الوثقى والدرجة العليا والشفاء الأشفى والفضيلة الكبرى والسعادة العظمى ، من استضاء به نوّره الله ومن عقد به اموره عصمه الله ومن تمسك به انقذه الله ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله ومن استشفى به شفاه الله ومن آثره على ما سواه هداهُ الله ومن طلب الهدى في غيره أضلّه الله ومن جعله شعاره ودثاره اسعده الله ومن جعله إمامه الذي يقتدى بـه ومعوّله الذي ينتهي اليه أدّاه الله الى جنات النعيم والعيش السليم » .

عن الحارث الاعور عن اميرالمؤمنين صلوات الله عليه في رواية [٣]..... عن اميرالمؤمنين عليه السلام ما يقرب منه .

وعن أبي عبدالله عليه السلام : « اذا جمع الله الاولين والاخرين اذا هم بشخص قد اقبل لم يُرَ قطّ احسن صورة منه ، فاذا أُنظر اليه المؤمنون وهو القرآن قالوا : هذا منا هذا احسن شيء

١. أصول الكافي، ج ٢، باب فضل حامل القرآن، ص ٦٠٤، ذيل حديث ٥ والمحجة البيضاء ج ٢ ص ٢١٣، عنه.
٢. المعين ج ١ ص ١ ـ ٤ .
٣. تقدم في ص ٥٥ من الكتاب الحاضر.

رأيناه فاذا انتهى اليهم جازهم ثم ينظر اليه الشهداء حتى اذا انتهى الى اخرهم جازهم فيقولون : هذا القرآن فيجوزهم كلهم حتى اذا انتهى الى المرسلين ، فيقولون : هذا القرآن فيجوزهم ثم ينتهي حتى يقف عن يمين العرش ، فيقول : الجبار وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرمنّ اليوم من اكرمك ولا هينن من اهانك » .

اقول : قد ورد اخبار كثيرة في تمثل القرآن يوم القيمة باحسن صورة ، وقال بعض المحققين : ان للقرآن وجودا كتبيا بين الدفتين ، ووجوداً لفظياً للقاريء منا ومن المعصومين ﷺ ، بل يمكن ان يقال من الملائكة كجبرئيل ﷺ ووجوداً علمياً في لوح النفس مكتسباً من المرتبتين الاوليين ، ووجوداً علمياً من القاء الروح الذي من عالم الامر اياه في القلب بامر اللّه سبحانه ، كما لعله يرشد اليه قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين﴾[1] ، او من انتقاش الالفاظ الغيبيّة في لوح القلب عند مواجهته لها ومقابلته اياها ، ولعله يؤمي اليه قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آياتٌ بيِّناتٌ في صُدورِ الَّذينَ اوُتُوا العِلْم﴾[2] ، ووجوداً عينيا كتبياً في لوح غيبي هو المبدأ لهذه النقوش الواقعة في لوح القلب وبه يصير القلب مصحفاً لوجه اوراقه وتلك النقوش كتابته ، ولعل اليه الاشاره بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ في كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[3] ووجوداً لفظياً عينياً هو كلام اللّه سبحانه الذي اوجده واسمعه من شاء من عباده من الملك والنبي ، ولعل اليه الاشارة بقوله تعالى : ﴿اللّه نزّل احسن الحديث﴾[4] ووجوداً اجمالياً قبل التفصيل ، ولعل اليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿كتابٌ أُحكمت آياته ثم فصّلت﴾[5] وهو الاصل والباقي تنزلاته ومراتبه وشئونه كاصل الشجرة بالنسبة الى ساقه واغصانه ، ولعل الى هذه المقامات الاشارة باطلاق الإنزال والتنزيل على القرآن في مواضع كثيرة ، ثم ان لنا صعودا ايضا ، فان القرآن اللفظي الصادر منا يتمثل بمثال ويتشكل بصورة جوهري في عالم ارفع من هذا العالم ، على ما تحقق وثبت في محله بالآيات والاخبار الكثيرة الواردة في الموارد الكثيرة

---

١ . سورة الشعراء : الآية ١٩٤ .
٢ . سورة العنكبوت : الآية ٤٩ .
٣ . سورة الواقعة : الآية ٧٩ .
٤ . سورة الزمر : الآية ٢٣ .
٥ . سورة هود : الآية ١ .

المعتضدة بالاستبصارات العقلية و غيرها ، من ان الاعمال الحسنة والسيئة تتجسم و تتمثل وتبقى في عالم البرزخ مع الميت ، وقرائة القرآن منها ، بل من أُولىٰ افرادها بهذا الحكم ، وكتابة القرآن ايضاً عمل تتجسم كذلك ، فيتحقق في القرآن قوسان ، قوس نزول ينتهي الى وجوده اللفظي والكتبي الواقع في هذه النشأة ، وقوس صعود واقع في عالم البرزخ كما هو الحال في حقيقة الانسان ، ثم ان حقيقة القرآن ليست مقصورة على عالم الالفاظ والنقوش الواقعة في عالم الملك والملكوت ، بل مداليل الكلمات القرآنية اولى بالدخول في حقيقة القرآن منها ، ولها وجود في عالمها ، فهي ايضاً يصح ان تعد مقاماً آخر له ومراتبه المعنوية تنتهي الى حقيقة الاسم الالهي الذي هو المبدأ للقرآن ، ويشبه ان يكون هو حقيقة اسم الهادي والنور الذي ربما اطلق اسمه على القرآن في مواضع ، ثم ان عالم القيامة الكبرى لما كان يوم الجمع بين العوالم ويوم ابلاء السرائر واظهار المكنونات وابراز الامور الغيبية بصور حسية مطابقة لها حتى تتوافق النشآت والعوالم لينبئهم بما عملوا ، ولتبلى كل نفس ما كسبت ويحصد كل زارع ما زرع والزرع تابع للبذر ، لزمه ان ينزل القرآن من عالم الغيب الى ظاهر عالم القيامة مصوّراً بصورة حسنة حتى يوافق حسنه المعنوي ، لانه احسن مايكون وله بهاء وجمال ونور حسي ، كما ان هذه الصفات اليوم في عالم الغيب على وجه غيبي فان الدنيا بمنزلة الام للآخرة ، ثم انه لابد وان يمر على صفوف المؤمنين كما يمر على قلوبهم ونفوسهم في دار الدنيا ، ليطابق الظاهر الباطن والقالب الروح والصورة المعنى ، مبتدئاً ، للمرور من الادنى الى الاعلى ، لانه سالك في الاستكمال متوجه الى رب العزّه ، فيلزمه الكون مع النازل قبل الكون مع الكامل ، وان يكون مع كل صنف منهم بصورة ذلك الصنف ، لانه عند كل منهم واقع في مرتبتهم بزيادة بهاء وجمال ونور لعدم مخالطته بما يضاد هذه الصفات من ظلمة وكدورة ، ولانهم لا يدركون منه الاّ المقدار الذي كان لهم في الدنيا ، ومنه الشأن المتعلق بصفتهم ومقامهم وحالهم ، كما ان كلاًّ منهم حال قرائته للقرآن يشاهد المعنى الموافق لمقامه من الظاهر والباطن وباطن ، الباطن وان كان الكامل مشتملاً على الناقص فلابد وان يظن كل صنف منهم انه منهم ، كما كانوا يظنون في الدنيا انه بيان طريقتهم وصفة حالهم ، وان يعرفه كل منهم بنعته وصفته عند المواجهة ، كما كان

يعرف ذلك المقدار في دار الدنيا من القرآن ومعانيه إذ القدر الظاهر منه في كل مقام يساوي ذلك المقام، ولو لم يعرف اهل الصنف ذلك القدر الظاهر لم يكونوا من اهل ذلك المقام، الى ان ينتهي الى رب العزة الى آخر قوسه الصعودي فيسجد صورة كما سجد بالخضوع المطلق والفناء معنى، وقد كان مصير القرآن اليه سبحانه في النشأة الاولى»[١].

قال الخوئي قدس سره: «من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وان يتصاغر أمام هذه العظمة، وقد يكون الإعتراف بالعجز خيراً من المضي في البيان. ماذا يقول الواصف في عظمة القرآن، وعلوّ كعبه؟ وماذا يقول في بيان فضله، وسمو مقامه؟ وكيف يستطيع الممكن أن يدرك مدى كلام الواجب؟ وماذا يكتب الكاتب في هذا الباب؟ وماذا يتفوه به الخطيب؟ وهل يصف المحدود إلا محدوداً؟.

وحسب القرآن عظمة، وكفاه منزلة وفخراً أنه كلام اللّه العظيم، ومعجزة نبيه الكريم، وأن آياته هي المتكفلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى، والسعادة الكبرى في العاجل والآجل:

﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِيْ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢]، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٣]، ﴿هَـٰذا بَيانٌ لِلنَاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

وقد ورد في الأثر عن النبي ﷺ: «فضل كلام اللّه على سائر الكلام كفضل اللّه على خلقه»[٥].

نعم من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأن يكلَ بيان فضل القرآن الى نظراء القرآن، فانهم أعرف الناس بمنزلته. وأدلهم على سمو قدره، وهم قرناؤه في الفضل، وشركاؤه في الهداية، أما جدّهم الأعظم فهو الصادع بالقرآن، والهادي إلى أحكامه، والناشر لتعاليمه.

١. نفحات الرحمن ج ١ ص ٣٣ ـ ٣٤.
٢. سورة الاسراء: الآية ٩.
٣. سورة ابراهيم: الآية ١.
٤. سورة آل عمران: الآية ١٣٨.
٥. بحار الأنوار ج ١٩ ص ٦، صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ج ١١ ص ٤٧ أبواب فضائل القرآن.

وقد قال ﷺ:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» [١].

فالعترة هم الأدلاّء على القرآن، والعالمون بفضله. فمن الواجب أن نقتصر على أقوالهم، ونستضيء بارشاداتهم. ولهم في فضل القرآن أحاديث كثيرة جمعها شيخنا المجلسي في «البحار» الجزء التاسع عشر منه. ونحن نكتفي بذكر بعض ما ورد:

روى الحارث الهمداني [٢] قال:

«دخلت المسجد فاذا اناس يخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت: ألا ترى أن اناساً يخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال: قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله.

.... ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم، خذها اليك يا أعور» [٣].

وفي الحديث مغازٍ جليلة يحسن أن نتعرض لبيان أهمها. يقول ﷺ: «فيه نبأ ما كان قبلكم. وخبر ما بعدكم» والذي يحتمل في هذه الجملة وجوه:

الأول: أن تكون إشارة الى اخبار النشأة الأخرى من عالمي البرزخ والحساب والجزاء على الأعمال. ولعل هذا الإحتمال هو الأقرب، ويدل على ذلك قول أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته: «فيه نبأ من كان قبلكم والحكم فيما بينكم وخبر معادكم» [٤].

الثاني: أن تكون إشارة الى المغيبات التي أنبأ عنها القرآن، مما يقع في الأجيال المقبلة.

الثالث: أن يكون معناها أن حوادث الامم السابقة تجري بعينها في هذه الأمة، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ [٥] وبمعنى الحديث المأثور عن النبي ﷺ

---

١. رواة الترمذي ج ١٣ ص ٢٠٠، ٢٠١ مناقب أهل البيت.

٢. انظر ترجمة الحارث وافتراء الشعبي عليه في قسم التعليقات في البيان ص ٥٠٢.

٣. هكذا في سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٣٥ كتاب فضائل القرآن ومع اختلاف يسير في ألفاظه في صحيح الترمذي ج ١١ ص ٣٠ أبواب فضائل القرآن.

وفي بحارالأنوار ج ٩ ص ٧ عن تفسير العياشي.

٤. بحار الأنوار ج ١٩ ص ٦.

٥. سورة الانشقاق: الآية ١٩.

«لتركبن سنن من قبلكم»[١].

أما قوله ﷺ: «من تركه من جبار قصمه الله» فلعل فيه ضماناً بحفظ القرآن عن تلاعب الجبارين، بحيث يؤدي ذلك الى ترك تلاوته وترك العمل به، والى جمعه من أيدي الناس كما صنع بالكتب الإلّهية السابقة [٢]، فتكون اشارة الى حفظ القرآن من التحريف. وسنبحث عنه مفصلا. وهذا ايضاً هو معنى قوله في الحديث: «لا تزيغ به الأهواء» بمعنى لاتغيره عما هو عليه، لأن معاني القرآن قد زاغت بها الأهواء فغيرتها. وسنبيّن ذلك مفصلا عند تفسير الآيات إن شاء الله تعالى.

وأشار الحديث الى ان الامة لو رجعوا الى القرآن في خصوماتهم، وما يلتبس عليهم في عقائدهم وأعمالهم لأوضح لهم السبيل. ولوجدوه الحكم العدل، والفاصل بين الحق والباطل.

نعم، لو أقامت الامة حدود القرآن، واتبعت مواقع إشاراته وارشاداته، لعرفت الحق وأهله، وعرفت حق العترة الطاهرة الذين جعلهم النبي ﷺ قرناء الكتاب، وأنهم الخليفة الثانية على الأمة من بعده [٣]، ولو استضاءت الامة بأنوار معارف القرآن، لأمنت العذاب الواصب، ولما تردّت في العمى، ولا غشيتهم حنادس الضلال، ولا عال سهم من فرائض الله، ولا زلّت قدم عن الصراط السوي، ولكنها أبت إلاّ الإنقلاب على الأعقاب، واتباع الأهواء، والإنضواء الى راية الباطل، حتى آل الأمر الى أن يكفّر بعض المسلمين بعضاً، ويتقرب الى الله بقتله، وهتك حرمته، وإباحة ماله، وأي دليل على إهمال الأمة للقرآن اكبر من هذا التشتت العظيم؟!!.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام في صفة القرآن:

«ثم أنزل عليه الكتاب ..... وحكماً لمن قضى»[٤].

---

١. ورد هذا اللفظ في كنز العمال ج ٦ ص ٤٠ من حديث سهل بن سعد. انظر بقية المصادر في قسم التعليقات في البيان ص.

٢. راجع الهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ٣٤ لآية الله الحجة الشيخ محمد جواد البلاغي.

٣. تقدمت مصادر حديث الثقلين وفي بعض نصوصه تصريح بأن القرآن والعترة خليفتا الرسول ﷺ.

٤. نهج البلاغة من خطبة أولها: «يعلم عجيج الوحوش». تقدم في ص ٦٠ من الكتاب الحاضر.

وقد استعرضت هذه الخطبة الشريفة كثيراً من الامور المهمة التي يجب الوقوف عليها، والتدبر في معانيها. فقوله:

«لا يخبو توقّده»[١] يريد بقوله هذا وبكثير من جمل هذه الخطبة، أن القرآن لا تنتهي معانيه، وأنه غض جديد الى يوم القيامة. فقد تنزل الآية في مورد أو في شخص أو في قوم، ولكنها لا تختص بذلك المورد أو ذلك الشخص أو أولئك القوم، فهي عامة المعنى.

وقد روى العياشي بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[٢]. أنه قال:

«عليّ: الهادي، ومنا الهادي، فقلت: فأنت جعلت فداك الهادي. قال: صدقت إن القرآن حي لا يموت، والآية حيّة لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين».

وعن أبي عبدالله عليه السلام:

«إن القرآن حي لم يمت، وانه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا».

وفي الكافي عن الصادق «ع» أنه قال لعمر بن يزيد لما سأله عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[٣]:

«هذه نزلت في رحم آل محمد صلى الله عليه وآله وقد تكون في قرابتك، فلا تكونن ممن يقول للشيء: انه في شيء واحد».

وفي تفسير الفرات:

«ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلوها هم منها من خير أو شر».

الى غير هذه من الروايات الواردة في المقام[٤].

---

١. خبت النار: خمد لهيبها.
٢. سورة الرّعد: الآية ٧.
٣. سورة الرّعد: الآية ٢١.
٤. مرآة الأنوار ص ٣، ٤.

«ومنهاجاً لا يضل نهجه» يريد به: أن القرآن طريق لا يضل سالكه فقد أنزله الله تعالى هداية لخلقه، فهو حافظ لمن اتبعه عن الضلال.

«وتبياناً لا تهدم أركانه» المحتمل في المراد من هذه الجملة أحد وجهين: «الأول» أن أركان القرآن في معارفه وتعاليمه، وجميع ما فيه من الحقائق محكمة لا تقبل التضعضع والإنهدام. «الثاني» أن القرآن بألفاظه لا يتسرب اليه الخلل والنقصان، فيكون فيها إيماء الى حفظ القرآن عن التحريف.

«ورياض العدل وغدرانه»[1] معنى هذه الجملة: أن العدل بجميع نواحيه من الاستقامة في العقيدة والعمل والأخلاق قد اجتمع في الكتاب العزيز، فهو مجمع العدالة وملتقى متفرقاتها.

«وأثافي الإسلام»[2] ومعنى ذلك: ان استقامة الإسلام وثباته بالقرآن، كما ان استقامة القدر على وضعه الخاص تكون بسبب الأثافيّ.

«وأودية الحق وغيطانه»: يريد بذلك: أن القرآن منابت الحق وفي الجملة تشبيه القرآن بالأرض الواسعة المطئنة، وتشبيه الحق بالنبات النابت فيها. وفي ذلك دلالة على ان المتمسك بغير القرآن لا يمكن أن يصيب الحق، لأن القرآن هو منبت الحق، ولا حق في غيره.

«وبحر لا ينزفه المنتزفون»[3] ومعنى هذه الجملة والجمل التي بعدها: أن المتصدين لفهم معاني القرآن لا يصلون الى منتهاه، لأنه غير متناهي المعاني، بل وفيها دلالة على أن معاني القرآن لا تنقص أصلاً، كما لا تنضب العيون الجارية بالسقاية منها.

«وآكام لا يجوز عنها القاصدون» والمراد أن القاصدين لا يصلون الى أعالي الكتاب ليتجاوزوها. وفي هذا القول إشارة الى أن للقرآن بواطن لا تصل اليها أفهام أُولي الأفهام. وسنبيّن هذا في ما سيأتي إن شاء الله تعالى. وقد يكون المراد أن القاصدين إذا وصلوا

---

١. الرياض جمع روضة وهي الأرض الخضرة بحسن النبات. والغدران جمع غدير وهو الماء الذي تغادره السيول. والعدل الاستقامة.

٢. الأثافي كأماني جمع أثفية ـ بالضم والكسر ـ وهي الحجارة التي يوضع عليها القدر.

٣. نزف ماء البئر نزح كله.

الى أعاليه وقفوا عندها ولم يطلبوا غيرها، لأنهم يجدون مقاصدهم عندها على الوجه الأتم»[١].

قال الصادقي : «إن القرآن «نور وبرهان»: ﴿قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً﴾[٢] و«بيان»: ﴿هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين﴾[٣]، و«مبين»: ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾[٤]، ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾[٥]، وتبيان: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾[٦].

وهذا النور، البرهان، المبين، البيان، التبيان: قرآن عربي لا عوج له في كونه وكيانه، في بيانه وبرهانه، مفصحاً بليغاً بأعلى القمم لأعلى القيم في تبيانه، وترى النور بحاجة الى نور، والبرهان يحتاج الى برهان؟! وهو نور الأنوار ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ...﴾»[٧].

فـ«إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من أستضاء به نوّره، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به، ومعوّله الذي ينتهي اليه أداه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم»[٨].

إنه «بقية استخلفها عليكم كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبط به اشياعه، قائد الى الرضوان اتباعه مؤدٍ الى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرايعه المكتوبة»[٩].

---

١. البيان ص ٢٥ ـ ٣٣.
٢. سورة النساء: الآية ١٧٤.
٣. سورة آل عمران: الآية ١٣٨.
٤. سورة الشّعراء: الآية ٢.
٥. سورة الزّمر: الآية ٢٨.
٦. سورة النّحل: الآية ٨٩.
٧. سورة النّور: الآية ٣٥.
٨. تفسير الإمام الحسن العكسري عن ابيه عن آبائه عن النبي ﷺ.
٩. من خطبة الصدّيقة الطاهرة الزهراء بنت رسول الله ﷺ حينما غصب حقها.

وقد سئل علي عليه السلام هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وآله شيء من الوحي؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا أن يعطي عبداً فهماً في كتابه» [١]، تدليلاً على أن القرآن هو الوحي الاصيل، والضابطة بلا بديل، ووحي السنة هامشي ليس يوصًل إلا فهما لوحي القرآن وتفصيلاً»[٢].

قال المدرسي :

« .... ويأتي رجل الى الامام الصادق عليه السلام ويسأل: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس الا غضاضة؟ فيجيبه الامام ابو عبدالله عليه السلام قائلا: «لان الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض الى يوم القيامة».

قال الرسول صلى الله عليه وآله: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل اللّه على خلقه، وقال: «القرآن غنى لا غنى دونه» ، وقال: «القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم».

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «ان اردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحسرة، والظل يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن فانه كلام الرحمٰن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان».

ووصف الامام علي عليه السلام القرآن مرة فقال: «عليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والرأي الناقع، والعصمة للمتمسك، والنجاة للمتعلق. لا يعوّج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرد، وولوج السمع. من قال به صدق ومن عمل به سبق».

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «كتاب الله تبصرون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض». »[٣].

---

١. عن مصباح الشريعة المنسوب الى الإمام الصادق عليه السلام.

٢. الفرقان ج ١ ص ١٢ ـ ١٥.

٣. من هدى القرآن ج ١ ص ٢١ ـ ٢٢.

جامعيّة القرآن

قال القمي (ره) :

« وقال أميرالمؤمنين عليه السلام : «أيها الناس إن اللّه عزّ وجل بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وآله بالهدى، وأنزل عليه الكتاب بالحق، وأنتم أميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة [1] من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من المبرم، وعمى عن الحق، وانتشار من الخوف، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظٍ من الحروب، وعلى حين إصفرار من رياض جنات الدنيا، ويبوس من أغصانها، وانتثار من ورقها، ويأس من ثمرتها، وإغورار من مائها، فقد درست أعلام الهدى، وظهرت أعلام الردى، والدنيا متجهمة في وجوه أهلها، مكفهرّة، مدبرة، غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف قد مزقهم كل ممزق، فقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليهم أيامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب الموؤدة بينهم من أولادهم يختارونهم طيب العيش ورفاهية، خفوض الدنيا، لا يرجون من اللّه ثواباً، ولا يخافون اللّه عقاباً، حيهم أعمى نجس، وميتهم في النار مبلس، فجاءهم النبي صلى الله عليه وآله بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال، وبيان الحرام، وذلك القرآن

---

١ . الهجعة : النوم.

فاستنطقوه، فلن ينطق لكم، أخبركم عنه أن فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه مختلفون، فلو سألتموني عنه لأخبرتكم عنه لأني أعلمكم».

..... فالقرآن عظيم قدره، جليل خطره، بيّن ذكره، من تمسك به هدي، ومن تولّى عنه ضل وزل، فأفضل ما عمل به القرآن لقول الله عز وجل لنبيه ﷺ:

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾(١)، وقال: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم﴾(٢). ففرض الله عز وجل على نبيه ﷺ أن يبين للناس ما في القرآن من الأحكام، والقوانين، والفرائض، والسنن، وفرض على الناس التفقه، والتعليم، والعمل بما فيه، حتى لا يسع أحداً جهله، ولا يعذر في تركه ..... »(٣).

قال العياشي (ره) :

« ١ ـ عن محمّد بن حمران عن أبي عبدالله ﷺ قال: « إن الله لما خلق الخلق فجعله فرقتين، فجعل خيرته في إحدى الفرقتين، ثم جعلهم أثلاثاً فجعل خيرته في إحدى الأثلاث ثم لم يزل يختار حتى اختار عبد مناف، ثم اختار من عبد مناف هاشم، ثم اختار من هاشم عبدالمطلب، ثم اختار من عبدالمطلب عبدالله؛ واختار من عبدالله محمداً رسول الله ﷺ، فكان أطيب الناس ولادة وأطهرها، فبعثه الله بالحقّ بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه الكتاب فليس من شيء إلا في الكتاب تبيانه »(٤).

٢ ـ عن عمرو بن قيس عن أبي جعفر ﷺ قال: « سمعته يقول إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله، وجعل لكل شيء حدّاً وجعل دليلاً يدلُّ عليه، وجعل على من تعدّى ذلك الحدُّ حدّاً »(٥).

٣ ـ عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله ﷺ عن أبيه عن جده ﷺ قال: خطبنا أميرالمؤمنين ﷺ خطبة فقال فيها: «نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً

---

١. سورة النحل: الآية: ٨٩.
٢. سورة النحل: الآية ٤٤.
٣. القمي ج ١ ص ١٥ ـ ١٦.
٤. البحار ج ٧: ٢٥. البرهان ج ١: ٨.
٥. البرهان ج ١: ٨.

عبده ورسوله، أرسله بكتاب فصّله وأحكمه وأعزّه وحفظه بعلمه وأحكمه بنوره، وأيّده بسلطانه، وكلأه من لم يتنزّه هوى أو يميل به شهوة، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولا يخلقه طول الرّد ولا تفنىٰ عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر ومن خاصم به فلح ومن قاتل به نصر، ومن قام به هدي إلى صراط مستقيم؛ فيه نبأ من كان قبلكم والحكم فيما بينكم وخيرة [١] معادكم، أنزله بعلمه، وأشهد الملائكة بتصديقه قال الله جل وجهه: ﴿لٰكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلٰئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً﴾ [٢] فجعله الله نوراً يهدي للتي هي أقوم وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [٣]، وقال: ﴿اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ﴾ [٤] وقال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٥] ففي اتّباع ما جاءكم من الله الفوز العظيم، وفي تركه الخطأ المبين، قال: ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقىٰ﴾ [٦] فجعل في اتّباعه كل خير يرجى في الدنيا والآخرة، فالقرآن آمر وزاجر حَدَّ فيه الحدود، وسنّ فيه السنن، وضرب فيه الأمثال، وشرع فيه الدّين أعذاراً من نفسه [٧] وحجّة على خلقه، أخذ على ذلك ميثاقهم، وارتهن عليه أنفسهم ليبيّن لهم ما يأتون وما يتّقون، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حييَ عن بيّنة وإن الله سميع عليم [٨].

٤ ـ عن سماعة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البرّ، فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم، وخبر السماء والأرض، ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجّبتم [من ذلك]» [٩][١٠].

قال الفيض الكاشاني (ره) في نبذ مما جاء في أن القرآن تبيان كل شيء وتحقيق معناه: «روي في الكافي بإسناده عن مرازم عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله تعالى أنزل في

---

١. وفي البحار «وخبر» بدل «وخيرة».
٢. سورة النساء: الآية ١٦٦.
٣. سورة القيامة: الآية ١٨.
٤. سورة الأعراف: الآية ٣.
٥. سورة هود: الآية ١١٢.
٦. سورة البقرة: الآية ٣٨.
٧. وفي بعض النسخ «أعذارا أمر نفسه».
٨. البحار ج ١٩: ٣١. البرهان ج ١: ٩.
٩. البحار ج ١٩: ٣١. البرهان ج ١: ٩.
١٠. العياشي ج ١ ص ١٢ ـ ١٩.

القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا أنزل في القرآن إلاّ وقد أنزله الله فيه».

وبإسناده عن عمرو بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن اللّه تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الامة إلاّ أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلى الله عليه وآله، وجعل لكل شيء حدّاً وجعل عليه دليلاً يدل عليه وجعل على من تعدّى ذلك حدّاً».

وبإسناده عن المعلى بن خنيس قال قال: أبو عبدالله عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال».

وبإسناده عن حماد[1] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سمعته يقول ما من شيء إلاّ وفيه كتاب أو سنة». وبإسناده عن سماعة عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه أو تقولون فيه، قال: «بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه».

وبإسناده عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا حدثتكم بشيء فاسألوني أين هو من كتاب الله تعالى. ثم قال في بعض حديثه إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال فقيل له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله تعالى يقول: ﴿لاخير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾[2]. وقال: ﴿لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل اللّه لكم قياماً﴾[3]. وقال: ﴿لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾[4].

قال بعض أهل المعرفة ما ملخصه: إن العلم بالشيء اما يستفاد من الحس برؤية أو تجربة أو سماع خبر أو شهادة او اجتهاد او نحو ذلك، ومثل هذا العلم لا يكون الا متغيراً فاسداً محصوراً متناهياً غير محيط، لأنه إنما يتعلق بالشيء في زمان وجوده علم وقبل وجوده علم آخر وبعد وجوده علم ثالث، وهكذا كعلوم أكثر الناس وأما ما يستفاد من مبادئه وأسبابه وغاياته علماً واحداً كلياً بسيطاً على وجه عقلي غير متغير فانه ما من شيء الا وله سبب ولسببه سبب. وهذا إلى أن ينتهي إلى مسبب الأسباب، وكل ما عرف سببه من

---

١. في نسخة: عمار.
٢. سورة النّساء: الآية ١١٤.
٣. سورة النّساء: الآية ٥.
٤. سورة المائدة: الآية ١٠١.

حيث يقتضيه ويوجبه فلا بد أن يعرف ذلك الشيء علماً ضرورياً دائماً، فمن عرف اللّه تعالى بأوصافه الكمالية ونعوته الجلالية وعرف أنه مبدأ كل وجود، وفاعل كل فيض وجود وعرف ملائكته المقربين ثم ملائكته المدبرين المسخرين للأغراض الكلية العقلية بالعبادات الدائمة والنسك المستمرة من غير فتور ولغوب، الموجبة لأن تترشح عنها صور الكائنات كل ذلك على الترتيب السببي والمسببي.

فيحيط علمه بكل الأمور وأحوالها ولواحقها علماً بريًا[1] من التغيير والشك والغلط، فيعلم من الأوايل الثواني ومن الكليات الجزئيات المترتبة عليها ومن البسائط المركبات، ويعلم حقيقة الانسان وأحواله وما يكملها ويزكيها ويصعدها ويعصدها إلى عالم القدس، وما يدنسها ويرديها ويشقيها ويهويها إلى أسفل السافلين، علماً ثابتاً غير قابل للتغيير ولامحتمل لتطرق الريب فيعلم الأمور الجزئية من حيث هي دائمة كلية ومن حيث لاكثرة فيها ولا تغيير، وإن كانت هي كثيرة متغيرة في أنفسها وبقياس بعضها إلى بعض وهذا كعلم اللّه سبحانه بالأشياء وعلم ملائكته المقربين، وعلوم الأنبياء والأوصياء ﷺ بأحوال الموجودات الماضية والمستقبلة وعلم ما كان وعلم ما سيكون[2] إلى يوم القيامة من هذا القبيل، فانه علم كلي ثابت غير متجدد المعلومات ولا متكثر بتكثرها، ومن عرف كيفية هذا العلم عرف معنى قوله تعالى: ﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾[3] ويصدّق بأن جميع العلوم والمعاني في القرآن الكريم عرفاناً حقيقياً وتصديقاً يقينياً على بصيرة لا على وجه التقليد والسماع ونحوهما، إذ ما من أمر من الامور الا وهو مذكور في القرآن إما بنفسه أو بمقوماته وأسبابه ومبادئه وغاياته، ولا يتمكن من فهم آيات القرآن وعجائب أسراره وما يلزمها من الأحكام والعلوم التي لا تتناهى إلاّ من كان علمه بالأشياء من هذا القبيل. انتهى كلامه أعلى اللّه مقامه، وينبه عليه لفظة الأصل في رواية المعلّى »[4].

قال البحراني (ره):

« ١ ـ سعد بن عبداللّه في بصائر الدرجات، عن احمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين

---

١. في نسخة: بريئاً.
٢. في نسخة: يكون.
٣. سورة النحل: الآية ٨٩.
٤. الصافي ج ١ ص ٥٦ ـ ٥٨.

بن سعيد عن فضالة بن ايوب عن داود بن فرقد قال: قال ابو عبدالله ﷺ: « لا تقولوا في كل آية هذا رجل وهذا رجل من القرآن حلال ومنه حرام ومنه نبأ ما قبلكم وحكم ما بينكم وخبر ما بعدكم وهكذا هو ».

٢ ـ الزمخشري في ربيع الابرار، عن علي ﷺ: « القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم ».

٣ ـ علي ﷺ: « وعليك بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والعصمة للمتمسّك والنجاة للمتعلق لا يعوّج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تخلقه كثرة الرد، و لوج السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق ».

٤ ـ وعن علي ﷺ: « القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلاّ به »[١].

قال البحراني (ره): في ان مامن شيء يحتاج اليه العباد الا وهو في القرآن وفيه تبيان كل شيء:

« ١ ـ وعن محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن علي بن حديد عن مرازم عن ابي عبدالله ﷺ قال: «ان الله تبارك وتعالى انزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج اليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن إلاّ وقد انزله الله فيه».

٢ ـ وعنه، عن علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس، عن حسين بن المنذر عن عمرو بن قيس، عن ابي جعفر ﷺ قال: سمعته يقول: « ان الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج اليه الامة الا انزله في كتابه وبينه لرسوله ﷺ، وجعل لكل شيء حدّاً وجعل عليه دليلا يدل عليه وجعل على من تعدّىٰ ذلك الحدّ حدّا ».

٣ ـ وعنه، عن علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن حماد عن عبدالله بن سنان عن ابي الجارود قال: قال ابو جعفر ﷺ: « اذا حدثتكم بشيئى فاسألوني من كتاب الله، ثم قال في بعض حديثه: ان رسول الله ﷺ نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة

١. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٩.

السؤال ، فقيل له يابن رسول اللّه : أين هذا من كتاب اللّه ؟ قال : ان اللّه عز وجل يقول: ﴿ لاخير في كثير من نجويٰهم إلاّ من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ﴾[١]، وقال: ﴿ ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل اللّه لكم قياماً ﴾[٢] وقال: ﴿ لا تسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم ﴾ »[٣].

٤ ـ وعنه عن محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون عمن حدثه عن المعلى بن خنيس قال: قال ابو عبداللّه : عليه السلام « ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله اصل في كتاب اللّه عز وجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال ».

٥ ـ وعنه عن محمد بن يحيى عن بعض اصحابه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن ابى عبداللّه عليه السلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «ايها الناس ان اللّه تبارك وتعالى ارسل اليكم الرسول وانزل اليه الكتاب بالحق ، وانتم أمّيّون عن الكتاب ومن نزله ، وعن الرسول ومن ارسله ، على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم [٤] ، وانبساط من الجهل واعتراض من الفتنة وانتقاض من المبرم ، وعمى عن الحق واعتساف من الجور وامتحاق من الدين[٥] وتلظٍّ من الحرور وعلى حين اصفرار من رياض جنات الدنيا ويبس من اغصانها وانتشار من ورقها وأياس من ثمرها واغورار من مائها [٦] ، قد درست اعلام الهدى وظهرت اعلام الردى ، فالدنيا متجهّمة في وجوه اهلها مكفهرّة مدبرة غير مقبلة ، ثمرتها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف مزّقهم كل ممزق ، وقد اعمت عيون اهلها واظلمت عليها ايامها ، قد قطعوا ارحامهم وسفكوا دماءهم ودفنوا في التراب الموؤدة بينهم من اولادهم يختارونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا لايرجون من اللّه ثواباً ولا يخافون اللّه منه عقاباً ، حيهم اعمى بخس وميتهم في النار مبلس فجاءهم بنسخة ما في الصحف الاولى وتصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الحلال من ريب الحرام ، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، اخبركم عنه ان فيه علم ما مضى

١. سورة النّساء: الآية ١١٤. ٢. سورة النّساء: الآية ٥.
٣. سورة المائدة: الآية ١٠١.
٤. وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله ارسل على هجعة من الامم لعل المراد على طول مدة من بعد الامم السالفة ـ مجمع.
٥. محقه محقاً نقصه واذهب منه البركة. ٦. غار الماء غوراً اذهب في الارض ـ مجمع.

وعلم ما يأتي الى يوم القيمة، وحكم ما بينكم وبيان ما اصبحتم فيه تختلفون فلو سألتموني عنه لعلمتكم».

٦ ـ وعنه عن محمد بن يحيى عن محمد بن عبدالجبار عن ابن فضال عن حماد بن عثمان عن عبدالاعلى بن اعين قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول «قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا اعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق وما هو كائن الى يوم القيمة، وفيه خبر السماء وخبر الارض وخبر الجنة وخبر النار وخبر ماكان وخبر ما هو كائن، اعلم ذلك كما انظر الى كفى ان الله عز وجل يقول فيه تبيان كل شيئى».

٧ ـ وعنه عن عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى عن علي بن النعمان عن اسمعيل بن جابر عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه».

٨ ـ وعنه عن عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن اسمعيل بن مهران عن سيف بن عميرة عن ابي المغرا عن سماعة عن ابي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: «اكل شيئى في كتاب الله وسنة نبيه او يقولون فيه؟، قال: بل كل شيئى في كتاب الله وسنة نبيه»[١].

قال القاسمي: «ثم قال الشاطبي:

«القرآن فيه بيان كل شيء على ذلك الترتيب المتقدم. فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة لا يعوزه منها شيء. والدليل على ذلك أمور:

منها النصوص القرآنية في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [٢] الآية. وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [٣] وقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [٤]. وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [٥] يعني الطريقة المستقيمة. ولو لم يكمل فيه جميع معانيها لما صح إطلاق هذا المعنى عليه حقيقة. وأشباه ذلك من الآيات الدالة على أنه هدى

---

١. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٤ ـ ١٥.
٢. سورة المائدة: الآية ٣.
٣. سورة النحل: الآية ٨٩.
٤. سورة الانعام: الآية ٣٨.
٥. سورة الاسراء: الآية ٩.

وشفاء لما في الصدور. ولا يكون شفاء لجميع ما في الصدور إلا وفيه تبيان كل شيء.

ومنها ما جاء في الأحاديث والآثار المؤذنة بذلك كقوله ﷺ [١]: «إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد الخ. فكونه حبل الله بإطلاق، والشفاء النافع، إلى تمامه، دليل على كمال الأمر فيه. ونحو هذا في حديث علي عن النبي ﷺ [٢].

وعن ابن مسعود: إن كلّ مؤدب يحب أن يؤتى أدبه. وإن أدب الله القرآن. وسئلت عائشة [٣] عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. وصدق ذلك قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٤]. وعن قتادة: ما جالس القرآن أحد إلا فارقه بزيادة أو نقصان. ثم قرأ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [٥]، وعن محمد بن كعب القرظي في قوله الله تعالى: ﴿إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [٦]. قال: هو القرآن. ليس كلهم رأي النبي ﷺ. وفي الحديث [٧]: يؤمّ الناس أقرؤهم لكتاب الله. وما ذاك إلا أنه أعلم بأحكام الله. فالعالم بالقرآن عالم بجملة الشريعة.

وعن عائشة: أن من قرأ القرآن فليس فوقه أحد. وعن عبدالله قال: إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين. وعن عبدالله بن عمر قال: من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً، وقد أدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحى إليه. وفي رواية عنه: من قرأ القرآن فقد اضطربت النبوة بين جنبيه. وما ذاك إلا أنه جامع لمعاني النبوة. وأشباه

---

١. أخرجه الدارمي في سننه في: ٢٣ ـ كتاب فضائل القرآن، ١ ـ باب فضل من قرأ القرآن، عن أبي الأحوص عن عبدالله قال: إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين والشفاء النافع. عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه. لا يزيغ فيستعتب ولا يعوجّ فيقوم. ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد. فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول: ألم، ولكن ألف ولام وميم.

٢. أخرجه الدارمي، أيضاً، في سننه في الباب السابق. ونصه: عن الحارث قال:

٣. أخرجه مسلم في: ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ح ١٣٩.

٤. سورة القلم: الآية ٤.

٥. سورة الاسراء: الآية ٨٢.

٦. سورة آل عمران: الآية ١٩٣.

٧. أخرجه البخاري في صحيحه في: ١٠ ـ كتاب الأذان، ٥٤ ـ باب إمامة العبد والمولى، لقول النبي ﷺ: يؤمهم أقرؤهم لكتاب الله.

هذا مما يدل على هذا المعنى.

ومنها التجربة وهي أنه لا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلا. وأقرب الطوائف من إعواز المسائل النازلة أهل الظواهر الذين ينكرون القياس. ولم يثبت عنهم أنهم عجزوا عن الدليل في مسألة من المسائل. وقال ابن حزم الظاهري: كل أبواب الفقه ليس منها باب إلا وله أصل في الكتاب والسنة، نعلمه والحمدلله. حاشى القراض فما وجدنا له أصلا فيهما البتة. إلى آخر ما قال.

وأنت تعلم أن القراض نوع من أنواع الإجارة. وأصل الإجارة في القرآن ثابت. وبيّن ذلك إقراره ﷺ وعمل الصحابة به.

ولقائل أن يقول: إن هذا غير صحيح. لما ثبت في الشريعة من المسائل والقواعد غير الموجودة في القرآن، وإنما وجدت في السنة. ويصدق ذلك ما في الصحيح من قوله ﷺ [١]: لا ألفينّ أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى، مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندرى ما وجدنا في كتاب اللّه اتبعناه. وهذا ذم ومعناه اعتماد السنة أيضا. ويصححه قول اللّه تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [٢] الآية: قال ميمون بن مهران: الرد إلى اللّه، إلى كتابه. والرد إلى الرسول، إذا كان حيا. فلما قبضه اللّه، فالرد إلى سنته. ومثله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً﴾ [٣] الآية.

يقال: إن السنة يؤخذ بها على أنها بيان لكتاب اللّه لقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [٤] وهو جمع بين الأدلة.

لأنا نقول: إن كانت السنة بيانا للكتاب، ففي أحد قسميها. فالقسم الآخر زيادة على حكم الكتاب، كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو على خالتها. وتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع. وقيل [٥] لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟ قال: لا. إلا كتاب اللّه أو

١. أخرجه أبو داود في سننه في: ٣٩ ـ كتاب السنّة، ٥ ـ باب في لزوم السنة، ح ٤٦٠٥.
٢. سورة النساء: الآية ٥٩. ٣. سورة الاحزاب: الآية ٣٦.
٤. سورة النحل: الآية ٤٤.
٥. أخرجه البخاري في صحيحه في: ٣ ـ كتاب العلم، ٣٩ ـ باب كتابة العلم.

فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة. قال قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر. وهذا، وإن كان فيه دليل على أنه لا شيء عندهم إلا كتاب الله، ففيه دليل على أن عندهم ما ليس في كتاب الله. وهو خلاف ما أصلت.

والجواب عن ذلك مذكور في الدليل الثاني وهو السنة بحول الله.

ومن نوادر الاستدلال القرآني ما نقل عن علي أنه قال: الحمل ستة أشهر. انتزاعا من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ (١) مع قوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (٢) واستنباط مالك بن أنس أن من سب الصحابة فلاحظ له في الفيء من قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ (٣) الآية. وقول من قال: الولد لا يملك. من قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (٤). وقول ابن العربي: إن الإنسان قبل أن يكون علقة لا يسمى إنسانا. من قوله: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٥). واستدلال منذر ابن سعيد على أن العربي غير مطبوع على العربية بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ (٦) وأغرب ذلك استدلال ابن الفخار القرطبي على أن الإيماء بالرؤوس إلى جانب عند الإبابة، والإيماء بها سفلا عند الإجابة، أولى مما يفعله المشارقة من خلاف ذلك، بقوله تعالى: ﴿لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ (٧) الآية.

وكان أبوبكر الشبلي الصوفي إذا لبس شيئاً خرق فيه موضعا. فقال له ابن مجاهد: أين في العلم إفساد ما ينتفع به؟ فقال: ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ (٨).

ثم قال الشبلي: أين في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فسكت ابن مجاهد وقال له: قل. قال: قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (٩) الآية. واستدل بعضهم على منع سماع المرأة بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (١٠) الآية. وفي

---

١. سورة الاحقاف: الآية ١٥.
٢. سورة لقمان: الآية ١٤.
٣. سورة الحشر: الآية ١٠.
٤. سورة الانبياء: الآية ٢٦.
٥. سورة العلق: الآية ٢.
٦. سورة النحل: الآية ٧٨.
٧. سورة المنافقون: الآية ٥.
٨. سورة ص: الآية ٣٣.
٩. سورة المائده: الآية ١٨.
١٠. سورة الاعراف: الآية ١٤٣.

بعض هذه الاستدلالات نظر »[١].

قال النهاوندي في بيان ان علوم النبي والائمة عليهم السلام جميعاً مستفاد من القرآن:

« قال الصادق عليه السلام: « لقد تجلى اللّه تعالى في كلامه ولكن الناس لا يبصرون ».

وروى عنه عليه السلام انه سئل هل عندكم من رسول اللّه صلى الله عليه وآله شيء من الوحي سوى القرآن ؟ قال: « لا والذي خلق الحبّ وبرأ النسمة إلاّ ان يعطى عبداً فهماً في كتابه ».

والظاهر ان المراد من اعطاء الفهم، إنارة قلب العبد وتقوية عقله وجودة ذهنه وتكميل قوته النظرية، وتعليمه طرق الاستفادة وتوضيح المقام بمقدار تسعه الأفهام.

انه لا شبهة ان لكل موجود وجودات مختلفة في عالم الالفاظ وعالم الذهن وعالم المثل والصور، وعالم الحقايق على اختلاف مراتبها ودرجاتها قوة وضعفاً وسعة وضيقاً.

وقد حقق في محله ان كل عالَم مرتبط بالعوالم الأخر وقشر لما فيه مستتر، ولكل وجود آثار في عالمه ولكل اثر ملاك واثر وحكم ومصالح بلا عدّ ومدّ، فمن زكت نفسه وكملت جودته ينتقل ذهنه من عالم الى عالم ومن مناسب الى مناسب ومن ملزوم الى لازم ومن مؤثر الى اثر ومن اثر الى اثر ما شاء اللّه، فمن رزقه اللّه فهم كتابه يصل من ظاهره الى لبابه ومنها الى دقائقه ومنها الى حقائقه حتى يبلغ الى درجة لا تخفى عليه خافية، ويحيط بحقائق الاشياء في عوالمها كماهي وقد حكى الفيض رحمه اللّه عن بعض اهل المعرفة ما ملخصة ان العلم بالشيء[٢]....

وعن معلى بن خنيس قال: قال ابو عبداللّه عليه السلام: «ما من امر يختلف فيه اثنان إلاّ وله اصل في كتاب اللّه ولكن لا تبلغه عقول الرجال».

عن ابى عبداللّه عليه السلام قال: «ان اللّه انزل في القرآن تبيان كل شيء حتى واللّه ما ترك اللّه شيئا يحتاج اليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا نزل في القرآن الا وقد انزله فيه».

ولا شبهة ان العلم ببطون القرآن بالغاً ما بلغ مختص بالأئمة الطاهرة، وهم بالقرآن يعلمون ماكان وما يكون وما هو كائن وما يمكن ان يعلمه البشر، قال امير المؤمنين عليه السلام: ها

---

١. محاسن التأويل ج ١ ص ١٣٥ ـ ١٤٠.

٢. تقدم في ص ٧٤ من الكتاب الحاضر.

« انّ هيهنا » واشار الى صدره « لعلماً جماً لو وجدت له حملة».

و روى الغزالي في الاحياء والحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ان القرآن نزل على سبعة احرف ما منها حرف الاوله ظهر وبطن وان علي بن ابيطالب عنده منه علم الظاهر والباطن».

وروى النقاش في تفسيره عن ابن عباس ما يقرب مما قال ابن مسعود.

وعن الغزالي قال: قال اميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «ان رسول الله ﷺ ادخل لسانه في فمي فانفتح في قلبي الف باب من العلم مع كل باب الف باب».

الى ان قال الغزالي وهذه المرتبة لا تنال بمجرد التعلم بل يتمكن المرء في هذه الرتبة بقوة العلم اللدني.

وقال علي عليه السلام لما حكى على عهد موسى على نبينا وآله وعليه السلام: «ان شرح كتابه كان اربعين جملاً لو اذن الله ورسوله لي لا تسرّ في شرح معاني الف الفاتحة حتى يبلغ مثل ذلك» يعني اربعين وقراً او جملاً.

وذكر ابو عمر والزاهد: ان علي بن ابيطالب قال: «يابن عباس اذا صليت عشاء الاخرة فالحقني الى الجبان، قال: فصليت فالحقته وكانت ليلة مقمرة، قال: فقال لي: ما تفسير الالف من الحمد، قال: فما علمت حرفاً اجيبه قال: فتكلم في تفسيرها ساعة تامّة، قال: ثم قال لي: ما تفسير اللام من الحمد، قال: فقلت: لا اعلم، فتكلم في تفسيرها ساعة تامة، ثم قال: فما تفسير الميم من الحمد، فقلت: لا اعلم، قال: فتكلم في تفسيرها ساعة تامة، قال: ثم قال: ما تفسير الدال، قال: قلت: لا ادرى، قال: فتكلم فيها حتى برق عمود الفجر، قال: فقال لي: يابن عباس قم الى منزلك وتأهّب لفرضك.

قال ابو العباس عبدالله بن عباس: فقمت وقد وعيت كلما قال، ثم تفكّرت فاذا علمي بالقرآن في علم علي كالقرارة في المنفجر». انتهى.

قالوا: القرارة والقدير والمنفجر البحر.

وعن علي عليه السلام قال: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب».

وعن الباقر عليه السلام قال: «لو وجدت لعلمي الذي اتاني الله عز وجل حملة لنشرت التوحيد

والاسلام والدين والشرايع من الصمد».

وعن ابى عبدالله عليه السلام قال: «انى لأعلم خبر السماء وخبر الارض وخبر ما كان وما هو كائن كأنه في كفي، ثم قال: من كتاب الله اعلمه ان الله يقول: فيه تبيان كل شيء».

وفي رواية عن ابى عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ليس شيء ابعد عن عقول الرجال من تفسير القرآن وفي ذلك تحير الخلايق اجمعون الا ما شاء الله، وانما اراد الله بتعمية في ذلك ان ينتهوا الى بابه وصراطه وان يعبدوه، وينتهوا الى طاعة القوّام بكتابه والناطقين عن امره، وان يستنبطوا لما احتاجوا اليه من ذلك عنهم لا عن انفسهم ثم قال: ﴿ **ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾[1] واما غيرهم فليس يعلم ذلك ابداً ولا يوجد». وقد علمت انه لا يستقيم ان يكون الخلق كلّهم ولاة الامر اذا لايجدون من يأتمرون عليه، ولا من يبلغونه امر الله ونهيه، فجعل الولاة خواصاً ليقتدي بهم لم يخصصهم بذلك فافهم ذلك انشآء الله، واياك وتأويل القرآن برأيك، فان الناس غير مشتركين في علمه كاشتراكهم فيما سواه من الامور، ولا قادرين عليه ولا على تأويله الا من حدّه وبابه الذي جعله الله، له فافهم انشاء الله، واطلب الامر من مكانه تجده انشاء الله»[2].

قال البازوري: وجاء في كتاب «الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة» لمؤلفة صدر الدين الشيرازي:

إن من جملة المقامات التي حصلت للسالكين السائرين إلى الله تعالى وملكوته بقدم العبودية واليقين، أنهم يرون بالمشاهدة العيانية كل القرآن، بل جميع الصحف المنزلة في نقطة تحت «باء» بسم الله، بل يرون جميع الموجودات في تلك النقطة الواحدة، وقد تبين أن بسيط الحقيقة كل الأشياء. قال معلم حكمة المشائين: الواحد المحض هو علّة الأشياء كلها، وليس كشيء من الأشياء، بل هو مدبّر الأشياء، وليس هو الأشياء بل الأشياء كلها فيه».

ونحن نمثل لك في هذا المعنى مثالاً، فإنك إذا قلت: ﴿لله ما في السماوات

---

١. سورة النّساء: الآية ٨٣.

٢. نفحات الرحمن ج ١ ص ٢٨ ـ ٢٩.

والأرض﴾(١) فقد جمعت جميع الموجودات في كلمة واحدة، وإذا حاولت ذكرها بالتفصيل لافتقرت إلى مجلدات كثيرة، ثم قس على نسبة اللفظ إلى اللفظ نسبة المعنى إلى المعنى، على أن فسحة عالم المعاني والتفاوت بين أقسامها لا يقاس بفسحة عالم الألفاظ والتفاوت فيها.

ولو اتفق لأحد أن يخرج من هذا الوجود المجازي الحسي ويلتحق بالوجود العقلي بدائرة الملكوت السبحاني حتى يشاهد معنى: الله ﴿بكل شيء محيط﴾(٢) فحينئذ يشاهد وجوده تحت نقطة «باء» السببية لمسبب الأسباب، ويعاين عند ذلك تلك «الباء» التي في بسم الله حيثما تجلت له عظمتها وجلالة قدرها، ورفعة سرّ معناها. نحن وأمثالنا لا نشاهد من القرآن إلا سواداً على بياض، لكوننا في عالم الظلمة والسواد، والمدرك لا يدرك شيئاً إلا بما في قوة إدراكه، وقوة إدراكه دائماً تكون من جنس مدركاته، بل هي عينها، فالحس لاينال إلا المحسوس، ولا الخيال إلا المتخيّل، ولا العقل إلا المعقول، فلا يدرك النور إلا بالنور: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾(٣) ... وقال تعالى: ﴿ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾(٤) ...

روي أن رسول الله خرج يوماً وفي يديه كتابان مطويّان، فسأل أصحابه: أتدرون ماهذين الكتابين؟ وأخبرهم بأن في الكتاب الذي بيده اليمنى أسماء أهل الجنة من أول من خلق الله إلى يوم القيامة، وفي الكتاب الذي بيده اليسرى أسماء أهل النار من أول من خلق الله إلى يوم القيامة.

من هنا يعلم الفرق بين كتابة الخالق وكتابة المخلوق، إذ لو حاول المخلوق أن يكتب هذه الأسماء على ما هي عليه في ذينك الكتابين لما كان في إمكانه، ولا يفي بذلك كل ورق العالم.

ومما حكي في هذا الباب عن بعض البله من أهل الحاج أنه لقي رجلاً وهو يطوف طواف الوداع، فراح الرجل يمازح الأبله قائلاً: وهل أخذت براءتك من النار؟ فقال الأبله:

---

١. سورة البقرة: الآية ٢٨٤.
٢. سورة فصّلت: الآية ٥٤.
٣. سورة النّور: الآية ٤٠.
٤. سورة الشورى: الآية ٥٢.

وهل أخذ الناس ذلك؟ قال له: نعم، فبكى ذلك الأبله، ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة، وراح يبكي بكاءً شديداً ويطلب من الله أن يعطيه كتابة عتقه من النار. وراح الناس يلومونه قائلين له إن فلاناً كان يمزح معه وهو لا يصدقهم .. فبينا هو كذلك إذ سقطت عليه ورقة من جهة الميزاب مكتوب فيها عتقه من النار، فسرّ بها وراح يطلع الناس عليها .. وكان من آية ذلك الكتاب أنه كان يقرأ في كل ناحية على السواء، كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها، فعلم الناس أنها آية .. »[1].

١. الغيب والشهادة ج ١ ص ١٥ ـ ١٧.

عربية القرآن وآثارها

قال الطبري : « فإذ كان تفاضُلُ مراتب البيان ، وتبايُنُ درجات الكلام ، بما وصفنا قبل - وكان الله تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه ، أحكمَ الحكماء ، وأحلمَ الحلماء - كان معلوماً أن أبينَ البيان بيانُه ، وأفضلَ الكلام كلامه ، وأن قدرَ فضْل بيانه ، جلّ ذكره ، على بيان جميع خلقه ، كفضله على جميع عباده .

فإذ كان كذلك - وكان غيرَ مبيّن منّا عن نفسه مَنْ خاطبَ غيره بما لا يفهمه عنه المخاطب - كان معلوماً أنّه غير جائز أن يخاطِبَ جل ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطَبُ ، ولا يرسلَ إلى أحد منهم رسولاً برسالة إلا بلسانٍ وبيانٍ يفهمه المرسَلُ إليه . لأن المخاطب والمرسَلَ إليه ، إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه ، فحالُه - قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعدَه - سواءٌ ، إذ لم يفده الخطابُ والرسالةُ شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً . والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالةً لا توجب فائدة لمن خُوطب أو أرسلت إليه ، لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث ، والله تعالى عن ذلك مُتَعالٍ . ولذلك قال جل ثناؤه في محكم تنزيله : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1] . وقال لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤمِنُونَ﴾[2] . فغيرجائز أن يكون به مهتدياً ، من كانَ بما يُهْدَى إليه جاهلاً .

---

١ . سورة ابراهيم : الآية ٤ .
٢ . سورة النّحل : الآية ٦٤ .

فقد تبيّن إذاً ـ بما عليه دللنا من الدّلالة ـ أن كلّ رسولٍ لله جل ثناؤه أرسله إلى قوم، فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه، وكلّ كتاب أنزله على نبي، ورسالة أرسلها إلى أمة، فإنما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله إليه. فاتضح بما قلنا ووصفنا، أن كتاب الله الذي أنـزله إلى نـبينا محمد ﷺ، بلسان محمد ﷺ. وإذ كان لسان محمد ﷺ عربيّاً، فبيّن أن القرآن عربيّ. وبذلك أيضاً نطق محكم تنزيل ربّنا، فقال جلّ ذكره: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1]. وقال: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[2].

وإذْ كانت واضحةً صحةُ ما قلنا ـ بما عليه استشهدنا من الشواهد، ودللنا عليه من الدلائل ـ فالواجبُ أن تكون معاني كتاب الله المنزّل على نـبينا محمد ﷺ، لمعاني كلام العرب موافقةً، وظاهرهُ لظاهر كلامها ملائماً، وإن باينه كتابُ الله بالفضيلة التي فضلَ بها سائرَ الكلام والبيان، بما قد تقدّم وَصْفُنَاهُ.

فإذْ كان ذلك كذلك، فبيّن ـ إذْ كان موجوداً في كلام العرب الإيجازُ والاختصارُ، والاجتزاءُ بالإخفاء من الإظهار، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال، واستعمالُ الإطالة والإكثار، والترداد والتكرار، وإظهارُ المعاني بالأسماء دون الكناية عنها، والإسرار في بعض الأوقات، والخبرُ عن الخاصّ في المراد بالعامّ الظاهر، وعن العامّ في المراد بالخاصّ الظاهر، وعن الكناية والمرادُ منه المصرَّح، وعن الصفة والمرادُ الموصوف، وعن الموصوف والمرادُ الصفة، وتقديمُ ما هو في المعنى مؤخر، وتأخيرُ ما هو في المعنى مقدّم، والاكتفاءُ ببعض من بعض، وبما يظهر عما يحذف، وإظهارُ ما حظه الحذف ـ أن يكون[3] ما في كتاب الله المنزّل على نبيه محمد ﷺ من ذلك، في كلّ ذلك، له نظيراً وله مِثلاً وشبيهاً».

قال الطبري في البَيَان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من

١. سورة يوسف: الآية ٢.
٢. سورة الشعراء: الآية ١٩٢ ـ ١٩٥.
٣. قوله «أن يكون...» مبتدأ قوله «فبيّن» وما بينهما اعتراض طويل؛ وهذا دأب الطبري أبداً، حتى كأنه لم يكن يخشى على قارئ، أن يسوء فهمه أو تكلّ فطنته (حاشية الأستاذ محمود محمد شاكر على طبعة دار المعارف.

بعض أجناس الأمم:

« قال أبو جعفر: إن سألنا سائل فقال: إنك ذكرت أنه غيرُ جائز أن يخاطب الله تعالى ذكرُهُ أحداً من خلقه إلا بما يفهمه، وأن يرسل إليه رسالة إلا باللسان الذي يفقهه...

١ ـ فما أنت قائل فيما حدثكم به محمد بنّ حُميد الرازي، قال: حدثنا حَكّام بن سَلْم، قال: حدثنا عنبسة، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص عن أبي موسى: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾[1]، قال: الكفلان: ضعفان من الأجر، بلسان الحبشة.

٢ ـ وفيما حدثكم به ابن حُمَيْد، قال: حدثنا حكّام، عن عَنبسة، عن أبي إسحق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿ إنَّ ناشِئةَ اللَّيْلِ ﴾[2]. قال: بلسان الحبشة إذا قامَ الرجلُ من الليل قالوا: نَشأ.

٣ ـ وفيما حدّثكم به ابن حميد قال: حدّثنا حكّام، قال: حدثنا عنبسة، عن أبي إسحق، عن أبي ميسرة: ﴿ يا جبالُ أَوِّبِي معهُ ﴾[3] قال: سبّحي، بلسان الحبشة ؟

قال أبو جعفر: وكل ما قلنا في هذا الكتاب «حدّثكم» فقد حدثونا به.

٤ ـ وفيما حدّثكم به محمد بن خالد بن خِداش الأزديّ، قال: حدثنا سلم بن قتيبة، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿ فرَّتْ منْ قَسورة ﴾[4]. قال: هو بالعربية الأسد، وبالفارسية اشار[5]، وبالنبطية أريا، وبالحبشية قسورة.

٥ ـ وفيما حدّثكم به ابن حميد قال: حدثنا يعقوب القمّي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبَير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربيّاً؟ فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿ لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وشِفَاءٌ ﴾[6]. فأنزل الله بعد هذه الآية في القرآن بكل لسان فيه: ﴿ حجارةً من سجيل ﴾[7] قال: فارسية

---

١ .سورة الحديد: الآية ٢٨.
٢ .سورة المزمّل: الآية ٦.
٣ .سورة سبأ: الآية ١.
٤ .سورة المدثّر: الآية ٥١.
٥ .الصحيح: شير.
٦ .سورة فصّلت: الآية ٤٤.
٧ .سورة هود: الآية ٨٢.

أعربت «سنك وكل».

٦ ـ وفيما حدثكم به محمد بن بشار، قال: حدثنا عبدالرحمن بن مهديّ، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحق، عن أبي ميسرة، قال: في القرآن من كل لسان.

وفيما أشبه ذلك من الأخبار التي يطولُ بذكرها الكتاب، مما يدل على أن فيه من غير لسان العرب!

قيل له: إنّ الذي قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا ـ من أجل أنهم لم يقولوا: هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً، ولا كان ذلك لها منطقاً قبل نزول القرآن، ولا كانت بها العرب عارفةً قبل مجيء الفرقان ـ فيكون ذلك قولاً لقولنا خِلافاً. وإنما قال بعضهم: حرف كذا بلسان الحبشة معناهُ كذا، وحرفُ كذا بلسان العجم معناه كذا. ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس، وغير ذلك ـ مما يُتعب إحصاؤه ويُمِلّ تعداده، كرهنا إطالة الكتاب بذكره ـ مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى. ولعلّ ذلك كذلك في سائر الألسن التي نجهل منطقها ولا نعرف كلامها.

فلو أن قائلاً قال ـ فيما ذكرنا من الأشياء التي عددْنا وأخبرْنا اتفاقَه في اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية، وما أشبَهَ ذلك مما سكتنا عن ذكره ـ: ذلك كله فارسي لا عربي، أو ذلك كله عربي لا فارسي، أو قال: بعضه عربي وبعضه فارسي، أو قال: كان مخرج اصله من عند العرب فوقع الى العجم فنطقوا به، أو قال كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فأعربته ـ كان مُستجهَلاً. لأن العربَ ليست بأولى أن تكون كان مخرجُ أصل ذلك منها إلى العجم، ولا العجم أحقُّ أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العرب، إذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجوداً في الجنسين.

وإذ كان ذلك موجوداً على ما وصفنا في الجنسين، فليس أحدُ الجنسين أولى بأن يكون

أصلُ ذلك كان من عنده من الجنس الآخر. والمدّعِي أن مخرج أصل ذلك إنما كان من أحد الجنسين إلى الآخر، مدّعٍ أمراً لا يوصَل إلى حقيقة صحّته إلا بخبر يوجب العلم، ويزيل الشكّ، وتقطع العذرَ صحّته.

بل الصواب في ذلك عندنا: أنْ يسمَّى: عربياً أعجمياً، أو حبشياً عربياً، إذ كانت الأمّتان له مستعملتين - في بيانها ومنطقها - استعمال سائر منطقها وبيانها. فليس غيرُ ذلك من كلام كلّ أمة منهما، بأولى أن يكون إليها منسوباً - منه.

فكذلك سبيل كل كلمة واسم اتفقت ألفاظ أجناس أمم فيها وفي معناها، ووُجِد ذلك مستعملاً في كل جنس منها استعمالَ سائر منطقهم، فسبيلُ إضافته إلى كل جنس منها، سبيلُ ما وصفنا - من الدرهم والدينار والدواة والقلم، التي اتفقت ألسن الفرس والعرب فيها بالألفاظ الواحدة والمعنى الواحد، في أنه مستحقٌّ إضافته إلى كل جنس من تلك الأجناس - اجتماعٌ واقترانٌ.

وذلك هو معنى من روينا عنه القولَ في الأحرف التي مضت في صدر هذا الباب، من نسبة بعضهم بعضَ ذلك إلى لسان الحبشة، ونسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الفرس، ونسبة بعضهم بعضَ ذلك إلى لسان الروم. لأنّ من نسب شيئاً من ذلك إلى ما نسبه إليه، لم ينفِ - بنسبته إياه إلى ما نسبه إليه - أن يكون عربيّاً، ولا من قال منهم: هو عربيّ، نفى ذلك أن يكون مستحقّاً النسبةَ إلى من هو من كلامه من سائر أجناس الأمم غيرها. وإنما يكون الإثبات دليلاً على النفي، فيما لا يجوز اجتماعه من المعاني، كقول القائل: فلان قائم، فيكون بذلك من قوله دالاًّ على أنه غير قاعد، ونحو ذلك مما يمتنع اجتماعه لتنافيهما. فأمّا ما جاز اجتماعه فهو خارج من هذا المعنى. وذلك كقول القائل: فلان قائم مكلِّمٌ فلاناً، فليس في تثبت القيام له ما دلّ على نفي كلام آخر، لجواز اجتماع ذلك في حالٍ واحدٍ من شخص واحد. فقائل ذلك، صادق إذا كان صاحبه على ما وصفه به.

فكذلك ما قلنا - في الأحرف التي ذكرنا وما أشبهها -: غيرُ مستحيل أن يكون عربيّاً بعضها أعجمياً، وحبشياً بعضها عربياً، إذ كان موجوداً استعمالُ ذلك في كلتا الأمتين.

فناسِبٌ ما نَسبَ من ذلك إلى إحدى الأمتين أو كلتيهما محقٌّ غيرُ مبطل .

فإن ظن ذو غباءٍ أنّ اجتماع ذلك في الكلام مستحيلٌ ـ كما هو مستحيل في أنساب بني آدم ـ فقد ظنّ جهلاً . وذلك أن أنساب بني آدم محصورة على أحد الطرفين دون الآخر ، لقول الله تعالى ذكره : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾[١] وليس ذلك كذلك في المنطق والبيان ، لأنّ المنطق إنما هو منسوب إلى من كان به معروفاً استعمالُه . فلو عُرِف استعمالُ بعض الكلام في أجناس من الأمم ـ جنسين أو أكثر ـ بلفظ واحد ومعنى واحد، كان ذلك منسوباً إلى كل جنس من تلك الأجناس ، لا يستحق جنسٌ منها أن يكون به أولى من سائر الأجناس غيره . كما لو أنّ أرضاً بين سَهل وجبل ، لها هواء السهل وهواء الجبل ، أو بين برٍّ وبحرٍ ، لها هواء البر وهواءُ البحر ـ لم يمتنع ذو عقل صحيح أن يصفها بأنها سُهْلية جبلية ، أو بأنها بَرّيّة بَحْرية ، إذ لم تكن نسبتها إلى إحدى صفتيها نافيةً حقّها من النسبة إلى الأخرى. ولو أفردَ لها مفردٌ إحدى صفتيها ولم يسلبها صفتها الأخرى ، كان صادقاً محقّاً.

وكذلك القول في الأحرف التي تقدم ذِكْرُناها في أول هذا الباب .

وهذا المعنى الذي قلناه في ذلك ، هو معنى قول من قال : في القرآن من كل لسان ـ عندنا بمعنى ـ والله أعلم : أنّ فيه من كلّ لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأمم التي تنطق به ، نظيرَ ما وصفنا من القول فيما مضى .

وذلك أنه غيرُ جائز أن يُتوهَّم على ذي فطرة صحيحة ، مقرّ بكتاب الله ـ ممن قد قرأ القرآن وعرف حدود الله ـ أن يعتقد أنّ بعض القرآن فارسي لا عربيّ ، وبعضه نبطي لا عربيّ ، وبعضه روميّ لا عربيّ ، وبعضه حبشي لا عربي ، بعد ما أخبر الله تعالى ذكرُه عنه أنه جعله قرآناً عربيّاً . لأن ذلك إنْ كان كذلك ، فليس قولُ القائل : القرآن حبشيٌّ أو فارسيٌّ ، ولا نسبةُ من نسبه إلى بعض ألسن الأمم ـ التي بعضُه بلسانها دون العرب ـ بأولى بالتطويل من قول القائل : هو عربي . ولا قولُ القائل : هو عربيٌّ بأولى بالصّحة والصواب من قول ناسبه إلى بعض الأجناس التي ذكرنا. إذ كان الذي بلسان غير العرب من سائر ألسن أجناس الأمم فيه ،

---

١ ـ سورة الاحزاب : الآية ٥ .

نظيرَ الذي فيه من لسان العرب .

وإذا كان ذلك كذلك ، فبيِّن إذاً خطأ من زعم أن القائل من السلف : في القرآن من كل لسان ، إنما عنى بقيله ذلك ، أنّ فيه من البيان ما ليس بعربيّ ، ولا جائز نسبته إلى لسان العرب .

ويقال لمن أبى ما قلنا ـ ممن زعم أن الأحرف التي قدمنا ذكرها في أول الباب وما أشبهها ، إنما هي كلام أجناس من الأمم سوى العرب ، وقعت إلى العرب فعرَّبته ـ : ما برهانك على صحة ما قلت في ذلك ، من الوجه الذي يجب التسليم له ، فقد علمت من خالفك في ذلك ، فقال فيه خلاف قولك ؟ وما الفرقُ بينك وبين من عارضك في ذلك ؟ فقال : هذه الأحرف ، وما أشبهها من الأحرف غيرها ، أصلها عربي ، غير أنها وقعت إلى سائر أجناس الأمم غيرها فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بألسنتها ـ من الوجه الذي يجبُ التسليم له .

فلن يقول في شيء من ذلك قولاً ، إلا ألزم في الآخر مثله»[١] .

فإن اعتلَّ في ذلك بأقوال السلف التي قد ذكرنا بعضها وما أشبهها ، طولِب ـ مطالَبتنا من تأوّل عليهم في ذلك تأويله ـ بالذي قد تقدم بَيَانُنَاهُ . وقيل له : ما أنكرتَ أن يكون من نسب شيئاً من ذلك منهم إلى من نسبه من أجناس الأمم سوى العرب ، إنمانسبه إلى إحدى نسبتيه التي هولها مستحق ، من غير نَفيٍ منه عنه النسبة الأخرى ؟ ثم يقال له : أرأيتَ من قال لأرض سُهْلية جبلية : هي سُهْلية، ولم ينكر أن تكون جبلية ، أو قال : هي جبلية ، ولم يدفعْ أن تكون سُهْلية ، أنافٍ عنها أن تكون لها الصفة الأخرى بقيله ذلك ؟ .

فإن قال : نعم ! ، كابر عَقْلَه . وإن قال : لا ! ، قيل له : فما أنكرت أن يكون قولُ من قال في سجّيل: هي فارسية ، وفي القسطاس : هي رومية ـ نظيرَ ذلك ؟ وسئل الفرقَ بين ذلك ، فلن يقولَ في أحدهما قولا إلا ألزِم في الآخر مثله .

قال ابن عطية فى ذكر الألفاظ التى فى كتاب الله وللغات العجم بها تعلق :

---

١ .جامع البيان ج ١ ، ص ٣١ ـ ٣٤ .

« اختلف الناس فى هذه المسألة ، فقال أبو عبيدة وغيره : إن فى كتاب الله تعالى من كل لغة . وذهب الطبرى وغيره [١] إلى : أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهى عربية صريحة ، وأن الأمثلة والحروف التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها إن تواردت اللغتان ، فتكلمت بها العرب والفرس أو الحبشة بلفظ واحد ؛ وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [٢]. قال ابن عباس : نشأ بلغة الحبشة : قام من الليل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ [٣] قال أبو موسى الأشعرى : كفلان : ضعفان من الأجر بلسان الحبشة . وكذلك قال ابن عباس : فى القسورة : إنه الأسد بلغة الحبشة . إلى غير هذا من الأمثلة .

قال الفقيه القاضى أبو محمد عبدالحق رضى الله عنه :

والذى أقوله : إن القاعدة والعقيدة هى أن القرآن بلسان عربى مبين فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب ، فلا نفهمها إلا من لسان آخر فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها ، فإنه قد كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتى قريش ، وكسفر مسافر [٤] بن أبى عمرو إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة فى اللغة ، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربى الصريح ، ووقع بها البيان . وعلى هذاالحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربى ما ، فكجهله الصريح مما فى لغة غيره . كما لم يعرف ابن عباس معنى «فاطر» إلى غير ذلك ، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهى عربية بهذاالوجه .

---

١ .تفسير الطبرى ج ١ ، ص ٦ .

٢ .سورة المزمل : الآية ٦ .

٣ .سورة الحديد : الآية ٢٨ .

٤ . كان سيدا جوادا وهو أحد أزواد الركب وإنما سموا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريبا ولا مارأ ولا طريقا ولا محتاجا يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكلفوا به حتى يطعم وهو أحد شعراء العرب . مهذب الأغانى ج ٢ ص ٢٤٨ .وفى « مقدمتان فى علوم القرآن ٢٧٧ » « وبرحلتى قريش وسفر مسافرين كسفر أبى عمرو إلى الشام ... » وهو خطأ . ويظهر أن آرثر جفرى اعتمد فى تصحيح هذا النص على الزركشى .انظر البرهان فى علوم القرآن ج ١ ص ٢٨٩ .

وما ذهب إليه الطبرى من أن اللغتين اتفقتا فى لفظة ، فذلك بعيد ، بل إحداهما أصل والأخرى فرع فى الأكثر ، لأنا لا ندفع أيضا جواز الاتفاق قليلا شاذا »(١).

قال القرطبى فى باب هل ورد فى القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب أولا :

« لا خلاف بين الأئمة أنه ليس فى القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب ، وأن فيه أسماء أعلاماً لمن لسانه غير لسان العرب ؛ كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط .

واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب ؛ فذهب القاضى أبوبكر بن الطيب والطبرىّ وغيرهما إلى أن ذلك لا يوجد فيه ، وأن القرآن عربىّ صريح ، وما وجد فيه من الألفاظ التى تنسب إلى سائر اللغات ، إنمااتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم ، وذهب بعضهم إلى وجودها فيه ، وأن تلك الألفاظ لقلّتها لا تُخرج القرآن عن كونه عربيًا مبيناً ، ولا رسولَ الله عن كونه متكلما بلسان قومه . فالمشكاة : الكَوّة . ونشأ : قام من الليل ؛ ومنه ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ ، و ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ ﴾ أى ضعفين. و﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾أى الأسد ؛ كله بلسان الحبشة . والغَسّاق : البارد المُنْتن بلسان الترك . والقسطاس : الميزان ؛ بلغة الروم . والسِّجيل : الحجارة والطين بلسان الفرس . والطُّور الجبل . واليَمّ : البحر بالسريانية . والتَّنُّور : وجه الأرض بالعجمية .

قال ابن عطية : «فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعرّبتها فهى عربية بهذا الوجه . وقد كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات ، وبرحلتى قريش ، وكسفر مُسافر بن أبى عمرو إلى الشام ، وكسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى إلى الحِيرة ، وصحبته لنصاراها مع كونه حجة فى اللغة ؛ فعَلِقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيّرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العُجْمة ، واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربىّ

١. المحرر الوجيز ج ١ ص ٦٩ ـ ٧٠ وقد نقل عين هذه العبارة الثعالبى فى جواهر الحسان ج ١ ص ١٦ ـ ١٧ .

الصحيح ، ووقع بها البيان ؛ وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن . فإن جهلها عربيٌ ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى «فاطر» إلى غير ذلك . قال ابن عطية : «وما ذهب إليه الطبري رحمه الله من أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظةٍ فذلك بعيد ، بل إحداهما أصل والأخرى فرع في الأكثر ؛ لأنا لا ندفع أيضا جواز الاتفاق قليلا شاذا».

قال غيره : والأوّل أصح . وقوله : هي أصل في كلام غيرهم دَخِيلة في كلامهم ، ليس بأولى من العكس ، فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطبت بها أولا ، فإن كان الأوّل فهي من كلامهم ، إذ لا معنى للغتهم وكلامهم إلا ما كان كذلك عندهم ، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم ، وقد قال ذلك الامام الكبير أبو عبيدة .

فإن قيل : ليست هذه الكلمات على أوزان كلام العرب فلا تكون منه . قلنا : ومن سلّم لكم أنكم حصرتم أوزانهم حتى تخرجوا هذه منها ؛ فقد بحث القاضي عن أصول أوزان كلام العرب وردّ هذه الأسماء إليها على الطريقة النحوية ، وأما إن لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون ، وحينئذ لا يكون القرآن عربيا مبينا ، ولا يكون الرسول مخاطبا لقومه بلسانهم ، والله أعلم»[1].

قال ابن كثير :

«قال القرطبي : أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية ، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كابراهيم ونوح ولوط ، واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا : ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات»[2].

قال الزحيلي في عربية القرآن :

« القرآن كله عربي [3] ، نزل بلسان العرب ، وما من لفظ فيه إلا وهو عربي أصلاً ، أو معرّب خاضع لموازين اللغة العربية وقوالبها ومقاييسها ... وقد زعم بعض الناس أن

---

١. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٦٨ ـ ٦٩.
٢. تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٥.
٣. تفسير الطبري : ج ١ ص ٢٥.

القرآن ليس عربياً خالصاً، لاشتماله على بعض كلمات من أصل أعجمي (غير عربي)، مثل (سندس) و (استبرق) وأنكر بعض العرب ألفاظ (قسورة) و (كُبّارا)، و (عُجّاب) فدخل شيخ طاعن في السن على رسولِ الله ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: قم، ثم قال له: اقعد، كرر ذلك مرات، فقال الشيخ: أتهزأ أبي، يا ابن (قسورة)، وأنا رجل (كُبّارا)، إن هذا الشيء (عُجّاب)! فسألوه، هل هذا في اللغة العربية؟ فقال: نعم.

وكان الإمام الشافعي رحمه الله أول من ردّ بكلامه الفصيح، وحجته القوية على هذا الزعم، مبيّناً أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب، مفنداً حجج هؤلاء الزاعمين وأهمّها ثنتان:

الأولى - أن في القرآن خاصاً يجهل بعضه بعض العرب.

والثانية - أن في القرآن ما ينطق به غير العرب.

ورد على الحجة الأولى: بأن جهل بعض العرب ببعض القرآن ليس دليلاً على عجمة بعض القرآن، بل هو دليل على جهل هؤلاء ببعض لغتهم، فليس لأحد أن يدعي الإحاطة بكل ألفاظ اللسان العربي: لأنه أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها لفظاً، ولا يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي.

ثم رد على الحجة الثانية: بأن بعض الأعاجم قد تعلم بعض الألفاظ العربية، وسرت إلى لغاتهم، ويحتمل أن يوافق لسان العجم أو بعض الألسنة قليلاً من لسان العرب، وقد يكون بعض الألفاظ العربية من أصل أعجمي، لكن هذا القليل النادر من أصل غير عربي قد سرى قديماً إلى العرب، فعرّبوه، وأنزلوه على طبيعة لغتهم، وجعلوه صادراً من لسانهم، بحسب حروفهم ومخارج تلك الحروف وصفاتها في لغة العرب، وذلك مثل الألفاظ المرتجلة والأوزان المبتدأة لها، وإن كانت في الأصل تقليداً في نغمتها للغات الأخرى [١].

وتضافرت الآيات القرآنية بالتصريح بأن القرآن كله عربي، جملة وتفصيلاً، وأنه نزل

١ ـ الرسالة للشافعي: ص ٤١ ـ ٥٠، ف ١٣٣ ـ ١٧٠. وانظر المستصفى للغزالي: ج ١ ص ٦٨، وروضة الناظر: ج ١ ص ١٨٤.

بلسان العرب قوم النبي ﷺ، منها قوله تعالى: ﴿ الر ، تلك آياتُ الكتابِ المبينِ . إنا أنزلناه قرآناً عربياً ، لعلَّكم تَعْقِلُون ﴾(١) ومنها قوله سبحانه: ﴿ وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين . نَزَل به الروحُ الأمينُ . على قَلْبِك لتكونَ من المُنْذِرين . بلسان عربي مبين ﴾(٢) ومنها: ﴿ وكذلك أنزلناه حُكْماً عربياً ﴾(٣) ومنها: ﴿ وكذلك أَوْحينا إليك قُرآناً عربياً ، لتُنْذِرَ أمَّ القُرى ومن حَوْلها ﴾(٤) ومنها: ﴿ حم . والكتابِ المبينِ . إنا جعلناه قرآناً عربياً ، لعلكم تَعْقِلون ﴾(٥) ومنها: ﴿ قرآناً عربياً غيرَ ذي عِوَج ، لعلَّهم يتقون ﴾(٦).

ورتب الشافعي على عربية القرآن حكماً مهماً جداً، فقال: فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغَه جهدُه، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح والتشهد، وغير ذلك »(٧).

آثار القرآن في اللغة والأدب

قال الخفاجي: « القرآن كتاب العربية وناموس شريعة محمد صلوات الله عليه ... تعبد به المسلمون منذ بدأ الإسلام حتى اليوم، وحفظوه وردّدوه وقرأوه بلغات قريش التى نزل بها. وكان له أثر عظيم فى اللغة العربية وآدابها مما يمكن تصويره فيما يلى ...

أما أثره فى اللغة فظاهر فيما يلى:

١ ـ وحدة اللغة واللهجات العربية فى لغة قريش، وهى أفصح لهجات العرب لفظا وأبلغها أسلوبا وأعذبها نظما. وكان ذلك من أسباب وحدة المسلمين كافة، إذ اتخذوا هذه اللغة القرشية لغتهم، فزادتهم وحدةً فى اللغة فوق وحدتهم فى الدين.

٢ ـ حفظ القرآنُ الكريم العربية من العفاء والانقراض، كما انقرضت من قبل لغات كثيرة أصبحت فى عداد اللغات الأثرية، فأصبحت العربية لغة القرآن الذى كفل الله بقاءه

---

١. سورة يوسف: الآية ١ ـ ٢.
٢. سورة الشعراء: الآية ١٩٢ ـ ١٩٦.
٣. سورة الرّعد: الآية ٣٧.
٤. سورة الشورى: الآية ٧.
٥. سورة الزّخرف: الآية ١ ـ ٣.
٦. سورة الزّمر: الآية ٢٨.
٧. المنير ج ١ ص ٣٤ ـ ٣٦.

إلى يوم الدين .

٣ ـ والقرآن أول عامل فى ذيوع اللغة العربية وانتشارها فى شتى البلاد والأصقاع ، وأصبحت هى لغة الدين والسياسة والأدب والثقافة والقراءة والكتابة فى شتى بلاد العالم الإسلامى الواسعة ، وكثير من البلاد التى فتحها المسلمون ، هجر أهلها لغتهم الأصلية وتعلموا العربية واتخذوها لهم لسانا ، ليفهموا بها القرآن قانون الدين الخالد وليتفاهموا بها مع الحاكمين ، ومن يعاشرونهم ويخالطونهم من العرب .

٤ ـ بتأثير القرآن عكف الأدباء والرواة على جمع اللغة وآدابها وأشعارها وحكمها وبلاغاتها وأمثالها ووصاياها وخطبها ، مما كان مادة للثقافة العربية على مر الأيام .

٥ ـ وقد ساعد القرآن على تهذيب ألفاظ اللغة وأساليبها ، فهجر المسلمون الكثير من الحواشي والغريب والمتنافر ، واختاروا العذوبة والسلاسة والسهولة والرقة من اللفظ والنظم .

٦ ـ وسّع القرآن الكريم نطاق اللغة باستحداث الألفاظ الإسلامية التى نقلت من معانيها إلى معان جديدة أتى بها القرآن الكريم ، كلفظ المؤمن والمنافق والإسلام والصلاة والصوم ... الخ .

٧ ـ والقرآن هو الذى دفع المسلمين إلى العناية بشتى العلوم الدينية والعربية ووضعها ، مما كانت هى أساس صرح المدنية الإسلامية الباهرة .

وللقرآن أثر كبير فى الأدب العربى :

١ ـ فقد تأثر به المسلمون في بلاغته وفصاحته وعذوبته ، فلانت أساليبهم وعذبت ألفاظهم ورقت طباعهم ، واقتبسوا منه في شعرهم ونثرهم ، والحق أنه هو الذى خرج أعلام البلاغة وفحول البيان والأدب من قديم .

٢ ـ أحيىٰ القرآن الكريم فنونا أدبية جديدة ، كالقصص وأدب الزهد وأدب التاريخ ، وأبطل سجع الكهان والهجاء الكاذب والفخر بغير العمل الصالح والخلق الكريم ، إلى غير ذلك من شتى الفنون الأدبية المرذولة .

٣ ـ رفع القرآن من شأن النثر بعد أن كان المقام الأول للشعر وحده من بين سائر فنون الأدب.

٤ ـ وبسببه وضعت علوم النقد والبلاغة لمعرفة وجه إعجاز الذكر الحكيم، وكيف تحدّىٰ به العرب والناس كافة، فملكهم الإعياء والعجز والقصور.

ولا غرو فالقرآن الكريم أول كتاب كتب باللغة العربية وهو مصدر آداب العرب جميعها »[١].

قال الزحيلي: « وكان من مزيّة عربية القرآن وفضله على العرب، أمران عظيمان هما:

الأول ـ إن تعلّم القرآن والنطق به على أصوله يقوّم اللسان، ويفصّح المنطق، ويصحح الكلام، ويساعد على فهم لغة العرب، فليس هناك شيء يشبه القرآن في تقويم الألسنة، حين تتأثر باللهجات العامية المختلفة.

الثاني ـ كان للقرآن الفضل الأكبر في الحفاظ على اللغة العربية، في مسيرة القرون الأربعة عشر الغابرة، بما اشتملت عليه من فترات ضعف وتخلف وتسلط المستعمرين الأوربيين على بلاد العرب، بل إن القرآن عامل أساسي في توحيد العرب، وباعث قوي ساعد في انتفاضة العرب ضد المحتل الغاصب والمستعمر البغيض، مما أعاد الصحوة الإسلامية إلى أوطان العرب والإسلام، وربط بين المسلمين برباط الإيمان والعاطفة القوية الصادقة، لا سيما في أوقات المحنة والحروب ضد المحتلين »[٢].

---

١. تفسير القرآن الحكيم ج ٢ ص ٢٢ ـ ٢٤.

٢. المنير ج ١ ص ٣٦ ـ ٣٧.

المجاز فى القرآن

قال ابن عربي في المجاز في القرآن :

« الذي ينبغي من الكلام أن لايقدّر فيه المحذوف إلا عند الحاجة إليه ولابد ، لاختلال المعنى ، وأن لاينتقل في الكلمة من الحقيقة إلى المجاز إلا بعد استحالة حملها على الحقيقة ، وكلام العرب مبني على الحقيقة والمجاز عند الناس ، وإن كنا خالفناهم في هذه المسألة بالنظر إلى القرآن ، فإنا ننفي أن يكون في القرآن مجاز، بل في كلام العرب عند المحققين أهل الكشف والوجود ، وأما من حيث النظر والاعتبار فيجري مجرى العرب في كلامها من استعارات ومجاز بأدنى شبهة وأيسر صفة ، ففي القرآن من هذا القبيل كثير ، إذ القرآن جاء على لغة العرب، كما قال رسول الله ﷺ : « وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين » وعلى هذا يفرق بين التفسير على الحقيقة لأهل الكشف والوجود ، فلا مجاز عندهم ، وبين التفسير لأهل النظر والاعتبار بالأفكار ، فهو على مجرى لسان العرب فيكون فيه المجاز [1] .

قال البحراني (ره) في ان القرآن نزل باياك اعنى واسمعي ياجارة :

«١ ـ محمدبن يعقوب، عن محمدبن يحيى، عن عبدالله بن محمد ، عن على بن الحكم ، عن عبدالله بن بكير ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «نزل القرآن باياك اعنى واسمعي يا جارة»، ثم

---

١ . رحمة من الرحمن ج ١ ص ١ ـ ١٤ .

قال الكليني: وفي رواية اخرى عن ابي عبدالله عليه السلام «معناه: ما عاتب الله عزوجل به نبيه صلى الله عليه وآله فهو يعني به ماقد مضى في القرآن، مثل قوله: ﴿ ولولا ان ثبّتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا ﴾[1] عنىٰ بذلك غيره.

٢ ـ العياشي، عن عبدالله بن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «نزل القرآن بإياك اعني واسمعي ياجارة».

٣ ـ عن ابن ابي عمير، عمن حدثه، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «ماعاتب الله نبيه فهو يعني به من قد مضى في القرآن مثل قوله: ﴿ ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا ﴾[2] عنى بذلك غيره»[3].

قال القاسمي في أنه: هل في القرآن مجازأم لا ؟

«قال ابن تيمية في كتاب الايمان:

«فإن قيل: ماذكر من تنوع دلالة اللفظ بالإطلاق والتقييد في كلام الله ورسوله وكلام كل أحد، بيّن ظاهر لايمكن دفعه، لكن نقول: دلالة لفظ الايمان على الأعمال مجاز، فقوله صلى الله عليه وآله: «الايمان بضع وستون ـ أو بضع وسبعون ـ شعبة. أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»؛ مجاز. وقوله «الايمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ... إلى آخره»؛ حقيقة. وهذا عمدة المرجئة، والجهمية، والكرامية، وكلّ من لم يدخل الأعمال في اسم الإيمان، ونحن نجيب بجوابين: أحدهما: كلام عام في لفظ الحقيقة والمجاز، والثاني: مايختص بهذاالوضع. فبتقدير أن يكون أحدهما مجازاً، ماهو الحقيقة من ذلك من المجاز؟ هل الحقيقة هو المطلق أو المقيد؟ أو كلاهما حقيقة ؟ حتى يعرف أن لفظ الايمان إذا أطلق، على ماذا يحمل ؟!. فيقال أولاً: تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز، أو تقسيم دلالتها، أو المعاني المدلول عليها، إن استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدالة، فإنّ هذا كلّه قد يقع في كلام المتأخرين. ولكنّ المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ، وبكلّ حال، فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة. لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة

---

١ و ٢. سورة الاسراء: الآية ٧٤.

٣. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢٢.

المشهورين في العلم: كمالك، والثوريّ، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء ... ونحوهم.

وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز، أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه، ولكن لم يعن بالمجاز ماهو قسيم الحقيقة، وإنما عنى، بمجاز الآية، بمايعبّر به عن الآية. ولهذا، قال: من قال من الأصوليين كأبي الحسين البصري وأمثاله: إنه يعرف الحقيقة من المجاز، بطرق: منها نص أهل اللغة على ذلك، بأن يقولوا: هذا حقيقة وهذا مجاز، فقد تكلم بلا علم. فإنه ظنّ أنّ أهل اللغة قالوا هذا. ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سلف الأمة وعلمائها. وإنما هذا اصطلاح حادث، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين. فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف. وهذا الشافعيّ هو أول من جرّد الكلام في أصول الفقه، ولم يقسم هذا التقسيم، ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز، وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنيّة على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره، ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز. وكذلك سائر الأئمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام أحد منهم، إلاّ في كلام أحمد بن حنبل، فإنه قال في كتاب «الردّ على الجهمية» في قوله: إنّا، ونحن، ونحو ذلك في القرآن: هذا من مجاز اللغة. يقول الرجل: إنا سنعطيك، إنا سنفعل، فذكر أن هذا من مجاز اللغة. وبهذا احتج على خ مذهبه من أصحابه من قال: إن في القرآن مجازا: كالقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وأبي الخطاب، وغيرهم. وآخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجاز: كأبي الحسن الجزريّ، وأبي عبدالله بن حامد، وأبي الفضل التميمي بن أبي الحسن التميميّ. وكذلك منع أن يكون في القرآن مجاز، محمد بن جرير منداد، وغيره من المالكية، ومنع منه داود ابن عليّ، وابنه أبوبكر، ومنذر بن سعيد البلوطي، وصنف فيه مصنفا. وحكى بعض الناس عن أحمد ـ في ذلك ـ روايتين. وأما سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم، ولا من قدماء أصحاب أحمد: إنّ في القرآن مجازاً ـ لامالك ولا الشافعي ولا أبو حنيفة. فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة، وماعلمته موجودا في المائة الثانية. اللهم إلا أن يكون في أواخرها. والذين أنكروا أن يكون أحمد أو غيره نطقوا بهذا التقسيم، قالوا: إن معنى قول أحمد: «من

مجاز اللغة » أي : مما يجوز في اللغة ، أي يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذى له أعوان : نحن فعلنا كذا أو نفعل كذا ونحو ذلك . قالوا : ولم يرد أحمد بذلك أن اللفظ استعمل في غير ما وضع له . وقد أنكر طائفة أن يكون في اللغة مجاز ، لا في القرآن ولاغيره. كأبي إسحاق الأسفرائنى . وقال المنازعون له : النزاع معه لفظي ، فإنه إذا سلم أن في اللغة لفظاً مستعملاً في غير ماوضع له لايدل على معناه إلا بقى منه . فهذا هو المجاز ، وإن لم تسمه مجازاً . فيقول من ينصره : إن الذين قسموا اللفظ إلى حقيقة ومجاز ، قالوا : الحقيقة هو اللفظ المستعمل في ماوضع له ، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ماوضع له ـ كلفظ الأسد والحمار ، إذا أريد بهما البهيمة ، أو أريد بهما الشجاع والبليد ـ وهذا التقسيم والتحديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولا لمعنى ، ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه ، وقد يستعمل في غير موضوعه . ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم ، أن كل مجاز فلابد له من حقيقة ، وليس لكل حقيقة مجاز . فاعترض عليهم بعض متأخريهم ، وقال : اللفظ الموضوع قبل الإستعمال لاحقيقة ولامجاز . فإذا استعمل في غير موضوعه فهومجاز لا حقيقة له . وهذا كله إنما يصح أن لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولاً لمعان، ثم بعد ذلك استعملت فيها ،فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال ، وهذا إنما صح على قول من يجعل اللغات اصطلاحية ، فيدعى أن قوماً من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا ، و هكذا بكذا ، ويجعل هذا علماً في جميع اللغات . وهذا القول لانعرف أحداً من المسلمين قاله قبل أبى هاشم بن الجبائى .فإنه وأباالحسن الأشعرى ، كلاهما قرأعلى أبى على الجبائي . لكن الأشعرى رجع عن مذهب المعتزلة ، وخالفهم في القدر والوعيد ، وفي الأسماء والأحكام ، وفي صفات الله تعالى . و بيّن من تناقضهم وفساد قولهم ماهو معروف عنه . فتنازع الأشعرى وأبو هاشم . وقال الأشعرى: هي توقيفية . ثم خاض الناس بعدهمافي هذه المسألة ، فقال آخرون : بعضها توقيفى ، وبعضها اصطلاحيٌ . وقال فريق رابع : بالوقف .

«والمقصود هنا : أنه لايمكن أحدً أن ينقل عن العرب ، بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع .

وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيماعنوه بها من المعاني. فإن ادعى مدّع أنه يعلم وضعاً يتقدم ذلك فهو مبطل، فإن هذا لم ينقله أحد من الناس. ولا يقال: نحن نعلم ذلك بالدليل، فإنه ـ إن لم يكن اصطلاح متقدم ـ لم يمكن الاستعمال. قيل: ليس الأمر كذلك، بل نحن نجد أن الله يلهم الحيوان من الأصوات مابه يعرف بعضها مراد بعض، وقد سمي ذلك منطقاً وقولاً، في قول سليمان: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾[1]، وفي قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ :يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[2]، وفي قوله: ﴿ يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾[3] وكذلك الآدميون، فالمولود إذا ظهر منه التمييز سمع أبويه، أو من يربيه، ينطق باللفظ، ويشير إلى المعنى، فصار يفهم أن ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى ـ أي أراد المتكلم به ذلك المعنى ـ ثم هذا يسمع لفظاً بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشأ بينهم، من غير أن يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم. بل ولا فقهوه على معاني الأسماء. وإن كان أحياناً قد يسأل عن مسمى بعض الأشياء فيوقف عليها. كما تترجم للرجل اللغة التي لا يعرفها فيوقف على معاني ألفاظها، وإن باشر أهلها مدة، علم ذلك بلا توقيف من أحد، نعم قد يضع الناس الاسم لما يحدث، مما لم يكن من قبلهم يعرفه فيسميه، كما يولد لأحدهم فيسميه اسماً إما منقولاً أو مرتجلاً. وقد يكون المسمى واحداً لم يصطلح مع غيره. وقد يستوون فيما يسمونه، وكذلك قد يحدث الرجل آلة من صناعة، أو يصنّف كتاباً، أو يبني مدينة. ونحو ذلك فيسميه باسم، لأنه ليس من الأجناس المعروفة حتى يكون له اسم في اللغة العامة. وقد قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[4]، ﴿ وَقَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[5]، وقال ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[6] وهو سبحانه يلهم الإنسان المنطق كما يلهم غيره. وهو سبحانه، إذا كان قد علّم الأسماء كلها، وعرض المسميات على الملائكة ـ كما أخبر بذلك في كتابه ـ فنحن نعلم أنه لم يعلم آدم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس إلى يوم القيامة، وأن

---

١. سورة النمل: الآية ١٦.
٢. سورة النمل: الآية ١٨.
٣. سورة سبأ: الآية ١٠.
٤. سورة الرحمن: الآية ١ ـ ٤.
٥. سورة فصلت: الآية ٢١.
٦. سورة الاعلى: الآية ٢ و ٣.

تلك اللغات اتصلت إلى أولاده فلا يتكلمون إلا بها ... فإن دعوى هذا كذب ظاهر ...! فإن آدم ﷺ، إنما ينقل عنه بنوه. وقد أغرق الله، عام الطوفان، جميع ذريته إلا من في السفينة، وأهل السفينة انقطعت ذريتهم إلا أولاد نوح، ولم يكونوا يتكلمون بجميع ماتكلمت به الأمم بعدهم، فإن اللغة الواحدة: كالفارسية، والعربية، والرومية، والتركية ...فيها من الاختلاف والأنواع مالايحصيه إلا الله. والعرب أنفسهم، لكلّ قوم لغات لايفهمها غيرهم. فكيف يتصور أن ينقل هذا جميعه عن أولئك الذين كانوا في السفينة؟ وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل، وإنماالنسل لنوح، وجميع الناس من أولاده، وهم ثلاثة: سام وحام ويافث، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [1] فلم يجعل باقياً إلا ذريته، وكما روى ذلك عن النبي ﷺ: «إن أولاده ثلاثة» رواه أحمد وغيره. ومعلوم أن الثلاثة لايمكن أن ينطقوا بهذا كله، ويمتنع نقل ذلك عنهم! فإن الذين يعرفون هذه اللغة لايعرفون هذه. وإذاكان الناقل ثلاثة منهم قد علموا أولادهم، وأولادهم قد علموا أولادهم، ولوكان كذلك لاتصلت. ونحن نجد بني الأب الواحد يتكلم كل قبيلة منهم بلغة لاتعرفها الأخرى، والأب الواحد لا يقال: إنه علم أحد ابنيه لغة، وابنه الآخر لغة، فإن الأب قد لايكون له إلا ابنان، واللغات في أولاده أضعاف ذلك. والذي أجرى الله عليه عادة بني آدم، أنهم إنما يعلمون أولادهم لغتهم التي يخاطبونهم بها، أو يخاطبهم بها غيرهم. فأما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها أولادهم، وأيضا فإنه يوجد بنو آدم يتكلمون بألفاظ ماسمعوها قط من غيرهم.

والعلماء من المفسرين وغيرهم لهم في الأسماء التي علمها آدم، قولان معروفان عن السلف:

أحدهما: أنه إنما علمه أسماء من يعقل، واحتجوا بقوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ﴾ [2]، قالوا: وهذا الضمير لايكون إلا لمن يعقل. ومالايعقل يقال فيها: علمها. ولهذا قال أبو العالية: «علّمه أسماء الملائكة لأنه لم يكن حينئذٍ من يعقل إلا الملائكة ولم يكن له ذرية، ولا كان إبليس قد انفصل عن الملائكة ولاكان له ذرية». وقال عبد

---

١. سورة الصافات: الآية ٧٧. ٢. سورة البقرة: الآية ٣١.

الرحمن بن زيد بن أسلم: «علمه أسماء ذريته». وهذا يناسب الحديث الذي رواه الترمذيّ وصححه عن النبي ﷺ[١]: «أن آدم سأل ربه أن يريه صور الأنبياء من ذريته، فرآهم، فرأى فيهم من يبص، فقال: يا ربّ! من هذا؟ قال: ابنك داود». فيكون قد أراه صور ذريته، أو بعضهم، أو أسماءهم. وهذه أسماء أعلام لا أجناس.

الثاني: أنّ الله علمه أسماء كل شيء. وهذا قول الأكثرين كابن عباس وأصحابه. قال ابن عباس: «علمه حتى الفسوة والفسية والقصعة والقصيعة»، أراد أسماء الأعراض والأعيان مكبّرها ومصغرها. والدليل على ذلك، ماثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في حديث الشفاعة[٢]:

«إن الناس يقولون: ياآدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وعلمك أسماءكل شيء». وأيضاً قوله: «الأسماء كلها». لفظ عام مؤكد، فلا يجوز تخصيصه بالدعوى.

وقوله: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ لأنه اجتمع من يعقل ومن لايعقل، فغلب من يعقل، كماقال: ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾[٣]. قال عكرمة: «علمه أسماء الأجناس دون أنواعها، كقولك: إنسان، وجن، وملك، وطائر». وقال مقاتل بن السائب، وابن قتيبة: «علمه أسماء ماخلق في الأرض من: الدواب، والهوام، والطير».

ومما يدل على أن هذه اللغات ليست متلقاة عن آدم، أن أكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية. ليس عندهم أسماء خاصة للأولاد والبيوت والأصوات وغير ذلك مما يضاف إلى الحيوان، بل إنما يستعملون في ذلك الإضافة. فلو كان آدم ﷺ علمه الجميع لعلمها متناسبة. وأيضاً، فكل أمة، ليس لهاكتاب، ليس في لغتها أيام الأسبوع، إنما يوجد في لغتها اسم اليوم والشهر والسنة، لأن ذلك عرف بالحس والعقل، فوضعت له الأمم الأسماء، لأن

١. جامع الترمذي في: ٤٤ـ كتاب التفسير، ٧ـ سورة الأعراف، ٣ـ حدثنا عبدبن حميد.
٢. صحيح البخاري في: ٩٧ـ كتاب التوحيد، ٣٧ـ باب قوله وكلم الله موسى تكليما. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة ...» الخ.
٣. سورة النور: الآية ٤٥.

التعبير يتبع التصور . وأما الأسبوع فلم يعرف إلا بالسمع ، لم يعرف ـ أن الله تعالى خلق السماوات والأرض ومابينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ـ إلا بأخبار الأنبياء الذين شرع لهم أن يجتمعوا في الأسبوع يوماً يعبدون الله فيه ، ويحفظون به الأسبوع الذي بدأ الله فيه خلق هذا العالم . ففى لغة العرب والعبرانيين ومن تلقى عنهم أيام الأسبوع ، بخلاف الترك ونحوهم، فإنه ليس في لغتهم أيام الأسبوع لأنهم لم يعرفوا ذلك فلم يعبّروا عنه .

فعلم أن الله تعالى ألهم النوع الإنساني أن يعبر عما يريده ويتصوره بلفظه . وأن أول من علم ذلك أبوهم آدم ، وهم علموا كما علم ، وإن اختلفت اللغات. وقد أوحى الله إلى موسى بالعبرانية ، وإلى محمد بالعربية ، والجميع كلام الله . وقد بين الله من ذلك ما أراد من خلقه وأمره ، وإن كانت هذه اللغة ليست الأخرى . مع أن العبرانية من أقرب اللغات إلى العربية ، حتى إنها أقرب إليها من لغة بعض العجم إلى بعض .

فبالجملة : نحن ليس غرضنا إقامة الدليل على عدم ذلك ، بل يكفينا أن يقال : هذا غير معلوم وجوده ، بل الإلهام كافٍ في النطق باللغات من غير مواضعة متقدمة . وإذا سمى هذا توقيفاً ، فليسمى توقيفاً ، وحينئذٍ فمن ادعى وضعاً متقدماً على استعمال جميع الأجناس ، فقد قال ما لا علم به ، وإنما المعلوم بلا ريب هو الاستعمال .

ثم هؤلاء يقولون : تتميّز الحقيقة من المجاز بالاكتفاء باللفظ ، فإذا دل اللفظ بمجرده فهو حقيقة ، وإذا لم يدل إلا مع القرينة فهو مجاز . وهذا أمر متعلق باستعمال اللفظ في المعنى ، لابوضع متقدم .

ثم يقال ثانياً : هذا التقسيم لاحقيقة له . وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا . فعلم أن هذا التقسيم باطل ، وهو تقسيم من لم يتصور مايقول ، بل يتكلم بلاعلم ، فهم مبتدعة في الشرع ، مخالفون للعقل ، وذلك أنهم قالوا : الحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له ، والمجاز هو المستعمل في غير ماوضع له ، احتاجوا إلى إثبات الوضع السابق على الاستعمال .وهذا يتعذر . ثم هم يقسمون الحقيقة إلى : لغوية وعرفية ، وأكثرهم يقسمها إلى ثلاث : لغوية وشرعية وعرفية ، فالحقيقة العرفية: هى ماصار اللفظ

فيها دالا على المعنى بالعرف لا باللغة .وذلك المعنى يكون تارة أعمّ من اللغوى ، وتارةً أخصّ ، وتارةً لايكون مبايناً له ،لكن بينهما علاقة استعمل لأجلها . فالأول مثل لفظ : الرقبة والرأس ونحوهما . كان يستعمل في العضو المخصوص ، ثم صار يستعمل في جميع البدن .

و الثاني مثل لفظ : الدابة ونحوها . كان يستعمل في كل مادب ، ثم صار يستعمل ، في عرف بعض الناس ، في ذوات الأربع .وفي عرف بعض الناس ، في الفرس ، وفي عرف بعضهم ، في الحمار .

والثالث مثل لفظ : الغائط ، والظعينة ، والراوية، والمزادة . فإن الغائط - في اللغة - هو المكان المنخفض من الأرض . فلما كانوا ينتابونه لقضاء حوائجهم ، سموا مايخرج من الإنسان باسم محلّه. والظعينة اسم للدابة، ثم سموا المرأة التى تركبها باسمها، ونظائر ذلك . والمقصود : أن هذه الحقيقة العرفية لم تصر حقيقة لجماعة تواطأوا على نقلها ، ولكن تكلم بها بعض الناس وأراد بها ذلك المعنى العرفي . ثم شاع الاستعمال فصارت حقيقة عرفية بهذا الاستعمال . ولهذا زاد ، من زاد منهم ، في حد الحقيقة : في اللغة التى بها التخاطب . ثم هم يعلمون ويقولون : إنه قد يغلب الاستعمال على بعض الألفاظ ، فيصير المعنى أشهر فيه ، ولايدل عند الإطلاق إلا عليه ، فتصير الحقيقة العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية . واللفظ مستعمل في هذا الاستعمال الحادث العرفىّ ، وهو حقيقة من غير أن يكون لما استعمل فيه ذلك تقدم وضع . فعلم أن تفسير الحقيقة بهذا لايصح ، وإن قالوا : يعنى ، بما وضع له ، مااستعملت فيه أولا . فيقال : من أين يعلم أن هذه الألفاظ التى كانت العرب تتخاطب بها عند نزول القرآن وقبله ، لم تستعمل قبل ذلك في معنى شيء آخر ؟ وإذالم يعلموا هذا النفى ، فلا تعلم أنها حقيقة ، وهذا خلاف مااتفقوا عليه . وأيضاً فيلزم من هذا أن لايقطع بشيء من الألفاظ أنه حقيقة ، وهذا لايقوله عاقل . ثم هؤلاء الذين يقولون هذا ، نجد أحدهم يأتى إلى ألفاظ لم يعلم أنها استعملت إلا مقيدة ، فينطق بها مجردة عن جميع القيود ، ثمّ يدعى أنّ ذلك هو حقيقتها من غير أن يعلم أنها نطق بها مجردة ، ولا وضعت مجردة. مثل أن يكون حقيقة العين هو العضو المبصر ، ثم سميت به عين

الشمس ، والعين النابعة والعين الذهب ، للمشابهة ، لكن أكثرهم يقولون : إنّ هذا من باب المشترك ، لامن باب الحقيقة والمجاز ، فيمثل بغيره مثل لفظ الرأس . يقولون : هو حقيقة في رأس الإنسان. ثم قالوا: رأس الدرب ـ لأوّله ـ، ورأس العين ـ لمنبعها ـ، ورأس القوم ـ لسيدهم ـ، ورأس الأمر ـ لأوّلـه ـ، ورأس الحول ... وأمثال ذلك على طريق المجاز . وهم لايجدون قط أن لفظ الرأس استعمل مجرداً ، بل يجدون أنه استعمل بـالقيود فـي رأس الإنسان ، كقوله تعالى : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [1] ونحوه . وهذا القيد يمنع أن يدخل فيه تلك المعاني . فإذا قيل : رأس العين ، ورأس الدرب ، ورأس الناس ورأس الأمر ... ، فهذا المقيد غير ذاك المقيد ، ومجموع اللفظ الدال هنا غير مجموع اللفظ الدال هناك ، لكن اشتركا في بعض اللفظ كاشتراك كل الأسماء المعرفة في لام التعريف . ولو قدر أن الناطق باللغة نطق بلفظ رأس الإنسان أولاً ، لأن الإنسان يتصور رأسه قبل غيره ، والتعبير أولاً هو عما يتصوره أولاً . فالنطق بهذا المضاف أولاً لايمنع أن ينطق بمضاف إلى غيره ثانياً ، ولايكون هذا من المجاز كما في سائر المضافات . فإذا قيل :ابن آدم ، أولا ، لم يكن قولنا ، ابن الفرس ، وابن الحمار ، مجازا . وكذلك إذا قيل : بنت الإنسان ، لم يكن قولنا بنت الفرس ـ مجازاً . وكذلك إذا قيل : رأس الإنسان أولا ،لم يكن قولنا، رأس الفرس ـ مجازاً . وكذلك في سائر المضافات ، إذا قيل : يده أو رجله .فإذا قيل : هو حقيقة فيما أضيف إلى الحيوان . قيل : ليس جعل هذا هو الحقيقة بأولى من أن يجعل ما أضيف إلى رأس الإنسان ، ثم يضاف إلى ما يتصوره أكثر الناس من الحيوانات الصغار التي لم يخطر ببال عامّة الناطقين باللغة.فإذا قيل : إنه حقيقة في هذا، فلما ذا لايكون حقيقة في رأس الجبل، والطريق ، والعين ؟ وكذلك سائر مايضاف إلى الانسان من أعضائه وأولاده ومساكنه ، يضا؛ مثله إلى غيره ، ويضاف ذلك إلى الجمادات ، فيقال : رأس الجبل ، ورأس العين ، وخطم الجبل ـ أي أنفه ـ وفم الوادي ، وبطن الوادي ، وظهر الجبل ، وبطن الأرض وظهرها، ويستعمل مع الأنف، وهو لفظ الظاهر والباطن في أمور كثرة .

والمعني في الجميع : أنّ الظاهر لما ظهر فتبين ، والباطن لما بطن فخفي . وسمي ظهر

١. سورة المائدة : الآية ٦.

الإنسان ظهراً لظهوره، وبطن الإنسان بطناً لبطونه، فإذا قيل: إن هذه حقيقة، وذاك مجاز، لم يكن هذا أولى من العكس. وأيضاً من الاسماء ماتكلم به أهل اللغة مفرداً، كلفظ الإنسان ونحوه. ثم قد يستعمل مقيداً بالإضافة ـ كقولهم: إنسان العين، وإبرة الذراع، ونحو ذلك ـ وبتقدير أن يكون في اللغة حقيقة ومجاز، فقد ادعى بعضهم أن هذا من المجاز، وهو غلط فإن المجاز؛ هو اللفظ المستعمل في غير ماوضع له أولاً، وهذا لم يستعمل اللفظ بل ركب مع لفظ آخر، فصار وضعاً آخر بالإضافة. فلو استعمل مضافاً في معنى، ثم استعمل بتلك الإضافة في غيره، كان مجازاً. بل إذا كان (بعلبك وحضرموت ونحوهما) مما يركب تركيب مزج ـ بعد أن كان الأصل فيه الإضافة ـ لايقال: إنه مجاز، فمالم ينطق به إلا مضافاً أولى أن لايكون مجازاً. وأما من فرّق بين الحقيقة والمجاز، بأن الحقيقة: مايفيد المعنى مجرداً عن القرائن، والمجاز: مالايفيد ذلك المعنى إلا مع قرينة. أو قال: الحقيقة مايفيده اللفظ المطلق، والمجاز مالا يفيد إلا مع التقييد. أو قال: الحقيقة هو المعنى الذي يسبق إلى الذهن عند الإطلاق، والمجاز مالايسبق إلى الذهن. أو يقال: المجاز ماصح نفيه، والحقيقة مالم يصح نفيها. فإنه يقال: ماتعنى بالتجريد عن القرائن، والاقتران بالقرائن؟ إن عنى بذلك: القرائن اللفظية، مثل كون الاسم يستعمل مقروناً بالإضافة، أولام التعريف، ويفيد بكونه فاعلاً ومفعولاً ومبتدأ وخبراً، فلا يوجد قط في الكلام المؤلف اسم إلا مقيداً. وكذلك الفعل، إن عنى بتقييده أنه لابدّ له من فاعل. وقد يقيد بالمفعول به، وظرفي الزمان والمكان، والمفعول له ومعه، والحال، فالفعل لايستعمل قط إلا مقيدا. وأما الحرف فأبلغ، فإن الحرف أتى به لمعنى في غيره. ففي الجملة لا يوجد قط ـ في كلام تام ـ اسم ولا فعل ولا حرف إلا مقيدا بقيود تزيل عنه الإطلاق. فإن كانت القرينة مايمنع الإطلاق عن كل قيد، فليس في الكلام الذي يتكلم به جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد، سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية. فلهذا كان لفظ الكلام والكلمة في لغة العرب ـ بل وفي لغة غيرهم ـ لاتستعمل إلا في المقيد؛ وهو الجملة التامة ـ اسميةً كانت أو فعلية أو ندائية ـ إن قيل: إنها قسم ثالث. فأما مجرد الاسم والفعل أو الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فهذا لايسمى في كلام العرب قط كلمة، وإنما تسمية هذا (كلمة) اصطلاح نحويّ ـ كما سمّوا

بعض الألفاظ (فعلاً) وقسّموه إلى فعل ماضٍ ومضارع وأمر - والعرب لم تسمّ قط اللفظ فعلاً ، بل النحاة اصطلحوا على هذا فسمّوا اللفظ باسم مدلوله : فاللفظ الدال على حدوث فعل في زمن ماضٍ سمّوه فعلا ماضياً ... وكذلك سائرها . وكذلك حيث وجد في الكتاب والسنة ، بل وفي كلام العرب - نظمه ونثره - لفظ كلمة ، فإنما يراد به المفيد التي تسميها النحاة جملةً تامة ، لقوله تعالى : ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [٣] ، وقوله :﴿ وجعلها كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [٤] ، وقوله : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [٥] . وقول النبي ﷺ[٦]: « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيءٍ ماخلا الله باطل» ، وقوله [٧] : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، وقوله [٨] : « إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله مايظنّ أن تبلغ به مابلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه . وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظنّ أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه » ، وقوله [٩] : « لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزنت بما قلته منذ اليوم لوزنتهنّ : سبحان الله وبحمد عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد

١. سورة الكهف : الآية ٤ و ٥.
٢. سورة التوبة : الآية ٤٠.
٣. سورة آل عمران : الآية ٦٤.
٤. سورة الزخرف : الآية ٢٨.
٥. سورة الفتح : الآية ٢٦.
٦. صحيح البخاري في : ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ، ٢٦ - باب أيام الجاهلية ، عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ.
٧. صحيح البخاريّ في : ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٨ - باب قول الله تعالى : ونضع الموازين القسط ، عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ.
٨. جامع الترمذيّ في : ٣٤ - كتاب الزهد ، ١٢ - باب في قلة الكلام ، عن بلال ابن الحارث المزنّي ، صاحب رسول الله ﷺ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أحدكم...
٩. صحيح مسلم في: ٤٨ - كتاب الذكر ، حديث ٧٩ ، عن جويرية أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح ، وهي في مسجدها . ثم رجع بعد أن أضحى ، وهي جالسة . فقال: « مازلت على الحال التي فارقتك عليها » ؟ قالت : نعم ، قال النبي ﷺ : «لقد قلت بعدك أربع كلمات ، ثلاث مرات . لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ».

كلماته ».

وإذا كان كل اسم وفعل وحرف يوجد في الكلام فإنه مقيّد لا مطلق لم يجز أن يقال: اللفظ الحقيقة مادلّ مع الإطلاق والتجرّد عن كل قرينة تقارنه.

فإن قيل: أريد بعض القرائن دون بعض. قيل له: اذكر الفصل بين القرينة التى يكون معها حقيقة، والقرينة التي يكون معها مجاز، ولن تجد إلى ذلك سبيلاً تقديره على تقسيم صحيح معقول. ومما يدلّ على ذلك: أن الناس اختلفوا في العام إذا خصّ، هل يكون استعماله فيما بقى حقيقة أو مجازاً؟ وكذلك لفظ الأمر إذا أريد به الندب، هل يكون حقيقة أو مجازاً؟ وفي ذلك قولان لأكثر الطوائف: لأصحاب أحمد قولان، ولأصحاب الشافعيّ قولان، ولأصحاب مالك قولان، ومن الناس من ظنّ أن هذا الخلاف يطرد في التخصيص المتصل - كالصفة والشرط والغاية والبدل - وجعل يحكى في ذلك أقوال من يفصل، كما يوجد في كلام طائفة من المصنّفين في أصول الفقه، وهذا مما لم يعرف أن أحداً قاله، فجعل اللفظ العام المقيد في الصفات والغايات والشروط مجازاً، بل لما أطلق بعض المصنفين أن اللفظ العام إذا خصّ يصير مجازاً، ظنّ هذا الناقل أنه عنى التخصيص المتصل، وأولئك لم يكن في اصطلاحهم عام مخصوص إلاّ إذا خصّ بمنفصل، وأما المتّصل فلايسمّون اللفظ عاماً مخصوصاً، فإنه لم يدلّ إلاّ متصلاً، والاتصال منعه العموم. وهذا اصطلاح كثير من الأصوليين، وهو الصواب. لايقال لما قيد بالشرط والصفة ونحوهما: أنه داخل فيما خصّ من العموم، ولا في العام المخصوص، لكن يقيد، فيقال: تخصيص متصل، وهذا المقيّد لايدخل في التخصيص المطلق.

وبالجملة فيقال: إذا كان هذا مجازاً فيكون تقييد الفعل المطلق بالمفعول به، وبظرف الزمان والمكان - مجازاً. وكذلك بالحال، وكذلك كل ما قيد بقيد، فيلزم أن يكون الكلام كلّه مجازاً، فأين الحقيقة؟

فإن قيل: يفرق بين القرائن المتصلة والمنفصلة، فماكان مع القرينة المتصلة فهو حقيقة، وماكان من المنفصلة كان مجازاً. قيل: تعنى بالمتصل ماكان في اللفظ أو ماكان موجوداً حين الخطاب؟ فإن عنيت الأول لزم أن يكون ماعلم من حال المتكلم أو المستمع أولاً -

قرينة منفصلة . فما استعمل بلام التعريف لما يعرفانه كما يقول : قال النبى ﷺ. وهو عند المسلمين رسول الله ، أو قال الصديق وهو عندهم أبوبكر . وإذا قال الرجل لصاحبه : اذهب إلي الأمير أو القاضى أو الوالى ـ يريد ما يعرفانه أن يكون مجازاً . وكذلك الضمير يعود إلى معلوم غير مذكور، كقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ [١]، وقوله:﴿حتى توارت بالحجاب﴾ [٢] وأمثال ذلك ـ أن يكون هذا مجازاً . وهذا لايقوله أحد .

وأيضاً فإذا قال لشجاعٍ : هذا الأسد فعل اليوم كذا . أو لبليد : هذا الحمار قال اليوم كذا . أو لعالم ، أو جوادٍ : هذا البحر جرى منه اليوم كذا ـ أن يكون حقيقة ، لأن قوله هذا قرينة لفظية ، فلايبقى قط مجازاً ، وإن قال : المتصل أعم من ذلك . وهو ماكان موجوداً حين الخطاب . قيل له : فهذا أشد عليك من الأول . فإن كل متكلم بالمجاز لابد أن يقترن به حال الخطاب مابين مراده ، وإلا لم يجز التكلم به . فإن قيل : أنا أُجوز تأخير البيان عن مورد الخطاب إلى وقف الحاجة . قيل : أكثر الناس لايجوزون أن يتكلم بلفظ يدل على معنى ، وهو لايريد ذلك المعنى إلاّ إذا بيّن ، وإنما يجوزون تأخير بيان مالم يدل اللفظ عليه كالمجملات ، ثم يقول : إذا جوزت تأخير البيان ، فالبيان قد يحصل بجملة تامة ، وبأفعال من الرسول وبغير ذلك . ولايكون البيان المتأخر إلا مستقلاً بنفسه . لايكون مما يجب اقترانه بغيره . فإن جعلت هذا مجازاً لزم أن يكون مايحتاج في العمل إلى بيان مجازاً . كقوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [٣] ثم يقال : هب أن هذا جائز عقلاً ، لأنه ليس واقعاً في الشريعة أصلاً، وجميع مايذكر من ذلك باطل كما قد بسط في موضعه ، فإن الذين قالوا : الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يؤخر بيانه ، احتجوا بقوله ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [٤] وادعوا أنها كانت معيّنة ، وأخر بيان التعيين . وهذا خلاف ما استفاض عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، من أنهم أمروا ببقرة مطلقة . فلو أخذوا بقرة من البقر فذبحوها أجزأ عنهم . ولكن شددوا فشدد الله عليهم . والآية نكرة في سياق الإثبات ، فهى مطلقة . والقرآن يدل سياقه على أن الله ذمّهم على السؤال بما هي ؟ ولوكان

١ . سورة الدخان : الآية ٣.

٢ . سورة ص : الآية ٣٢.

٣ . سورة التوبة : الآية ١٠٣.

٤ . سورة البقرة : الآية ٦٧.

المأمور به معيناً لماكانوا ملومين . ثم إن مثل هذا لم يقع قط في أمر الله رسوله أن يأمر عباده بشيء معين ويبهمه عليهم مرة بعد مرة ، ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء ، واحتجوا بأن الله أخر بيان لفظ الصلاة و الزكاة والحج. وأن هذه ألفاظ لها معانى في اللغة . بخلاف الشرع . وهذا غلط . فإن الله إنما أمرهم بالصلاة بعد أن عرفوا ما المأمور به . وكذلك الصيام . وكذلك الحج ولم يؤخر الله قط بيان شيء من هذه المأمورات . ولبسط هذه المسألة موضع آخر .

وأما قول من يقول : إن الحقيقة ؛ مايسبق إلى الذهن عند الإطلاق ،فمن أفسد الأقوال .فإنه لايقال : إذاكان اللفظ لم ينطق به إلا مقيداً فإنه يسبق إلى الذهن في كل موضع منه مادل عليه ذلك الموضع ، وأما إذا أطلق فهو لا يستعمل في الكلام مطلقاً قط . فلم يبق له حال إطلاق محض ، حتى يقال : إن الذهن يسبق إليه أم لا . وأيضاً ، فأى ذهن ؟ فإن العربيّ الذي يفهم كلام العرب يسبق إلى ذهنه من اللفظ مالا يسبق إلى ذهن النبطيّ الذى صار يستعمل الألفاظ في غير معانيها . ومن هنا غلط كثير من الناس . فإنهم قد تعودوا مااعتادوه . إما من خطاب عامتهم ، وإما من خطاب علمائهم ، باستعمال اللفظ في معنى ، فإذا سمعوه في القرآن والحديث ظنوا أنه مستعمل في ذلك المعنى . فيحملون كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية وعادتهم الحادثة . وهذا مما دخل به الغلط على طوائف . بل الواجب أن يعرفوا اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسنة ، وماكان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ . فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله . لابما حدث بعد ذلك . وأيضاً ، فقد بينا في غير هذا الموضع أن الله ورسوله لم يدع شيئاً من القرآن والحديث إلا بين معناه للمخاطبين ، ولم يحوجهم إلى شيء آخر . كما قد بسطنا القول فيه في غير هذا الموضع . فقد تبين أن مايدعيه هؤلاء من اللفظ المطلق من جميع القيود لا يوجد إلا مقدّراً في اللسان . لا موجوداً في الكلام المستعمل . كما أن مايدعيه المنطقيون من المعنى المطلق من جميع القيود ، لايوجد إلا مقدرا في الذهن ، لايوجد في الخارج شيء موجود خارج عن كل قيد . ولهذا كان مايدعونه من تقسيم العلم إلى تصور وتصديق وإن التصور هو تصور المعنى الساذج الخالي عن كل قيد ـ لايوجد . وكذلك مايدعونه من البسائط التى تتركب منها الأنواع . وأنها أمور مطلقة عن كل قيد ـ لاتوجد .

ومايدعونه من أن واجب الوجود هو وجود مطلق عن كل أمر ثبوتي ـ لايوجد . فهذه الصفات المطلقات عن جميع القيود ينبغي معرفتها لمن ينظر في هذه العلوم . فإنه بسبب ظن وجودها ظن طوائف في العقليات والسمعيات . بل إذا قال العلماء: مطلق ومقيد ،إنما يعنون به مطلق عن ذلك القيد ومقيد بذلك القيد .كما يقولون « الرقبة » مطلقة في آية كفارة اليمين ، ومقيدة في آية القتل . أى مطلقة عن قيد الايمان .وإلا فقد قيل ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾(١) فقيدت بأنها رقبة واحدة . وأنها هى موجودة . وأنها تقبل التحرير . والذين يقولون بالمطلق المحض، يقولون: هو الذى لايتصف بوحدة ولاكثرة، لاوجود ولا عدم، ولاغير ذلك . بل هو الحقيقة من حيث هى هى. كما يذكره الرازيّ تلقياً له عن ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة . وقد بسطنا الكلام في هذا الإطلاق والتقييد والكليات والجزئيات في مواضع غير هذا . وبينا من غلط هؤلاء في ذلك ماليس هذا موضعه . وإنما المقصود هنا الإطلاق اللفظيّ . وهو أن يتكلم باللفظ مطلقاً عن كل قيد . وهذا لا وجود له . وحينئذ فلا يتكلم أحد إلا بكلام مؤلف مقيد مرتبط بعضه ببعض . فتكون تلك القيود ممتنعة الإطلاق .

فتبين أنه ليس لمن فرق بين الحقيقة والمجاز فرق معقول يمكن التمييز بين نوعين . فعلم أن هذا التقسيم باطل . وحينئذ فكل لفظ موجود في كتاب الله ورسوله ، فإنه مقيّد بما يبين معناه . فليس في شيء من ذلك مجاز . بل كله حقيقة . ولهذا لمّا ادعى كثير من المتأخرين أن في القرآن مجازاً ، وذكروا مايشهد لهم ، رد عليهم المنازعون جميع ماذكروه، فمن أشهر ما ذكروه قوله تعالى : ﴿ جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ (٢) قالوا : والجدار ليس بحيوان والإرادة إنما تكون للحيوان . فاستعمالها في ميل الجدار مجاز .

فقيل لهم : لفظ الإرادة قد استعمل في الميل الذى يكون معه شعور . وهو ميل الحى . وفي الميل الذى لا شعور فيه . وهو ميل الجماد . وهو من مشهور اللغة. يقال : هذا السقف يريد أن يقع . وهذه الأرض تريد أن تحرث . وهذا الزرع يريد أن يسقى . وهذا الثمر يريد أن يقطف ، وهذا الثوب يريد أن يغسل . وأمثال ذلك . واللفظ إذا استعمل في معنيين فصاعدا، فإما أن يجعل حقيقة في أحدهما، مجازاً في الآخر ، أو حقيقة فيما يختص به كل

---

١. سورة المجادلة : الآية ٣.
٢. سورة الكهف : الآية ٧٧.

منهما ، فيكون مشتركا اشتراكا لفظيا ، أو حقيقة في القدر المشترك بينهما ، وهي الأسماء المتواطئة وهي الأسماء العامة كلها. وعلى الأول يلزم المجاز .وعلى الثاني يلزم الاشتراك . وكلاهما خلاف الأصل . فوجب أن يجعل من المتواطئة . وبهذا يعرف عموم الأسماء العامة كلها . وإلاّ كثرة الاستعمال في ميل الحيوان . لكن يستعمل مقيدا بما يبين أنه أريد ميل الجماد . والقدر المشترك بين مسميات الأسماء المواطئة أمر كلي عام . لايوجد كليّا عاماً إلا في الذهن . وهومورد التقسيم بين الأنواع . لكن ذلك المعنى العام الكلي كان أهل اللغة لايحتاجون إلى التعبير عنه . لأنهم إنما يحتاجون إلى مايوجد في الخارج ، وإلى ما يوجد في القلوب في العادة ، ومالا يكون في الخارج إلا مضافاً إلى غيره ، لايوجد في الذهن مجرداً . بخلاف لفظ الإنسان والفرس ، فإنه لماكان يوجد في الخارج غير مضاف تعوّدته الأذهان ، ومسمى الفرس بخلاف تصور مسمى الإرادة ومسمى العلم ومسمى القدرة ومسمى الوجود المطلق العام . فإن هذا لايوجد في اللغة لفظ مطلق يدل عليه ، بل لايوجد لفظ الإرادة إلا مقيداً بالمريد . ولا لفظ العلم إلا مقيداً بالعالم . ولا لفظ القدرة إلامقيداً بالقادر . بل وهكذا سائر الأعراض ، لمّا لم توجد الا في محالها مقيدةً بها ، لم يكن في اللغة لفظ إلاكذلك . فلا يوجد في اللغة لفظ السواد والبياض ، والطول والقصر إلامقيداً بالأسود والأبيض والطويل والقصير . ونحو ذلك . لامجرداً عن كل قيد . وإنما يوجد مجردا في كلام المصنفين في اللغة . لأنهم فهموا من كلام أهل اللغة مايريدون به من القدر المشترك . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ (١) فإن من الناس من يقول : الذوق حقيقة في الذوق بالفم . واللباس مما يلبس على البدن ، وإنما استعير هذا وهذا وليس كذلك ، بل قال الخليل : الذوق في لغة العرب هو وجود طعم الشيء . والاستعمال يدل على ذلك . قال تعالى :﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ (٢) وقال : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٣) وقال ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ (٤) وقال :

---

١. سورة النحل : الآية ١١٢.
٢. سورة السجدة : الآية ٢١.
٣. سورة الدخان : الآية ٤٩.
٤. سورة الطلاق : الآية ٩.

﴿ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَاكُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١) و ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (٢) و ﴿ لَايَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾ (٣) و ﴿ لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَاشَرَاباً إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ (٤).

وقال النبي (٥): « ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً » وفي بعض الأدعية: أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك. فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته. فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بمايكون بالفم ـ تحكم منه. لكن ذاك مقيد. فيقال: ذقت الطعام وذقت هذا الشراب، فيكون معه من القيود مايدل على أنه ذوق بالفم. وإذاكان الذوق مستعملاً فيما يحسّه الإنسان بباطنه أو بظاهره، حتى الماء الحميم، يقال: ذاقه، فالثوب إذا كان بارداً أو حاراً، يقال: ذقت حره وبرده. وأما لفظ اللباس، وهو مستعمل في كل مايغشى الإنسان فيلتبس به، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ﴾ (٦)، وقال ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (٧)، وقال: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (٨). ومنه يقال: لبس الحق بالباطل، إذا خلط به حتى غشاه فلم يتميز. فالجوع الذى يشمل ألمه جميع الجائع، نفسه وبدنه، وكذلك الخوف الذي يلبس البدن، لو قيل: فأذاقها الله الجوع والخوف، لم يدل ذلك على أنه شامل بجميع أجزاء الجائع. بخلاف ما إذا قيل: لباس الجوع والخوف، ولو قال: فألبسهم ـ لم يكن فيه مايدل على أنهم ذاقوا مايؤلمهم، إلا بالعقل، من حيث أنه يعرف الجائع الخائف يألم. بخلاف لفظ ذوق الجوع والخوف. فإن هذا اللفظ يدل على الاحساس بالمؤلم. وإذاأضيف إلى الملذ دل على الإحساس به. كقوله ﷺ: «ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً». فإن قيل: فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق؟ قيل: لأن الذوق يدل على جنس الإحساس. ويقال: ذاق الطعام لمن وجد طعمه وإن لم يأكله. وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لايقتصر فيه على الذوق. بل استعمل لفظ الذوق في النفي. كما قال عن أهل النار: ﴿ لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً

---

١. سورة الأنعام: الآية ٣٠.
٢. سورة القمر: الآية ٣٧.
٣. سورة الدخان: الآية ٥٦.
٤. سورة النبأ: الآية ٢٤ و ٢٥.
٥. صحيح مسلم في: ١ ـ كتاب الإيمان، حديث ٥٦.
٦. سورة النبأ: الآية ١٠.
٧. سورة الأعراف: الآية ٢٦.
٨. سورة البقرة: الآية ١٨٧.

وَلاَشَرَاباً﴾[١] أي لايحصل لهم من ذلك ولا ذوق. وقال عن أهل الجنة: ﴿ لاَيَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾[٢]. وكذلك مالدعوا أنه مجاز في القرآن: لفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضاف إلى الله. وزعموا أنه مسمى باسم مايقابله، عن طريق المجاز. وليس كذلك. بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لايستحق العقوبة كانت ظلماً له. وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجنيّ عليه، عقوبة بمثل فعله ـ كانت عدلاً. كما قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾[٣] فكاد له كما كادت إخوته، لما قال له أبوه: ﴿ لاَتَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾[٥]، وقال: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَيَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾[٦]، وقال: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَيَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾[٧].

ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلا يستحق هذا الاسم. كما روى عن ابن عباس: أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار فيسرعون إليه فيغلق. ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون إليه فيغلق. فيضحك منهم المؤمنون. قال تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٨]. وعن الحسن البصريّ: إذا ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فيبقون في الظلمة. فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً. وقال بعضهم: استهزاؤه استدراجه لهم. وقيل: إيقاع استهزائهم وردّ خداعهم ومكرهم عليهم. وقيل: إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة. وقيل: هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه. وهذا كله حق. وهو استهزاء بهم حقيقة. وفي بعض الآثار: أن الله سبحانه يأمر بناس من الناس إلى الجنة، حتى إذا رأوها وشاهدوا مافيها من الكرامة، قال الله لملائكته: اصرفوهم عنها. لاحظ لهم فيها. قالوا: ياربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون في عذابنا. قال الله: ذلك أردت

١. سورة النبأ: الآية ٢٤.
٢. سورة الدخان: الآية ٥٦.
٣. سورة يوسف: الآية ٧٦.
٤. سورة يوسف: الآية ٥.
٥. سورة الطارق: الآية ١٥ و ١٦.
٦. سورة النمل: الآية ٥٠ و ٥١.
٧. سورة التوبة: الآية ٧٩.
٨. سورة المطففين: الآية ٣٤ـ٣٦.

بكم . إذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين متواضعين ، وإذا خلوتم بـارزتموني بـالعظائم . أجللتم الناس ولم تجلوني . وعظمتم الناس ولم تعظموني ، وخفتم الناس ولم تخافوني . فاليوم أذيقكم أليم عذابي كما حرمتكم جزيل ثوابي . ذكره ابن أبي الدنيا وغيره . ومن الامثلة المشهورة لمن يثبت المجاز في القرآن : ﴿ واسأل القرية ﴾ [1] المراد به أهلها . فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . فقيل لهم : لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحل ، وكلاهما داخل في الاسم ، ثم قد يعود الحكم على الحال ، وهو السكان ، وتارة على المحل ، وهو المكان . وكذلك في النهر يقال : حرفت النهر ، وهو المحل . وجرى النهر ، وهو الماء . ووضعت الميزاب ، وهو المحل. وجرى الميزاب ، وهو الماء وكذلك القرية . قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة ﴾ [2] وقوله : ﴿ وكم من قريةٍ أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون فماكان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾ [3] وقال في آية أخرى : ﴿ أَفَأَمِنَ أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ﴾ [4] فجعل القرى هم السكان . وقال : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلاناصر لهم ﴾ [5] وهم السكان . وكذلك قوله :﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾[6]، وقال تعالى : ﴿ أو كالذي مر على قريةٍ وهي خاوية على عروشها﴾ [7] فهذا المكان ، لاالسكان . لكن لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا . فلايسمى قرية إلا إذا كان قد عمر للسكنى .مأخوذ من القرى وهو الجمع . ومنه قولهم : قريت الماء في الحوض ، إذا جمعته فيه . ونظير ذلك لفظ الإنسان . يتناول الجسد والروح .ثم الأحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما . فكذلك القرية ، إذا عذب أهلها خربت ، وإذا خربت كان عذابا لأهلها . فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر . كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما. فقوله : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [8] ، مثل

---

١. سورة يوسف : الآية ٨٢.
٢. سورة النحل : الآية ١١٢.
٣. سورة الأعراف : الآية ٤ و ٥.
٤. سورة الأعراف : الآية ٩٧.
٥. سورة القتال : الآية ١٣.
٦. سورة الكهف : الآية ٥٩.
٧. سورة البقرة : الآية ٢٥٩.
٨. سورة يوسف : الآية ٨٢.

قوله :﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ [١] فاللفظ هنا يراد (به) السكان من غير اضمار ولاحذف .فهذا بتقدير أن يكون في اللغة مجاز، فلامجاز في القرآن . بل وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث . لم ينطق به السلف .و الخلف فيه على قولين . وليس النزاع فيه لفظيا . بل يقال : نفس هذا التقسيم باطل . لايتميز هذا عن هذا . ولهذا كان كل مايذكرونه من الفروق يبين أنها فروق باطلة . وكلما ذكر بعضهم فرقا أبطله الثاني . كما يدعى المنطقيون أن الصفات القائمة بالموصوفات تنقسم اللازمة لها إلى داخل في ماهيتها الثابتة في الخارج وإلى خارج عنها لازم للماهية، ولازم خارج للوجود . وذكروا ثلاثة فروق كلها باطلة. لأن هذا التقسيم باطل لاحقيقة له . بل مايجعلونه داخلا يمكن جعله خارجا وبالعكس . كما قد بسط في موضعه . وقولهم : اللفظ إن دل بلا قرينة فهو حقيقة ، وإن لم يدل إلا معها فهو مجاز - قد تبين بطلانه ، وأنه ليس في الألفاظ الدالة مايدل مجردا عن جميع القرائن . ولا فيها ما يحتاج إلى جميع القرائن . وأشهر أمثلة المجاز ؛ لفظ الأسد والحمار والبحر ونحو ذلك ، مما يقولون : إنه استعير للشجاع والبليد والجواد . وهذه لاتستعمل إلا مؤلفة مركبة مقيدة بقيود لفظية . كما تستعمل الحقيقة . كقول أبى بكر الصديق عن أبى قتادة [٢]، لما طلب غيره سلب القتيل : لاها الله ، إذا تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فنعطيك سلبه . فقوله : تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ، وصف له بالقوة بالجهاد في سبيله . وقد عينه تعينا أزال اللبس . وكذلك قوله

---

١ . سورة النحل : الآية ١٦ .

٢ . صحيح البخارى في :٥٧ -كتاب فرض الخمس ، ١٨ - باب من لم يخمس الأسلاب ، ومن قتل قتيلا فله سلبه. عن أبي قتادة رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين. فلما التقينا ،كانت للمسلمين جولة . فرأيت رجلا من المشركين علا رجلا من المسلمين ، فاستدرت حتى أتيته من ورائه حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه . فأقبل إلى فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت . ثم أدركه الموت فأرسلني . فلحقت عمر بن الخطاب فقلت : ما بال الناس ؟ قال : أمرالله . ثم إن الناس رجعوا . وجلس رسول الله ﷺ فقال : «من قتل قتيلا ، له عليه بينة ، فله سلبه » فقمت فقلت : من يشهد لى ؟ثم جلست. ثم قال: «من قتل قتيلا، له عليه بينة،فله سلبه » فقمت فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست . ثم قال الثالثة مثله . فقال رجل : صدق يارسول الله . وسلبه عندى . فأرضه عنى . فقال أبو بكر : لاها الله ، إذا يعمد إلى أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ يعطيك سلبه !! فقال النبى ﷺ : «صدق » . فأعطاه . فبعت الدرع فابتعت به مخرفا في بنى سلمة. فإنه لأول مال تأثلته فى الإسلام .

النبى ﷺ(1) : «إن خالدا سيف من سيوف الله ، سله الله على المشركين » وأمثال ذلك . وإن قال القائل : القرائن اللفظية موضوعة ، ودلالتها على المعنى حقيقة، لكن القرائن الحالية مجاز . قيل : اللفظ لايستعمل قط إلا مقيدا بقيود لفظية موضوعة . والحال حال المتكلم والمستمع ، لابد من اعتباره في جميع الكلام . فإنه إذا عرف المتكلم ، فهم من معنى كلامه مالايفهم إذا لم يعرف . (لأنه بذلك يعرف عادته في خطابه . واللفظ إنما يدل إذا عرف لغة المتكلم التى بها يتكلم . وهى عادته وعرفه التى يعتادها في خطابه . ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية إرادية اختيارية . فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى. فإذا اعتاد أن يعبر باللفظ عن المعنى كانت تلك لغة . ولهذا كل من كان له عناية بألفاظ الرسول ومراده بها ، عرف عادته في خطابه . وتبين له من مراده مالا يتبين لغيره . ولهذا ينبغى أن يقصد ، إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث ، أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله . فيعرف بذلك « لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التى يخاطب بها عباده». وهى العادة المعروفة من كلامه. ثم إذا كان لذلك نظائر في كلام غيره ، وكانت النظائر كثيرة ، عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة . لايختص بها هو ﷺ . بل هى لغة قومه . ولايجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب ، لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه . كما يفعله كثير من الناس . وقد لايعرفون انتفاء ذلك في زمانه . ولهذا كان استعمال القياس فى اللغة ، وإن جاز في الاستعمال ، فإنه لايجوز في الاستدلال . فإنه قد يجوز للإنسان أن يستعمل هواللفظ في نظير المعنى الذى استعملوه فيه ، مع بيان ذلك ، على ما فيه من النزاع . لكن لا يجوز أن يعمد إلى ألفاظ قد عرف استعمالها في معانى، فيحملها إلى غير تلك المعانى ، ويقول : إنهم أرادوا تلك « بالقياس على تلك» . بل هذا تبديل وتحريف . فإذا قال(2) :«الجار أحق بسقبه » فالجار هو الجار . ليس هو الشريك . فإن هذا لايعرف في لغتهم ، لكن ليس في اللفظ مايقتضى أنه يستحق الشفعة . لكن يدل على

---

١ . مسند الإمام أحمد حديث ٤٣، أن أبابكر عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة ، وقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : نعم العبد وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، وسيف من سيوف الله ، سله الله عزوجل على الكفار والمنافقين .

٢ . صحيح البخارى في : ٩٠ ـ كتاب الحيلة ، ١٥ ـ باب احتيال العامل ليهدى له . عن أبى رافع قال : قال النبى ﷺ : «الجار أحق بسقبه » .

أن البيع له أولى . وأما الخمر فقد ثبت بالنصوص الكثيرة والنقول الصحيحة أنها كانت اسما لكل مسكر . لم يسم النبيذ خمر بالقياس . وكذلك النباش كانوا يسمونه سارقا . كما قالت عائشة : سارق موتانا كسارق أحيانا . واللائط عندهم كانوا أغلظ من الزاني بالمرأة . ولابد ، في تفسير القرآن والحديث ، من أن يعرف مايدل على مراداله ورسوله من الألفاظ . وكيف يفهم كلامه. فمعرفة العربيةالتي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه . وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني . فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب . فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على مايدعونه أنه دال عليه . ولا يكون الأمر كذلك . ويجعلون هذه الدلالة حقيقة وهذه مجازا . كما أخطأ المرجئة في اسم الإيمان ، جعلوا لفظ الإيمان حقيقة في مجرد التصديق ، وتناوله للأعمال مجازاً .فيقال : إن لم يصح التقسيم إلى الحقيقة و المجاز ، فلا حاجة إلى هذا . وإن صح فهذا لاينفعكم .بل هو عليكم لا لكم . لأن الحقيقة هي اللفظ الذي يدل بإطلاقه بلا قرينة . والمجاز إنما يدل بقرينة . وقد تبين أن لفظ الإيمان ، حيث أطلق في الكتاب والسنة ، دخلت فيه الأعمال . وإنما يدعى خروجها منه عند التقييد . وهذا يدل على أن الحقيقة قوله [١]: « الإيمان بضع وسبعون شعبة » وأما حديث [٢] جبريل ، فإن كان أراد بالإيمان ماذكر مع الإسلام فهو كذلك . وهذا هو الذي أراده النبي ﷺ قطعاً . كما أنه لما ذكر الإحسان ، أراد الإحسان مع الإيمان والإسلام . لم يرد أن الإحسان مجرد عن إيمان وإسلام . ولو قدر أنه أريد بلفظ الإيمان مجرد التصديق ، فلم يقع ذلك إلا مع قرينة . فيلزم أن يكون مجازا .وهذا معلوم بالضرورة . لايمكننا المنازعة فيه بعد تدبر القرآن والحديث . بخلاف كون لفظ الإيمان في اللغة مرادفاً للتصديق . ودعوى أن الشارع لم يغيره ولم ينقله ، بل أراد به ماكان يريده أهل اللغة.

---

١ . صحيح مسلم في : ١ ـكتاب الإيمان ،حديث ٥٧ ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » .

٢ . صحيح البخاريّ في : ٢ ـكتاب الإيمان ، ٣٧ ـباب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام وعلم الساعة . عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس . فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان ؟ قال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ، وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث » قال : ماالإسلام ؟ قال « الإسلام أن تعبدالله ولاتشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » قال : ما الإحسان ؟ قال « أن تعبدالله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ... الخ .

بلا تخصيص ولا تقييد ـ فإن هاتين المقدمتين لايمكن الجزم بواحدة منهما . فلا يعارض اليقين . كيف ؟ وقدعرف فساد كل واحدة من المقدمتين وأنها من أفسد الكلام ، وأيضاً فليس لفظ الإيمان في دلالته على الأعمال المأمور بها ، بدون لفظ الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وفي دلالته على الصلاة الشرعية والصيام الشرعيّ والحج الشرعيّ ـ سواء قيل : إن الشارع نقله ،أوزاد الحكم دون الاسم ،أو زاد الاسم وتصرف فيه تصرف أهل العرف ، أو خاطب بالاسم مقيدا لا مطلقاً . فإن قيل : الصلاة والحج ونحوهما ، لو ترك بعضها بطلت . بخلاف الإيمان فانه لايبطل عند الصحابة وأهل السنة والجماعة بمجرد الذنب .قيل : إن أراد بالبطلان أنه لا تبرأ الذمة منها كلها فكذلك الإيمان الواجب ، إذا ترك منه شيئاً لم تبرأ الذمة منه كله . وإن أريد به وجوب الإعادة فهذا ليس على الإطلاق . فإن في الحج واجبات ، إذا تركها لم يعد . بل تجبر بدم . وكذلك في الصلاة عند أكثر العلماء إذا تركها سهوا أو مطلقاً وجبت الإعادة . فإنما يجب إذا أمكنت الإعادة . وإلا فماتعذرت إعادته مطالبا به كالجمعة ونحوها . وإن أريد بذلك أنه لايثاب على مافعله ، فليس كذلك . بل قد بيّن النبي ﷺ في حديث المسيء في صلاته أنه إذا لم يتمها يثاب على ما فعل ، ولا يكون بمنزلة من لم يصلّ . وفي عدة أحاديث ؛ أن الفرائض تكمل يوم القيامة من النوافل . فإذا كانت الفرائض مجبورة بثواب النوافل دل على أنه يعتدّ له بما فعل منها . فكذلك الإيمان ، إذا ترك منه شيئاً كان عليه فعله . إن كان محرماً تاب منه . وإن كان واجباً فعله . فإذا لم يفعله لم تبرأ ذمته منه . وأثيب على مافعله كسائر العبادات . وقد دلت النصوص على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان. وقد عدلت المرجئة ، في هذا الأصل ، عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان . واعتمدوا على رأيهم ، وعلى ماتأولوه بفهمهم اللغة . وهذه طريقة أهل البدع . ولهذاكان الإمام أحمد يقول : أكثر مايخطىء الناس من جهة التأويل والقياس . ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة الرافضة وغيرهم ، من أهل البدع ، يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وماتأولوه من اللغة . ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين . فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم . وإنما يعتمدون على العقل واللغة . وتجدهم لايعتمدون

على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف. وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم. وهذه طريقة الملاحدة أيضاً. إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة. وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها. هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء، إذ هي عندهم لاتفيد العلم، وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي ﷺ. وقد ذكرنا كلام أحمد وغيره في إنكار هذا وجعله طريقة أهل البدع. وإذا تدبرت حججهم، وجدت دعاوى لايقوم عليها دليل» انتهى»[١].

قال الزحيلي: وأما الاستعارة التي هي من المجاز اللغوي أي في الكلمة الواحدة لاكالمجاز العقلي فكثيرة أيضاً[٢]، مثل قوله تعالى: ﴿ **والصبح إذا تنفّس** ﴾[٣]. استعير خروج النفس شيئاً فشيئاً لخروج النور من المشرق عند ظهور الفجر قليلاً، ومثل قوله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً ...** ﴾[٤] شبه مال الأيتام بالنار، بجامع أن أكله يؤذي، كماتؤذي النار. ومثل قوله تعالى: ﴿ **كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور** ﴾[٥] أي لتخرج الناس من جهالاتهم وضلالاتهم إلى الدين القيم والعقيدة الحقة والعلم والأخلاق، شبه الجهالة والضلالة والعداوة بالظلام، في أن الإنسان لايهتدي إلى الطريق الواضح في كل منهما، وشبه الدين القيم بالنور في أن الانسان يهتدي إلى الطريق الواضح في كل منهما.

وأما المجاز: فأنكر جماعة من العلماء وجوده في القرآن منهم الظاهرية، وبعض الشافعية كأبي حامد الاسفراييني وابن القاصّ، وبعض المالكية كابن خويز منداد البصري، وابن تيمية وشبهتهم؛ أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزه عنه، وأن المتكلم لايعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله، فالجدار لايريد في قوله تعالى: ﴿ **يريد أن ينقضّ** ﴾[٦]. والقرية لاتسأل في قوله تعالى: ﴿ **واسأل القرية** ﴾[٧].

---

١. محاسن التأويل ج ١ ص ٢٢٢ـ ٢٤٩.
٢. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص ١٠٢ ومابعدها.
٣. سورة التكوير: الآية ١٨.
٤. سورة النساء: الآية ١٠.
٥. سورة ابراهيم: الآية ١.
٦. سورة الكهف: الآية ٧٧.
٧. سورة يوسف: الآية ٨٢.

لكن الذين تذوّقوا جمال الأسلوب القرآني، يرون أن هذه الشبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن لسقط منه شطر الحسن، مثل قوله تعالى: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك، ولاتبسطها كل البسط، فتقعد ملوماً محسوراً ﴾[١] دلت القرينة على أن المعنى الحقيقي غير مراد، وأن الآية تنهى عن كل من التبذير والبخل.

والكناية: «وهي لفظ أريد به لازم معناه» كثيرة أيضاً في القرآن: لأنها من أبلغ الأساليب في الرمز والإيماء، فالله تعالى رمز إلى الغاية من المعاشرة الزوجية، وهي التناسل، بلفظ (الحرث) في قوله: ﴿ نساؤكم حرث لكم، فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾[٢]، ووصف الله للعلاقة بين الزوجين، بما فيها من مخالطة وملابسة، بأنها لباس من كل منهما للآخر، في قوله: ﴿هن لباس لكم، وأنتم لباس لهنّ ﴾[٣] ورمز إلى الجماع بقوله سبحانه: ﴿ أو لامستم النساء﴾[٤] وقوله: ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم﴾ [٥]. وكنى عن عفة النفس وطهارة الذيل بقوله تعالى: ﴿ وثيابك فطهر ﴾[٦].

والتعريض: «وهو أن تذكر اللفظ وتستعمله في معناه، وتلوّح به إلى ماليس من معناه، لاحقيقة ولا مجازاً» مستعمل أيضاً في القرآن، مثاله: ﴿ وقالوا: لاتنفروا في الحر، قل: نار جهنم أشد حراً ﴾[٧] ليس المراد به ظاهر الكلام وهو ازدياد حر جهنم، وكونه أشد من حر الدنيا، ولكن الغرض الحقيقي هوا لتعريض بهؤلاء المتخلفين عن القتال، المعتذرين بشدة الحر، بأنهم سيردون جهنم، ويجدون حرها الذي لايوصف. ومنه قوله تعالى حكاية عن قول إبراهيم: ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾[٨] نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة، لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم، من عجز كبيرها عن ذلك الفعل، والإله لايكون عاجزاً)[٩].

---

١. سورة الاسراء: الآية ٢٩.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٢٣.
٣. سورة البقرة: الآية ١٨٧.
٤. سورة البقرة: الآية ٤٣.
٥. سورة البقرة: الآية ١٨٧.
٦. سورة المدثر: الآية ٤.
٧. سورة التوبة: الآية ٨١.
٨. سورة الانبياء: الآية ٦٣.
٩. المنير ـ ج ١ ص ٤١ ـ ٤٢.

حدوث القرآن

قال العياشي (ره) : « ١ ـ عن زراره قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن القرآن؟ فقال لي : «لا خالق ولا مخلوق ولكنه كلام الخالق »[1].

٢ ـ عن زرارة قال سألته عن القرآن أخالق هو؟ قال: لا ، قلت : أمخلوق؟ قال : « لا ولكنّه كلام الخالق » [يعني أنه كلام الخالق بالفعل] [2].

٣ ـ عن ياسر الخادم عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن القرآن ؟ فقال : « لعن الله المرجئة [3] ولعن الله أبا حنيفة [4] ، إنه كلام الله غير مخلوق حيث ما تكلّمت به ، وحيث ما قرأت ونطقت فهو كلام وخبر وقصص [5] »[6].

قال القرطبي : « قال علماؤنا رحمة الله عليهم : وفي فعل عثمان ردٌّ على الحُلولية [7]

---

١. البحار ج ١٩ : ٣١. البرهان ج ١ : ٨ وهذا الخبر وأشباهه مما يتمسك به في البحث عن مخلوقية القرآن وقد عنونه كثير من العلماء والمحدثين من الخاصة وغيرهم في كتبهم فراجع البحار ج ٢ : ١٤٧. وكتاب البيان في تفسير القرآن ج ١ : ٢٨٣ وكتاب الملل والنحل (ط مصر) ج ١ : ١١٧. وتاريخ الخلفاء : ٢٠٧ وغير ذلك.

٢. البحار ج ١٩ : ٣١. البرهان ج ١ : ٨.

٣. وهم الذين يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وقيل غير ذلك. البحار ج ١٩ : ٣١. البرهان ج ١ : ٩.

٤. وفي نسخة «أبا عيينة» والظاهر هو المختار. البحار ج ١٩ : ٣١. البرهان ج ١ : ٩.

٥. البحار ج ١٩ : ٣١. البرهان ج ١ : ٩.

٦. العياشي ج ١ ص ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩.

٧. الحلولية : فرقة من المتصوّفة تقول : إنّ الله حالٌّ في كل شيء وفي كل جزء منه متحد به حتى جوّزوا أن يطلق على كل شيء أنه الله . والحشوية : طائفة من المبتدعة تمسكوا بالظواهر وذهبوا إلى التجسيم وغيره.

والحَشْوِيّة القائلين بقدم الحروف والأصوات، وأنّ القراءة والتلاوة قديمة، وأنّ الإيمان قديم، والروح قديم؛ وقد أجمعت الأمة وكلُّ أمة من النصارى واليهود والبراهمة بل كلُّ ملحد وموحد، أنّ القديم لا يُفْعَل ولا تتعلق به قدرة قادر بوجه، ولا بسبب، ولا يجوز العدم على القديم وأنّ القديم لا يصير مُحْدَثاً، والمحدث لا يصير قديماً، وأنّ القديم مالا أوّل لوجوده، وأن المحدث هو ماكان بعد أنْ لم يكنْ؛ وهذه الطائفة خرقت إجماع العقلاء من أهل الملل وغيرهم؛ فقالوا: يجوز أن يصير المحدث قديماً، وأنّ العبد إذا قرأ كلام الله تعالى فعل كلاماً لله قديماً، وكذلك إذا نحت حروفاً من الآجُرّ والخشب، أو صاغ أحرفاً من الذهب والفضة، أو نسج ثوباً فنقش عليه آية من كتاب الله فقد فعل هؤلاء كلام الله قديماً، وصار كلامه منسوجاً قديماً ومنحوتاً قديماً ومصوغاً قديماً؛ فيقال لهم: ما تقولون في كلام الله تعالى، أيجوز أنْ يذاب ويمحى ويحرق؟ فإنْ قالوا: نعم، فارقوا الدِّين، وإنْ قالوا: لا، قيل لهم: فما قولكم في حروف مصوّرة آية من كتاب الله تعالى من شمع، أو ذهب أو فضة أو خشب أو كاغذ فوقعت في النار فذابت واحترقت، فهل تقولون: إنّ كلام الله احترق؟ فإنْ قالوا: نعم، تركوا قولهم؛ وإنْ قالوا: لا، قيل لهم أليس قلتم: إنّ هذه الكتابة كلام الله وقد احترقت! وقلتم: إن هذه الأحرف كلامه وقد ذابت؛ فإن قالوا: احترقت الحروف وكلامه تعالى باق، رجعوا إلى الحق والصواب ودانوا بالجواب؛ وهو الذي قاله النبيّ ﷺ منبّهاً على ما يقول أهل الحق: «ولو كان القرآن في إهاب ثم وقع في النار مااحترق». وقال الله عزّ وجلّ: «أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظاناً» الحديث، أخرجه مسلم.

فثبت بهذا أن كلامه سبحانه ليس بحرف ولا يشبه الحروف. والكلام في هذه المسألة يطول، وتتميمها في كتب الأصول، وقد بيّناها في (الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)» [١].

قال النيشابوري في أن كلام الله تعالى قديم أولا:

« ذكر قوم من أئمة الأمة أن كلام الله تعالى قديم بعد أن عنوا بكلامه هذه الحروف

---

١. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٥٥.

المنتظمة المسموعة. أما إن كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ﴾[١] ومعلوم أن المسموع ليس إلا هذه الحروف. وأما أنها قديمة، فلأن الكلام صفة الله تعالى، ومن المحال قيام الحادث بالقديم. وأيضاً كل حادث متغيّر والتغيّر على ذات الله تعالى وصفاته محال.

وزعم قوم أن الكلام المؤلف من الحروف والأصوات يمتنع أن يكون قديماً بالبديهة، وكيف لا وأنّها أصوات تحدث عن قارئها شيئاً بعد شيء. فلو قلنا إنها عين كلام الله تعالى لزمنا القول بأنّ الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى، وحالّة في بدن هذا الإنسان وهذا معلوم الفساد.

وجمع قوم بين المذهبين، فقالوا للشيء وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في العبارة، ووجود في الكتابة. فللقرآن وجود عيني، وهو القائم بذات الله تعالى وأنه قديم لا محالة لا يتطرق إليه شيء من سمات النقص. ووجود ذهني، كالحفاظ للقرآن. ووجود في العبارة، وهو على لسان القارىء. ووجود كتابي، وهو المثبت في المصاحف. ولا ريب أن القرآن من حيثيات هذه الموجودات حادث، بل القرآن إنما يطلق على المحفوظ وَالمتلو والمكتوب بالمجاز من حيث أنها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى.

واعلم أنه لا برهان على أن كل صوت بأنه يقوم بجسم، ولا على أنَّ كلّ حرف يقدر عليه ذو جارحة، بل لعل ذلك في الشاهد فقط؛ فالكلام للقديم كمال قديم، نطق وسمع وبصر ولا آلة، ولا جارحة؛ كما أنه أدرك وعلم من غير ما قوىً وعضو، ومن لم يدركه كما ينبغي لم يدرك إدراكه كما ينبغي فلا يلومنّ إلا نفسه. كلامه كتاب، وكتابه صواب، وقوله فصل، وحكمه عدل، ونوره ظهور، ووجوده شهود، وعِيانه بيان، والكفر بما سواه إيمان ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[٢]»[٣].

قال الآلوسي في تحقيق معنى ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق:

«إعلم أن هذه المسألة من أمهات المسائل الدينية والمباحث الكلامية كم زلت فيها

---

١. سورة التوبة: الآية ٦.

٢. سورة الرحمن: الآية ٢٦.

٣. غرائب القرآن ج ١ ص ٤٩ ـ ٥٠.

أقدام وضلّت عن الحق بها أقوام وهي وإن كانت مشروحة في كتب المتقدمين مبسوطة في زبر المتأخّرين لكنّني بحول من عز حوله وفضل من غمرنا فضله أوردها في هذا الكتاب ليتذكر أولوا الألباب ، بأسلوب عجيب وتحقيق غريب لا أظنّك شنّفت سمعك بمثل لآليه ، ولا نوّرت بصرك بشبه بدر لياليه ، فماء ولا كصدى ومرعى ولا كالسعدان :

وما كلّ زهر ينبت الروض طيب ولا كلّ كحل للنواظر أثمد

فأقول إن الانسان له كلام بمعنى التكلم الذي هو مصدر ، وكلام بمعنى المتكلم به الذي هو الحاصل بالمصدر . ولفظُ الكلام موضوع لغة للثاني قليلاً كان أو كثيراً حقيقة كان أو حكما . وقد يستعمل استعمال المصدر كما ذكره الرضي ، وكل من المعنيين إما لفظيّ أو نفسيّ.

فالأول من اللفظي فعل الانسان باللسان وما يساعده من المخارج.

والثاني منه كيفية في الصوت المحسوس .

والأول من النفسي فعل قلب الانسان ونفسه الذي لم يبرز إلى الجوارح .

والثاني كيفية في النفس إذ لا صوت محسوساً عادة فيها وإنما هو صوت معنوي مخيل . أما الكلام اللفظي بمعنييه فمحل وفاق .

وأما النفسي فمعناه الاول تكلم الانسان بكلمات ذهنية وألفاظ مخيّلة يرتبها في الذهن على وجه إذا تلفظ بها بصوت محسوس كانت عين كلماته اللفظية ، ومعناه الثاني هو هذه الكلمات الذهنية والألفاظ المخيّلة المرتّبة ترتيباً ذهنياً منطبقاً عليه الترتيب الخارجي ، والدليل على أن للنفس كلاما ، بالمعنيين ، الكتاب والسنة فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ **فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا** ﴾[1] فان (قال) بدل من (أسرّ) أو استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال في نفسه في ذلك الاسرار فقيل : ﴿ **قال أنتم شرّ مكاناً** ﴾ . وعلى التقديرين فالآية دالة على أن للنفس كلاماً بالمعنى المصدري ، وقولاً بالمعنى الحاصل بالمصدر ، وذلك من أسرّ والجملة بعدها وقوله تعالى: ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى** ﴾[2] وفسر النبي ﷺ السرّ بما أسرّه ابن آدم في نفسه. وقوله تعالى :

---

١. سورة يوسف : الآية ٧٧.

٢. سورة الزّخرف : الآية ٨٠.

﴿واذكر ربك في نفسك﴾[١] وقوله تعالى: ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لوكان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا﴾[٢] أي يقولون في أنفسهم كما هو الاسرع انسياقاً الى الذهن، والآيات في ذلك كثيرة. ومن الأحاديث ما رواه الطبراني عن أم سلمة أنّها سمعت رسول الله ﷺ وقد سأله رجل فقال: «إني لأحدث نفسي بالشيء لو تكلّمت به لأحبطت أجري فقال لا يلقىٰ ذلك الكلام إلا مؤمن» فسمى ﷺ ذلك الشيء المحدّث به كلاماً مع أنه كلمات ذهنية. والاصل في الاطلاق الحقيقة ولا صارف عنها. وقوله تعالى في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» الحديث. وفيه دليل على أن للعبد كلاما نفسياً بالمعنيين، وللرب أيضاً كلاماً نفسياً كذلك ولكن اين التراب من رب الارباب؟

فالمعنى الاول للحق تعالى شأنه صفة أزلية منافية للآفة الباطنية التي هي بمنزلة الخرس في التكلم الانساني اللفظي، ليس من جنس الحروف والالفاظ أصلاً، وهي واحدة بالذات تتعدّد تعلّقاتها بحسب تعدد المتكلم به، وحاصل الحديث من تعلق تكلمه بذكر اسمي تعلق تكلمي بذكر اسمه، والتعلق من الامور النسبية الّتي لا يضر تجددها، وحدوث المتعلق انما يلزم في التعلق التنجيزي ولا ننكره، واما التعلق المعنوي التقديري ومتعلقه فأزليان، ومنه ينكشف وجه صحة نسبة السكوت عن أشياء رحمة غير نسيان كما في الحديث، إذ معناه أنّ تكلّمه الأزلي لم يتعلّق ببيانها مع تحقق اتصافه ازلاً بالتكلم النفسي، وعدم هذا التعلق الخاص لا يستدعي انتفاء الكلام الازلي كما لا يخفى.

والمعنى الثاني له تعالى شأنه كلمات غيبية وهي ألفاظ حكمية مجردة عن المواد مطلقاً نسبية كانت أو خيالية أو روحانية، وتلك الكلمات أزلية مترتبة من غير تعاقب في الوضع الغيبي العلمي لا في الزمان إذ لا زمان، والتعاقب بين الأشياء من توابع كونها زمانية ويقرّبُهُ من بعض الوجوه وقوع البصر على سطور الصفحة المشتملة على كلمات مرتبة في الوضع الكتابي دفعةً مع كونها مترتبة لا تعاقب في ظهورها، فجميع معلومات الله الذي هو نور السماوات والارض مكشوفة له أزلاً، كما هي مكشوفة له فيما لا يزال، ثم تلك

١. سورة الاعراف: الآية ٢٠٥.
٢. سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

الكلمات الغيبية المترتّبة ترتباً وضعياً أزلياً يقدّر بينها التعاقب فيما لا يزال ، والقرآن كلام الله تعالى المنزل بهذا المعنى فهو كلمات غيبية مجردة عن المواد مترتبة فى علمه أزلاً غير متعاقبة تحقيقاً ، بل تقديراً عند تلاوة الألسنة الكونية الزمانية ، ومعنى تنزيلها إظهار صورها فى المواد الروحانية والخيالية والحسية من الالفاظ المسموعة والذهنية والمكتوبة ، ومن هنا قال السنيون : القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، وهو مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور مقروء بالألسن مسموع بالأذان غير حالّ فى شيء منها ، وهو فى جميع هذه المراتب قرآن حقيقة شرعية معلوم من الدين بالضرورة ، فقولهم غير حالّ إشارة إلى مرتبته النفسيه الازلية فانه من الشئون الذاتية ولم تفارق الذات ولا تفارقها أبداً ، ولكن الله تعالى أظهر صورها فى الخيال والحس فصارت كلمات مخيلة وملفوظة مسموعة ومكتوبة مرئية ، فظهر فى تلك المظاهر من غير حلول إذ هو فرع الانفصال وليس فليس ، فالقرآن كلامه تعالى غير مخلوق وإن تنزل فى هذه المراتب الحادثة ، ولم يخرج عن كونه منسوباً اليه (أما) فى مرتبة الخيال فلقوله ﷺ : «أغنى الناس حملة القرآن من جعله الله تعالى فى جوفه» ، وأما فى مرتبة اللفظ فلقوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾[1] ، وأما فى مرتبة الكتابة فلقوله تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ﴾[2] ، وقول الامام أحمد : لم يزل الله متكلماً كيف شاء وإذا شاء بلاكيف إشارة إلى مرتبتين ، فالأول إلى كلامه فى مرتبة التجلي والتنزل الى مظهر له كقوله ﷺ : «إذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان» الحديث ، والثانى الى مرتبة الكلام النفسى إذ الكيف من توابع مراتب التنزّلات ، والكلام النفسى فى مرتبة الذات مجرد عن المادة فارتفع الكيف بارتفاعها .

فالحاصل لم يزل الله تعالى متكلماً وموصوفاً بالكلام من حيث تجلي ومن حيث لا ، فمن حيث تجلّيه فى مظهر لكلامه كيف وإذا شاء لم يتكلم بما اقتضاه مظهر تجليه فيكون متكلماً بلاكيف كما كان ولم يزل .

والأشعرى اذا حقّقت الحال وجدته قائلاً : بأن لله تعالى كلاماً بمعنى التكلم وكلاماً

---

١. سورة الاحقاف : الآية ٢٩.

٢. سورة البروج : الآية ٢٢.

بمعنى المتكلَم به وأنه بالمعنى الثاني لم يزل متصفاً بكونه أمراً ونهياً وخبراً ، فإنّها أقسام المتكلّم به وأنّ الكلام النفسي بالمعنى الثاني حروفه غير عارضة للصوت في الحق والخلق ، غير أنها في الحق كلمات غيبية مجردة عن المواد أصلاً إذا كان الله تعالى ولم يكن شيء غيره ، وفي الخلق كلمات مخيلة ذهنية فهي في مادة خيالية ، فكلمات الكلام النفسي في جنابه تعالى كلمات حقيقية لكنها ألفاظ حكمية ، ولا يشترط اللفظ الحقيقي في كون الكلمة حقيقية ، إذ قد أطلق الفاروق الكلمة على أجزاء مقالته المخيلة في خبر يوم السقيفة [1] والاصل في الاطلاق الحقيقة ، فالاجزاء كلمات حقيقية لغوية مع أنها ليست ألفاظاً كذلك إذ ليست حروفها عارضة لصوت ، واللفظ الحقيقي ما كانت حروفه عارضة وهو لكونه صورة اللفظ النفسي الحكمي دال عليه ، وهو دال في النفس على معناه بلاشبهة ولا انفكاك ، فيصدق على اللفظ النفسي بمعناه أنه مدلول اللفظ الحقيقي ومعناه ، فتفسير المعنى النفسي المشهور عن الأشعري بمدلول اللفظ وحده كما نقله صاحب المواقف[2] عن الجمهور ، لا ينافي تفسيره بمجموع اللفظ والمعنى كما فسره هو أيضا وذلك بأن يحمل اللفظ في قوله على النفسي وفي قول الجمهور على الحقيقي ، ولا شك حينئذ أن مجموع النفسي ومعناه من حيث المجموع يصدق عليه أنه مدلول اللفظ الحقيقي وحده ، لأن اللفظ الحقيقي لكونه صورة النفسي في مرتبة تنزله دال عليه ، ويدل على أن المراد المجموع قول إمام الحرمين في الإرشاد : «ذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس وهو القول أي المقول الذي يدور في الخلد وهو اللفظ النفسي الدال على معناه بلا انفكاك ـ نعم عبارة صاحب المواقف غير واضحة في المقصود ـ وله مقالة مفردة في ذلك».

ومحصولها كما قال السيد (قدس سره) : إنَّ لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ وأخرى على الأمر القائم بالغير ، فالشيخ لما قال الكلام النفسي هو المعنى النفسي ، فهم الأصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم عنده، وأما العبارات فانما تسمى

---

١ . حيث قال : فلما سكت أن خطيب الانصار : أردت أن اتكلّم وكنت زوّرت في نفسي مقالة أعجبتني أريد ان اقدمها بين يدي أبي بكر ـ الى أن قال ـ فكان هو أعلم مني وأوقر والله ما ترك في كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها ـ الاثر بطوله اهـ منه .

٢ . كتاب المواقف الجزء الثالث ص ٢٨١ .

كلاماً مجازاً لدلالته على ما هو كلام حقيقى حتى صرحوا بأن الألفاظ خاصة حادثة على مذهبه أيضا لكنها ليست كلامه حقيقة ، وهذا الذى فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة ، كعدم تكفير من أنكر كلامية ما بين دفتى المصحف مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة ، وكعدم المعارضة والتحدى بكلام الله الحقيقى ، وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة ، إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن فى الاحكام الدينية ، فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثانى فيكون الكلام النفسى عنده أمراً شاملاً للفظ والمعنى جميعاً قائماً بذات الله تعالى ، وهو مكتوب فى المصاحف مقروء بالألسن محفوظ فى الصدور وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ الحادثة.

وما يقال من أن الحروف والألفاظ مترتبة متعاقبة ، فجوابه أن ذلك الترتب إنما هو فى التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة ، فالتلفظ حادث والادلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوثه دون حدوث الملفوظ جمعاً بين الأدلة ، وهذا الذى ذكرناه وإن كان مخالفاً لما عليه متأخرو أصحابنا إلا أنه بعد التأمل تعرف حقّيته انتهى .

واعترضه الدوانى بوجوه قال :

أما أولاً ـ فلأنّ مذهب الشيخ أن كلامه تعالى واحد وليس بامر ولا نهى ولا خبر وإنما يصير أحد هذه الامور بحسب التعلق ، وهذه الاوصاف لا تنطبق على الكلام اللفظى وإنما يصح تطبيقها على المعنى المقابل للفظ بضرب من التكلف.

وأما ثانياً ـ فلأنّ كون الحروف والالفاظ قائمة بذاته تعالى من غير ترتب يفضى إلى كون الاصوات مع كونها أعراضاً سيّالة موجودة بوجود لا تكون فيه سيّالة ، وهو سفسطة من قبيل أن يقال الحركة توجد فى بعض الموضوعات من غير ترتب وتعاقب بين أجزائها.

وأما ثالثاً ـ فلأنه يؤدى إلى أن يكون الفرق بين ما يقوم بالقارىء من الالفاظ ، وبين مايقوم بذاته تعالى باجتماع الأجزاء وعدم اجتماعها بسبب قصور الآلة فنقول : هذا الفرق إن أوجب اختلاف الحقيقة فلا يكون القائم بذاته من جنس الالفاظ ، وإن لم يوجب وكان ما يقوم بالقارىء وما يقوم بذاته تعالى حقيقة واحدة ، والتفاوت بينهما إنما يكون باجتماعه وعدمه اللذين هما من عوارض الحقيقة الواحدة كان بعض صفاته الحقيقية

مجانساً لصفات المخلوقات .

وأما رابعاً ـ فلأنّ لزوم ما ذكره من المفاسد وهم ، فان تكفير من أنكر كون ما بين الدفتين كلام الله تعالى إنما هو إذا اعتقد أنه من مخترعات البشر ، أما اذا اعتقد أنه ليس كلام الله بمعنى أنه ليس بالحقيقة صفة قائمة بذاته بل هو دال على الصفة القائمة بذاته لا يجوز تكفيره أصلاً ، كيف وهو مذهب أكثر الاشاعرة ما خلا المصنف وموافقيه . وما علم من الدين من كون ما بين الدفتين كلام الله تعالى حقيقة إنما هو بمعنى كونه دالاً على ما هو كلام الله تعالى حقيقة ، لا على أنه صفة قائمة بذاته تعالى . وكيف يدعى أنه من ضروريات الدين مع أنه خلاف ما نقله عن الاصحاب ؟! وكيف يزعم أن هذا الجم الغفير من الاشاعرة أنكروا ما هو من ضروريات الدين حتى يلزم تكفيرهم ؟! حاشاهم عن ذلك .

وأما خامساً ـ فلأنّ الأدلة الدالة على النسخ لا يمكن حملها على التلفظ بل ترجع الى الملفوظ ، كيف وبعضها مما لا يتعلق النسخ بالتلفظ به كالذي نسخ حكمه وبقيت تلاوته ؟ انتهى .

والجواب أما عن الاول فهو أن الحق عز اسمه له كلام بمعنى التكلم وكلام بمعنى المتكلم به . وما هو أمر واحد ، المعنى الأول وهو صفة واحدة تتعدد تعلقاتها بحسب تعدد المتكلم به من الكتب والكلمات ، وأنها ليست من جنس الحروف والالفاظ أصلاً لا الحقيقية ولا الحكمية ، وما ذكر في الاعتراض ينطبق عليه بلا كلفة ، والدليل على أن المنعوت بهذه الاوصاف عند الشيخ هو المعنى الاول ، ما نقل الامام أن الكلام الازلي لم يزل متصفاً بكونه أمراً نهياً خبراً ولا شك أن هذه هي أقسام المتكلم به ، وكل من كان قائلاً بانقسام الثاني كان المنعوت بالوحدة ذاتاً والتعدد تعلقاً المعنى الأول عنده جمعاً بين الكلامين .

وأما عن الثاني فهو أن ذلك إنما يلزم إذا أريد من اللفظ الحقيقي ؛ وأما إذا أريد النفسي الحكمي فلا ورود له ، لان الالفاظ النفسية كلها مجتمعة الاجزاء في الوجود العلمي مع كونها مترتبة كما ذكره هو نفسه ، وكلام صاحب المواقف محتمل للتأويل كما تقدم فليحمل عليه سعياً بالاصلاح مهما أمكن .

وأما الثالث فهو أن الايراد مبنى على ظن أن المراد باللفظ الحقيقى مع أنه محتمل لان يراد النفسى كما يقتضيه ظاهر تشبيهه بالقائم بنفس الحافظ .

وأما الرابع فهو أن الكلام النفسى عند أهل الحق هو مجموع اللفظ النفسى والمعنى ، ولكن ظاهر كلام صاحب المواقف يدل على أنه فهم من ظاهر كلام بعض الاصحاب أن مرادهم بالمعنى هو المقابل للفظ مجرداً عن اللفظ مطلقاً ، وقد سمعهم يقولون : إن الكلام اللفظى ليس كلامه تعالى حقيقة بل مجازاً ، فاذا انضم قولهم بنفى كونه كلاماً حقيقة شرعية إلى قولهم فى ظنه أن النفسى هو المعنى المقابل للفظ ، لزم من هذا ما هو فى معنى القول بكون اللفظى من مخترعات البشر ، ولا يخفى استلزامه للمفاسد ولكن لم يريدوا به المجاز الشرعى فان إطلاق كلام الله تعالى المسموع متواتر فلا يتأتى نفيه لاحد ، بل المراد أن الكلام إنما يتبادر منه ما هو وصف للمتكلم وقائم به قياماً تقتضيه حقيقة الكلام وذات المتكلم فى الحق والخلق على الوجه اللائق بكل منهما وأما ما يتلى فهو حروف عارضة للصوت الحادث ولا شك أنه ليس قائماً بذاته سبحانه من حيث هو هو ، بل هو صورة من صور كلامه القديم القائم ، به تعالى ومظهر من مظاهر تنزلاته فهو دال على الحقيقى القائم فسمّى كلاماً حقيقة شرعية لذلك ، وفيه إطلاق لاسم الحقيقة على الصورة فيكون مجازاً من هذا الوجه ، وإلى هذا يشير كلام التفتازانى فلا يلزم شىء من المفاسد ، واعتراض صاحب المواقف مبنى على ظنه .

وأما الخامس فهو أن كلام صاحب المواقف ليس نصاً في أن الضمير راجع الى التلفظ ، بل يحتمل أن يكون راجعاً إلى الملفوظ وذلك أنه قال المعنى الذي فى النفس لا ترتب فيه كما هو قائم بنفس الحافظ ولا ترتب فيه ، وقد مر أن المراد به مجموع اللفظ النفسى والمعنى كما يقتضيه ظاهر التشبيه بالقائم بنفس الحافظ ، ولا شك أنه لا ترتب فيه ، أى لاتعاقب فيه فى الوجود العلمى، وحينئذ فقولهم: نعم الترتب إنما يحصل فى التلفظ معناه، ان الترتب فى المعنى النفسى الذى هو مجموع اللفظ النفسى والمعنى انما يحصل فى التلفظ الخارجى لضرورة عدم مساعدة الآلة ، فقوله : وهو الذى هو حادث أى الملفوظ بالتلفظ الخارجى الذى هو الصورة حادث لا اللفظ النفسى ، وتحمل الادلة التى تدل على

الحدوث على حدوثه أى الملفوظ بالتلفظ الخارجي، وعلى هذا لا ورود للاعتراض أصلاً.

ومنهم من اعترض أيضا بأنهم اشتركوا فى المعجزة أن تكون فعل الله تعالى أو ما يقوم مقامه كالنزول، فلا يكون القرآن اللفظى الذى هو معجزة قديماً صفة له تعالى، ولا يخفى أن المعجزة هو القرآن فى مرتبة تنزله الى الالفاظ الحقيقية العربية فكونه لفظاً حقيقيا عربيا مجعول [1] بالنص فيكون معجزة بلا شبهة، والقديم على ما حقق هو القرآن اللفظى النفسى الذى هو مجموع اللفظ النفسى والمعنى، وهذا واضح لمن ساعدته العناية، وقد شنع على الشيخ الاشعرى فى هذا المقام أقوام تشابهت قلوبهم ـ واتحدت أغراضهم ـ وإن اختلفت أساليبهم. وها أنا بحوله تعالى راد لإعتراضاتهم بعد نقلها غير هياب ولا وجل، وإن اتسع علم أهلها ـ فالبعوضة قد تدمى مقلة الاسد ـ وفضل الله تعالى ليس مقصوراً على أحد.

فأقول قال تلميذ مولانا الدوانى عفيف الدين الايجى ما حاصله: «ان هذا الذى تدعيه الأشاعرة من أن للكلام معنى آخر يسمى النفسى باطل، فانا إذا قلنا زيد قائم فهناك أربعة أشياء.

الاول ـ العبارة الصادرة عنه.

والثانى ـ مدلول هذه العبارة وما وضعت له هذه الالفاظ من المعانى المقصودة بها.

الثالث ـ علمه بثبوت تلك النسبة وانتفائها.

الرابع ـ ثبوت تلك النسبة وانتفاؤها فى الواقع، والاخيران ليسا كلاماً اتفاقا، والاول لايمكن أن يكون كلام الله حقيقة على مذهبهم، فبقى الثانى وكذا نقول فى الأمر والنهى ههنا ثلاثة أمور.

الأول: الارادة والكراهة الحقيقية.

الثانى: اللفظ الصادر عنه.

الثالث: مفهوم لفظه ومعناه ـ والاول ليس كلاماً اتفاقاً ـ والثانى كذلك على مذهبهم، فبقى الثالث وبه صرح أكثر محققيهم وكونه كلاماً نفسياً ثابتاً لله تعالى شأنه محكوما عليه

---

١ ـ قال تعالى ﴿ انا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ «منه».

بأحكام مختلفة وهو باطل من وجوه.

الاول ـ أنه مخالف للعرف واللغة، فان الكلام فيهما ليس الا المركب من الحروف.

الثاني ـ أنه لا يوافق الشرع، إذ قد ورد فيما لا يحصى كتابا وسنة أن الله تعالى ينادي عباده ولا ريب أن النداء لا يكون إلا بصوت، بل قد صرح به في الاخبار الصحيحة [١]، وباب المجاز وإن لم يغلق بعد إلا أن حمل ما يزيد على نحو مائة ألف من الصرائح على خلاف معناها مما لا يقبله العقل السليم.

الثالث ـ أن ما قالوه من كون هذا المعنى النفسي واحداً يخالف العقل، فانه لا شك أن مدلول اللفظ في الامر يخالف مدلوله في النهي ـ ومدلول الخبر يخالف مدلول الانشاء ـ بل مدلول أمر مخصوص غير مدلول أمر آخر، وكذا في الخبر. ولا يرتاب عاقل أن مدلول اللفظ لا يمكن أن يكون غير القرآن وسائر الكتب السماوية، فيلزم أن يكون كل واحد مشتملاً على ما اشتمل عليه الآخر وليس كذلك، وكيف يكون معنى واحد خبراً وانشاءً محتملاً للتصديق والتكذيب وغير محتمل وهو جمع بين النفي والاثبات؟! انتهى.

ولا يخفى أن مبنى جميع اعتراضاته على فهمه أن مرادهم بالمعنى النفسي هو مدلول اللفظ وحده، أي المعنى المجرد عن مقارنة اللفظ مطلقاً ولو حكمياً، وقد عرفت أنه ليس كذلك، بل المراد به مجموع اللفظ النفسي والمعنى وهو الذي يدور في الخلد وتدل عليه العبارات ـ كما صرح به إمام الحرمين ـ وعليه اذا قال القائل زيد قائم فهناك أربعة أشياء كما ذكر المعترض، وشيء خامس تركه وهو المراد وهي هذه الجملة بشرط وجودها في الذهن بألفاظ مخيلة ذهنية دالة على معانيها في النفس، وهذا يعنونه بالكلام النفسي فلا محذور.

ونقول على سبيل التفصيل.

أما الاول: فجوابه أنه إنما تتم المخالفة اذا لم يكن عندهم مجموع اللفظ النفسي والمعنى فحيث كان لا مخالفة، لان الكلام حينئذ مركب من الحروف إلا أنها نفسية غيبية

---

١. منها ما رواه البخاري عن ابي سعيد قال ﷺ «قال الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار» الحديث اهـ منه.

في الحق ـ خيالية في الخلق.

وأما الثاني: فجوابه أن هذا الذي لا يحصى ليس فيه سوى أن الحق سبحانه وتعالى متكلم بكلام حروفه عارضة للصوت، لا أنه لا يتكلم إلا به فلا ينتهض ما ذكر حجة على الشيخ، بل إذا أمعنت النظر رأيت ذلك حجة له حيث بين أن الله تعالى لا يتكلم بالوحي لفظاً حقيقاً إلا على طبق ما في علمه وكلما كان كذلك فإنّ الكلام اللفظي صورة من صور الكلام النفسي ودليلاً من أدلة ثبوتها ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾[١].

وأما الثالث: فجوابه ان المنعوت بأنه واحد بالذات تتعدد تعلّقاته، هو الكلام بمعنى صفة المتكلم ووحدته مما لا شك لعاقل فيها ـ وأما الكلام النفسي بمعنى المتكلم به فليس عنده واحداً، بل نص في الابانة على انقسامه إلى الخبر والامر والنهي في الازل فلا اعتراض.

وقال النجم سليمان الطوفي: «انما كان الكلام حقيقة في العبارة مجازاً في مدلولها لوجهين.

احدهما: ان المتبادر الى فهم اهل اللغة من اطلاق الكلام إنما هو العبارة والمبادرة دليل الحقيقة.

الثاني: أن الكلام مشتق من الكلم لتأثيره في نفس السامع والمؤثر فيها إنما هو العبارات لا المعاني النفسية بالفعل ـ نعم هي مؤثرة للفائدة بالقوة، والعبارة مؤثرة بالفعل فكانت أولى بأن تكون حقيقة والاخرى مجازاً ـ وقال المخالفون: استعمل لغة في النفسي والعبارة.

قلنا: نعم لكن بالاشتراك أو بالحقيقة فيما ذكرناه وبالمجاز فيما ذكرتموه والاول ممنوع ـ قالوا: الاصل في الاطلاق الحقيقة قلنا: والاصل عدم الاشتراك ـ ثم إنّ لفظ الكلام أكثر ما يستعمل في العبارات والكثرة دليل الحقيقة. وأما قوله تعالى: ﴿ يقولون في انفسهم ﴾[٢] فمجاز دل على المعنى النفسي بقرينة ﴿ في انفسهم ﴾ ولو اطلق لما فهم

١. سورة الاحزاب: الآية ٤.
٢. سورة المجادله: الآية ١٣.

الا العبارة، واما قوله تعالى: ﴿ وأسروا قولكم ﴾[1] الآية فلا حجة فيه، لأن الاسرار خلاف الجهر وكلاهما عبارة عن أن يكون أرفع صوتاً من الآخر ـ وأما بيت الأخطل[2] فالمشهور أن البيان ـ وبتقدير أن يكون الكلام فهو مجاز عن مادته وهو التصورات المصحّحة له ـ إذ من لم يتصور ما يقول لا يوجد كلاماً، ثم هو مبالغة من هذا الشاعر بترجيح الفؤاد على اللسان» انتهى.

وفيه ما لا يخفى.

أما أولاً فلأن ما ادعاه من التبادر إنما هو لكثرة استعماله في اللفظي لمسيس الحاجة اليه لا لكونه الموضوع له خاصة، بدليل استعماله لغة وعرفاً في النفسي والاصل في الاطلاق الحقيقة ـ وقوله: والاصل عدم الاشتراك، قلنا: نعم ان اردت به الاشتراك اللفظي ونحن لاندعيه وانما ندعى الاشتراك المعنوي، وذلك إنّ الكلام في اللغة بنقل النحويين ما يتكلم به قليلاً كان أو كثيراً حقيقة أو حكماً.

وأما ثانيا: فلأن ما ادعاه من أن المؤثر في نفس السامع إنما هو العبارات لا المعاني النفسية، الامر فيه بالعكس بدليل أن الانسان إذا سمع كلاما لا يفهم معناه لا تؤثر ألفاظه في نفسه شيئاً وقد يتذكر الانسان في حالة سروره كلاماً يحزنه، وفي حالة حزنه كلاماً يسره، فيتأثر بهما ولا صوت ولا حرف هناك وإنما هي حروف وكلمات مخيلة نفسية، وهو الذي عناه الشيخ بالكلام النفسي وعلى هذا فالسامع في قولهم ـ لتأثيره في نفس السامع ـ ليس بقيد والتأثير في النفس مطلقا معتبر في وجه التسمية.

وأما ثالثا: فلأن ما قاله في قوله تعالى ﴿ يقولون في أنفسهم ﴾ من أنه مجاز دل على المعنى النفسي فيه بقرينة (في أنفسهم) ولو أطلق لما فهم إلا العبارة، يرده قوله تعالى ﴿يقولون بأفواههم ﴾[3] وفي آية ﴿ بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ إذ لو كان مجرد ذكر (في أنفسهم) قرينة على كون القول مجازاً في النفسي لكان ذكر (بأفواههم ـ وبألسنتهم) قرينة

---

١. سورة الملك: الآية ١٣.

٢. إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا.

٣. سورة آل عمران: الآية ١٦٧.

على كونه مجازاً في العبارة واللازم باطل فكذا الملزوم نعم التقييد دليل على أن القول مشترك معنى بين النفسي واللفظي وعين به المراد من فرديه فهو لنا لا علينا.

وأما رابعا: فلأن ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وأسروا﴾ الآية تحكم بحت لأن السر كما قال الزمخشري ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال ويساعده الكتاب والأثر واللغة كما لا يخفى على المتتبع.

وأما خامسا: فلأن ما ذكره في بيت الأخطل خطل من وجوه:

أما أولا ـ فعلى تقدير أن يكون المشهور البيان بدل الكلام يكفينا في البيان لأنه [١] إما اسم مصدر بمعنى ما يبين به أو مصدر بمعنى التبيين وعلى الاول هو بمعنى الكلام ولا فرق بينهما الا في اللفظ وعلى الثاني هو مستلزم للكلام النفسي بمعنى المتكلم به ان كان المراد به التبيين القلبي، أعني ترتيب القلب للكلمات الذهنية على وجه إذا عبر عنها باللسان فهم غيره ما قصده منها.

وأما ثانيا ـ فلأن قوله وبتقدير أن يكون الخ إقرار بالكلام النفسي من غير شعور.

وأما ثالثا ـ فلأن دعوى المجاز تحكم مع كون الاصل في الاطلاق الحقيقة.

وأما رابعا ـ فلأن دعوى أن ذلك مبالغة من هذا الشاعر خلاف الواقع، بل هو تحقيق من غير مبالغة كما يفهم مما سلف، فما ذكره هذا الشاعر كلمة حكمة سواء نطق بها على بينة من الامر أو كانت منه رمية من غير رام، فان معناه موجود في حديث أبي سعيد «العينان دليلان والاذنان قمعان واللسان ترجمان ـ الى أن قال ـ والقلب ملك فاذا صلح» الحديث وفي أبي هريرة «القلب ملك وله جنود ـ الى أن قال ـ واللسان ترجمان» الحديث فما قيل:[٢] «ان هذا الشاعر نصراني عدو الله تعالى ورسوله فيجب اطراح كلام الله تعالى ورسوله تصحيحا لكلامه، أو حمله على المجاز صيانة لكلمة هذا الشاعر عنه، وأيضا يحتاجون إلى إثبات هذا الشعر والشهرة غير كافية، فقد فتش ابن الخشاب دواوين الاخطل العتيقة فلم يجد فيها البيت». انتهى كلام أوهن وأوهى من بيت العنكبوت وأنه لأوهن البيوت.

---

١. فيه استخدام فلا تغفل اهمنه.

٢. قائله الموفق بن قدامة اهمنه.

أما أولا : فلان كلام هذا العدو موافق لكلام الحبيب حتى لكلام المنكرين للكلام النفسي حيث اعترفوا به في عين إنكارهم .

وأما ثانيا : فلأنا أغنانا الله تعالى ورسوله من خضله عن إثبات هذا الشعر .

وأما ثالثا : فلان عدم وجدان ابن الخشاب لا يدل على انتفائه بالكلية كما لا يخفى ، والحاصل أن الناس أكثروا القال والقيل في حق هذا الشيخ الجليل وكل ذلك من باب :

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم

نعم البحث دقيق لا يرشد اليه إلا توفيق ، كم أسهر أناساً وأكثر وسواسا وأثار فتنة وأورث محنة وسجن أقواماً وأمّ إماماً .

مرام شطَّ مرمى العقل فيه ... ودون مداه بيد لا تبيد

ولكن بفضل الله تعالى قد أتينا فيه بلب اللباب، وخلاصة ما ذكره الاصحاب ، وقد اندفع به كثير مما أشكل على الاقوام ، وخفى على أفهام ذوى الافهام ، ولا حاجة معه إلى ما قاله المولى المرحوم غنى زاده فى التخلص عن هاتيك الشبه مما نصه :

«ثم اعلم أنى بعد ما حررت البحث بعثنى فرط الانصاف إلى أنه لا ينبغى لذى الفطرة السليمة أن يدعى قدم اللفظ ، لاحتياجه الى هذه التكلفات وكذا كون الكلام عبارة عن المعنى القديم لركاكة توصيف الذات به ، كيف ومعنى قصة نوح عليه السلام مثلا ليس بشىء يمكن اتصاف الذات به إلا بتمحل بعيد ؟ !، فالحق الذى لا محيد عنه هو ان المعانى كلها موجودة فى العلم الازلى بوجود علمى قديم ، لكن لما كان فى ماهية بعضها داعية البروز فى الخارج بوجود لفظى حادث حسبما يستدعيه حدوث الحوادث فيما لا يزال ، أقتضى الذات اقتضاء أزليا إبراز ذلك البعض فى الخارج بذلك الوجود الحادث فيما لا يزال ، فهذا الاقتضاء صفة قديمة للذات هو بها فى الازل مسماة بالكلام النفسى وأثره الذى هو ظهور المعنى القديم باللفظ الحادث إنما يكون فيما لا يزال والمغايرة بينه وبين صفة العلم ظاهرة وهذا هو غاية الغايات فى هذا الباب ، والحمد لله على ما خصنى بفهمه من بين أرباب الالباب» . انتهى .

وفيه أنه غاية الغايات فى الجسارة على رب الأرباب وإحداث صفة قديمة ما أنزل الله تعالى بها من كتاب ، إذ لم يرد فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة نبيه ﷺ ولا روى عن صحابى

ولا تابعى تسمية ذلك الاقتضاء كلاماً، بل لا يقتضيه عقل ولا نقل على أنه لا يحتاج إليه عند من أخذت العناية بيديه، هذا وإذا سمعت ما تلوناه، ووعيت ما حققناه فاسمع الآن تحقيق الحق فى كيفية سماع موسى عليه السلام كلام الحق.

فأقول الذى انتهى إليه كلام أئمة الدين كالماتريدى والأشعرى وغيرهما من المحققين أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بحرف وصوت كما تدل عليه النصوص التى بلغت فى الكثرة مبلغا لا ينبغى معه تأويل، ولا يناسب فى مقابلته قال وقيل، فقد قال تعالى: ﴿ وناديناه منجانب الطور الأيمن﴾[1]﴿ وإذ نادى ربك موسى ﴾[2]، ﴿ نودى من شاطىء الوادى الأيمن ﴾[3] ﴿ إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى ﴾[4]، ﴿ نودى أن بورك من فى النار ومن حولها ﴾[5] واللائق بمقتضى اللغة والأحاديث أن يفسر النداء بالصوت[6] بل قد ورد إثبات الصوت لله تعالى شأنه، فى أحاديث لا تحصى وأخبار لا تستقصى.

روى البخارى فى الصحيح «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان» ومن علم أن لله تعالى الحكيم أنْ يتجلى بما شاء وكيف شاء وأنّه منزه فى تجليه قريب فى تعاليه لا تقيده المظاهر عند أرباب الأذواق إذ له الاطلاق الحقيقى حتى عن قيد الإطلاق، زالت عنه إشكالات واتضحت لديه متشابهات[7] ومما يدلّ على ثبوت التجلّى فى المظهر لله تعالى قول ابن عباس ترجمان القرآن فى قوله تعالى: ﴿ أن بورك من فى النار ﴾[8] كما فى الدر المنثور يعنى تبارك وتعالى نفسه كان نورُ ربِّ العالمين فى الشجرة، وفى رواية عنه كان الله فى النور ونودى من النور، وفى صحيح مسلم حجابه النور، وفى رواية له حجابه النار. ودفع الله سبحانه توهم التقييد بما ينافى التنزيه بقوله: ﴿ وسُبْحانَ اللهِ ﴾[9] أىْ عن التقييد بالصورة والمكان والجهة وإن ناداك منها

---

١. سورة مريم: الآية ٥٢.
٢. سورة الشعراء: الآية ١٠.
٣. سورة القصص: الآية ٣٠.
٤. سورة النازعات: الآية ١٦.
٥. سورة النمل: الآية ٨.
٦. قال فى القاموس: النداء بالكسر والضم الصوت اهمنه.
٧. مثل قوله تعالى: ﴿ فاينما تولوا فثم وجه الله ﴾ ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم فى ظلل من الغمام ﴾ وحديث «إذا كان يوم الجمعة نزل ربنا تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ـ إلى أن قال ـ ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه» ✻ وحديث «فاذا الرب قد أشرف عليها من فوقهم، فقال السلام عليكم يا اهل الجنة» الى غير ذلك اهمنه.
٨ و ٩. سورة النمل: الآية ٨.

لكونه موصوفا بصفة رب العالمين فلا يكون ظهوره مقيداً له، بل هو المنزه عن التقييد حين الظهور (يا موسى إنّه) أيْ المنادى المتجلّى (أنا اللهُ العزيزُ) فلا أتقيد لعزتى ولكنى ﴿الحكيم﴾[1] فاقتضت حكمتى الظهور والتجلى فى صورة مطلوبك، فالمسموع على هذا صوت وحرف سمعهما موسى عليه‌السلام من الله تعالى المتجلى بنوره فى مظهر النار لما اقتضته الحكمة، فهو عليه‌السلام كليم الله تعالى بلا واسطة لكن من وراء حجاب مظهر النار وهو عين تجلى الحق تعالى له. وأما ما شاع عن الاشعرى من القول بسماع الكلام النفسى القائم بذات الله تعالى فهو من باب التجويز والامكان لا أنَّ موسى عليه‌السلام سمع ذلك بالفعل اذ هو خلاف البرهان، ومما يدلّ على جواز سماع الكلام النفسى بطريق خرق العاده قوله تعالى فى الحديث القدسى «ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به» الحديث، ومن الواضح أن الله تبارك وتعالى إذا كان بتجليه النورى المتعلق بالحروف غيبية كانت أو خيالية أوْ حسية، سمع العبد على الوجه اللائق المجامع لـ ﴿ليس كمثله شيء﴾[2] عند من يتحقق معنى الاطلاق الحقيقى صح أن يتعلق سمع العبد بكلام ليس حروفه عارضة لصوت، لأنّه بالله يسمع إذ ذاك والله سبحانه يسمع السرّ والنجوى.

والإمام الماتريدى أيضاً يجوّز سماع ما ليس بصوت على وجه خرق العادة، كما يدل عليه كلام صاحب التبصرة فى كتاب التوحيد. فما نقله ابن الهمام عنه من القول بالاستحالة، فمراده الاستحالة العادية فلا خلاف بين الشيخين عند التحقيق، ومعنى قول الأشعرى: إنّ كلام الله تعالى القائم بذاته يسمع عند تلاوة كل تال وقراءة كل قارىء، أنَّ المسموع أولا وبالذات عند التلاوة إنما هو الكلام اللفظى الذى حروفه عارضة لصوت القارىء بلا شك، لكن الكلمات اللفظية صور الكلمات الغيبية القائمة بذات الحق، فالكلام النفسى مسموع بعين سماع الكلام اللفظى لأنه صورته، لا من حيث الكلمات الغيبية فانها لا تسمع إلا على طريق خرق العادة وقول الباقلانى: «إنما تسمع التلاوة دون المتلو والقراءة دون المقروء» يمكن حمله على أنه أراد إنما يسمع أولاً وبالذات التلاوة، أى المتلو اللفظى الذى حروفه

---

١. سورة النّمل: الآية ٩.
٢. سورة الشّورى: الآية ١١.

عارضة لصوت التالى لا النفسى الذى حروفه غيبية مجردة عن المواد الحسية والخيالية، فلا نزاع فى التحقيق أيضا.

والفرق بين سماع موسى ﷺ كلام الله تعالى وسماعنا له على هذا، أن موسى ﷺ سمع من الله عزوجل بلا واسطة لكن من وراء حجاب، ونحن إنما نسمعه من العبد التالى بعين سماع الكلام اللفظى المتلو بلسانه، العارض حروفه لصوته لا من الله تعالى المتجلى من وراء حجاب العبد، فلا يكون سماعا من الله تعالى بلا واسطة وهذا واضح عند من له قدم راسخة فى العرفان وظاهر عند من قال بالمظاهر مع تنزيه الملك الديان. وأنت إذا أمنعت النظر فى قول أهل السنة: «القرآن كلام الله عزوجل غير مخلوق وهو مقروء بألسنتنا مسموع بآذاننا محفوظ فى صدورنا مكتوب فى مصاحفنا غير حال فى شىء منها». رأيته قولا بالمظاهر ودالا على أن تنزل القرآن القديم القائم بذات الله تعالى فيها غير قادح فى قدمه، لكونه غير حال فى شىء منها مع كون كل منها قرآنا حقيقة شرعية بلا شبهة وهذا عين الدليل على أن تجلى القديم فى مظهر حادث لا ينافى قدمه وتنزيهه وليس من باب الحلول ولا التجسيم، ولا قيام الحوادث بالقديم ولا ما يشاكل ذلك من شبهات تعرض لمن لا رسوخ له فى هاتيك المسالك، ومنه يظهر معنى ظهور القرآن فى صورة الرجل الشاحب يلقى صاحبه حين ينشق عنه القبر وظهوره خصماً لمن حمله فخالف أمره وخصماً دون من حمله فحفظ الامر، بل من أحاط خبرا بأطراف ما ذكرناه وطاف فكره المتجرد عن مخبط الهوى فى كعبة حرم ما حققناه، اندفع عنه كل إشكال فى هذا الباب ورأى أن تشنيع ابن تيمية وابن القيم وابن قدامة وابن قاضى الجبل والطوفى وأبى نصر وأمثالهم صرير باب أو طنين ذباب وهم وان كانوا فضلاء محققين وأجلاء مدققين لكنهم كثيراً ما انحرفت أفكارهم واختلطت أنظارهم، فوقعوا فى علماء الأمة وأكابر الأئمة وبالغوا فى التعنيف والتشنيع وتجاوزوا فى التسخيف والتفظيع ولولا الخروج عن الصدد لوفيتهم الكيل صاعا بصاع ولتقدمت اليهم بما قدموا باعا بباع ولعلمتهم كيف يكون الهجاء؛ بحروف الهجاء. ولعرفتهم الام ينتهى المراء بلا مراء.

فلى فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولى فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمى فانى مقوم ... ومن رام تعويجى فانى معوج

على أن العفو أقرب للتقوى والاغضاء مبنى الفتوة وعليه الفتوى. والسادة الذين تكلم فيهم هؤلاء ﴿ إذا مروا باللغو مروا كراما ﴾[١]، ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾[٢]، وحيث تحرر الكلام في الكلام على مذهب أهل السنة واندفعت عنه بفضل الله تعالى كل محنة ومهنة، فلا بأس بأن نحكي بعض الاقوال، كما حكى الله تعالى كثيرا من أقوال ذوي الضلال، وبعد أن رسخ الحق في قلبك، وتغلغل في سويدائه كلام ربّك، لا أخشى عليك من سماع باطل لا يزيدك إلا حقا. وكاذب لا يورثك إلا صدقا.

فنقول: أما المعتزلة فاتفقوا كافة على أن معنى كونه تعالى متكلما، أنه خالق الكلام على وجه لا يعود اليه منه صفة حقيقية، كما لا يعود اليه من خلق الاجسام وغيرها صفة حقيقية، واتفقوا أيضاً على أن كلام الرب تعالى مركب من الحروف والاصوات وأنه محدث مخلوق، ثم اختلفوا فذهب الجبائي وابنه أبو هاشم إلى أنه حادث في محل، ثم زعم الجبائي أن الله تعالى يحدث عند قراءة كل قارىء كلاما لنفسه في محل القراءة وخالفه الباقون، وذهب أبو الهذيل بن الحلاف وأصحابه إلى أن بعضه في محل وهو قوله كن، وبعضه لا في محل كالامر والنهي والخبر والاستخبار، وذهب الحسن بن محمد النجار إلى أن كلام الباري إذا قرىء فهو عرض وإذا كتب فهو جسم، وذهبت الامامية والخوارج والحشوية إلى أن كلام الرب تعالى مركب من الحروف والاصوات، ثم اختلف هؤلاء فذهب الحشوية إلى أنه قديم أزلي قائم بذات الرب تعالى، لكن منهم من زعم أنه من جنس كلام البشر وبعضهم قال لا، بل الحرف حرفان، والصوت صوتان، قديم وحادث والقديم منهما، ليس من جنس الحادث، وأما الكرامية فقالوا إن الكلام قد يطلق على القدرة على التكلم وقد يطلق على الاقوال والعبارات وعلى كلا التقديرين فهو قائم بذات الله تعالى، لكن إن كان بالاعتبار الاول فهو قديم متحد لا كثرة فيه وإن كان بالاعتبار الثاني فهو حادث متكثر، وأما الواقفية فقد أجمعوا على أن كلام الرب تعالى كائن بعد أن لم يكن، لكن منهم من توقف في إطلاق اسم القديم والمخلوق عليه ومنهم من توقف في إطلاق اسم المخلوق وأطلق اسم الحادث ومن القائلين بالحدوث من قال ليس جوهراً ولا عرضا.

---

١. سورة الفرقان: الآية ٧٢.
٢. سورة الفرقان: الآية ٦٣.

وذهب بعض المعترفين بالصانع إلى أنه لا يوصف بكونه متكلما لا بكلام ولا بغير كلام والذى أوقع الناس فى حيص بيص أنهم رأوا قياسين متعارضى النتيجة وهما كلام الله تعالى صفة له وكل ما هو صفة له فهو قديم فكلام الله تعالى قديم، وكلام الله تعالى مركب من حروف مرتبة متعاقبة في الوجود وكل ما هو كذلك فهو حادث فكلام الله تعالى حادث، فقوم [١] ذهبوا إلى: أن كلامه تعالى حروف وأصوات وهي قديمة ومنعوا أن كل ما هو مؤلف من حروف وأصوات فهو حادث ونصب إليهم أشياء هم براء منها، وآخرون [٢] قالوا: بحدوث كلامه تعالى وأنه مؤلف من أصوات وحروف وهو قائم بغيره ومعنى كونه متكلما عندهم أنه موجد لتلك الحروف والاصوات فى جسم كاللوح أو ملك كجبريل أو غير ذلك، فهم منعوا أن المؤلف من الحروف والاصوات صفة الله تعالى، وأناس [٣] لما رأوا مخالفة الاولين للضرورة الظاهرة التي هي أشنع من مخالفة الدليل ومخالفة الآخرين فيما ذهبوا إليه للعرف واللغة، ذهبوا إلى: أن كلامه تعالى صفة له مؤلفة من الحروف والاصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى، فهم منعوا أن كل ما هو صفة له تعالى فهو قديم، وجمع قالوا: كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته تعالى قديم، فهم منعوا ان كلامه تعالى مؤلف من الحروف والاصوات وكثر فى حقهم القال والقيل والنزاع الطويل، وبعضهم تحير فوقف وحبس ذهنه فى مسجد الدهشة واعتكف، وعندى القياسان صحيحان والنتيجتان صادقتان ولكل مقام مقال ولكل كلام أحوال ولا أظنك تحوجنى إلى التفصيل بعد ما وعاه فكرك الجميل، بل ولا تكلفنى رد هذه الاقوال الشنيعة التى هى لديك، إذا أخذت العناية بيديك كسراب بقيعة فليطر شحرور القلم إلى روضة أخرى وليغرد بفائدة لعلها أولى من الاطالة وأحرى والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب لارب غيره» [٤].

قال عبدالقادر في خلق القرآن وعدمه :

« مطلب القول بخلق القرآن .

---

١. هم الحنابلة اهمنه .

٢. هم المعتزلة اهمنه .

٣. هم الكرامية اهمنه .

٤. روح المعاني ج ١ ص ١٠ ـ ٢٠ .

إعلم علمك الله ما لم تعلم أن ما قيل أن القرآن مخلوق. عبارة عن اصطلاح كلمة فلسفية وآراء نظرية مبتدعه، ظهرت أيام الخليفة المأمون العباسي الذي تولى الخلافة سنة ١٩٨ بعد قتل أخيه الأمين رحمهما الله وأباهما هارون الرشيد وسامحهم وقد توغل فيها وأفرط حتى أنه هدد بالقتل من يقول أنه غير مخلوق ولما جيء له بالإمام الشافعي رحمه الله وسئل عن ذلك قال: أنت تعني الكتب الأربعة الموجودة بأيدينا، وأشار إليه بأصابعه الأربع قائلاً: هذه مخلوقة، ونجا من التعذيب منه بهذه الوسيلة ولم يتنبه إلى ما أشار وقصد، أو أنه انتبه وتغاضى لمكانة الشافعي رحمه الله.

وليعلم انه لم يرد في هذا البحث كتاب ولا سنة ولا إجماع، بل هو تعرض للبحث التحليلي في ذات الله تعالى وصفاته ومثال للوساوس الشيطانية فيجب على العاقل أن يجتنب هذا البحث ويستعيذ بالله منه ولا يلجأ إلى ترهات صورت من المشككين ذوي القلوب الصدئة المظلمة البعيدة عن نور المعرفة وأن يوقن بأن الكلام صفة كمال تتعلق بكل ما يتعلق به العلم، إلا أن تعلق العلم عبارة عن انكشاف المعلومات للعالم وتعلق الكلام عبارة عن كشف العالم ما شاء من علمه لمن شاء، والله تعالى متصف بكمال العلم والتعليم، وكمال الكلام والتكليم، وان هذا وغيره مما وصف الله به نفسه في كتابه لا ينافي كمال تنزيله عما لا يليق به من نقائص عباده ولا يقتضي مماثلته لهم فيما وهبهم من كمال، فان الاشتراك في الأسماء لا يقتضي الاشتراك بالمسميات، وأسماء الأجناس المقولة في التشكيك في الممكنات مختلفة من وجوه كثيرة، منها النقص والكمال فكيف بها إذا كانت مشتركة في الخالق والمخلوقات؟! فذاته تعالى أكمل من ذواتهم ووجوده أعلى من وجودهم وصفاته أسمى من صفاتهم وهو أعلم ورسوله أعلم منهم بصفاته وأفعاله، فعليك أن تؤمن بما صح عنهمامن اثبات ونفى من غير زيادة ولا نقصان، بلا تعليل ولاتشبيه، ولا تمثيل ولا تأويل، وليس عليك ولا لك أن تحكّم رأيك وعقلك في كنه ذاته وصفاته، ولا في كيفية مناداته وتكليمه لرسله، ولا في كنه ما هو قائم به وما يصدر عنه، وعلى هذا كان أصحاب الرسول والسلف الصالح من التابعين والعلماء وأئمة الحديث والفقه، قبل ظهور بدعة المتكلمين الذين قسموا كلام الله إلى نفس قديم قائم بذاته ليس

بحرف ولا صوت ولا ترتيب ولا لغة ، وإلى كلام لفظي وهو المنزل على الأنبياء عليهم السلام ومنه الكتب الأربعة ، واختلافهم فيها في كونها مخلوقة أو غير مخلوقة، والصحيح الذي لا غبار عليه ان كلام الله تعالى بالمعنى الأول غير مخلوق ، لأنه قائم بذاته تعالى وبالمعنى الثاني وهو المقروء في البشر الدال على الصفة القائمة به ، فلا بأس بأن يقال مخلوق . لأن قراءتهم له مشتملة على حروف وأصوات وترتيب ولغة وهو صورة حادثة عن كلامه القديم ومظهر من مظاهر التنزيل .

مطلب الطوائف المخالفة ونسبة القرآن للكتب الاخرى :

واتفقت المعتزلة على أن كلام الله مركب من الحروف والأصوات وأنه محدث مخلوق وأنه خالق لكلامه ، ثم اختلفوا في معنى الكلام والحدوث على أقوال كثيرة وكذلك الطوائف الاخرى كالامامية والخوارج والحشوية والكرامية والواقفية اختلفت في كونه قديماً أزلياً اولا ، وفي كونه جوهراً أم عرضاً ، وكل انتصر لمذهبه، ونظراً لمخالفتها لأقوال أهل السنة والجماعه وعدم جواز الأخذ بشيء منها أعرضت عن نقلها وإذا أردت الوقوف على أحوال هذه الطوائف المخالفة وما شاكلها فعليك بمراجعة كتاب المواقف ـ الجزء الثالث ص ٢٨١ ـ فما بعدها فانه يكفيك عن كل كتاب »[١] .

قال الخوئي قدس سره في حدوث القرآن وعدمه :

« لا يشك أحد من المسلمين أن كلام الله الذي أنزله على نبيه الأعظم برهاناً على نبوته ودليلا لأمته . ولا يشك أحد منهم أن التكلم احدى صفات الله الثبوتية المعبر عنها بالصفات الجمالية . وقد وصف الله سبحانه نفسه بهذه الصفة في كتابه. فقال تعالى :

﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾[٢] .

أثر الفلسفة اليونانية في حياة المسلمين :

وقد كان المسلمون بأسرهم على ذلك ، ولم يكن لهم أيّ اختلاف فيه ، حتى دخلت الفلسفة اليونانية أوساط المسلمين ، وحتى شعبتهم بدخولها فرقاً تكفّر كل طائفة اختها ، وحتى استحال النزاع والجدال الى المشاجرة والقتال ، فكم هتكت في الاسلام من أعراض

١ . بيان المعاني ج ١ ص ٤٣ ـ ٤٥ .
٢ . سورة النّساء : الآية ١٦٤ .

محترمة ، وكم اختلست من نفوس بريئة ، مع أن القاتل والمقتول يعترفان بالتوحيد ، ويقرّان بالرسالة والمعاد . أليس من الغريب أن يتعرض المسلم الى هتك عرض أخيه المسلم والى قتله ؟ وكلاهما يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمداً عبده ورسوله ، جاء بالحق من عنده ، وأن الله يبعث من في القبور . أو لم تكن سيرة نبي الاسلام ، وسيرة من وَلي الأمر من بعده أن يرتبوا آثار الاسلام على من يشهد بذلك ؟ فهل روى أحد أن الرسول أو غيره ممن قام مقامه سأل أحداً عن حدوث القرآن وقدمه ، أو عما سواه من المسائل الخلافية ، ولم يحكم باسلامه إلا بعد أن يقرّ بأحد طرفي الخلاف؟!!

ولست أدري ـ وليتني كنت أدري ـ بماذا يعتذر من القى الخلاف بين المسلمين وبم يجيب ربه يوم يلاقيه ، فيسأله عما ارتكب ؟ فانا لله وإنا اليه راجعون.

وقد حدثت هذه المسألة ـ حدوث القرآن وقدمه ـ بعد انشعاب المسلمين شعبتين : أشعري وغير اشعرى . فقالت الأشاعرة بقدم القرآن ، وبأن الكلام على قسمين : لفظي ونفسي ، وأن كلام الله النفسي قائم بذاته وقديم بقدمه وهو إحدى صفاته الذاتية . وذهبت المعتزلة والعدلية الى حدوث القرآن ، والى انحصار الكلام في اللفظى ، والى أن التكلم من الصفات الفعلية.

صفات الله الذاتية والفعلية :

والفارق بين صفات الله الذاتية وصفاته الفعلية ، أن صفات الله الذاتية هي التي يستحيل أن يتصف سبحانه بنقيضها أبداً . إذاً فهي التي لا يصح سلبها عنه في حال . ومثال ذلك : العلم والقدرة والحياة ، فالله تبارك وتقدس لم يزل ولا يزال عالماً قادراً حياً . ويستحيل أن لا يكون كذلك في حال من الأحوال :

وأن صفاته الفعلية هي التي يمكن أن يتصف بها فى حال وبنقيضها فى حال آخر . ومثال ذلك : الخلق والرزق . فيقال . إن الله خلق كذا ولم يخلق كذا ، ورزق فلاناً ولداً ولم يرزقه مالاً . وبهذا يظهر جلياً أن التكلم إنما هو من الصفات الفعلية ، فانه يقال : كلم الله موسى ولم يكلم فرعون ، ويقال : كلم الله موسى في جبل طور ولم يكلمه فى بحر النيل .

الكلام النفسى :

اتفقت الأشاعرة على وجود نوع آخر من الكلام غير النوع اللفظي المعروف. وقد سموه بالكلام النفسي، ثم اختلفوا فذهب فريق منهم الى أنه مدلول الكلام اللفظي ومعناه، وذهب آخرون الى أنه مغاير لمدلول اللفظ، وأن دلالة اللفظ عليه دلالة غير وضعية، فهي من قبيل دلالة الافعال الاختيارية على إرادة الفاعل وعلمه وحياته.

والمعروف بينهم اختصاص القدم بالكلام، الا أن الفاضل القوشجي نسب الى بعضهم القول بقدم جلد القرآن وغلافه أيضاً[١]. وقد عرفت أن غير الأشاعرة متفقون على حدوث القرآن، وعلى أن كلام الله اللفظي ككلماته التكوينية مخلوق له، وآية من آياته. ولا يترتب على الكلام في هذه المسألة. وتحقيق القول فيها غرض مهم، لأنها خارج عن أصول الدين وفروعه. وليست لها أية صلة بالمسائل الدينية، والمعارف الالهية، غير أنني اجببت التكلم فيها، ليتضح لاخواننا الاشاعره ـ وهم اكثر المسلمين عدداً ـ أن ما ذهبوا اليه واعتقدوا به وحسبوه مما يجب الاعتقاد به، أمر خيالي لا أساس له من العقل والشرع.

وتوضيح ذلك:

أنه لا خلاف في أن الكلام المؤلف من الحروف الهجائية المتدرجة في الوجود أمر حادث يستحيل اتصاف الله تعالى به في الأزل وغير الأزل. والخلاف إنما هو في وجود سنخ آخر من الكلام مجتمعة أجزاؤه وجوداً، فاثبتته الأشاعرة، وقالت بأنه من صفات الله الذاتية كما يتصف غيره به أيضاً. ونفاه غيرهم وحصروا الكلام في اللفظي، وقالوا: إن قيامه بالمتكلم قيام الفعل بالفاعل. والصحيح هو القول الثاني.

ودليلنا على ذلك:

أن الجمل: إما خبرية وإما إنشائية. أما الجمل الخبرية، فانا إذا فحصنا مواردها لن نجد فيها إلا تسعة امور، وهي التي لابد منها في الاخبار عن ثبوت شيء لشيء أو عدم ثبوته له:

أولاً ـ مفردات الجملة بموادها، وهيئاتها.

ثانياً ـ معاني المفردات، ومداليلها.

ثالثاً ـ الهيئة التركيبية للجملة.

---

١. شرح التجريد: المقصد الثالث ص ٣٥٤.

رابعاً ـ ما تدل عليه الهيئة التركيبية .

خامساً ـ تصور المخبر مادة الجملة ، وهيئتها .

سادساً ـ تصور مدلول الجملة بمادتها ، وهيئتها .

سابعاً ـ مطابقة النسبة لما في الخارج ، أو عدم مطابقتها له .

ثامناً ـ علم المخبر بالمطابقة ، أو بعدمها ، أو شكه فيها .

تاسعاً ـ إرادة المتكلم لايجاد الجملة في الخارج مسبوق بمقدماتها .

وقد اعترفت الأشاعرة بأن الكلام النفسي ليس شيئاً من الامور المذكورة ، وعلى هذا فلا يبقى للكلام النفسي عين ولا أثر . أما مفادالجملة فلا يمكن أن يكون هو الكلام النفسي ، لأن مفاد الجملة الخبرية ـ على ما هو المعروف ـ ثبوت شيء لشيء أو سلبه عنه . وعلى ماهو التحقيق ـ عندنا ـ هو قصد الحكاية عن الثبوت أو السلب . فقد أثبتنا أن الهيئة التركيبية للجملة الخبرية بمقتضى وضعها أمارة على قصد المتكلم للحكاية عن النسبة ، وشأنها في ذلك شأن ما سوى الألفاظ من الأمارات الجعلية .

وقد حققنا : أن الوضع هو التعهد بجعل لفظ خاص أو هيئة خاصة مبرزاً لقصد تفهيم أمر تعلق غرض المتكلم بتفهيمه . وقد أوضحنا ذلك كله في محله [1] . هذا هو مفاد الجملة الخبرية . والكلام النفسي ـ عند القائل به ـ موجود نفساني من سنخ الكلام مغاير للنسبة الخارجية ولقصد الحكاية .

وأما الجمل الانشائية فهي كالجمل الخبرية . والفارق بينهما أن الجمل الانشائية ليس في مواردها خارج تطابقه النسبة الكلامية أو لا تطابقه ، وعليه فالامور التي لابد منها في الجمل الانشائية سبعة ، وهي بذاتها الامور التسعة التي ذكرناها في الجمل الخبرية ما عدا السابع والثامن منها . وقد علمت أن الكلام النفسي عند القائلين به ليس واحداً منها .

ولعل سائلا يقول : ما هو مفاد هيئة الجملة الانشائية ؟

المعروف بين العلماء أنها موضوعة لايجاد معنى من المعاني نحو ايجاد مناسب لعالم

---

١ . في كتاب «أجود التقريرات» في الاصول .

الانشاء. وقد تكرر في كلمات كثير منهم أن الانشاء ايجاد المعنى باللفظ. وقد ذكرنا في مباحثنا الاصولية أنه لا أصل للوجود الانشائي. واللفظ والمعنى وإن كانت لهما وحدة عرضية منشأها ما بينهما من الربط الناشيء من الوضع، فوجود اللفظ وجود له بالذات ووجود للمعنى بالعرض والمجاز. ومن أجل ذلك يسري حسن المعنى أو قبحه الى اللفظ. وبهذا المعنى يصح أن يقال: وجد المعنى باللفظ وجوداً لفظياً، إلا أن هذا لا يختص بالجمل الانشائية، بل يعم الجمل الخبرية والمفردات أيضاً.

أما وجود المعنى بغير وجوده اللفظي فينحصر في نحوين، وكلاهما لا مدخل للفظ فيه أبداً:

أحدهما: وجوده الحقيقي الذي يظهر به في نظام الوجود من الجواهر والأعراض، ولابد في تحقيق هذا الوجود من تحقق أسبابه وعلله. والألفاظ اجنبية عنها بالضرورة.

ثانيهما: وجوده الاعتباري، وهو نحو من الوجود للشيء إلا أنه في عالم الاعتبار لا في الخارج، وتحقق هذا النحو من الوجود إنما هو باعتبار من بيده الاعتبار. واعتبار كل معتبر قائم بنفسه، ويصدر منه بالمباشرة، ولا يتوقف على وجود لفظ في الخارج أبداً. أما إمضاء الشارع أو إمضاء العقلاء للعقود أو الايقاعات الصادرة من الناس، فهو وإن توقف على صدور لفظ من المنشيء أو ما بحكم اللفظ. ولا أثر لاعتباره إذا تجرد عن المبرز من قول أو فعل، إلا أن الامضاء المذكور متوقف على صدور لفظ قصد به الانشاء. وموضع البحث هو مفاد ذلك اللفظ الذي جيء به في المرحلة السابقة على الامضاء.

وعلى الجملة: إن الوجود الحقيقي والاعتباري للشيء لا يتوقفان على اللفظ، وأما امضاء الشرع أو العقلاء للوجود الاعتباري فهو وإن توقف على صدور لفظ أو ما بحكمه من المنشيء، إلا أنه يتوقف عليه مما هو لفظ مستعمل في معناه. وأما الوجود اللفظي فهو عام لكل معنى دل عليه باللفظ، فلا أساس للقول المعروف: «الانشاء ايجاد المعنى باللفظ».

والصحيح: إن الهيئات الانشائية وضعت لابراز أمر ما من الامور النفسانية. وهذا الأمر

النفساني قد يكون اعتباراً من الاعتبارات كما في الأمر والنهي والعقود والايقاعات، وقد يكون صفة من الصفات، كما في التمني والترجّي. فهيئات الجمل أمارات على أمر ما من الامور النفسانية وهو فى الجمل الخبرية قصد الحكاية، وفي الجمل الانشائية أمر آخر.

ثم إن الاتيان بالجملة المبرزة ـ بوضعها ـ لأمر نفساني قد يكون بداعي ابراز ذلك الأمر، وقد يكون بداعٍ آخر سواه. وفي كون الاستعمال في هذا القسم الأخير مجازاً أو حقيقة كلام ليس هنا محل ذكره، وللاطلاع على تفصيل الكلام في ذلك يراجع تعليقاتنا الاصولية.

والذي يظهر من موارد استعمال لفظ الطلب: أنه موضوع للتصدي لتحصيل شيء ما. فلا يقال: طلب الضالة، ولا طلب الآخرة، الا عند التصدي لتحصيلهما. وفي لسان العرب: «الطلب محاولة وجدان الشيء وأخذه» وبهذا الاعتبار يصدق على الآمر أنه طالب، لأنه يحاول وجدان الفعل المأمور به، فان الأمر هو الذي يدعو المأمور الى الاتيان بمتعلقه. وهو بنفسه مصداق للطلب. لا أن الأمر لفظ والطلب معناه فلا أساس للقول بأن الأمر موضوع للطلب، ولا للقول بأن الطلب كلام نفسي يدل عليه الكلام اللفظي.

وقد أصابت الأشاعرة في قولهم: «إن الطلب غير الارادة» ولكنهم أخطأوا في جعله صفة نفسية، وفي جعله مدلولاً عليه بالكلام اللفظي.

نفي الكلام النفسي:

ومن جميع ما ذكرناه يستبين القارىء: انه ليس في موارد الجمل الخبرية ولا الانشائية ما يكون من سنخ الكلام قائماً بالنفس، ليسمى بالكلام النفسي. نعم لابد للمتكلم من أن يتصور كلامه قبل ايجاده، والتصور وجود في النفس يسمونه بالوجود الذهني. فان أراد القائلون بالكلام النفسي هذا النحو من الوجود للكلام في النفس فهو صحيح. ولكنك تعلم أنه غير مختص بالكلام، بل يعم كل فعل اختياري. والكلام إنما لزم تصوره لأنه فعل اختيارى للمتكلم.

أدلة الأشاعرة على الكلام النفسي:

استدل القائلون بالكلام النفسي على مدعاهم بوجوه: الأول: أن كل متكلم يرتب

الكلام في نفسه قبل أن يتكلم به ، والموجود في الخارج من الكلام يكشف عن وجود مثله في النفس ، وهذا وجداني يجده كل متكلم في نفسه . واليه أشار الأخطل بقوله :

إن الكـلام لفـي الفـؤاد وإنـما   جعل اللسان على الفؤاد دليـلا

وجوابه قد تقدم :

فان تركيب الكلام في النفس هو تصوره وإحضاره فيها ، وهو الوجـود الذهـني الذي يعم الافعال الاختيارية كافة . فالكاتب والنقاش لابد لهما من أن يتصورا عملهما أولاً قبل أن يوجداه ، فلا صلة لهذا بالكلام النفسي .

الثاني : أنه يطلق الكلام على الموجود منه في النفس ، واطلاقه عليه صحيح بلا عناية ، فيقول القائل : إن في نفسي كلاماً لا أريد أن ابديه . وقد قال الله عز اسمه:

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[1] .

وجوابه يظهر مما تقدم :

فان الكلام كلام في وجوده الذهني ، كما هو كلام في وجوده الخارجـي ولكـل شـيء نحوان من الوجود : خارجي وذهني . و الشيء هو ذلك الشيء في كلا وجوديه . وإطلاق الاسم عليه بلا عناية . ولا يختص هذا بالكلام ، فيقول المهندس : إن في نفسي صورة بناء سأنقشها في خارطة ويقول المتعبد: إن في نفسي أن أصوم غداً .

الثالث : أنه يصح إطلاق المتكلم على الله . وهذه الهيئة اسم الفاعل وضعت لافادة قيام المبدأ بالذات قياماً وصفياً . ولذا لا يطلق المتحرك والساكن والنائم إلا عـلى مـن تـلبس بالحركة والسكون والنوم ، دون من أوجدها. وواضح أن الكلام اللفظي لا يمكن أن يتصف به الله تعالى ، لاستحالة اتصاف القديم بالصفة الحادثة ، فلا مـناص مـن الالتـزام بـالكلام القديم ، ليصح إطلاق المتكلم على الله سبحانه باعتبار اتصافه به .

وجوابه :

أن المبدأ في صيغة المتكلم ليس هو الكـلام ، فـانه غـير قـائم بـالمتكلم قـيام الصـفة

---

١ . سورة الملك : الآية ١٣ .

بموصوفها حتى في غير الله ، فان الكلام كيفية عارضة للصوت الحاصل من تموج الهواء ، وهو أمر قائم بالهواء لا بالمتكلم . والمبدأ في الصيغة المذكورة هو التكلم . ولا نعقل له معنى غير ايجاد الكلام ، فاطلاقه على الله وعلى غيره بمعنى واحد.

وأما قول المستدل : «إن هيئة اسم الفاعل وضعت لافادة قيام المبدأ بالذات قيام الوصف بالموصوف» فهو غلط بيّن ، فان الهيئة إنما تفيد قيام المبدأ بالذات نحواً من القيام . أما خصوصيات القيام من كونها ايجادية أو حلولية أو غيرهما فهي غير مأخوذة في مفاد الهيئة وهي تختلف باختلاف الموارد ، ولا تدخل تحت ضابط كلي ، فالعالم والنائم مثلاً لا يطلقان على موجد العلم والنوم ، لكن القابض والباسط والنافع والضار تطلق على موجد هذه المبادىء وعليه فعدم صحة إطلاق المتحرك على موجد الحركة لا يستلزم عدم صحة اطلاق المتكلم على موجد الكلام .

وحاصل ما تقدم :

أن الكلام النفسي أمر خيالي بحت لا دليل على وجوده من وجدان أو برهان .

ومن المناسب أن نختم الكلام بما ذكره الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في هذا الموضوع. فقد روى الشيخ الكليني باسناده عن أبي بصير . قال :

«سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « لم يزل الله عزّ وجل ربنا ، والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدرة ذاته ولا مقدور . فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم ، والسمع على المسموع ، والبصر على المبصَر ، والقدرة على المقدور» . قال : قلت : فلم يزل الله متحركاً؟ قال : فقال : « تعالى الله عن ذلك ، إن الحركة صفة محدثة بالفعل» . قال : فقلت : فلم يزل الله متكلما؟ قال : فقال : «إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عزّ وجل ولا متكلّم»[1] »[2].

---

١. اصول الكافي باب صفات الذات ص ٥١.
٢. البيان ص ٤٣١ ـ ٤٤٠.

اصناف الآيات ومقاصدها

قال علي بن إبراهيم القمي (ره) :

« فالقرآن منه ناسخ ، ومنه منسوخ ، ومنه محكم ، ومنه متشابه ، ومنه عام، ومنه خاص ، ومنه تقديم ، ومنه تأخير ، ومنه منقطع ، ومنه معطوف ، ومنه حرف مكان حرف ، ومنه على خلاف ما أنزل الله ، ومنه ما لفظه عام ومعناه خاص ، ومنه مالفظه خاص ومعناه عام ، ومنه آيات بعضها في سورة وتمامها في سورة أخرى ، ومنه ماتأويله في تنزيله ، ومنه ماتأويله مع تنزيله ، ومنه ماتأويله قبل تنزيله ، ومنه ماتأويله بعدتنزيله ، ومنه رخصة إطلاق بعد الحظر، ومنه رخصة صاحبها فيها بالخيار إن شاء فعل وإن شاء ترك ، ومنه رخصة ظاهرها خلاف باطنها يعمل بظاهرها ولا يدان بباطنها ، ومنه ماعلى لفظ الخبر ومعناه حكاية عن قوم ، ومنه آيات نصفها منسوخة ونصفها متروكة على حالها ، ومنه مخاطبة لقوم ومعناه لقوم آخرين ،ومنه مخاطبة للنبي ﷺ والمعني أمته ، ومنه مالفظه مفرد ومعناه جمع ، ومنه ما لايعرف تحريمه إلا بتحليله ، ومنه رد على الملحدين ، ومنه رد على الزنادقة ، ومنه رد على الثنويه ، ومنه رد على الجهمية ، ومنه رد على الدهرية ، ومنه رد على عبدة النيران ، ومنه رد على عبدة الأوثان ، ومنه رد على المعتزلة ، ومنه رد على القدرية ، ومنه رد على المجبرة ، ومنه رد على من أنكر من المسلمين الثواب والعقاب بعد الموت يوم القيامة ، ومنه رد على من أنكر المعراج والإسراء ، ومنه رد على من أنكر

الميثاق في الذر، ومنه رد على من أنكر خلق الجنة والنار، ومنه رد على من أنكر المتعة والرجعة، ومنه رد على من وصف الله عزوجل، ومنه مخاطبة الله عزوجل لأميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام وماذكره الله من فضائلهم ،وفيه خروج القائم وإخبار الرجعة، وماوعد الله تبارك وتعالى الأئمة عليهم السلام من النصرة والإنتقام من أعدائهم، وفيه شرائع الاسلام وأخبار الأنبياء عليهم السلام ومولدهم ومبعثهم وشريعتهم وهلاك أمتهم، وفيه مانزل بمغازي النبي صلى الله عليه وآله، وفيه ترهيب، وفيه ترغيب، وفيه أمثال ،وفيه أخبار وقصص»[1].

قال القمي (ره): «وإما ما لفظه عام ومعناه خاص، فمثل قوله تعالى: ﴿ **يابني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضّلتكم على العالمين**﴾[2] فلفظه عام ومعناه خاص، لأنه فضلهم على عالمي زمانهم بأشياء خصهم بها، وقوله: ﴿ **وأوتيت من كل شيء** ﴾[3] يعني بلقيس فلفظه عام ومعناه خاص، لأنها لم تؤت أشياء كثيرة منها الذكر واللحية، وقوله: ﴿ **ريح فيها عذاب أليم تُدَمّرُ كل شيء بأمر ربها** ﴾[4] لفظه عام ومعناه خاص، لأنها تركت أشياء كثيرة لم تدمرها.

وأما مالفظه خاص ومعناه عام، فقوله: ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل إنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً**﴾[5] فلفظ الآية خاص في بني إسرائيل ومعناهاعام في الناس كلهم[6].

قال القمي (ره): «وأما ماهو حرف مكان حرف، فقوله: ﴿ **لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم** ﴾[7] يعني ولا للذين ظلموا منهم، وقوله: ﴿ **ياموسى لاتخف إني لايخاف لدي المرسلون إلا من ظلم** ﴾[8] يعني ولا من ظلم، وقوله: ﴿ **وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ** ﴾[9] يعني ولا خطأ، وقوله: ﴿ **لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم** ﴾[10] يعني حتى تنقطع قلوبهم، ومثله كثير»[11].

---

١. تفسير القمي ج ١ ص ١٧-١٨.
٢. سورة البقرة: الآية ٤٧.
٣. سورة النمل: الآية ٢٣.
٤. سورة الاحقاف: الآية ٢٤ و ٢٥.
٥. سورة المائدة: الآية ٣٢.
٦. تفسير القمي ج ١ ص ٢٠.
٧. سورة البقرة: الآية ١٥٠.
٨. سورة النّمل: الآية ١٠.
٩. سورة النّساء: الآية ٩٢.
١٠. سورة التوبة: الآية ١١٠.
١١. تفسير القمي ج ١ ص ٢٢.

قال القمي (ره):

« وأما مالفظه جمع ومعناه واحد وهو جار في الناس ، فقوله :﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾ [١] نزلت في أبي لبابة ابن عبدالله بن المنذر خاصة ،وقوله :﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ [٢] نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ، وقوله : ﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ﴾ [٣] نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي، وقوله : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ﴾ [٤] نزلت في عبدالله بن نفيل خاصة ،ومثله كثير نذكره في مواضعه .

وأما مالفظه واحد ومعناه جمع ، فقوله :﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾[٥] فاسم الملك واحد ومعناه جمع ، وقوله :﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر ﴾ [٦]، فلفظ الشجر واحد ومعناه جمع .

وأما ما لفظه ماض وهو مستقبل ، فقوله : ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات و من في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴾ [٧] وقوله : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لايظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ [٨] إلى آخر الآية فهذا كله مالم يكن بعد وفي لفظ الآية إنه قد كان ومثله كثير»[٩].

قال القمي (ره):

« وأما ما تأويله في تنزيله ، فكل آية نزلت في حلال أو حرام مما لا يحتاج فيها إلى تأويل ، مثل قوله : ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم ﴾ [١٠]

١. سورة الأنفال ، الآية : ٢٧.
٢. سورة الممتحنة ، الآية : ١ .
٣. سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣ .
٤. سورة التوبة ، الآية : ٦١ .
٥. سورة الفجر ، الآية : ٢٢ .
٦.. سورة الحج ، الآية : ١٨ .
٧. سورة النمل ، الآية : ٨٧.
٨. سورة الزمر :الآيات ٦٨-٧٠ .
٩. تفسير القمي ج ١ ص ٢٣ - ٢٦ .
١٠ .سورة النساء ، الآية : ٢٣ .

وقوله: ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ [١] ومثله كثير مما تأويله في تنزيله، وهو من المحكم الذي ذكرناه.

وأما ما تأويله مع تنزيله، فمثل قوله: ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [٢] فلم يتغنَّ الناس بتنزيل الآية، حتى فسر لهم الرسول من أولوا الأمر، وقوله ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [٣] فلم يستغن الناس الذين سمعوا هذا من النبي بتنزيل الآية، حتى عرفهم النبي ﷺ من الصادقون، وقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ [٤] فلم يستغن الناس حتى أخبرهم النبي ﷺ كم يصومون، وقوله: ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ [٥] فلم يستغن الناس بهذا، حتى أخبرهم النبي كم يصلون، وكم يصومون، وكم يزكون.

وأما ما تأويله [حين تنزيله]، فالأمور التي حدثت في عصر النبي ﷺ مما لم يكن عند النبي فيها حكم مثل الظهار، فإن العرب في الجاهلية كانوا إذا ظاهر الرجل من امرأته حرمت عليه إلى الأبد، فلما هاجر رسول الله إلى المدينة، ظاهر رجل من امرأته يقال له أوس بن الصامت، فجاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فانتظر النبي ﷺ الحكم من الله، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ﴾ [٦] ومثله ما نزل في اللعان وغيره، مما لم يكن عند النبي ﷺ فيه حكم، حتى نزل عليه القرآن به من عند الله عزوجل، فكان التأويل قد تقدم التنزيل.

وأما ما تأويله بعد تنزيله، فالأمور التي حدثت في عصر النبي ﷺ وبعده من غصب آل محمد حقهم، وما وعدهم الله به من النصر على أعدائهم، وما أخبر الله به من أخبار القائم وخروجه، وأخبار الرجعة والساعة في قوله: ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ [٧] وقوله: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

---

١. سورة المائدة، الآية: ٣.
٢. سورة النساء، الآية: ٥٩.
٣. سورة التوبة، الآية: ١١٩.
٤. سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
٥. سورة البقرة، الآية: ٤٣.
٦. سورة المجادلة، الآية: ٢.
٧. سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ [١] نزلت في القائم من آل محمد ﷺ وقوله : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض﴾ [٢] ومثله كثير مما تأويله بعد تنزيله .

وأما ما هو متفق اللفظ ومختلف المعنى ، فقوله : ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها ﴾ [٣] يعني أهل القرية وأهل العير ، وقوله : ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ﴾ [٤] يعني أهل القرى ، ومثله كثير نذكره .

وأما الرخصة التي هي بعد العزيمة ، فإن الله تبارك وتعالى فرض الوضوء والغسل بالماء ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ [٥] ثم رخص لمن لم يجد الماء التيمم بالتراب ، فقال : ﴿ وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾[٦] ومثله : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾[٧] ثم رخص ، فقال : ﴿ فإن خفتم فرجالا أو ركبانا ﴾ [٨] وقوله : ﴿ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ [٩] فقال العالم : « الصحيح يصلي قائما ، والمريض يصلي جالسا ، فمن لم يقدر فمضطجعا يومي إيماء ، فهذه رخصة بعد العزيمة » .

وأما الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار إن شاء أخذ وإن شاء ترك ، فإن الله عزوجل رخص أن يعاقب الرجل الرجل على فعله به ، فقال : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [١٠] فهذا بالخيار إن شاء عاقب وإن شاء عفا .

وأما الرخصة التي ظاهرها خلاف باطنها ، يعمل بظاهرها ولا يدان بباطنها، فإن الله

---

١. سورة النور ، الآية : ٥٥.
٢. سورة القصص ، الآيتان : ٥ ـ ٦.
٣. سورة يوسف ، الآية : ٨٢.
٤. سورة الكهف ، الآية : ٥٩ .
٥. سورة المائدة ، الآية ٦.
٦. سورة المائدة ، الآية : ٦.
٧. سورة البقرة ، الآية : ٢٣٨ .
٨. سورة البقرة ، الآية : ٢٣٩ .
٩. سورة النساء ، الآية : ١٠٣.
١٠. سورة الشورى ، الآية : ٤٠ .

تبارك وتعالى نهى أن يتخذ المؤمن الكافر وليا، فقال: ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء** ﴾ [١] ثم رخص عند التقية أن يصلي بصلاته، ويصوم بصيامه، ويعمل بعمله في ظاهره، وأن يدين الله في باطنه بخلاف ذلك، فقال: ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ [٢] فهذا تفسير الرخص ومعنى قول الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى يجب أن يؤخذ برخصه كما يجب أن يؤخذ بعزائمه».

وأما ما لفظه خبر ومعناه حكاية، فقوله: ﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا** ﴾ [٣] وهذا حكاية عنهم، والدليل على أنه حكاية ما رد الله عليهم بقوله: ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض** ﴾ [٤] وقوله يحكي قول قريش: ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ [٥] فهو على لفظ الخبر، ومعناه حكاية، ومثله كثير نذكره في مواضعه.

وأما ما هو مخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى لأمته، فقوله: ﴿ **يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن** ﴾ [٦] والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى لأمته، وقوله: ﴿ **لا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا** ﴾ [٧] ومثله مما خاطب الله به نبيه صلى الله عليه وآله والمعنى لأمته، وهو قول الصادق عليه السلام: «إن الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله بإياك اعني واسمعي يا جارة».

وأما ما هو مخاطبة لقوم ومعناه لقوم آخرين، فقوله: ﴿ **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن** - أنتم يا معشر أمة محمد - **في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا** ﴾ [٨] فالمخاطبة لبني إسرائيل والمعنى لأمة محمد صلى الله عليه وآله.

وأما الرد على الزنادقة، فقوله: ﴿ **ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون** ﴾ [٩] وذلك ان الزنادقة زعمت أن الإنسان إنما يتولد بدوران الفلك، فإذا وقعت النطفة في الرحم، تلقتها الأشكال والغذاء، ومر عليه الليل والنهار ويكبر، لذلك، فقال الله تبارك وتعالى ردا

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٢٨.
٢. سورة آل عمران، الآية: ٢٨.
٣. سورة الكهف، الآية: ٢٥.
٤. سورة الكهف، الآية: ٢٦.
٥. سورة الزمر، الآية: ٣.
٦. سورة الطلاق، الآية: ١.
٧. سورة الإسراء، الآية: ٣٩.
٨. سورة الإسراء، الآية: ٤.
٩. سورة يس، الآية: ٦٨.

عليهم: ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ﴾ يعني من يكبر ويعمر يرجع إلى حد الطفولية، ويأخذ في النقصان والنكس، فلو كان هذا كما زعموا، لوجب أن يزيد الإنسان أبداً مادامت الأشكال قائمة، والليل والنهار يدوران عليه، فلما بطل هذا وكان من تدبير الله عزوجل، أخذ في النقصان عند منتهى عمره.

وأما الرد على الثنوية، فقوله: ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ﴾ [١] قال: لو كان الهان لطلب كل واحد منهما العلو، وإذا شاء واحد أن يخلق إنساناً شاء الآخر أن يخالفه فيخلق بهيمة، فيكون الخلق منهما على مشيئتهما واختلاف إرادتهما بخلق إنسان وبهيمة في حالة واحدة، وهذا من أعظم المحال غير موجود، وإذا بطل هذا ولم يكن بينهما إختلاف، بطل الإثنان وكان واحداً، فهذا التدبير واتصاله، وقوام بعضه ببعض بالأهواء، والإرادات، والمشيئات، يدل على صانع واحد، وهو قوله عزوعلا: ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾، وقوله: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [٢].

وأما الرد على عبدة الأوثان، فقوله: ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلاتنظرون ﴾ [٣] وقوله يحكي قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ [٤] وقوله: ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ﴾ [٥] وقوله: ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ [٦] ومثله كثير مما هو رد على الزنادقة وعبدة الأوثان.

وأما ما هو رد على الدهرية، زعموا أن الدهر لم يزل ولا يزال أبداً، وليس له مدبر ولاصانع، وأنكروا البعث ... والنشور، فحكى الله عز وجل قولهم، فقال: ﴿ وقالوا ما هي

---

١. سورة المؤمنون، الآية: ٩١.
٢. سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
٣. سورة الأعراف، الآيتان: ١٩٤ - ١٩٥.
٤. سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٦ - ٦٧.
٥. سورة الإسراء، الآية: ٥٦.
٦. سورة النحل، الآية: ١٧.

إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ـ وإنما قالوا: نحيىٰ ونموت ـ وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ (١)

فرد الله عليهم، فقال عزوجل: ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفّىٰ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ (٢) ثم ضرب للبعث والنشور مثلا، فقال: ﴿ وترى الأرض هامدة - أي يابسة ميتة - فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج - أي حسن - ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾ (٣)، وقوله: ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى ﴾ (٤) وقوله: ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناهما ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج - إلى قوله - وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾ (٥) وقوله: ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (٦) ومثله كثير مما هو رد على الدهرية.

وأما الرد على من أنكر الثواب والعقاب، فقوله: ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السمٰوات والأرض ﴾ (٧) وأما قوله مادامت السمٰوات والأرض إنما هو في الدنيا، فإذا قامت القيامة تبدل السمٰوات والأرض، وقوله ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ (٨) فالغدو والعشي إنما يكون في الدنيا في دار المشركين، وأما في القيامة فلا يكون غدوا ولا عشيا، قولا:

---

١. سورة الجاثية، الآية: ٢٤.
٢. سورة الحج، الآية: ٥.
٣. سورة الحج، الآيات: ٥ - ٧.
٤. سورة الروم، الآيات: ٤٨ - ٥٠.
٥. سورة ق: الآيات، ٦ - ٧ و ١١.
٦. سورة يس، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.
٧. سورة هود، الآيات: ١٠٥ - ١٠٧.
٨. سورة غافر، الآية: ٤٦.

﴿ لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ (١) يعني في جنان الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين، فأما في جنات الخلد فلا يكون غدوا ولا عشيا، وقوله: **﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾** (٢) فقال الصادق عليه السلام: «البرزخ القبر وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة». والدليل على ذلك أيضا قول العالم عليه السلام: «والله ما نخاف عليكم إلا البرزخ»، وقوله عزوجل: **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** (٣). قال الصادق عليه السلام: «يستبشرون والله في الجنة بمن لم يلحقوا بهم من خلفهم من المؤمنين في الدنيا» ومثله كثير مما هو رد على من أنكر عذاب القبر.

وأما الرد على من أنكر المعراج والإسراء، فقوله: **﴿ وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾** (٤) وقوله: **﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ﴾** (٥) وقوله: **﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾** (٦)، يعني الأنبياء عليهم السلام وانما رآهم في السماء لما أسري به.

وأما الرد على من أنكر الرؤية، فقوله: **﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على مايرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾** (٧).

قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم: حدثني أبي، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: قال: «يا أحمد ما الخلاف بينكم وبين أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد» فقلت: «جعلت فداك قلنا نحن: بالصورة، للحديث الذي روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربه في صورة شاب، وقال هشام بن الحكم: بالنفي للجسم، فقال: «يا أحمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به إلى السماء وبلغ عند سدرة المنتهى، خرق له في الحجب مثل سم الإبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى، وأردتم أنتم التشبيه، دع هذا يا أحمد لا ينفتح عليك، هذا أمر عظيم».

---

١. سورة مريم، الآية: ٦٢.
٢. سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.
٣. سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ – ١٧٠.
٤. سورة النجم، الآيات: ٧ – ٩.
٥. سورة الزخرف، الآية: ٤٥.
٦. سورة يونس، الآية: ٩٤.
٧. سورة النجم، الآيات: ١١ – ١٥.

وأما الرد على من أنكر خلق الجنة والنار، فقوله: ﴿ عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾ وسدرة المنتهى في السماء السابعة، وجنة المأوى عندها، قال علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن حماد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة، فرأيت قصرا من ياقوتة حمراء، يرى داخلها من خارجها، وخارجها من داخلها من ضيائها، وفيها بيتان من درّ وزبرجد، فقلت: يا جبرئيل لمن هذا القصر؟.فقال: هذا لمن أطاب الكلام، وأدام الصيام، وأطعم الطعام، وتهجد بالليل والناس نيام». فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يارسول الله وفي أمتك من يطيق هذا» فقال:«أدن مني يا علي» فدنا منه، فقال: أتدري ما إطابة الكلام؟» قال: «الله ورسوله أعلم»، قال: «من قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، قال: «أتدري ما أدامة الصيام؟» قال: «الله ورسوله أعلم» قال: «من صام رمضان ولم يفطر منه يوما، أتدري ما إطعام الطعام؟» قال: «الله ورسوله أعلم» قال: «من طلب لعياله ما يكف به وجوههم عن الناس، وتدري ما التهجد بالليل والناس نيام؟» قال: «الله ورسوله أعلم» قال: «من لم ينم حتى يصلي العشاء الآخرة، ويعني بالناس نيام اليهود والنصارى، فإنهم ينامون ما بينها». وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة، فرأيت فيها قيعان، تفق[١] ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وربما أمسكوا، فقلت لهم: مالكم ربما بنيتم وربما أمسكتم؟، فقالوا: حتى تجيئنا النفقة، فقلت: وما نفقتكم؟، فقالوا: قول المؤمن في الدنيا سبحان الله، والحمد لله، ولا آله إلا الله، والله أكبر، فإذا قال بنينا، وإذا أمسك أمسكنا»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما أسري بي إلى سبع سمواته، أخذ بيدي جبرئيل، فأدخلني الجنة، فأجلسني على درنوك[٢] من درانيك الجنة، فناولني سفرجلة، فانفلقت نصفين، فخرجت من بينهما حوراء، فقامت بين يدي، فقالت: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا رسول الله، فقلت: وعليك السلام، من أنت؟ فقالت: أنا الراضية المرضية، خلقني الجبار من ثلاثة أنواع، أسفلي من المسك، ووسطي

١. هكذا في نسختنا، ولكن الأظهر كلمة (تفق) زائدة.
٢. الدرنوك كعصفور: ضرب من الثياب أو البسط له خمل قصير (لسان العرب).

من العنبر، وأعلاي من الكافور، وعجنت بماء الحيوان، ثم قال جل ذكره لي: كوني فكنت[١] لأخيك ووصيك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، قال: وقال أبو عبدالله عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فغضبت من ذلك عائشة، وقالت: يا رسول الله إنك تكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عائشة إنه لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة، فادناني جبرائيل عليه السلام من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلته، فلما هبطت إلى الأرض حول الله ذلك ماء في ظهري، فواقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فما قبلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها». ومثل ذلك كثير مما هو رد على من أنكر المعراج وخلق الجنة والنار.

وأما الرد على المجبرة، الذين قالوا: ليس لنا صنع ونحن مجبرون، يحدث الله لنا الفعل عند الفعل، وإنما الأفعال هي منسوبة إلى الناس على المجاز لا على الحقيقة، وتأولوا في ذلك آيات من كتاب الله عزوجل لم يعرفوا معناها، مثل قوله: ﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله** ﴾[٢] وقوله: ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا** ﴾[٣] وغير ذلك من الآيات التي تأويلها على خلاف معانيها، وفيما قالوه إبطال للثواب والعقاب، وإذا قالوا ذلك ثم أقروا بالثواب والعقاب نسبوا الله إلى الجور، وإنه يعذب العبد على غير اكتساب وفعل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا أن يعاقب أحدا على غير فعله وبغير حجة واضحة عليه، والقرآن كله رد عليهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾[٤] فقوله عزوجل لها وعليها هو على الحقيقة لفعلها، وقوله: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾[٥] وقوله: ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾[٦] وقوله: ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم** ﴾[٧] وقوله: ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾[٨] وقوله: ﴿ **إنا**

---

١. هكذا في الأصل ولكن من المحتمل سقوط بعض الكلمات في العبارة.
٢. سورة الإنسان، الآية: ٣٠.
٣. سورة الأنعام: الآية: ١٢٥.
٤. سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
٥. سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.
٦. سورة المدثر، الآية: ٣٨.
٧. سورة آل عمران، الآية: ١٨٢، وسورة الأنفال، الآية: ٥١.
٨. سورة فصلت، الآية: ١٧.

هديناه السبيل ﴾ [1] يعني بينا له طريق الخير وطريق الشر ﴿ إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [2] وقوله: ﴿ وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه - لم يقل: بفعلنا - فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به - وبداره - الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [3] ومثله كثير نذكره، ونذكر ما احتجت به المجبرة من القرآن الذي لم يعرفوا معناه وتفسيره في مواضعه إن شاء الله.

وأما الرد على المعتزلة، فإن الرد من القرآن عليهم كثير، وذلك أن المعتزلة قالوا: نحن نخلق أفعالنا وليس لله فيها صنع، ولا مشيئة، ولا إرادة، ويكون ما شاء إبليس ولا يكون ما شاء الله، واحتجوا إنهم خالقون، لقول الله عزوجل: ﴿ تبارك الله أحسن الخالقين﴾ [4] فقالوا: في الخلق خالقون غير الله، فلم يعرفوا معنى الخلق، وعلى كم وجه هو، فسئل الصادق عليه السلام أفوض الله إلى العباد أمرا؟ فقال: «الله أجل وأعظم من ذلك» فقيل: فأجبرهم على ذلك؟ فقال: الله أعدل من أن يجبرهم على فعل ثم يعذبهم عليه»، فقيل له: فهل بين هاتين المنزلتين منزلة؟ قال: «نعم» فقيل: ما هي؟ فقال: «سر من أسرار ما بين السماء والأرض» وفي حديث آخر قال: سئل هل بين الجبر والقدر منزلة؟، قال: «نعم» قيل: فما هي؟ قال: «سر من أسرار الله» قال: «هكذا خرج إلينا» قال: وحدثني محمد ابن عيسى بن عبيد، عن يونس، قال: قال الرضا عليه السلام: «يا يونس لا تقل بقول القدرية، فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس، فإن أهل الجنة قالوا: ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [5] ولم يقولوا بقول أهل النار، فإن أهل النار قالوا: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ [6]، وقال إبليس ﴿رب بما أغويتني﴾ [7] فقلت: يا سيدي والله ما أقول بقولهم، ولكني أقول: لا يكون إلا ما شاء الله وقضى وقدّر،

---

١. سورة الإنسان، الآية: ٣.
٢. سورة الإنسان، الآية: ٣.
٣. سورة العنكبوت، الآيات: ٣٨ - ٤٠.
٤. سورة المؤمنون: الآية ١٤.
٥. سورة الاعراف: الآية ٤٣.
٦. سورة المؤمنون: الآية ١٠٦.
٧. سورة الحجر: الآية ٣٩.

فقال: «ليس هكذا يا يونس، ولكن لايكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى، أتدري ما المشيئة يا يونس؟، قلت: لا، قال: «هو الذكر الأول، أتدري ما الإرادة؟» قلت: لا، قال: العزيمة على ما شاء الله، وتدري ما التقدير؟» قلت: لا، قال: «هو وضع الحدود من الآجال، والأرزاق، والبقاء، والفناء، وتدري ما القضاء؟» قلت: لا، قال: «هو إقامة العين، ولا يكون إلا ما شاء الله عنى الذكر الأول».

وأما الرد على من أنكر الرجعة، فقوله: ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾[1] قال: «وحدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «ما يقول الناس في هذه الاية: ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا﴾[2] قلت: يقولون إنها في القيامة، قال: «ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة، أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجا ويدع الباقين، إنما آية القيامة قوله: ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾[3] وقوله: ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾[4] فقال الصادق عليه السلام: «كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب ومحضوا[5] الكفر محضا لا يرجعون في الرجعة، وأما في القيامة فيرجعون، أما غيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب (ومحضوا الإيمان محضا أوط) ومحضوا الكفر محضا يرجعون، قال: وحدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾[6] قال: «مابعث الله نبياً من لدن آدم إلى عيسى عليه السلام، إلا أن يرجع إلى الدنيا فينصر أمير المؤمنين عليه السلام، وهو قوله: ﴿ لتؤمنن به ﴾ يعني رسول الله ﴿ ولتنصرنه ﴾ يعني أمير المؤمنين ومثله كثير، وما وعد الله تبارك وتعالى الأئمة عليهم السلام من الرجعة والنصرة فقال: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم - يامعشر الأئمة - وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً﴾[7] فهذا مما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا،

---

١. سورة النمل، الآية: ٨٣.
٢. سورة النمل، الآية: ٨٣.
٣. سورة الكهف، الآية: ٤٧.
٤. سورة الأنبياء، الآية: ٩٥.
٥. محض فلان الود: أي أخلصه.
٦. سورة آل عمران، الآية: ٨١.
٧. سورة النور، الآية: ٥٥.

وقوله: ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ﴾ [١] فهذا كله مما يكون في الرجعة ، قال: وحدثني أبي ، عن أحمدبن النضر ، عن عمربن شمر ، قال: ذكر عند أبي جعفر عليه السلام جابر ، فقال: « رحم الله جابراً ، لقد بلغ من علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ يعني الرجعة ، ومثله كثير نذكره في مواضعه.

وأما الرد على من وصف الله عزوجل ، فقوله: ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ [٢] قال: حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « إذا انتهى الكلام إلى الله ، فامسكوا وتكلموا فيما دون العرش ، ولاتكلموا فيما فوق العرش ، فإن قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم ، حتى أن الرجل كان ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه ، وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه » وقوله عليه السلام: إنه من تعاطى مأثمة هلك » فلا يوصف الله عزوجل إلا بما وصف به نفسه عزوجل ، ومن قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته وكلامه في نفي الصفة.

وإما الترغيب ، فمثل قوله: ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [٣] وقوله تعالى: ﴿ هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [٤] ومثل قوله تعالى: ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ [٥] وقوله: ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ [٦] وقوله: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أُنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ [٧].

ضوأما الترهيب ، فمثل قوله تعالى: ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ [٨] وقوله: ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولامولود

---

١. سورة القصص ، الآيتان: ٥ـ٦.
٢. سورة النجم ، الآية: ٤٢
٣. سورة الإسراء ، الآية: ٧٩.
٤. سورة الصف ، الآيات: ١٠ـ١٢.
٥. سورة القصص ، الآية: ٨٤.
٦. سورة الأنعام ، الآية: ١٦٠.
٧. سورة غافر ، الآية: ٤٠.
٨. سورة الحج: الآية: ١.

هو جاز عن والده شيئاً إن وعدالله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ [١]
ومثله كثير في القرآن نذكره في مواضعه.

وأما القصص، فهو ما أخبر الله تعالى نبيه ﷺ من أخبار الأنبياء وقصصهم في قوله: ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ [٢] وقوله: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ [٣] وقوله: ﴿لقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ [٤]، ومثله كثير، ونحن نذكر ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى، وإنما ذكرنا من الأبواب التي اختصرناها من الكتاب آية واحدة، ليستدل بها على غيرها، ويعرف معنى ماذكرناه مما في الكتاب من العلم، وفي ذلك الذي ذكرناه كفاية لمن شرح الله صدره وقلبه للإسلام، ومن عليه بدينه الذي ارتضاه لملائكته، وأنبيائه، ورسله، وبالله نستعين، وعليه نتوكل، ونسأله العصمة، والتوفيق، والعون، على ما يقربنا منه، ويزلفنا لديه، واستفتح الله الفتاح العليم الذي من استمسك بحبله، ولجأ إلى سلطانه، وعمل بطاعته، وانتهى عن معصيته، ولزم دين أوليائه وخلفائه، نجا بحوله وقوته، واسأله عزوجل أن يصلي على خيرته من خلقه محمدوآله الأخيار والأبرار» [٥].

قال ابن جزى في المعانى والعلوم التى تضمنها القرآن: «ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل. أما الجملة: فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إنّ المقصد يقتضى أمرين، لابد منهما، وإليهما ترجع معانى القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التى دعى الخلق إليها، والاخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها، فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال، وأما البواعث عليها فأمران، وهما الترغيب والترهيب.

وأما على التفصيل: فاعلم أن معانى القرآن سبعة: وهى علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص. فأما علم الربوبية: فمنه إثبات وجود البارى جل

---

١. سورة لقمان، الآية: ٣٣.
٢. سورة الكهف، الآية: ١٣.
٣. سورة يوسف، الآية: ٣.
٤. سورة غافر، الآية: ٧٨.
٥. تفسير القمي ج ١ ص ٢٥ ـ ٣٩.

جلاله ، والاستدلال عليه بمخلوقاته ، فكل ماجاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات ، والاعتبار في خلقة الأرض والسموات ، والحيوان والنبات . والريح والأمطار ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، وغير ذلك من الموجودات ، فهو دليل على خالقه ، ومنه إثبات الوحدانية ، والردّ على المشركين ، والتعريف بصفات الله : من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر ، وغير ذلك من أسمائه وصفاته ، والتنزيه عما لايليق به . وأما النبوة : فإثبات نبوّة الأنبياء عليهم السلام على العموم ، ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص، وإثبات الكتب التى أنزلهاالله عليهم ، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم ، والردّ على من كفر بشيء من ذلك ، وينخرط في سلك هذا ماورد في القرآن من تأنيس النبى ﷺ وكرامته والثناء عليه وسائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجميعن . وأما المعاد فإثبات الحشر ، وإقامة البراهين ، والردّ على من خالف فيه ، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار ، والحساب والميزان ،وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال ، ونحو ذلك . وأما الأحكام : فهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع : واجب ، ومندوب ، وحرام ، ومكروه ، ومباح ، ومنها مايتعلق بالأبدان: كالصلاة والصيام، ومايتعلق بالأموال : كالزكاة ، ومايتعلق بالقلوب: كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك . وأما الوعد : فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك ، ومنه وعد بخير الآخرة وهو الأكثر : كأوصاف الجنة ونعيمها . وأما الوعيد : فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا ، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة وهو الأكثر :كأوصاف جهنم وعذابها ، وأوصاف القيامة وأهوالها . وتأمّل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد ، قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر ، ليجمع بين الترغيب والترهيب، وليتبين أحدهمابالآخر،كماقيل: فبضدّها تتبيّن الأشياء. وأماالقصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدّمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف ، وذى القرنين...» [١] .

قال القاسمي :

« .... وقسم هو مأخوذ من جملته ، من حيث هوكلام ، لا من حيث هو خطاب بأمر أونهى أو غيرهما ، بل من جهة ماهو هو . وذلك مافيه من دلالة النبوة . وهو كونه معجزة

---

١. التسهيل ج ١ ص ٥ ـ ٦.

لرسول الله ﷺ . فإن هذا المعنى ليس مأخوذا من تفاصيل القرآن كما تؤخذ منه الأحكام الشرعية ، إذ لم تنص آياته وسوره على ذلك مثل نصها على الأحكام بالأمر والنهي وغيرهما ، وإنما فيه التنبيه على التعجيز أن يأتوا بسورة مثله . وذلك لا يختص به شيء من القرآن دون شيء ، ولاسورة دون سورة ، ولانمط منه دون آخر . بل ماهيته هي المعجزة له حسبما نبه عليه قوله ﷺ [1] : « مامن الأنبياء نبيّ إلا أعطى مامثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ . فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » فهو بهيأته التي أنزله الله عليها دال على صدق الرسول ﷺ . وفيها عجز الفصحاء اللسن والخصماء اللد عن الإتيان بما يماثله أو يدانيه . ووجه كونه معجزا لا يحتاج إلى تقريره في هذا الموضع ، لأنه كيما تصور الإعجاز به ، فماهيته هي الدالة على ذلك ، فإلى أي نحوٍ منه ملت دلك على صدق رسول الله ﷺ . فهذا القسم أيضا لا نظر فيه هنا وموضعه كتب الكلام ...

وقسم هو مأخوذ من عادة الله تعالى في إنزاله وخطاب الخلق به ، ومعاملته لهم بالرفق والحسنى ، من جعله عربيا يدخل تحت نيل أفهامهم مع أنه المنزه القديم . وكونه تنزل لهم بالتقريب والملاطفة والتعليم في نفس المعاملة به قبل النظر إلى ماحواه من المعارف والخيرات . وهذا نظر خارج عما تضمنه القرآن من العلوم . وتنبنى صحة الأصل المذكور في كتاب الاجتهاد . وهو أصل التخلق بصفات الله والاقتداء بأفعاله . ويشتمل على أنواع من القواعد الأصلية والفوائد الفرعية والمحاسن الأدبية . فلنذكر منها أمثلة يستعان بها في فهم المراد . فمن ذلك عدم المؤاخذة قبل الإنذار . ودل على ذلك إخباره تعالى عن نفسه بقوله :﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [2] فجرت عادته في خلقه أن لا يؤاخذ بالمخالفة إلا بعد إرسال الرسل .فإذا قامت الحجة عليهم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ولكل جزاء مثله .

ومنها الإبلاغ في إقامة الحجة على ما خاطب به الخلق .فإنه تعالى أنزل القرآن برهانا في نفسه على صحة مافيه . وزادعلى يدى رسوله ﷺ من المعجزات مافيه بعض الكفاية .

---

١ . اخرجه البخاري في صحيحه في : ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن .

٢ . سورة الاسراء : الآية ١٥ .

ومنهاترك الأخذ من أول مرة بالذنب، والحلم عن تعجيل المعاندين بالعذاب، مع تماديهم على الإباية والجحود، بعد وضوح البرهان، وإن استعجلوا به.

ومنها تحسين العبارة بالكناية ونحوها في المواطن التي يحتاج فيها إلى ذكر ما يستحيى من ذكره في عادتنا. كقوله تعالى: ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [١]، ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ ﴾ [٢]. وقوله: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [٣]، حتى إذا وضح السبيل في مقطع الحق، وحضر وقت التصريح بماينبغي التصريح به، فلابد منه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَايَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّابَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [٤]. ﴿ وَاللهُ لَايَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ [٥].

ومنها التأني في الأمور والجرى على مجرى التثبت والأخذ بالاحتياط، وهو المعهود في حقنا، فلقد أنزل القرآن على رسول‌الله ﷺ نجوماً في عشرين سنة، حتى قال الكفار: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [٦] فقال الله: ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ وقال: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾ [٧]، وفي هذه المدة كان الإنذار يترادف والصراط يستوى بالنسبة إلى كل وجهة وإلى كل محتاج إليه.

وحين أبى من أبى من الدخول في الإسلام بعد عشر سنين أو أكثر، بدأوا بالتغليظ بالدعاء. فشرع الجهاد لكن على تدريج أيضاً. حكمة بالغة وترتيباً يقتضيه العدل والإحسان حتى إذا كمل الدين ودخل الناس فيه أفواجاً ولم يبق لقائلٍ مايقول، قبض الله نبيه إليه، وقد بانت الحجة ووضحت المحجة واشتد أسّ الدين وقوى عضده بأنصار الله. فلله الحمد كثيراً على ذلك.

ومنها كيفية تأدب العباد إذا قصدوا باب رب الأرباب بالتضرع والدعاء، فقد بين مساق القرآن آدابا استقرئت منه. وإن لم ينص عليها بالعبارة، فقد أغنت إشارة التقرير عن التصريح بالتعبير. فأنت ترى أن نداء الله للعباد لم يأت في القرآن، في الغالب، إلا بـ (يا)

١. سورة النساء: الآية ٤٣ سورة المائدة: الآية ٦.
٢. سورة التحريم: الآية ١٢.
٣. سورة المائده: الآية ٧٥.
٤. سورة البقرة: الآية ٢٦.
٥. سورة الاحزاب: الآية ٥٣.
٦. سورة الفرقان: الآية ٣٢.
٧. سورة الاسراء: الآية ١٠٦

المشيرة إلى بعد المنادى، لأن صاحب النداء منزه عن مداناة العباد، موصوف بالتعالى عنهم والاستغناء. فاذا قرر نداء العباد للرب أتى بأمور تستدعى قرب الاجابة. منها إسقاط حرف النداء المشير إلى قرب المنادى وأنه حاضر مع المنادى غير غافل عنه، فدل على استشعار الراغب هذا المعنى إذ لم يأت في الغالب إلا: ربنا ربنا كقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ﴾[1] ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾[2]، ﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَافِى بَطْنِى ﴾[3]، ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى ﴾[4].

ومنها: كثرة مجيء النداء باسم الرب المقتضى للقيام بأمور العباد وإصلاحها، فكان العبد متعلقا بمن شأنه التربية والرفق والإحسان قائلاً: يامن هو المصلح لشؤوننا على الإطلاق أتم لنا ذلك بكذا. وهو مقتضى مايدعو به. وإنما أتى (اللهم) في مواضع قليلة، ولمعانٍ اقتضتها الأحوال.

ومنها: تقديم الوسيلة بين يدى الطلب كقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[5] الآية ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا ﴾[6] ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ ﴾[7] ﴿ رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ ﴾[8] ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً ﴾[9] ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ ولاتزد الظالمين إلا تبارا ﴾[10]، ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا ﴾[11] إلى غير ذلك من الآداب التى تؤخذ من مجرد التقرير.

والحاصل أن القرآن احتوى، من هذا النوع، من الفوائد والمحاسن التى تقتضيها القواعد الشرعية، على كثير يشهدبها شاهد الاعتبار، وتصححها نصوص الآيات والأخبار. وقسم هو المقصود الأول بالذكر، وهو الذى نبه عليه العلماء وعرفوه مأخوذاً من نصوص الكتاب، منطوقها ومفهومها، على حسب ما أداه اللسان العربى فيه. وذلك أنه محتو من

١. سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
٢. سورة البقرة الآية ١٢٧.
٣. سورة آل عمران: الآية ٣٥.
٤. سورة البقرة :الآية ٢٦٠.
٥. سورة الفاتحة الآيتان ٥ـ٦.
٦. سورة آل عمران: الآية ١٦.
٧. سورة آل عمران: الآية ٥٣.
٨. سورة آل عمران: الآية ١٩١.
٩. سورة يونس: الآية ٨٨.
١٠. سورة نوح: الآية ٢١ـ٢٨.
١١. سورة البقرة: الآية ١٢٧.

العلوم على ثلاثة أجناس هى المقصود الأول :

أحدها ـ معرفة المتوجه إليه وهو الله المعبود ، سبحانه .

والثاني ـ معرفة كيفية التوجه إليه .

والثالث ـ معرفة مآل العبد ليخاف الله به ويرجوه .

وهذه الأجناس الثلاثة داخلة تحت جنس واحد هو المقصود الذى عبر عنه قوله تعالى: ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [1] فالعبادة هى المطلوب الأول . غير أنه لايمكن إلا بمعرفة المعبود . إذ المجهول لا يتوجه إليه ولا يقصد بعبادة ولا بغيرها . فإذا عرف ، ومن جملة المعرفة به أنه آمر وناهٍ وطالب للعباد بقيامهم بحقه ، توجه الطلب . إلا أنه لايتأتى دون معرفة كيفية التعبد ، فجيء بالجنس الثانى . ولماكانت النفوس من شأنها طلب النتائج والمآلات ، وكان مآل الأعمال عائداً على العالمين بحسب ماكان منهم من طاعة أو معصية ، وانجرّ ، مع ذلك ، التبشير والإنذار في ذكرها ـ أتى بالجنس الثالث موضحا لهذا الطرف ، وأن الدنيا ليست بدار إقامة ، وإنما الإقامة في الدار الآخرة .

فالأول ـ يدخل تحته علم الذات والصفات والأفعال . ويتعلق بالنظر فى الصفات أو في الأفعال ، النظر في النبوءات لأنها الوسائط بين المعبود والعباد، وفي كل أصل ثبت للدين علمياكان أو عمليا . ويتكمل بتقرير البراهين والمحاجة لمن جادل من خصماء المبطلين .

والثاني ـ يشتمل على التعريف بأنواع التعبدات من العبادات والعادات والمعاملات ومايتبع كل واحد منها من المكملات . وهى أنواع فروض الكفايات . وجامعها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنظر فيمن يقوم به.

والثالث ـ يدخل في ضمنه النظر في ثلاثة مواطن : الموت ومايليه ، ويوم القيامة ومايحويه ، والمنزل الذى يستقر فيه . ومكمل هذا الجنس الترغيب والترهيب . ومنه الإخبار عن الناجين والهالكين وأحوالهم وما أداهم إليه حاصل أعمالهم . وإذا تقرر هذا تلخص من مجموع العلوم الحاصلة في القرآن اثنا عشر علماً . وقد حصرها الغزالى في ستة أقسام : ثلاثة منها هى السوابق، والأصول المهمة . وثلاثة هى توابع ، ومتممة .

---

١. سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

فأما الثلاثة ـ فهي تعريف المدعو إليه، وهو شرح معرفة الله تعالى، ويشتمل على معرفة الذات والصفات والأفعال وتعريف طريق السلوك إلى الله تعالى على الصراط المستقيم، وذلك بالتحلية بالأخلاق الحميدة والتزكية عن الأخلاق الذميمة وتعريف الحال عند الوصول إليه. ويشتمل على ذكر حالي النعم (النعيم) والعذاب، ومايتقدم ذلك من أحوال القيامة.

وأما الثلاثة الأخر ـ فهي تعريف أحوال المجيبين للدعوة، وذلك قصص الأنبياء والأولياء، وسره الترغيب. و أحوال الناكبين، وذلك قصص أعداء الله، وسره الترهيب. والتعريف بمحاجة الكفار بعد حكاية أقوالهم الزائغة، وتشتمل على ذكر الله بماينزه عنه، وذكر النبي ﷺ بمالايليق به. وادكار عاقبة الطاعة والمعصية، وسره في جنبة الباطل التحذير والإفضاح، وفي جنبة الحق التثبيت والإيضاح. والتعريف بعمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الأهبة والزاد، معناه حصول ماذكره الفقهاء في العبادات والعادات والمعاملات والجنايات.

وهذه الأقسام الستة تتشعب إلى عشرة، وهي: ذكر الذات، والصفات، والأفعال، والمعاد، والصراط المستقيم، وهو جانب التحلية والتزكية، وأحوال الأنبياء، والأولياء، والأعداء، ومحاجة الكفار، وحدود الأحكام»[١].

قال القاسمي في ذكر مجمل مقاصد التنزيل الكريم:

«قال الإمام عزالدين بن عبدالسلام في كتابه «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز» في أواخره مانصه:

«وعلى الجملة فمقاصد القرآن أنواع:

أحدها: الطلب وهو أربعة أضرب.

النوع الثاني: الإذن والإطلاق:

النوع الثالث: النداء، والنداء تنبيه للمنادى ليسمع مايلقى إليه بعدالنداء من الكلام ليعمل بمقتضاه، ولذلك كثر النداء في القرآن. وأما وصف المنادى فأربعة أقسام:

---

١. محاسن التأويل ج ١ ص ١٤٣ـ١٤٩.

أحدها ـ مالاحث فيه ، كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ... ﴾.

الثاني ـ فيه حثٌ ، كالوصف بالإيمان ، وله فائدتان :

إحداهما ـ الحثّ على مايأمر به وينهى عنه بعدالنداء ، فإنّ الإيمان موجب للطاعة والإذعان .

الفائدة الثانية ـ إكرام المؤمنين بندائهم بأشرف أوصافهم وأحبّها ، فيحثّهم ذلك الإكرام على لزوم الطاعة والإذعان .

القسم الثالث ـ نداء النبى بالنبوة ، وفيه فائدة التفخيم والإكرام ، والحث على الطاعة والإذعان ، شكراً لنعمة النبوّة .

القسم الرابع ـ النداء بالرسالة ، وفيه الفائدتان المذكورتان في النداء بالنبوّة، مع التأكيد بذكر الرسالة ،وهى من النعم الجسام ، لأنها: تستلزم النبوّة ، وتحثّ على تبليغ الرسالة ؛ فما أحسن قوله :﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (١).

النوع الرابع : مدح الأفعال .

النوع الخامس : مدح الفاعلين لأجل الفعل الذى وصفوا به .

النوع السادس : ذمّ الأفعال .

النوع السابع : ذم الفاعلين لأجل الفعل الذى وصفوا به .

النوع الثامن : الوعد بالخير العاجل .

النوع التاسع : الوعد بالخير الآجل .

النوع العاشر : الوعيد بالشر العاجل .

النوع الحادى عشر : الوعيد بالشر الآجل .

وكل هذه الأخبار تابعة للأحكام مؤكدة لها ، إمّا بالترغيب فيها ، إن كانت قربة ، أوبالترهيب منها إن كانت معصية .

النوع الثاني عشر: الأمثال: وهى مؤكدة للأحكام؛ ترغيباً أو ترهيباً أو تقبيحاً أو تحسيناً .

النوع الثالث عشر : التكرير : وهو دال على الاعتناء والاهتمام بالمكرر»(٢).

---

١. سورة المائدة: الآية ٦٧.

٢. محاسن التأويل ج ١ ص ٢٥٥ـ٢٥٦.

قال النهاوندی (ره): «قال بعض : انّ القرآن العظيم قد اشتمل على كل شيء، أمّا أنواع العلوم فليس منها باب ولامسألة هي اصل الاوفي القران مايدل عليها ولا يعلمها الاّ الرّاسخون.

وفيه الأمر والنّهي والوعد والوعيد ووصف الجنّة والنّار وتعليم الاقرار بالله وبصفاته وافعاله وتعليم الاعتراف بانعامه والشكر عليها والاحتجاج على المخالفين والردّ على الملحدين وبيان الرّغبة والرّهبة والخير والشّرّ والحسن والقبيح ونعت الحكمة وفضل المعرفة ومدح الابرار وذمّ الفجار والتسليم والتحسين والتوكيد والتقريع وبيان الاخلاق الذّميمة وشرف الاداب وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الافق الاعلى وتحت الثّرى وبدء الخلق واسمآء مشاهير الانبيآء والرّسل والملائكة وعيون اخبار الامم السّالفة وقصّة آدم مع ابليس في اخراجه من الجنّة ورفع ادريس الى السّمآء واغراق قوم نوح وقصّة عاد الاولى والثانية وثمود والنّاقة و قوم يونس وقوم شعيب وقوم لوط وقوم تبّع واصحاب الرّسّ وقصّة ابراهيم في مجادلة قومه ومناظرته نمرود وصفة ابنه اسمعيل مع امّه بمكّة وبنائه البيت وقصّة الذّبيح وقصّة يوسف بطولها وقصّة موسى في ولادته والقائه في اليمّ وقتل القبطي ومسيره الى مدين وتزوجه بنت شعيب وكلامه تبارك وتعالى معه بجانب الطّور ومجيئه الى فرعون وخروجه مع بني اسرائيل من مصر واغراق عدوّه فرعون وجنوده وقصّة العجل والقوم الذين خرج بهم الى الطور واخذهم الصاعقة وقصّة القتيل من بني اسرائيل وذبح البقرة وقصّته مع خضر وقصّته في قتال الجبّارين وقصّة القوم الذين ساروا في سرب من الأرض الى الصّين وقصّة طالوت وداود مع جالوت وقصّة سليمان وفتنته وخبره مع ملكة سبأ وإتيان عرشها، وقصة القوم الّذين خرجوا فراراً من الطاعون فأماتهم الله ثم احياهم وقصّة ذي القرنين ومسيره الى مغرب الشمس ومطلعها وبنائه السّد وقصّة ايّوب وذي الكفل والياس وقصّة اصحاب الرّقيم وقصّة بخت النصر وقصّة الرّجلين الذين لاحدهما الجنة وقصّة اصحاب الجنّة وقصّة مؤمن آل يس وقصّة أصحاب الفيل.

وفيه من شأن النبي ﷺ ودعوة ابراهيم به وبشارة عيسى بمجيئه وبعثته وهجرته ومن

غزواته سريّة ابن الحضرمى في سورة البقرة وغزوة بدر في سورة الأنفال، وغزوة احد في سورة آل عمران وقصّة بدر الصّغرى فيها، وغزوة الخندق فى سورة الاحزاب وقصّة الحديبيّة في سورة الفتح وقصّة بنى النضير في سورة الحشر وغزوة حنين وتبوك في سورة البراءة وحجّة الوداع في سورة المائدة ونكاحه زينب بنت جحش في سورة الاحزاب وتحريم سريّته وتظاهر ازواجه عليه وقصّة الافك وقصّة الاسراء وانشقاق القمر وسحر اليهود ايّاه.

وفيه بدء خلق الانسان الى موته وكيفيّة الموت وقبض الرّوح ومايفعل بها بعده و صعودها إلى السماء وفتح باب السماء للرّوح المؤمنة والقاء الكافرة في النار وعذاب القبر والسؤال فيه ومقرّ الارواح واشراط الساعة الكبرى وهى نزول عيسى وخروج الدّجال والياجوج والماجوج ودابّة الارض والدّخان ورفع القران والخسف وطلوع الشمس من مغربها وغلق باب التّوبة واحوال البعث من النّفخات الثّلاث نفخة الفزع ونفخة الصّعق ونفخة القيام والحشر والنّشر واهوال الموقف وشدّة حرّ الشمس وظلّ العرش والميزان والحوض والصّراط والحساب لقوم ونجاة آخرين منه وشهادة الاعضاء واتياء الكتب بالايمان والشمائل وخلف الظّهر والشّفاعة والمقام المحمود والجنّة وابوابها ومافيها من الانهار والاشجار والاثمار والحلى والاوانى والقصور والحور والدّرجات ومقام الرّضوان والتجليات الألهيّة والنّار وابوابها ومافيها من الاودية والسّلاسل والاغلال وانواع العقارب والوان العذاب والزّقوم والضّريع والحميم.

وفيه جميع اسمائه تعالى الحسنى كما ورد في حديث وجملة اسماء النبى ﷺ.

وفيه شعب الايمان ومقامات المتّقين وشرايع الاسلام وانواع الكبائر وكثير من الصّغائر وغير ذلك من العلوم وقد افرد جمع من العلماء كتباً فيما تضمّنه القران والظاهر ان جميع ما تضمنّه ظاهر الكتاب تحت ثلاثة عناوين: التوحيد وتدخل فيه معرفة الله بصفاته وافعاله ومعرفة انبيائه ومخلوقاته.

والتّذكير، وفيه قصص الامم الماضية والمعاد والوعد والوعيد والجنة والنار.

والاحكام، من العمليّات والاخلاقيات، قيل ولذلك ورد انّ الفاتحة امّ القران لانّ فيها

الاقسام الثلاثة وسورة الاخلاص ثلثه لان فيها التوحيد كلّه، فهل يأتي بمثل هذا الكتاب غير النبيّ؟ وهل يكون الغرض من بعث النبى الا تكميل النّفوس بمعرفة المبدأ والمعاد والحكمة النّظريّة والحكمة العمليّة من العبادات والمعاملات والسّياسات والاخلاق وتربيه النّفوس بالقيام بها؟ وهل يقاس القران بساير الكتب السّماوية الّتى ليس فيها عشر مافي القران من العلوم والحكم؟، فإنْ كان سايرالكتب السّماوية من عندالله ومنتسباً الىالله فهذا الكتاب الكريم احقّ واولى بالانتساب منها، فان جميع ما ذكرناه فهو ظاهره وامّا باطنه فبحر لاينزف ولو أنّ مافي الارض من شجرةٍ أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحرٍ مانفدت كلمات الله . نقل انّه قيل لموسى بن عمران ياموسى انّما مثل كتاب احمد في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته اخرجت زبدته»[1].

قال عبد القادر : « ثم اعلم ان مقاصد القرآن ثلاثة :

الاول ما يتعلق بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو مباحث علم الكلام واصول الدين .

الثاني : مايتعلق بافعال القلوب والملكات في الحث على مكارم الاخلاق، وهو مباحث علم الآداب والاحسان .

الثالث : مايتعلق بافعال الجوارح في الأوامر والنواهي ، وهو مباحث علم الفقه والمعاملات ، اذاً يعلن هذا القرآن العظيم انه إنما أنزل لاصلاح البشر مصرحاً على لسان المنزل عليه بقوله جل قوله : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم** ﴾[2] وعليه فانه جامع لكل خير مانع لكل شر .

فيه كل مايحتاجه البشر لقوله عز شأنه: ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾[3] وقال جل ذكره :﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء** ﴾[4] ، وقال تعالى :

---

١. نفحات الرحمن ج ١ ص ٥ ـ ٦ .
٢. سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .
٣. سورة الأنعام : الآية ٣٨.
٤. سورة الأعراف : الآية ١٤٥

﴿ ماكان حديثا يُفترىٰ ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء ﴾ [١] وقال عز شأنه: ﴿ ان هذا لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى ﴾ [٢] ان كل ماأوحى لمن قبلنا داخل في كتابنا ولله الحمد» [٣].

قال عبد الرحمن ...قلت : وقد اشتمل القرآن على عدة علوم قد ثنيت فيه وأعيدت :

١ ـ فمنها : ضرب الأمثال ، وقد ذكر ابن القيم فيماتقدم فوائدها .

٢ ـ ومنها ذكر صفات أهل السعادة والشقاوة ، وفي ذلك فوائد عديدة :

منها : أن الأوصاف التي يوصف بها أهل الخير ، تدل على محبة الله ورضاه ، وأنها محمودة .

والصفات التي يوصف بها أهل الشر، تدل على بغض الله لها ، وأنها مذمومة .

ومنها : مايكرم الله به أولياءه من الثناء الحسن بين عباده ،فهو ثواب معجل، ويهين به أعداءه من الأوصاف القبيحة ، فيكون عقاباً معجلا .

ومنها : أن فيه حثاً للنفوس ، على الاقتداء بأهل الخير ، ومنافستهم ، وتنشيط العمال على الأعمال ، ببيان أن من عملها فهو من أولياءالله .

وفيه الترهيب عن أفعال أهل الشر ، وتبغيض المعاصى التى أثرت مع عامليها ماأثرت .

ومنها : الاعتبار بصفات أهل الخير والشر ، وأن من فعل مثل فعلهم ، ناله مانالهم .

وقد حث تعالى على الاعتبار ، في غير موضع من كتابه .

وحقيقته : العبور من شيء إلى شيء ، وقياس الشيء على نظيره .

ومنها : أن العبد إذا نظر إلى أعمال أهل الخير ، وعجزه عن القيام بها ، أوجب له ذلك الإزراء على نفسه واحتقارها .

وهذا هو عين صلاحه ،كما أن رؤيته نفسه بعين الإعجاب والتكبر ، هو عين فساده ، إلى غير ذلك من الفوائد .

٣ ـ ومنها : ذكر صفات الله وأسمائه وأفعاله ، وتقديسه عن النقائص ، وفي ذلك فوائد عظيمة ..

---

١. سورة يوسف: الآية ١١١.
٢. سورة الأعلى: الآية ١٨ و ١٩.
٣. بيان المعاني ج ١ ص ٢٢ ـ ٢٣.

٤ ـ ومنها: ذكر الأنبياء والمرسلين، وما أرسلوا به، وماجرى لهم مع أممهم.

وفي ذلك عدة فوائد ...

قال تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[١].

ومن أعظم الاقتداء، الاقتداء بتعليماتهم، وكيفية إلقاء العلم على حسب مراتب الخلق، والصبر على التعليم، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن، وبهذا وأمثاله، كان العلماء ورثة الأنبياء.

ومن فوائد معرفة الرسول ﷺ، معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه وفهم المعنى ...

٥ ـ ومن علوم القرآن، الأمر والنهى الموجه لهذه الأمة وغيرها، وهذا هو المقصود منهم ،وفي معرفة ذلك عدة فوائد.

٦ ـ ومن علوم القرآن، أحوال اليوم الآخر وهو مايكون بعد الموت، مما أخبر به الله في كتابه، أو أخبر به رسوله من أهوال الموت، والقبر، والموقف، والجنة والنار، وفي العلم بذلك فوائد كثيرة.

منها: أن الايمان باليوم الآخر، أحد أركان الايمان الستة التى لايصح الايمان بدونها.

وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله، ازداد إيمان العبد به.

٧ ـ ومن علوم القرآن، مجادلة المبطلين، ودفع شبه الظالمين، وإقامة البراهين العقلية الموافقة للأدلة النقلية.

وهذا الفن من علوم القرآن، من خواص العلماء الربانيين، والجهابذة الراسخين والعقلاء المستبصرين.

وقد اشتمل القرآن على الأدلة العقلية، والقواطع البرهانية، مالو جمع ماعند المتكلمين من حق لكان بالنسبة إليه، كنقرة عصفور بالنسبة لماء البحر »[٢].

قال ابن عاشور: « في مقاصد القرآن ثمانيه امور:

الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن

---

١. سورة الاحزاب: الآية ٢١. ٢. تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٣ ـ ٢٩.

الإشراك والدهرية ومابينهما، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لمّا جاء أمْرُ ربك ومازادوهم غير تتبيب ﴾[١] فأسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم، وليس هو من فعل الآلهة ولكنه من آثار الاعتقاد بالآلهة.

الثاني: تهذيب الأخلاق قال تعالى: ﴿ وإنك لعلى خُلُق عظيم ﴾[٢] وفسرت عائشة رضي الله تعالى عنها لما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت كان خلقه القرآن. وفي الحديث الذى رواه مالك في الموطأ بلاغ: أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت لأتمم مكارم حسن الأخلاق». وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب بَلْهَ خاصة الصحابة، وقال أبو خراش الهذلي مشيرا إلى مادخل على العرب من أحكام الإسلام بأحسن تعبير:

فليس كعهد الدار ياأم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئاً فاستراح العواذل

أراد بإحاطة السلاسل بالرقاب أحكام الإسلام، والشاهد في قوله وعاد الفتى كالكهل.

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة. قال تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾[٣] و﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقا لما بين يديه من الكتاب ومُهَيْمِناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾[٤]. ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعاً كلياً في الغالب، وجزئياً في المهم، فقوله: ﴿ تبيانا لكل شيء ﴾[٥]، وقوله: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾[٦] المراد بهما إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس. قال الشاطبي: لأنه على اختصاره جامع والشريعة تمت بتمامه ولايكون جامعاً لتمام الدين إلا والمجموع فيه أمور كلية.

الرابع: سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من

١. سورة هود: الآية ١٠١.
٢. سورة القلم: الآية ٤.
٣. سورة النّساء: الآية ١٠٥.
٤. سورة المائدة: الآية ٤٨.
٥. سورة النحل: الآية ٨٩.
٦. سورة المائدة: الآية ٣.

النار فأنقذكم منها ﴾[١] وقوله ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾[٢] وقوله: ﴿ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[٣] وقوله ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[٤].

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم قال: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾[٥] ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾[٦] وللتحذير من مساويهم قال: ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم ﴾[٧] وفي خلالها تعليم، وكنا أشرنا إليها في المقدّمة الثانية.

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من اهل الكتاب، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلى النظر، ثم نوه بشأن الحكمة فقال: « يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيراً » وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأمّيين إلى العلم. وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل. إنما قصارى علومهم أمور تجريبية، وكان حكماؤهم أفرادا اختصوا بفرط ذكاء تضم إليه تجربة وهم العرفاء فجاء القرآن بقوله: ﴿ ومايعقلها إلا العالمون ﴾[٨] و ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ﴾[٩] وقال: ﴿نٓ والقلم ﴾[١٠] فنبه إلى مزية الكتابة.

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذاباب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجاز بالقرآن، ليكون آية دالة على صدق الرسول، إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدّي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدى لأجله بمعناه

١. سورة آل عمران: الآية ١٠٣.
٢. سورة الانعام: الآية ١٥٩.
٣. سورة الانفال: الآية ٤٦.
٤. سورة الشورى: الآية ٣٨.
٥. سورة يوسف: الآية ٣.
٦. سورة الانعام: الآية ٩٠.
٧. سورة ابراهيم: الآية ٤٥.
٨. سورة العنكبوت: الآية ٤٣.
٩. سورة الزمر: الآية ٩.
١٠. سورة القلم: الآية ١.

والتحدّى وقع فيه: ﴿ قل فأتوا بسورة مثله ﴾[1] ولمعرفة أسباب النزول مدخل في ظهور مقتضى الحال ووضوحه. هذا مابلغ إليه استقرائي وللغزالي في إحياء علوم الدين بعض من ذلك»[2].

١. سورة يونس: الآية ٣٨.

٢. التحرير والتنوير ج ١ ص ٤٠ ـ ٤١.

علاقة القرآن والعترة

الف : حديث الثقلين

قال القمي (ره) :

« وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع في مسجد الخيف: «إني فرطكم ، وإنكم واردون عليّ الحوض، حوض عرضه ما بين بصرىٰ وصنعاء، فيه قدحان من فضة عدد النجوم، ألا وإني سائلكم عن الثقلين» قالوا: يا رسول الله وما الثقلان؟ قال: قالوا:[1] «كتاب الله، الثقل الأكبر طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به، لن تضلّوا ولم تزلّوا[2]، والثقل الأصغر عترتي وأهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كأصبعي هاتين ـ وجمع بين سبابتيه ـ ولا أقول كهاتين ـ وجمع بين سبابته والوسطى ـ فتفضل هذه على هذه»[3].

قال العياشي (ره) :

« ١ ـ عن أبي جميلة المفضل بن صالح عن بعض أصحابه قال: خطب رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعد صلاة الظهر، انصرف على الناس فقال: «يا أيها الناس ، إني قد نبّأني اللطيف الخبير أنه لن يعمر من نبيّ إلا نصف عمر الذي يليه ممن قبله وإني لأظنّني أوشك

---

١ . قالوا ، زائدة ، وهي موجودة في المصدر . ٢ . الصحيح : لن تزلّوا .

٣ . تفسير القمي ج ١ ص ١٦ .

أن أُدعى فأُجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فهل بلغتكم فما إذاً أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد بأنّك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك اللّه عنّا خيراً قال: اللهم اشهد ، ثم قال: يا أيها الناس ألم تشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنّة حقٌّ وأن النار حقٌّ وأن البعث حقٌّ من بعد الموت، قالوا: [اللهم] نعم، قال: اللهم اشهد، ثم قال: يـا أيـها الناس إن اللّه مولاي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ألا من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه، ثم قال: أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون عليَّ الحوض وحوضي أعرض ما بين بصرى وصنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ألا وإنّي سائلكم حين تردون عليَّ، عن الثقلين فـانظروا كيف تـخلفوني[١] فـيهما حـتى تـلقوني، قـالوا: وما الثقلان يا رسول اللّه؟ قال: الثقل الأكبر كتاب اللّه سبب طرفه بيدي اللّه[٢] وطرف في أيديكم، فاستمسكوا به لا تضلُّوا ولا تذلُّوا والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أن لا يتفرّقا حتى يلقياني وسألت اللّه لهما ذلك فأعـطانيه فـلا تسبقوهم فتضلُّوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، فلا تعلموهم فهم أعلم منكم»[٣].

٢ ـ عن أبي عبداللّه مولى بني هاشم عن أبي سخيلة قال: حججت أنا وسلمان الفارسي من الكوفة فمررت بأبي ذر فقال: انظروا إذا كانت بعدي فتنة وهي كائنة فعليكم بخصلتين، بكتاب اللّه وبعلي بن أبي طالب، فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لعلي: «هذا أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر وهو الفاروق يفرّق بين الحقّ والباطل، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين»[٤].

٣ ـ عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب رسول اللّه ﷺ بالمدينة، فكان فيها قال لهم: «الحديث»[٥].

٤ ـ عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم آية

---

١. الصحيح: تخلفونني. ٢. الصحيح: بيد اللّه.
٣. البحار ج ٧: ٢٩. البرهان ج ١: ١٠ ـ ١١. إثبات الهداة ج ٣: ٥٣٩.
٤. البحار ج ١٩: ٧. البرهان ج ١: ٨. ٥. البحار ج ٧: ٢٩. البرهان ج ١: ١١.

نجا بها من كان قبلكم فاعملوا به، وما وجدتموه هلك من كان قبلكم فاجتنبوه [١].

٥ ـ عن الحسن بن موسى الخشاب رفعه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «لا يرفع [٢] الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر أبداً ولا إلى آل عمر ولا إلى آل بني أميّة، ولا في ولد طلحة والزبير أبداً، وذلك أنهم بتروا القرآن وأبطلوا السنن وعطّلوا الأحكام» [٣].

٦ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «القرآن هُدىً من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحزان، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم فهذه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله للقرآن، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار» [٤].

٧ ـ عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب؛ عليها يستدير محكم القرآن، وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتدى بالقرآن وآل محمّد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: «إني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، والثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربّي، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي فاحفظوني فيهما فلن تضلّوا ما تمسّكتم بهما» [٥]» [٦].

قال ابن عطية:

«وروى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال في آخر خطبة خطبها وهو مريض «أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين، إنه لن تعمى أبصاركم، ولن تضل قلوبكم، ولن تزل أقدامكم، ولن تقصر أيديكم، كتاب الله سبب بينكم وبينه. طرفه بيده، وطرفه بأيديكم، فاعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، ألا وعترتي وأهل بيتي هم الثقل الآخر

---

١. البحار ج ١٩: ٢٥. البرهان ج ١: ٨. الصافي ج ١: ١٠.
٢. كذا في النسخ وفي رواية الكافي «لا يرجع» بدل لا يرفع.
٣. البحار ج ١٩: ٧ ـ ٨. البرهان ج ١: ٨ ـ ١٠. الصافي ج ١: ١٢.
٤. البحار ج ١٩: ٧ ـ ٨. البرهان ج ١: ٨ ـ ١٠. الصافي ج ١: ١٢.
٥. البحار ج ١٩: ٧ ـ ٨. البرهان ج ١: ٨ ـ ١٠. الصافي ج ١: ١٢.
٦. تفسير العياشي ج ١ ص ١٥ ـ ١٧.

فلاتسبعوهم[١] فتهلكوا[٢]»[٣].

قال الطبرسي (ره):

« .... وصح عن النبي ﷺ من رواية العام والخاص أنه قال: «إني تارك فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

وإنما أحذف أسانيد أمثال هذه الأحاديث إيثاراً للتخفيف. ولاشتهارها عند أصحاب الحديث »[٤].

قال البغدادي في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه: «عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيباً بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمدالله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه»، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» زاد في رواية: «كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل»، وفي رواية: «كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة» وفي رواية الترمذي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل

---

١. لا تشتموهم أو لا تهملوهم. انظر اللسان مادة سبع.

٢. أبو حيان يتفق مع ابن عطية في نص الحديث. انظر البحر المحيط ج ١، ص١٢. وخطأ آرثر جفرى في مقدمته المطبوعة نص المخطوطة وصححها بقوله: إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه بينكم وبينه طرفه بيده وطرفه بأيديكم بسببه لن تعمى أبصاركم ولن تضل قلوبكم ولن تزل أقدامكم ولن تقصر أيديكم فاعملوا بمحكمه .....» انظر (مقدمتان في علوم القرآن ٢٥٧). وفي سنن الدارمي ٤٢٣ وصحيح مسلم ١٢٢/٧ حديث مروي عن زيد بن أرقم قال: قام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوما خطيبا فحمدالله وأثنى عليه ثم قال: «يأيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب اللّه وخذوا به فحث عليه ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات». وفي صحيح ابن حبان ١٢٢ حديث مروي عن أبي شريح الخزاعي وفيه « .... أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول اللّه؟ قالوا: نعم. قال: فإن هذا القرآن سبب طرفه بيدالله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا».

٣. المحرر الوجيز ج ١ ص ٣٤.

٤. مجمع البيان ج ١ ص ٧٥.

ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» عن عمر بن الخطاب قال: أما إن نبيكم ﷺ قال: «إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين»(١).

قال ابو حيان :

« وروي عنه ﷺ أنه قال في آخر خطبة خطبها وهو مريض: «أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين إنه لن تعمى أبصاركم ولن تضل قلوبكم ولن تزل أقدامكم ولن تقصر أيديكم، كتاب الله سبب بينكم وبينه طرفه بيده وطرفه بأيديكم فاعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وأحلوا حلاله وحرموا حرامه، الا وأهل بيتي وعترتي وهو الثقل الآخر فلا تسبوهم فتهلكوا»(٢).

قال الفيض الكاشاني (ره) :

« وفي الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله فيما حملكم من كتابه فإني مسؤول وإنكم مسؤولون، إني مسؤول عن تبليغ الرسالة واما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي».

وبإسناده عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي، ثم أمتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي »(٣).

قال البحراني (ره) في الثقلين :

« ١ ـ حدثني عبدالله، عن القاسم بن محمد الاصفهاني عن سليمن بن داود المعروف بالشاذكوني، عن يحيى بن آدم عن شريك بن عبدالله، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن ابي جعفر عليه السلام قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بمنى فقال: «ايها الناس اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض، ثم قال: «ايها الناس اني تارك فيكم حرمات الله ثلث: كتاب الله عز وجل، وعترتي، والكعبة البيت الحرام، ثم قال ابو جعفر عليه السلام « اما الكتاب فحرّفوا واما الكعبة

---

١. لباب التأويل ج ١ ص ٣. ٢. البحر المحيط ج ١ ص ١٢.
٣. الصافي ج ١ ص ١٧.

فهدموا واما العترة فقتلوا وكل ودايع اللّه نبذوا منها فقد نبذوا »[1].

٢ ـ محمد بن علي بن بابويه في كتاب النصوص على الائمة الاثنا عشر عليهم السلام باسناده عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: « يا ايها الناس اني فرط لكم وانتم واردون على الحوض حوضاً عرضه ما بين صنعا وبصرى[2] فيه قدحان عدد النجوم من فضّة واني سائلكم حين تردون على الحوض عن الثقلين فانظروا كيف تخلفون فيهما، السبب الاكبر كتاب اللّه طرفه بيداللّه وطرفه بيدكم فاستمسكوا به ولا تبدلوا وعترتي اهل بيتي، فانه نبأني العليم الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فقلت: يا رسول اللّه من عترتك؟ فقال: اهل بيتي من ولد علي وفاطمة وتسعة من صلب الحسين عليه السلام ائمة ابرار وهم عترتي من لحمي ودمي ».

٣ ـ وعنه في عيون اخبار الرضا عليه السلام باسناده عن الصادق جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين بن علي عليهما السلام قال: سئل اميرالمؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «اني مخلف فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي، من العترة؟» قال: «انا والحسن والحسين والائمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم، لايفارقون كتاب اللّه ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول اللّه صلى الله عليه وآله حوضه».

٤ ـ وعنه في كتاب النصوص باسناده عن حذيفة بن اسيد، قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول على منبره: «معاشرالناس اني فرط لكم وانكم واردون على الحوض حوضاً كعرض ما بين بصرىٰ وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة واني سائلكم حين تردون على الحوض عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الاكبر كتاباللّه سبب طرفه بيداللّه وطرفه بيدكم فاستمسكوا به لن تضلوا ولن تزلوا ولا تبدلوا في الثقل الاصغر عترتي اهل بيتي، فانه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، معاشر الناس كأني على الحوض انظر من يرد علي منكم وسوف تؤخر اناس من دوني فاقول: يا رب مني ومن امتي، فقال يا محمد هل شعرت بما عملوا إنّهم ما برحوا بعدك؟ يرجعون على

---

١. الصحيح: ومنها فقد تبرأوا.

٢. بصرى كحبلى بلد بالشام وقرية ببغداد قرب عكبرا ـ قاموس.

أعقابهم، ثم قال: «اوصيكم في عترتي خيراً ثلثاًاو قال: في اهل بيتي، فقام اليه سلمان فقال: يا رسول الله الا تخبرني عن الائمة بعدك من عترتك؟ فقال: «نعم الائمة من بعدي من عترتي عدد نقباء بني اسرائيل تسعة من صلب الحسين اعطاهم الله علمي وفهمي فلاتعلموهم فانهم اعلم منكم واتبعوهم فانهم مع الحق والحق معهم».

٥ ـ سعد بن عبدالله القمي في بصائر الدرجات، عن محمد بن الحسين بن ابي الخطاب، عن جعفر بن بشير البجلي، عن ذريح بن محمد بن يزيد المحاربي عن ابي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي اهل بيتي فنحن اهل بيته».

٦ ـ وعنه، عن النضر بن سويد، عن خالد بن زياد القلانسي، عن رجل، عن ابي جعفر، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « يا ايها الناس اني تارك فيكم الثقلين، الثقل الاكبر والثقل الاصغر ان تمسكتم بهما لن تضلوا ولن تزلوا، فاني سألت الله اللطيف الخبير بان لا يفترقا حتى يردا على الحوض فاعطيت ذلك، قيل: فما الثقل الاكبر وما الثقل الاصغر؟، فقال: «الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيدالله عز وجل وطرف بايديكم والثقل الاصغر عترتي أهل بيتي ».

٧ ـ وعنه عن ابراهيم بن هاشم، عن يحيى بن ابي عمران الهمداني، عن يونس بن عبدالرحمن، عن هشام بن الحكم، عن سعد بن ظريف الاسكافي قال: سألت ابا جعفر عن قول النبي صلى الله عليه وآله: « اني تارك فيكم الثقلين فتمسكوا بهما فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، قال : فقال ابو جعفر عليه السلام لا يزال كتاب الله والدليل منا عليه حتى يردا على الحوض ».

٨ ـ الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد في اماليه، قال: اخبرني ابوالحسن علي بن محمد الكاتب، قال : حدثنا الحسن بن علي الزعفراني، قال: حدثنا ابراهيم بن محمد الثقفي، قال : حدثني ابو عمر حفص بن عمر الفراء، قال : حدثنا زيد بن الحسن الانماطي، عن معروف بن خربوذ، قال: سمعت ابا عبدالله مولى العباس يحدث ابا جعفر محمد بن علي عليهما السلام ، قال: سمعت ابا سعيد الخدري يقول: إنّ آخر خطبة خطبنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله

لخطبة خطبنا في مرضه الذي توفى فيه، خرج متوكئاً على علي بن ابي طالب عليه السلام وميمونة مولاته، فجلس على المنبر، ثم قال: «ايها الناس اني تارك فيكم الثقلين» وسكت، فقام رجل فقال: يا رسول الله ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمر وجهه ثم سكن وقال: «ما ذكرتهما الا وانا اريد ان اخبركم بهما ولكن ربوت فلم استطع، سبب بيدالله وطرف بايديكم تعملون فيه كذا الا وهو القرآن والثقل الاصغر اهل بيتي، ثم قال: وايم الله اني لاقول لكم هذا ورجال في اصلاب اهل الشرك أرجىٰ عندي من كثير منكم، ثم قال: والله لا يحبهم عبد الا اعطاه الله نوراً يوم القيمة، فقال ابو جعفر عليه السلام: ان ابا عبدالله يأتينا بما يعرف».

٩ ـ الشيخ الطوسي باسناده عن ابي عمرو، قال: حدثنا احمد، قال: حدثنا عبدالله بن احمد المستورد، قال: حدثنا اسمعيل بن صبيح قال: حدثنا سفيان وهو ابن ابراهيم، عن عبدالمؤمن وهو ابوالقاسم، عن الحسن بن عطية العوفي عن ابيه عن ابى سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اني تارك فيكم الثقلين، الا ان احدهما اكبر من الاخر كتاب الله ممدود من السماء الى الارض، وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض وقال: الا ان اهل بيتي عيبتي (وفي نسخة عيني) التي آوى اليها، الا وان الانصار ترسى فاعفوا عن مسيئهم واعينوا محسنهم».

١٠ ـ محمد بن علي بن بابويه في الغيبة قال: حدثنا احمد بن الحسن القطان، قال: حدثنا العباس بن الفضل المقري، قال: حدثنا محمد بن علي المنصور، قال: حدثنا عمر بن عون، قال: حدثنا خالد عن الحسين بن عبدالله عن ابي الضحى عن زيد بن ارقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي، فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

١١ ـ وعنه قال: حدثنا محمد بن ابراهيم بن احمد بن يونس، قال: حدثنا العباس بن الفضل عن ابي ذرعة عن كثير بن يحيى ابي مالك عن ابي عوانه عن الاعمش، قال: حدثنا حبيب بن ابي ثابت عن عامر بن واثلة عن زيد بن ارقم، قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع فنزل بغدير خم وامر بدوحات فقم ما تحتهن. ثم قال: «كأني قد دعيت

فاجبت، اني قد تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله وعترتي اهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، ثم قال: ان الله مولاى وانا مولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم اخذ بيد علي بن ابيطالب عليه السلام، ثم قال: من كنت وليه، فهذا علي وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال: فقلت: لزيد بن ارقم وانت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ماكان احد في الدوحات الا قد رآه بعينيه وسمعه باذنيه.

١٢ ـ وعنه قال: حدثنا محمد بن جعفر بن الحسين البغدادي، قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز املاء، قال: حدثنا جيش بن الوليد، قال: حدثنا محمد بن طلحة بن الاعمش عن عطية بن سعيد بن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله قال: «انـي اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله عز وجل حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي ونبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بماذا تخلفوني فيهما».

١٣ ـ وعنه، قال: حدثنا محمد بن عمرو البغدادي، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن جعفر الخثعمي، قال: حدثنا محمد بن عبيد، قال: حدثنا صالح بن موسى، قال: حدثنا عبدالعزيز بن رفيع، عن ابي صالح، عن ابي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انـي قـد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدي ابداً ما اخذتم بهما وعملتم بما فيهما، كتاب الله وعترتي، فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

١٤ ـ وعنه قال: حدثنا محمد بن عمرو الحافظ، قال: حدثنا القاسم بن عباد، قال: حدثنا سويد، قال: حدثنا عمرو بن صالح عن زكريا عن عطية عن ابي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اني تارك فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله عز وجل حبل ممدود وعترتي اهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

١٥ ـ وعنه قال: حدثنا الحسن بن عبدالله بن سعيد، قال: اخبرنا محمد بن احمد بن حمدان القشيري، قال: حدثنا الحسين بن حميد، قال: حدثني اخي الحسن بن حميد، قال: حدثني علي بن ثابت الدهان، قال: حدثنا سواد بن سليمان عن ابي اسحق عن الحارث عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اني امرؤ مقبوض واوشك ان ادعى فاجيب وقد

تركت فيكم الثقلين احدهما افضل من الاخر ، كتاب اللّه وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ».

١٦ ـ وعنه، قال: حدثنا الحسن بن عبداللّه بن سعيد، قال: حدثنا القشيري، قال: حدثنا المغيرة بن محمد بن المهلب ، قال : حدثني ابي عن ابى عبداللّه بن ابي داود، عن الفضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن ابي سعيد الخدري، قال : قال رسول اللّه ﷺ: « اني تارك فيكم امرين احدهما اطول من الآخر ، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء الى الارض طرف بيداللّه وعترتي ، الا انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » ، فقلت لابي سعيد : من عترته؟ قال : « اهل بيته ».

١٧ ـ وعنه قال : ابن بابويه ، قال : حدثنا علي بن الفضل البغدادي ، قال : سمعت ابا عمرو صاحب ابي العباس تغلب ، يقول : سمعت ابا العباس تغلب يسأل عن قوله ﷺ : « إني تارك فيكم الثقلين» لم سميّا الثقلين؟ قال : لان التمسك بهما ثقيل .

١٨ ـ وعنه، قال : حدثنا الحسن بن علي بن شعيب الجوهري ابو محمد، قال : حدثنا عيسى بن محمد العلوي، قال : حدثنا ابو عمرو واحمد بن ابي حازم الغفاري، قال : حدثنا عبداللّه بن موسى، عن شريك، عن وكيع بن الربيع، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « اني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه جل وعز وعترتي اهل بيتي ، الا وهما الخليفتان من بعدي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ».

١٩ ـ وعنه قال : حدثنا الحسن بن علي بن شعيب ابو محمد الجوهري، قال : حدثنا عيسى بن محمد العلوي، قال: حدثنا الحسن بن الحسن الحميري بالكوفة، قال: حدثنا الحسن بن الحسين المغربي عن عمرو بن جميع عن ابي المقدام عن جعفر بن محمد عن ابيه عليهما السلام، قال: اتيت جابر بن عبداللّه، فقلت: اخبرني عن حجة الوداع، فذكر حديثاً طويلاً، ثم قال: قال رسول اللّه ﷺ: «اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به(١) لن تضلوا من بعدي، كتاب اللّه عز وجل وعترتي اهل بيتي، ثم قال: اللهم اشهد ثلثاً ».

٢٠ ـ وعنه، قال: حدثنا الحسن بن عبداللّه بن سعيد، قال: اخبرنا احمد بن محمد بن

---

١ و ٢. الصحيح بهما .

حمدان القشيري، قال: حدثنا ابو حاتم المغيرة بن محمد بن المهلب، قال: حدثنا عبدالغفار بن محمد بن كثير الكلابي الكوفي، عن جرير بن عبدالحميد عن الحسن بن عبيدالله، عن ابي الضحى عن زيد بن ارقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به(١) لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي، فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

٢١ ـ وعنه، قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبدالله بن يزيد ابو محمد البجلي، قال: حدثني محمد بن ظريف، قال: حدثنا ابن فضيل عن الاعمش عن عطية عن ابي سعيد عن حبيب بن ابي ثابت عن زيد بن ارقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «كأني قد دعيت واجبت واني تارك فيكم الثقلين احدهما اعظم من الآخر. كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي اهل بيتي، فانهما لن يزالا جميعاً حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟».

٢٢ ـ وعنه قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثنا ابو جعفر محمد بن حسين بن حفص، عن عباد بن يعقوب، عن ابي مالك، عن عمرو بن هاشم الحميري، عن عبدالملك بن عطية انه سمع ابا سعيد يرفع ذلك الى النبي ﷺ قال: «ايها الناس اني تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي اهل بيتي، ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

٢٣ ـ وعنه قال: حدثنا محمد بن عمر، قال: حدثني الحسن بن عبدالله بن محمد بن علي التميمي، قال: حدثني سيدي علي بن موسى بن جعفر، قال: حدثني ابي عن ابيه جعفر بن محمد، عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين بن علي، عن ابيه علي بن ابي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض».

٢٤ ـ وعنه قال: حدثنا ابو محمد جعفر بن نعيم بن شاذان النيسابوري، قال: حدثني عمي ابوعبدالله محمد بن شاذان، عن الفضل بن شاذان، قال: حدثنا عبدالله بن موسى، قال: حدثنا اسرائيل، عن ابى اسحق، عن عيسى بن المعتمر، قال: رأيت اباذر الغفاري اخذ

بحلقة باب الكعبة وهو يقول: الامن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا ابوذر جندب بن السكن ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، الا وان مثلهما كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق ».

٢٥ ـ وعنه قال : حدثنا الشريف الدين الصدوق ابو علي محمد بن احمد بن محمد بن زياد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابيطالب صلوات الله وسلامه عليهم، قال : حدثنا علي بن محمد بن قتيبة، قال : حدثنا الفضل بن شاذان النيسابوري ، قال : حدثنا عبدالله بن موسى ، قال : حدثنا شريك عن ركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت، قال : قال رسول الله ﷺ : «اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي اهل بيتي، فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ».

٢٦ ـ وعنه قال : حدثنا عبدالواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري، قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة عن شاذان ، قال : حدثنا اسحق بن ابراهيم ، قال : حدثنا عيسى بن يونس ، قال : حدثنا زكريا عن ابي زائدة عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ: « اني تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي ، فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ».

٢٧ ـ وعنه قال: حدثني ابي رضي الله عنه، قال : حدثنا علي بن محمد بن قتيبة، قال : حدثنا الفضل بن شاذان، قال : حدثنا اسحق بن ابراهيم، عن جرير عن الحسن بن عبيدالله، عن ابي الضحى، عن زيد بن ارقم ، عن النبي ﷺ قال: « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ».

٢٨ ـ وعنه قال : حدثنا احمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال حدثنا علي بن ابراهيم بن هاشم، عن ابيه عن محمد بن ابي عمير، عن غياث بن ابراهيم، عن الصادق جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي ، عن ابيه علي بن الحسين ، عن ابيه الحسين بن علي عليهم السلام قال : سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله ﷺ « اني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فقال : من العترة؟ فقال : انا والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين تاسعهم

مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردا على رسول الله ﷺ حوضه».

٢٩ ـ وعنه، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد، قال حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن احمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن ابراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس الهلالي، عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: «ان الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحججاً في ارضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا».

٣٠ ـ الديلمي، وابوالحسن احمد بن محمد بن شاذان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعلي بن ابي طالب عليه السلام وعلى افضل لكم من كتاب الله لانه مترجم لكم عن كتاب الله».

٣١ ـ ابن الفارسي في روضة الواعظين عن ابي جعفر الباقر عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، في خطبة خطبها رسول الله ﷺ في مسجد الخيف، يذكر فيها النص على الخلافة والولاية لاميرالمؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام، فقال فيها: «معاشر الناس إنّ علياً والطيبين من ولدى هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الاكبر وكل واحد منهما مبيّن عن صاحبه موافق له، لن يفترقا حتى يردا على الحوض بامر الله في خلقه وبحكمه يلي ارضه، ألا وإن الله عز وجل قال وانا قلته عن الله عز وجل، الا وقد أديت الا وقد بلغت الا وقد اسمعت الا وقد اوضحت، الا وانه ليس اميرالمؤمنين عليه السلام غير اخي هذا ولا تحل إمرة المؤمنين بعدي لاحد غيره» ثم ضرب بيده على عضد علي عليه السلام فرفعه، فكان اميرالمؤمنين عليه السلام اول من صعد رسول الله ﷺ و قد شال علياً حتى صارت رجلاه مع ركبة رسول الله صلوات الله عليهما والخطبة طويلة وستأتي انشاء الله تعالى»[1].

قال البحراني في معنى الثقلين والخليفتين من طريق المخالفين:

«١ ـ مسند احمد بن حنبل يرفعه الى علي بن ربيعة، قال: لقيت زيد بن ارقم وهو داخل

١. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٩ ـ ١٤.

على المختار وانا خارج من عنده، فقلت له اسمعت رسول اللّه ﷺ يقول: « اني تارك فيكم الثقلين » ؟ قال نعم.

٢ ـ ومن مسند احمد بن حنبل ايضاً يرفعه الى ابي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه ﷺ: « اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين واحدهما اكبر من الآخر، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، قال: قال: ابن نمير، قال: اصحابنا عن الاعمش، قال: انظروا كيف تخلفوني فيهما.

٣ ـ صحيح مسلم، يرفعه الى زيد بن حسان، قال: انطلقت انا وحصين بن سمرة، وعمر بن مسلم الى زيد بن ارقم، قال: فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد تلقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللّه ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللّه ﷺ، قال: يابن اخي واللّه لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت اعى من رسول اللّه ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوه ومالا فلا تكلفونى فيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بام تدعى خماً فيما بين مكة والمدينة، فحمداللّه واثنى عليه وذكّر، ثم قال: «اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم الثقلين، اولهما كتاب اللّه فيه النور فخذوا بكتاب اللّه واستمسكوا به، فحث على كتاب اللّه ورغب في الاصل ورغب للّه فيه، ثم قال: واهل بيتي اذكركم اللّه في اهل بيتي، فقال حصين: ومن اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته؟ فقال: ليس نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرمت عليهم الصدقة بعده».

٤ ـ مسند ابن حنبل يرفعه الى زيد بن حسان، عن زيد بن ارقم، قال: دخلنا ... وساق الحديث الاول حتى قال: « الا واني تارك فيكم الثقلين احدهما كتاب اللّه وهو حبل من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة، فقلنا: من اهل بيته نساؤه؟ قال: لا ايم اللّه ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى اهلها وقومها واهل بيته اصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده ».

٥ ـ تفسير الثعلبي في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل اللّه

جميعاً﴾[1] يرفعه الى ابى سعيد الخدري،قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ايها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي، احدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

ابن المغازلي من مناقبه كالحديث الذي نقلته من مسند ابن حنبل، قبل الذي من تفسير الثعلبي، يرفعه بسنده الى زيد ايضاً، ومنها مثل الذي نقلته من صحيح مسلم الى زيد ايضاً.

٦ ـ ومن مناقبه ايضاً يرفعه الى ابي سعيد الخدري، ان رسول الله ﷺ قال: « اني اوشك ان ادعى فاجيب، واني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا ماذا تخلفوني فيهما ».

٧ ـ احمد بن حنبل في مسنده باسناده الى اسرائيل بن عثمن بن المغيرة بن ربيعة، قال: لقيت زيد بن ارقم وهو داخل على المختار وانا خارج من عنده فقلت له: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اني تارك فيكم الثقلين »؟ قال: نعم.

٨ ـ مصنف الصحاح الستة ابو داود، وصحيح الترمذي، باسنادهما عن رسول الله ﷺ يقول: « اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، احدهما اعظم من الاخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني في عترتي ».

٩ ـ ابن المغازلي باسناده الى ابن ابي الدنيا، في كتاب فضائل القرآن قال: قال رسول الله ﷺ « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وقرابتي، قال: آل عقيل وآل علي وآل جعفر وآل عباس ».

١٠ ـ وعنه الى علي بن ابي ربيعة قال: لقيت زيد بن ارقم وهو يريد ان يدخل على المختار، فقلت: بلغني عنك، قال: وما هو؟ قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اني قد

---

١. سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

تركت فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي اهل بيتي »، قال : اللهم نعم.

١١ ـ وعنه باسناده ايضاً قال : قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: « اني فرطكم على الحوض فاسألكم حين تلقوني عن ثقلي كيف تخلفوني فيهما، فاعتل علينا لا ندري ماالثقلان، حتى قام رجل من المهاجرين ، فقال : يا نبي اللّه بابي انت وامي ما الثقلان؟ قال الاكبر منهما كتاب اللّه طرف بيداللّه تعالى وطرف بايديكم فتمسكوا به ولا تولوا ولاتعرضوا والاصغر منهما عترتي من استقبل قبلتي واجاب دعوتي فلا تقتلوهم ولاتقهروهم ، فاني سألت اللطيف الخبير فاعطاني ان يردا على الحوض كهاتين واشار بالمسبحة، ولو شئت قلت كهاتين بالسبابة والوسطى ، الناصر لهما ناصري وخاذلهما خاذلي وعدوهما عدوي ، الا وانه لن تهلك امة قبلكم حتى تدين باهوائها وتظاهر على نبوتها وتقتل من يامر بالقسط فيها ».

١٢ ـ الحميدي في الجمع بين الصحيحين، في سند زيد بن ارقم، عن عدة طرق ، فمنها باسناده الى النبي ﷺ ، انه قال : قام فينا خطيباً بما يدعى خماً ما بين مكة والمدينة ، فحمداللّه واثنى عليه ووعظ وذكر ، ثم قال: « اما بعد انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب اللّه فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب اللّه واستمسكوا به ، فحث على كتاب اللّه ورغب فيه ثم قال: واهل بيتي اذكركم اللّه في اهل بيتي».

وفي احدى روايات الحميدي فقلنا: من اهل بيته نساؤه؟ قال : « لا وايم اللّه ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثم يطلقها فيرجع الى ابيها وقومها». الخبر.

١٣ ـ مسند احمد بن حنبل، يرفعه الى زيد بن ثابت، قال قال رسول اللّه ﷺ : « اني تارك فيكم خليفتين كتاب اللّه حبل ممدود ما بين السماء والارض، او ما بين السماء الى الارض، وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ».

١٤ ـ ابن شاذان، عن مجاهد، قال : قيل لابن عباس ، ما تقول في علي بن ابيطالب عليه السلام؟ ، فقال : «ذكرت واللّه أجل الثقلين سبق بالشهادتين وصلى القبلتين وبايع البيعتين واعطى السبطين وهو اب السبطين الحسن والحسين، ردت عليه الشمس مرتين من بعد ما غابت

عن القبلتين وجرد السيف تارتين وصاحب الكرتين ومثله كمثل ذي القرنين، ذاك مولانا علي بن ابي طالب عليه السلام».

١٥ ـ وعنه يرفعه الى زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعلي بن ابي طالب عليه السلام افضل لكم من كتاب الله، لانه مترجم لكم عن كتاب الله».

١٦ ـ ومن الجمع بين الصحاح الستة من صحيح ابي داود السجستاني وهو السنن ومن صحيح الترمذي عن زيد بن ارقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى، احدهما اطول من الاخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروني كيف تخلفوني في عترتي؟، قال سفيان: اهل بيته ورثة علمه لانه لا يورث من الانبياء الا العلم وهو كقول نوح: ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا﴾[1] يريدونني والعلماء من اهل دينه المقتدون به والعاملون بما جاء به، لهم فضلان»[2].

قال عبدالقادر في فضل القرآن:

«اعلم حرسك الله ان القرآن الكريم أفضل الكتب السماوية وان التمسك به وصول إلى منزله، والمحافظة عليه طريق النجاة، فهو العروة الوثقى والحبل المتين. فقد روى مسلم عن زيد بن ارقم، قال: قام يوماً فينا رسول الله خطيباً (بماء يدعى خما) بين مكة والمدينة، فحمدالله وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه، وإني تارك فيكم ثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». وفي رواية: «من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل». وفي أخرى: «كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة». وفي رواية الترمذي: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما». وهذا من الأهمية بمكان، لأن حضرة الرسول في قوله هذا،

---

١. سورة نوح: الآية ٢٨.

٢. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢٦ ـ ٢٧.

ينتظر نتيجة أعمال أمته في العمل بأحكام القرآن وفي مراعاتهم لأهل بيته، وانهم المسؤولون عن ذلك في يوم هم أشد حاجة لشفاعته، يوم لا ينفع مال ولا جاه ولا بنون ....»[1].

قال البلاغي قدس سره: « جاء في القرآن شيء كثير من الألفاظ العامة التي يراد بها الخاص، أو التي هي نص في خاص باعتبار نزولها في شأنه وغير ذلك مما كان معروفا في عصر نزوله، ثمّ صارت اسباب الخفاء تختلسه شيئاً فشيئاً وتجعل ضده كما في خرافة الغرانيق وآية التمني.

والمفزع في تفسير ذلك هو ما يحصل به العلم من اجماع المسلمين او اتفاقهم في الرواية للتفسير. او في الرواية عن الرسول ﷺ في الدلالة على من يفزع اليه بعده في تفسير كتاب اللّه وذلك كحديث الثقلين المتواتر القطعي الذي ذكره اخواننا من اهل السنة في كتبهم وأوردوا من روايته عن الصحابة الذين سمعوه من رسول اللّه ﷺ اكثر من ثلاثين صحابيا وبقي على ذلك متواتراً في كل عصر إلى العصر الحاضر وهو قوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين او الخليفتين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» وان لفظ العترة والأحاديث الكثيرة الصحيحة الواردة في تعيين اهل البيت يعينان المراد من اهل البيت، فضلا عن دلالة العرف والمحاورات. وقوله ﷺ: «ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا»، مع قوله ﷺ: «فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، يعينان الأئمة الاثني عشر المعصومين من عترة الرسول وذريته. ومن دلائل ذلك اجماع المسلمين على ان من عدا هؤلاء ليس معصوماً ولا يتصف بانه مثل كتاب اللّه لا يضل من تمسك به.

وهاك اسماء الصحابة السامعين لهذا الحديث عن رسول اللّه، ١ ـ علي عليه السلام اميرالمؤمنين ٢ ـ عبداللّه بن عباس ٣ ـ ابوذر الغفاري ٤ ـ جابر الأنصاري ٥ ـ عبداللّه بن عمر ٦ ـ حذيفة بن اسيد ٧ ـ زيد بن ارقم ٨ ـ عبدالرحمن بن عوف ٩ ـ ضميرة الأسلمي ١٠ ـ عاصم ابن ليلى ١١ ـ ابو رافع ١٢ ـ ابو هريرة ١٣ ـ عبداللّه بن حنطب ١٤ ـ زيد بن ثابت

---

١. بيان المعاني ج ١ ص ١٦.

١٥ ـ ام سلمة ١٦ ـ ام هاني أخت اميرالمؤمنين علي عليه السلام ١٧ ـ خزيمة بن ثابت ١٨ ـ سهل بن سعد ١٩ ـ عدي بن حاتم ٢٠ ـ عقبة بن عامر ٢١ ـ ابو ايوب الأنصاري ٢٢ ـ ابو سعيد الخدري ٢٣ ـ ابو شريح الخزاعي ٢٤ ـ ابو قدامة الأنصاري ٢٥ ـ ابو ليلى ٢٦ ـ أبو الهيثم بن التيهان.

وهؤلاء الذين ذكرنا اسماءهم من بعد ام هاني، قد رواه كل منهم منفرداً كمن تقدمه وقاموا في رحبة الكوفة مع سبعة من قريش، فشهدوا انهم سمعوه من رسول اللّه، فهؤلاء ثلاثة وثلاثون. ورواه ابو نعيم الأصبهاني في كتاب (منقبة المطهرين) مسنداً عن جبير بن مطعم وأسنده أيضاً عن انس بن مالك واسنده عن البراء بن عازب ورواه موفق بن أحمد أخطب خوارزم عن عمرو بن العاص. وقل ما يخلو عن رواية هذا الحديث مسند أو جامع أو كتاب في الفضائل لأهل السنة، من أول ما اخرج الحديث من الحفظ وصدور الحفاظ الى صحف المحدّثين ولا زالت يروىٰ فيها عن صحابي واحد أو أكثر وربما روي في واحد منها عن أكثر من عشرين صحابياً اما مجملاً كما في الصواعق، واما مسنداً مفصلاً كما في كتب السخاوي والسيوطي والسمهودي وغيرهم ومن اراد الاطلاع فليرجع إلى الجزأين المكتوبين في أسانيد هذا الحديث من كتاب العبقات.

ورواه الإمامية في كتبهم بأسانيدهم المتكررة عن الباقر عليه السلام والرضا عليه السلام والكاظم عليه السلام والصادق عليه السلام عن آبائهم عليهم السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وبالأسانيد الأخر عن أميرالمؤمنين عليه السلام وعمر وابي ذر وجابر وابي سعيد وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت وحذيفة بن اسيد وابي هريرة وغيرهم عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله كما في غاية المرام وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني طاب ثراه وغير ذلك.

ولعلك تقول: ان البخاري لم يذكر هذا الحديث في جامعه، فاعرف إذن ان المحدثين لا يلتفتون إلى استفاضة الحديث وتواتره وافادته للعلم من هذه الجهة، كما هو شأن العالم المحقق في حجته وبحثه عن الحقائق. وإنما المهم للمحدث والموضوع في فنه هو الحديث الآحادي، الذي يأخذه بما عندهم في طرق الأخذ من رجل عن آخر على شروط يقررها في السند، فكأن البخاري لم يحصل شرطه في سند من اسانيد الحديث الآحادية

ولكن الحاكم في مستدركه استدرك عليه وعلى مسلم حديث زيد بن ارقم من طريق حبيب عن ابي الطفيل، قال: لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال ﷺ: «إني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علي، فقال: «من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله. ومن طريق مسلم بن صبيح عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي وانهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض». وقال الحاكم أيضاً: هذا صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قلت: ولم أجد من تعقب الحاكم على استدراكه بهذين الحديثين، فيكون ذلك موافقة ممن عاصر الحاكم ومن بعده على الإستدراك وصحة الحديثين على شرط البخاري ومسلم. ومن طريق سلمة بن كهيل عن ابي الطفيل، انه سمع زيد بن أرقم يقول: وساق نحو الحديث الأول، وفيه: «إني تارك فيكم امرين لن تضلوا إن اتبعتموهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي»، الحديث. وتعقبه الذهبي بأن في طريقه محمد بن سلمة وقد وهّاهُ السعدي وذكر له ابن عدي أحاديث منكرة. ومراده من السعدي هو ابراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني كما ذكره في ترجمة محمد بن سلمة.

قلت: وما ادراك ما السعدي؟ فانه معروف بالنصب. وفي الميزان عن ابن عدي كان شديد الميل الى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي ﷺ. وقد قال في اسماعيل ابن ابان الوراق شيخ البخاري: انه كان مائلا عن الحق قال ابن عدي: ولم يكن يكذب الجوزجاني يريد به ما عليه الكوفيون من التشيع ، إذن فاعرف السبب في تحامل الجوزجاني وابن عدي على محمد بن سلمة. ولعمر العلم الحق ان الحديث بتواتره في غنى عن التعرض له في جامع البخاري ـ هذا»[1].

---

١. آلاء الرحمن، ج ١، ص ٤٣ـ٤٥.

ب : موقف القرآن من الأئمة عليهم السلام

قال العياشي في ما أنزل القرآن :

«١ ـ عن أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «نزل القرآن على أربعة أرباع ، ربع فينا، وربع في عدوّنا ، وربع في فرائض وأحكام، وربع سنن وأمثال ولنا كرائم القرآن»[١].

٢ ـ عن عبدالله بن سنان قال[٢] : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن القرآن والفرقان ، قال : «القرآن جملة الكتاب وأخبار مايكون ، والفرقان المحكم الذي يعمل به ، وكلّ محكم فهو فرقان»[٣].

٣ ـ وعن الاصبغ بن نباتة قال : سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول : «نزل القرآن أثلاثاً ثلث فينا وفي عدوّنا ، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام»[٤].

٤ ـ عن محمدبن خالد بن الحجاج الكرخي، عن بعض أصحابه رفعه إلى خيثمة قال : قال أبو جعفر : «ياخيثمة، القرآن نزل أثلاثاً ثلث فينا وفي أحبّائنا ، وثلث في أعدائنا وعدوّ من كان قبلنا، وثلث سنّة ومثل ، ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ، ولكن القرآن يجري أوله على آخره مادامت السماوات والأرض ، ولكل قوم آية يتلونها (و) هم منها من خير أو شرّ»[٥]»[٦].

قال العياشي (ره) في ماعني به الأئمة من القرآن :

١ ـ عن ابن مسكان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن»[٧].

٢ ـ عن حنان بن سدير، عن أبيه قال : قال أبو جعفر عليه السلام : «يا أبا الفضل لنا حق في كتاب

---

١. البحار ج ١٩: ٣٠. البرهان ج ١: ٢١. الصافي ج ١: ١٤.
٢. وفي نسخة البحار هكذا «عن عبدالله بن سنان عمن ذكره قال سألت أبا عبدالله عليه السلام ».
٣. البحار ج ١٩: ٨. الصافي ج ١: ١٨. البرهان ج ١: ٢١.
٤. البحار ج ١٩: ٣٠. الصافي ج ١: ١٤. البرهان ج ١: ٢١.
٥. البحار ج ١٩: ٣٠. الصافي ج ١: ١٤. البرهان ج ١: ٢١.
٦. العياشي ج ١ ص ٢٠ ـ ٢١.
٧. البحار ج ١٩: ٢٢، ٣٠. البرهان ج ١ ٢٠ ـ ٢٢ ، تنكب الشيء: تجنبه.

الله المحكم من الله، لو محوه فقالوا: ليس من عند الله أوْ لم يعلموا لكان سواء» [١].

٣ ـ عن محمدبن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يامحمد إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأمة بخير فنحن هم. وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدوّنا» [٢].

٤ ـ عن مسعدة بن صدقة عن أبي جعفر عليه السلام عن أبيه عن جدّه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سموهم بأحسن أمثال القرآن يعني عترة النبي صلى الله عليه وآله، هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا».

٥ ـ عن عمربن حنظلة عن أبي عبدالله عليه السلام عن قول الله: ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ فلما رآني أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب، قال: حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمة عني به» [٣].

قال الفيض الكاشاني (ره):

في نبذ مما جاء في أن جل القران إنما نزل فيهم وفي أوليائهم وأعدائهم وبيان سرّ ذلك:

«في الكافي وتفسير العياشي بإسنادهما عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزل القرآن على أربعة أرباع، ربع فينا وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام»، وزاد العياشي: «ولنا كرائم القرآن»، وبإسنادهما عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «نزل القرآن أثلاثاً؛ ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام».

وروى العياشي بإسناده عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «القرآن نزل أثلاثاً؛ ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنة ومثل، ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره مادامت السمٰوات والأرض، ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر».

أقول: لاتنافي بين هذه الأخبار، لأن بناء هذاالتقسيم ليس على التسوية الحقيقية

١. البحار ج ١٩: ٣٠. البرهان ج ١: ٢٢. والصحيح: سواء.
٢. البحار ج ١٩: ٣٠. البرهان ج ١: ٢٢. الصافي ج ١: ١٤ و ٢٥. إثبات الهداة ج ٣: ص ٤٣.
٣. العياشي ج ١ ص ٢٤ ـ ٢٥.

ولاعلى التفريق من جميع الوجوه، فلا بأس باختلافها بالتثليث والتربيع، ولابزيادة بعض الأقسام على الثلث أو الربع او نقصه عنهما، ولادخول بعضها في بعض.

وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لنا حق في كتاب الله تعالى المحكم لو محوه، فقالوا: ليس من عند الله اولم يعلموا لكان سواء».

أقول: إنه قد وردت أخبار جمة عن أهل البيت عليهم السلام في تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم، حتى أن جماعة من أصحابنا صنفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو، جمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السلام في تأويل آية آية، أما بهم او بشيعتهم او بعدوهم على ترتيب القرآن، وقد رأيت منها كتاباً كاد يقرب من عشرين الف بيت.

وقد روي في الكافي وفي تفسيري العياشي و علي بن إبراهيم القمي والتفسير المسموع من الإمام أبي محمد الزكي، أخبار كثيرة من هذا القبيل، وذلك مثل مارواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾. قال: «هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام».

وفي تفسير العياشي عن محمدبن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا أبا محمد[1] إذا سمعت الله ذكر قوماً من هذه الأمة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضىٰ فهم عدونا».

وفيه، عن عمربن حنظلة عن أبي عبدالله عليه السلام سأله عن قول الله تعالى: ﴿ **قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾ قال: «فلما رآني أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب. قال: حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمة عنوا[2] به».

أقول: والسر فيه إنما ينكشف ويتبين ببسط من الكلام وتحقيق للمقام، فنقول وبالله التوفيق: إنه لما أراد الله أن يعرف نفسه لخلقه ليعبدوه، وكان لم تيتسّر معرفته كما أراد على سنة الأسباب إلا بوجود الأنبياء والأوصياء، إذ بهم تحصل المعرفة التامة والعبادة الكاملة دون غيرهم، وكان لم يتيسر وجود الأنبياء والأوصياء إلا بخلق سائر الخلق ليكون أنساً لهم وسبباً لمعاشهم، فلذلك خلق سائر الخلق ثم أمرهم بمعرفة أنبيائه وأوليائه وولايتهم،

---

١. هكذا في الصافي ولكن في العياشي «يامحمد».
٢. هكذا في الصافي ولكن في العياشي «عني به».

والتبري من أعدائهم ومما يصدهم عن ذلك، ليكونوا ذوي حظوظ من نعيمهم، ووهب الكل معرفة نفسه على قدر معرفتهم بالأنبياء والأوصياء، إذ بمعرفتهم إياهم يعرفون الله وبولايتهم إياهم يتولون الله، فكل ما ورد من البشارة والإنذار والأوامر والنواهي والنصائح والمواعظ من الله سبحانه، فإنما هو لذلك ولما كان نبينا سيد الأنبياء ووصيه سيد الأوصياء، لجمعهما كمالات سائر الأنبياء والأوصياء ومقاماتهم مع مالهما من الفضل عليهم، وكان كل منهما نفس الآخر، صح أن ينسب إلى أحدهما من الفضل ما ينسب إليهم لاشتماله على الكل وجمعه لفضائل الكل، وحيث كان الأكمل يكون الكامل لامحالة ولذلك خص تأويل الآيات بهما، وبسائر أهل البيت عليهم السلام الذين هم منهما ذرية بعضها من بعض وجيء بالكلمة الجامعة التي هي الولاية فإنها مشتملة على المعرفة والمحبة والمتابعة وسائر مالابد منه في ذلك، وأيضاً فإن أحكام الله سبحانه إنما تجري على الحقائق الكلية والمقامات النوعية دون خصائص الأفراد والآحاد كما أشرنا إليه سابقا، فحيثما خوطب قوم بخطاب أو نسب إليهم فعل، دخل في ذلك الخطاب وذلك الفعل عند العلماء وأولي الألباب كل من كان من سنخ أولئك القوم وطينتهم، فصفوة الله حيثما خوطبوا بمكرمة أو نسبوا إلى أنفسهم مكرمة يشمل ذلك كل من كان من سنخهم وطينتهم من الأنبياء والأولياء وكل من كان من المقربين، الامكرمة خصوا بها دون غيرهم، وكذلك إذا خوطبت شيعتهم بخير أو نسب إليهم خير، او خوطب أعداؤهم بسوء ونسب إليهم سوء، يدخل في الأول كل من كان من سنخ شيعتهم وطينة محبيهم وفي الثاني كل من كان من سنخ أعدائهم وطينة مبغضيهم من الأولين والآخرين، وذلك لأن كل من أحبه الله ورسوله أحبه كل مؤمن من ابتداء الخلق إلى انتهائه، وكل من أبغضه الله ورسوله أبغضه كل مؤمن كذلك وهو يبغض كل من أحبه الله تعالى ورسوله، وكل مؤمن في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم ومحبيهم، وكل جاحد في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من مخالفيهم ومبغضيهم.

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في كلام الصادق عليه السلام في حديث المفضل بن عمر وهو الذي رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب علل الشرائع بإسناده عن المفضل بن عمر قال:

قلت لأبي عبدالله عليه السلام: بم صار علي ابن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار ؟ قال : «لأن حبه إيمان وبغضه كفر وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة، والجنة لايدخلها إلا أهل محبته والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه» ، قال المفضل : يابن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعداؤهم يبغضونه ؟ فقال : نعم . قلت : فكيف ذلك؟ قال : «أما علمت أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله تعالى ورسوله ويحبه الله ورسوله ما يرجع حتى يفتح الله على يده» ، قلت : بلى قال : «أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أوتي بالطائر المشوي، قال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير وعنى به علياً ، قلت: بلى، قال : «يجوز أن لايحب انبياء الله ورسله واوصياؤهم عليهم السلام رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله. فقلت : لا . قال: «فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبون حبيب الله وحبيب رسوله صلى الله عليه وآله وأنبياءه . قلت : لا، قال : «فقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب عليه السلام محبين، وثبت أن المخالفين لهم كانوا له ولجميع محبيه مبغضين». قلت: نعم. قال: «فلا يدخل الجنة إلا من احبه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار». قال المفضل بن عمر، فقلت له: يالبن رسول الله فرجت عني فرج الله عنك فزدني مما علمك الله تعالى ؟ فقال : سل يامفضل . فقلت : أسأل ياابن رسول الله فعليّ بن أبي طالب عليه السلام يدخل محبه الجنة ومبغضه النار او رضوان ومالك فقال : «يا مفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح إلى الأنبياء وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟». قلت: بلي. قال: «أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع أمره ووعدهم الجنة على ذلك وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟» فقلت: بلى. قال: «أفليس النبي صلى الله عليه وآله ضامناً لماوعد وأوعد عن ربه عزوجل؟» قلت: بلى. قال: «أوليس علي بن أبي طالب عليه السلام خليفته وإمام أمته؟ قلت: بلى. قال: «أوليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبته». قلت: بلى . قال: «فعليّ بن أبي طالب عليه السلام إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى ، يامفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكنونه لاتخرجه إلا إلى أهله .

أقول : وقد فتح هذا الحديث باباً من العلم لنفتح منه الف باب، وسيأتي له مزيد انكشاف في المقدمة الرابعة عند تحقيق القول في المتشابه وتأويله ان شاء الله .

ومن هذا القبيل خطاب الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمان نبيناﷺ بما فعل بأسلافهم أو فعلت أسلافهم، كانجائهم من الغرق وسقيهم من الحجر وتكذيبهم الآيات إلى غير ذلك، وذلك لأن هؤلاء كانوا من سنخ أولئك راضين بما رضوا به ساخطين بما سخطوا به ، وايضاً فإن القرآن إنما نزل بلغة العرب، ومن عادة العرب أن تنسب إلى الرجل ما فعلته القبيلة التي هو منهم وان لم يفعل هو بعينه ذلك الفعل معهم .

وقد ورد ذلك بعينه في كلام السجاد عليه السلام حيث سئل عن ذلك ، فقال: «إن القرآن بلغة العرب فيخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم، أماتقول للرجل التميمي الذي قد أغار قومه على بلد وقتلوا من فيه، أغرتم على بلد كذا وفعلتم كذا؟، الحديث . وسر هذه العادة في لغتهم ماقلناه . وبهذا التحقيق انحل كثير من المشكلات والشبهات في تأويل الآيات الواردة عنهم عليهم السلام، بل كفينا مؤنة ذكر التأويلات في ذيل تلك الآيات، إذ لا يخفى بعد معرفة هذا الأصل إجراء تلك التأويلات في آية آية على أولي الألباب، إلا أنّا سنأتي بنبذ منها في محالها إنشاء الله تعالى، والحمد لله على ما أفهمنا ذلك وألهمناه »[1].

قال البحراني (ره) فيما نزل عليه القرآن من الاقسام :

«١ ـ محمدبن يعقوب ، عن عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد ، وعلى بن ابراهيم ، عن ابيه جميعاً عن ابن محبوب ، عن ابي حمزة ، عن ابي يحيى ، عن الاصبغ بن نباتة قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول : «نزل القرآن اثلاثاً، ثلث فينا و في عدونا، وثلث سنن وامثال، وثلث فرائض واحكام .

٢ ـ وعنه ، عن عدة من اصحابنا ، عن احمدبن محمد ، عن الحجال ، عن على بن عقبة ، عن داود بن فرقد ، عمن ذكره عن ابى عبدالله عليه السلام قال: «ان القرآن نزل على اربعة ارباع، ربع حلال، وربع حرام، وربع سنن واحكام، وربع خبر ماكان قبلكم ونبأ مايكون بعدكم وفصل ما بينكم .

٣ ـ وعنه عن ابى الاشعرى، عن محمدبن عبد الجبار، عن صفوان ، عن اسحق بن عمار ، عن ابي بصير ، عن ابي جعفر عليه السلام قال : «نزل القرآن اربعة ارباع، ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وامثال، وربع في فرائض واحكام .

---

١. الصافي ج ١ ص ٢٤ ـ ٢٨.

٤ ـ العياشي ، عن ابي الجارود ...)[١].

٥ ـ عن ابن المغازلي ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «ان القرآن اربعة ارباع، فربع فينا اهل البيت خاصة، وربع حلال، وربع حرام، وربع فرائض واحكام، والله انزل فينا كرائم القرآن.

٦ ـ العياشي ، عن ابي بصير .....[٢][٣].

قال البحراني (ره) فيما عنى به الائمة عليهم السلام في القرآن :

١ ـ العياشي ، عن ابن مسكان ...[٤].

٨ ـ وروى الشيخ الكامل شرف الدين النجفي في كتاب (تأويل الايات الباهرة في فضائل العترة الطاهرة) قال: ورد من طريق العامة والخاصة الخبر المأثور عن عبدالله بن عباس قال: قال لي امير المؤمنين عليه السلام: «نزل القرآن ارباعاً، ربع فينا وربع في عدونا، وربع سنن وامثال، وربع فرائض واحكام، ولنا كرائم القرآن وكرائم القرآن مجامعه واحسنه لقوله تعالى: ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه** ﴾[٥] والقول هو القرآن.

٩ ـ قال ويؤيد هذا مارواه ابو جعفر الطوسي باسناده الى الفضل بن شاذان، عن داود بن فرقد ، قال : قلت : لابي عبدالله عليه السلام: انتم الصلاة في كتاب الله عزوجل، وانتم الزكاة، وانتم الحج ، فقال: يا داود نحن الصلاة في كتاب الله عزوجل، ونحن الزكاة، ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله، ونحن الايات ، ونحن البيّنات ،وعدونا في كتاب الله: الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والانصاب والازلام والاصنام والاوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير ، ياداود: «ان الله خلقنا واكرم خلقنا وفضّلنا وجعلنا أمناءه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الارض، وجعل لنا اضداداً واعداء، فسمّانا في كتابه وكنّى عن اسمائنا باحسن الاسماء واحبها اليه تكنية عن العدوّ ، وسمّى اضدادنا

---

١. انظر (٤ـ٧ و ٩ ـ ١١) في ص ٢٠٧ من الكتاب الحاضر.
٢. انظر (٤ـ٧ و ٩ ـ ١١) في ص ٢٠٧ من الكتاب الحاضر.
٣. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢١.
٤. انظر من رقم ١ الى ٨ في ص ٢٠٧ و ٢٠٨ من الكتاب الحاضر.
٥. سورة الزمر : الآية ١٨.

واعداءنا في كتابه وكنّى عن اسمائهم، وضرب لهم الامثال في كتابه في بعض الاسماء اليه والى عباده المتقين.

١٠ ـ ويؤيد هذا مارواه ايضاً عن الفضل بن شاذان باسناده عن ابى عبدالله عليه السلام انه قال: «نحن اصل كل برّ ومن فروعنا كل بر، ومن البرّ التوحيد والصلاة والصيام وكظم الغيظ والعفو عن المسئي ورحمة الفقير وتعاهد الجار، والاقرار بالفضل واهله، وعدوّنا اصل كل شر، ومن فروعهم كل قبيح وفاحشة، فهم الكذب والنميمة والبخل والقطيعة واكل الربا واكل مال اليتيم بغير حق وتعدى الحدود التى امر الله عزوجل، وركوب الفواحش ماظهر منها ومابطن من الزنا والسرقة، وكلما ذكر من القبيح والكذب فهو متعلق بفرع غيرنا»[1].

قال الجنابذي: «في انّ القرآن نزل تمامه في الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام بوجه، ونزل فيهم وفي اعدائهم بوجه، ونزل اثلاثاً، ثلث فيهم وفى اعدائهم، وثلث سنن وامثال، وثلث فرائض واحكام بوجه، اوثلث فيهم وفي احبّائهم، وثلث في اعدائهم، وثلث سنّة ومثل بوجه، ونزل ارباعاً ربع فيهم، وربع في عدوّهم، وربع سنن وامثال، وربع فرائض واحكام بوجه، وقد ورد الإشعار بكلّ في الأخبار:

«.... ولمّا كان جميع الشرايع الآلهية والكتب السّماويّة لتصحيح طريق الانسانيّة وتوجيه الخلق الى الولاية، وكان اصل المتحققّين بالطريق الانسانيّة والولاية والمتحققّ بالولاية المطلقة محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام واولادهما عليهم السلام، صحّ ان يقال: جملة الشرايع الآلهيّة وجميع الكتب السّماويّة نزلت فيهم وفي توجيه الخلق اليهم، وهو ايضاً وصف وتبجيل لهم، ولمّا كان كثير من آيات القرآن نزلت فيهم تصريحاً او تعريضاً او تورية، وماكان في اعدائهم لم يكن المقصود منه الا الاعتبار بمخالفيهم والانزجار عن مخالفيهم، ليكون سبباً للتوجّه اليهم ولمعرفة قدرهم وعظمة شأنهم، وكان ساير آيات الامر والنّهى والقصص والاخبار لتأكيد السّير على طريق الانسانيّة الى الولاية، صحّ ان يقال: جميع القرآن نزل فيهم، ولمّا كان القرآن مفصّلاً بكون بعض آياته فيهم وفي محبيهم وبعضها في اعدائهم ومخالفيهم، وبعضها سنناً وامثالا وبعضها فرائض واحكاماً، صحّ ان يقال: نزل القرآن فيهم وفي اعدائهم اونزل اثلاثا اوارباعاً، والآيات الدّالّة على اخبار الاخيار والاشرار

---

١. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢١ ـ ٢٣.

الماضين كلّها تعريض بالائمة واخيار الامّة واشرارهم، مع قطع النظر عن رجوعها اليهم والى اعدائهم، بسبب كونهم اصلاً في الخير وكون اعدائهم اصلاً في الشرّ، بل نقول: كلّ آية ذكر فيها خير كان المراد بها اخيار الامّة وكلّ آية ذكر فيها شرّ كان المراد بها اشرار الامّة لكون الآية فيهم اوتعريضاً بهم، او لكونهم وكون اعدائهم اصلاً في الخير والشّرّ، وفي الزيارة الجامعة: ان ذكر الخير كنتم اوّله واصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه، وهكذا الحال في حال اعدائهم بحكم المقابلة، فان ذكر الشّر كانوا اوّله وآخره واصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه»[١].

قال النهاوندي (ره): «قد استفاضت الاخبار عن الأئمة الاطهار صلوات اللّه عليهم في ان جميع القرآن فيهم وفي ولايتهم ووجوب اتباعهم، وشئونهم وشئون اوليائهم واعدائهم، عن جابر بن عبداللّه رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ في حديث ذكر فيه محامد اهل بيته، قال: «نحن معدن التنزيل ومعنى التأويل». وقريب منه ما روى عن اميرالمؤمنين صلوات اللّه عليه في حديث طويل ذكر فيه صفات الامام، ولا ينافي ذلك مارواه اصبغ بن نباته عن اميرالمؤمنين صلوات الله عليه، قال: «القرآن نزل على اربعة ارباع، ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وامثال، وربع فرائض واحكام، ولنا كرايم القرآن.

وفي رواية اخرى عنه عليه السلام: انه نزل اثلاثاً، ثلثى القرآن فينا وفي شيعتنا، فما كان من خير فلنا ولشيعتنا، والثلث الباقى اشتركنا فيه الناس، فما كان من شر فلعدونا، فان الاختلاف بين الاخبار راجع الى اختلاف اللحاظ والاعتبار، فباعتبار يكون جميع ما ذكر فيه من مدح المؤمنين وثوابهم وذم الكفار وعقابهم راجعاً الى شيعتهم واعدائهم، وجميع الفرايض والاحكام مرتبطاً بولايتهم، وجميع ما ذكر فيه من قصص الانبياء واممهم جارياً فيهم، عن الكاظم عليه السلام في قوله: «انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها ومابطن» قال: «القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرم الله في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك ائمة الجور، وجميع ماحل الله في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك ائمة الحق.

وعن ابى بصير قال: قال الصادق عليه السلام: «يا ابا محمد ما من اية تقود الى الجنة ويذكر اهلها بخير الا وهى فينا وفي شيعتنا، وما من آية نزلت يذكر اهلها بشر وتسوق الى النار الا وهى

١. بيان السعادة ج ١ ص ٢٠ ـ ٢١.

في عدونا ومن خالفنا». وفي التوحيد باسانيده عنه عليه السلام انه قال: «ما من اية تسوق الى الجنة الا وهى في النبى والائمة عليهم السلام واشياعهم واتباعهم، وما من آية تسوق الى النار الا وهى في اعدائهم ومخالفيهم».

وعن الصادق عليه السلام وكثير من الصحابة والتابعين انه: «ما من آية اولها يا ايها الذين آمنوا الا وعلى بن ابيطالب اميرها وقائدها وشريفها واولها».

وعن الاحتجاج عن الباقر عليه السلام قال: قال النبى صلى الله عليه وآله في خطبة يوم الغدير: معاشر الناس هذا على احقكم بى واقربكم الى الله وانا عنه راضيان، وما نزلت آية رضى الا فيه، وماخاطب الذين آمنوا الا بدأ به، وما نزلت آية مدح في القرآن الا فيه، معاشر الناس ان فضايل على عند الله عز وجل وقد انزلها على في القران اكثر من ان احصيها في مكان واحد، فمن نبأكم بها وعرفها فصدقوه، اقول: لا ريب في ان كلما نزل من الايات في فضايل على عليه السلام فهو جارٍ في اوصيائه المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين ايضاً كما روى عن الباقر عليه السلام في حديث قال: «ظهر القرآن للذين نزل فيهم وبطنه للذين عملوا بمثل اعمالهم». وفي رواية اخرى عنه عليه السلام قال: «ولو ان الاية اذا نزلت في قوم ثم مات اولئك ماتت الاية لما بقى من القرآن شيء ولكن القرآن يجرى اوله على اخره ما دامت السموات والارض».

وعنه عليه السلام في رواية قال: في قوله تعالى: «ولكل قوم هاد، على الهادى ومنا الهادى، فقلت: انت جعلت فداك الهادى، قال: «صدقت ان القرآن حى لايموت والاية حية لاتموت، فلو كانت الآية اذا نزلت في الاقوام وماتوا ماتت الاية لمات القرآن ولكن هى جارية في الباقين كما جرت في الماضين».

وعن الصادق عليه السلام: «ان القرآن حى لايموت وانه يجرى كما يجرى الليل والنهار وكما يجرى الشمس والقمر، ويجرى على اخرنا كما يجرى على اولنا».

وبالجملة الروايات التى تدل على ان جميع القران في شأن الائمة عليهم السلام وايجاب ولايتهم كثيرة جدا، بل وردت روايات في آيات ظاهرها بيان الاحكام وباطنها بيان شأنهم، كماروى عن عبدالله بن سنان، قال ذريح المحاربى سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾[١] فقال، المراد لقاء الامام عليه السلام، فأتيت اباعبدالله صلوات الله عليه، وقلت

---

١. سورة الحج: الآية ٢٩.

له جعلت فداك، قول الله عزوجل: ثم ليقضوا تفثهم. قال: «اخذ الشارب وقص الاظفار وما اشبه ذلك»، فحكيت له كلام ذريح، فقال عليه السلام: «صدق ذريح وصدقت ان للقران ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح. قال الفيض رحمة الله: ان جماعة من اصحابنا صنفوا كتبا في تأويل القران على هذا النحو، جمعوا فيها ماورد عنهم عليهم السلام في تأويل اية اية اما بهم او شيعتهم او بعدوهم على ترتيب القران، وقد رأيت منها كتابا كاد يقرب من عشرين الف بيت، وقد ذكر اصحابنا لذلك اسرارا احسنها انه تعالى لما جعل الانوار المقدسة في الخلق مظاهر لصفاته الجلالية والجمالية بهم عرف الله وبهم عبد، فلا يحصل لاحد قرب الى الله الا بالقرب اليهم ولا الايمان بالله الّا بالايمان بهم، ولا يعرف الله الا بمعرفتهم ولا ينال احد درجة عندالله الا بولايتهم، فكل امر في القران بالايمان بالله وبعرفانه وبالقرب اليه يكون امرا بالايمان بهم وبعرفانهم وبالقرب اليهم، وكل تكليف جعل مقربا الى الله يكون مقربا اليهم وكل مدح يكون للمؤمنين يكون لهم ولشيعتهم، وكل ذم ووعيد يكون للكفار ولاعداء الله يكون في الواقع راجع الى الكافرين بهم والى اعدائهم، وكل ماهو راجع الى الله راجع اليهم فهم صلوات الله عليهم مع الله والله معهم لا يفارقونه في شيء ولا يفارقهم. ويشهد لما ذكر الاخبار الواردة في ان ولايتهم قرينة ولاية الله وتوحيده، وانهم علة غائية لخلق العالم، وان جميع الانبيآء من اول الخلق كما كانوا مأمورين بدعوة اممهم الى التوحيد كانوا مأمورين بدعوتهم الى الاقرار بولايتهم ومعرفة حقوقهم في تفسير الامام عليه السلام انه قال: «ولاية محمد وال محمد صلوات الله عليهم هى الغرض الاقصى والمراد الافضل، ما خلق الله احدا من خلقه ولا بعث احدا من رسله الا ليدعوهم الى ولاية محمد وعلى وخلفائه صلوات الله عليهم، ويأخذ عليهم العهد ليقيموا عليه وليعلموا به ساير عوام الامم».

وعن امالى الشيخ عن محمد بن عبدالرحمن قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: «ولايتنا ولاية الله التى لم يبعث نبى قط الا بها».

وفى الكافي عن عبدالاعلى قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: «ما من نبى جآء قط الا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا». وفيه ايضا عن ابى الحسن عليه السلام قال: «ولاية على صلوات الله عليه مكتوبة في جميع صحف الانبيآء ولم يبعث الله رسولا الا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله و وصيه علي عليه السلام».

وعن تفسير العياشي عن الحسن بن علي عليه السلام انه قال: «من دفع فضل اميرالمؤمنين صلوات الله عليه فقد كذب التوراة والانجيل و الزبور وصحف ابراهيم وموسى وساير كتب الله المنزلة، فانه ما نزل شيء منها الا وأهم ما فيه بعد الاقرار بتوحيد الله عزوجل والاقرار بالنبوة الاعتراف بولاية علي والطيبين من آله عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ماقبض الله نبيا حتى امره ان يوصي الى عشيرته من عصبته وامرني ان اوصي، فقلت: الى من يارب، فقال: الى ابن عمك علي بن ابي طالب عليه السلام فاني قد اثبته في الكتب السالفة وكتبت فيها انه وصيك، وعلى ذلك اخذت ميثاق الخلايق ومواثيق انبيائي ورسلي اخذت مواثيقهم لي بالربوبية ولك يا محمد بالنبوة ولعلي بالولاية.

وعن كتاب سليم بن قيس الهلالي عن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «والذي نفسي بيده ما استوجب ادم ان يخلقه الله وينفخ فيه من روحه وان يتوب عليه ويرده الى جنته الّا بنبوتي والولاية لعلي بعدي، والذي نفسي بيده ما رأىٰ ابراهيم ملكوت السمٰوات ولا اتخذه الله خليلا الا بنبوتي ومعرفة علي بعدي، والذي نفسي بيده ماكلم الله موسى تكليما ولا اقام عيسى اية للعالمين الا بنبوتي والاقرار لعلي بعدي، والذي نفسي بيده ما تنبأ نبي قط الا بمعرفتي والاقرار لنا بالولاية ولا استأهل خلق من الله النظر الا بالعبودية له والاقرار لعلي بعدي.

وعن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام في رواية طويلة قال: «فنحن اول خلق الله واول خلق عبدالله وسبّحه، ونحن سبب خلق الله الخلق و سبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين، فبنا عرف الله وبنا عبدالله وبنا وحدالله وبنا اكرم الله من اكرم من جميع خلقه وبنا اثاب الله وبنا عاقب من عاقب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ **وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون** ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ **قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين** ﴾[2] فرسول الله اول من عبدالله واول من انكر ان يكون له ولد وشريك ثم نحن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله» الخبر.

فظهر من جميع ما ذكران، حقيقة الدين وروح الاحكام معرفتهم وولايتهم، وجميع الخلق راجع اليهم، فجميع ايات الكتاب يكون فيهم وما يتعلق بهم[3].

---

١. سورة الصّافات: الآية ١٦٥ ـ ١٦٦. ٢. سورة الزخرف: الآية ٨١.

٣. نفحات الرحمن ج ١ ص ٢٩ – ٣٠.

نزول القرآن

- □ بيان في الوحي
- □ مراحل نزول القرآن
- □ اسرار النزول الدُفعي
- □ اسرار تنجيم القرآن
- □ اول ما نُزل
- □ آخر ما نُزل
- □ معنى السوره وعدد السور
- □ معنى الآيه وعدد الآيات
- □ معنى الكلمة والحرف وعددهما
- □ معنى الحزب وحدوده
- □ ميزان المكية والمدنية
- □ مميزات المكية عن المدنية
- □ السور المكية والمدنية
- □ اسماء السور

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيان في الوحي

قال عبدالقادر : « واعلم أنّ معنى الوحي : الايماء بالتكليم خفية عن أن يفهمه الغير، وأصله الإشارة السريعة على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة بعض الجوارح وبالكتابة، وحمل عليه قوله تعالى حكاية عن زكريا ﷺ: ﴿ **فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا** ﴾ (١)، ولم يتكلم.

وحمل على الإيماء قول الشاعر:

نـظرتُ إليـها نـظرةً فـتحيرت ... دقـائق فكـري فـي بـديع صفاتها

فأوحـى اليـها الطـرف أنـي أحـبها ... فأثّـر ذاك الوحـي فـي وجـناتها

وقول الآخر:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... اشـارة مـحزون ولم تـتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قـال مرحـبا ... وأهـلاً وسـهلاً بـالحبيب المـتيم

وحمل على الاشارة قوله تعالى: ﴿ **آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا** ﴾ (٢).

هذا ، وقد اتخذت الملوك والأمراء حروفاً وكلمات بأرقام اصطلحوا عليها وعبّروا عنها باسم شَفرة ، كناية عن هذا المعنى، واستنباطاً منه، منعاً من أن يفهم الغير ما يتخابرون به، لأن الله تعالى علم البشر كيف يتخاطبون، وكيف يتنعمون، وكيف يعذبون ويُعذبون، مما وصفه من أحوال أهل الجنة والنار، وقصّه في كتابه المنزل هذا وكتبه السابقة أيضاً،

---

١ . سورة مريم : الآية ١١.   ٢ . سورة آل عمران : الآية ٤١.

وجعل أوائل السور رموزاً بينه وبين حبيبه، فلا يعرف معناها إلا هما، كما سنبينه في مواضعه إن شاء الله.

هذا وان القول الجامع في معنى وحي الله لأنبيائه، هو إعلام خفي سريع خاص بمن يوحيه اليه، بحيث يخفى عن غيره الملاحق له، كما كان يوحي اليه في فراش عائشة فيعلم ما هو المراد وهي لا تدري ما هو، وكذلك كان يوحي اليه بمحضر من أصحابه فيعي ما يتلقاه، وهم لا يعلمون شيئاً منه إلا تغيّر حال الرسول عما كان عليه قبل الوحي، لأنه ﷺ كان يعتريه ثقل وشدة حال نزوله، حتى أنه ليعرق في الوقت البارد من عظم ما يلاقي من هيبة كلام الرب جل جلاله.

وانظر لما قيل:

لو يسمعون كما سمعت كلامها ... خرّوا لعزّة ركعا وسجودا

ومنه: الإلهام الغريزي كالوحي إلى أم موسى، وضده الوسوسة الشيطانية، قال تعالى: **﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾**[1] وقال: **﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾**، ووحي الله إلى أنبيائه، قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة، الخفاء والسرعة.

وقد يطلق على متعلقه وهو ما وقع به الموحى باسم المفعول، مما أنزل الله على أنبيائه وعرفهم من أنباء الغيب والشرائع والحكم، فمنهم من أعطاه كتابا أي تشريعا بكتب، ومنهم من لم يعطه فيكون تابعاً في التشريع لكتاب من قبله كأنبياء بني اسرائيل، فإنهم كلهم تابعون للتوراة ولم ينزل الكتب دفعة واحدة إلا على الذين يحسنون القراءة كموسى وداود وعيسى وغيرهم، أما الذين لا يحسنونها كمحمد ﷺ ومن قبله فإنه لم ينزل عليه كتابه دفعة واحدة، بل انزل مفرقاً ليعيه أولاً بأول وقد جمع له الأمرين، إذ أنزل جملة إلى بيت العزة تعظيما لشأنه وتفخيما للمنزل عليه ثم أنزل نجوماً مفرقة ...

ومنه: الوحي إلى الملائكة بما يأمرهم الله به، قال تعالى: **﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين آمنوا﴾**[2].

---

١. سورة الانعام: الآية ١٢١. ٢. سورة الانفال: الآية ١٢.

ومنه: أيضاً الوحي إلى ملك الوحي فيما يوحيه إلى الرسول. قال تعالى: ﴿فأوحى﴾ الله جل جلاله ﴿إلى عبده﴾ جبريل ﷺ ﴿ما أوحى﴾[1] به إلى محمد عليه الصلاة والسلام إلى آخر الآيات. فما بعدها من سورة النجم الآتية.

روي عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» متفق عليه.

قال الإمام محمد عبده في (رسالة التوحيد) إحدى مؤلفاته القيمة بعد تعريف الوحي لغة مانصه: وقد عرفوه شرعاً بأنه اعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه.

وقال الأستاذ السيد محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي: «انه ـ أي الإلهام ـ عرفان يجده الشخص في نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة.

مطلب الفرق بين الوحي والإلهام

والأول: الوحي المراد بالآية الآنفة الذكر من سورة النجم، ويكون هذا الوحي بصوت يتمثل أو يسمعه منه أو يعيه بغير صوت.

والثاني: الإلهام وهو وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلبه من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور.

وهذا الفرق بين الوحي والإلهام فيدخل في هذا التعريف أنواع الوحي الثلاثة الواردة في قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾[2]. لاشتمالها عليها، فالوحي هنا القاء المعنى في القلب ويعبر عنه بالنفث بالروع ـ أي النفخ الشديد بالقلب والخلد والخاطر ـ والكلام من وراء حجاب هو أن يسمع كلام الله من حيث لا يراه، كما سمع موسى نداءه من وراء الشجرة. والذي يرسل به الرسول جبريل هو الذي بلغه الملك إلى الرسل فيرونه متمثلاً بصورة رجل أو غير متمثل ويسمعه منه أو يعيه بقلبه، وهذا قبل التفرقة بين الوحي والإلهام يسميه البعض الوحي النفسي أي الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية» اهـ بتصرف.

---

١. سورة النجم: الآية ١٠.
٢. سورة الشورى: الآية ٥١.

ثم قال: « وقد اشتبه بعض علماء الافرنج بنبينا عليه الصلاة والسلام كغيره من الأنبياء. فقالوا: ان محمداً يستحيل أن يكون كاذباً فيما دعى الناس إليه من الدين القويم والشرع العادل والأدب السامي، وحوّره من لا يؤتى بعالم الغيب منهم أو لا يؤتى بـاتصال عالم الشهادة أي لا يؤمن ولا يصدق بشيء من ذلك لأنه مادي لا يركن إلى غير المحسوس المشاهد ولا يطمئن إلا بما يعاين، لأن معلوماته وأفكاره وآماله ولدت إلهاماً فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحانية العالية على مخيلته السامية، وانعكس اعتقاده على بصره فرأى الملك ماثلاً له فانتقش كلامه بصدره ووقع على سمعه فوعى ما حدثه الملك به، فظهر في هذا أن الخلاف بيننا وبين الافرنج الذين لا يوقنون بعالم الغيب ولا يصدقون باتصال عالم الشهادة، في كون الوحي الشرعي من خارج نفس النبي نازلاً عليها من السماء كما نعتقد لا من داخلها، فائضا منها كما يظنون وفي ملك روحاني مستقل نزل من عندالله عليه ﷺ كما قال عز وجل: ﴿وانه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين﴾[1]. وفي تخيل الملك بزعم وهو باطل، كما علمت بأن هذا القرآن وحي من الله تعالى، منزل من فوق السماوات العلى، لا يمكن أن يكون فائضا في هذه الأرض من نفس النبي ﷺ قطعا، وذلك مبلغهم من العلم المنحوت من تصوراتهم الناشئة من عدم اعتقادهم بوجود الإله القادر على كل شيء، «ومن يضلل الله فما له من هاد»[2].

قال الطباطبائي ـ ره ـ في قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾[3] الخ: «قد تقدم البحث عن معنى كلامه تعالى في الجزء الثاني من الكتاب، وإطلاق الكلام على كلامه تعالى والتكليم على فعله الخاص سواء كان إطلاقًا حقيقيًا أو مجازياً، واقع في كلامه تعالى قال: ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾[4]، وقال: ﴿وكلّم الله موسى تكليما﴾[5]، ومن

---

١. سورة الشعراء: الآية ١٩٢ ـ ١٩٥.
٢. بيان المعاني ج ١ ص ٥٤ ـ ٥٧.
٣. سورة الشورى: الآية ٥١.
٤. سورة الاعراف: الآية ١٤٤.
٥. سورة النساء: الآية ١٦٤.

مصاديق كلامه ما يتلقاه الأنبياء عليهم السلام منه تعالى بالوحي.

وعلى هذا لا موجب لعَدّ الاستثناء في قوله: ﴿إلا وحيًا﴾ منقطعاً، بل الوحي والقسمان المذكوران بعده من تكليمه تعالى للبشر سواء كان إطلاق التكليم إطلاقاً حقيقياً أو مجازياً، فكلٌ واحد من الوحي وما كان من وراء حجاب وما كان بإرسال رسول نوع من تكليمه للبشر.

فقوله: «وحياً» ـ والوحي الإشارة السريعة على ما ذكره الراغب ـ مفعول مطلق نوعي وكذا المعطوفان عليه في معنى المصدر النوعي، والمعنى: ما كان لبشر أن يكلمه الله نوعًا من أنواع التكليم إلا هذه الأنواع الثلاثة؛ أن يوحى وحيًا أو يكون من وراء حجاب أو أن يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء.

ثم إن ظاهر الترديد في الآية بـ(أو) هو التقسيم على مغايرة بين الأقسام، وقد قيّد القسمان الأخيران بقيد كالحجاب، والرسول الذي يوحي إلى النبي ولم يقيّد القسم الأول بشيء، فظاهر المقابلة يفيد أن المراد به التكليم الخفي من دون أن يتوسط واسطة بينه تعالى وبين النبي أصلاً، وأما القسمان الآخران ففيهما قيد زائد وهو الحجاب أو الرسول الموحي وكل منهما واسطة، غير أن الفارق أن الواسطة الذي هو الرسول يوحي إلى النبي بنفسه والحجاب واسطة ليس بموحٍ وإنما الوحي من ورائه.

فتحصّل أن القسم الثالث ﴿أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ وحي بتوسُّط الرسول الذي هو ملك الوحي، فيوحي ذلك الملك بإذن الله ما يشاء الله سبحانه، قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾[1]، وقال: ﴿قل من كان عدوّاً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله﴾[2]، والموحي مع ذلك هو الله سبحانه، كما قال: ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾[3].

وأما قول بعضهم: إن المراد بالرسول في قوله: ﴿أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾[4] هو النبي يبلغ الناس الوحي، فلا يلائمه قوله: ﴿يوحي﴾ إذ لا يطلق الوحي على تبليغ النبي.

---

١. سورة الشّعراء: الآية ١٩٣ ـ ١٩٤.
٢. سورة البقرة: الآية ٩٧.
٣. سورة يوسف: الآية ٣.
٤. سورة الشورى: الآية ٥١.

وأن القسم الثاني «أو من وراء حجاب» وحي مع واسطة هو الحجاب، غير أن الواسطة لا يوحي كما في القسم الثالث وإنما يبتدىء الوحي مما وراءه لمكان من، وليس وراء بمعنى خلف وإنما هو الخارج عن الشيء المحيط به، قال تعالى: ﴿والله من ورائهم محيط﴾[١]، وهذا كتكليم موسى عليه السلام في الطور، قال تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾[٢]. ومن هذا الباب ما أوحي إلى الأنبياء في مناماتهم.

وأن القسم الأول تكليم إلهي للنبي من غير واسطة بينه وبين ربه من رسول أو أي حجاب مفروض.

ولما كان للوحي في جميع هذه الأقسام نسبة اليه تعالى على اختلافها، صحّ إسناد مطلق الوحي اليه بأي قسم من الأقسام تحقق وبهذه العناية أسند جميع الوحي اليه في كلامه، كما قال: ﴿إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾[٣]. وقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم﴾[٤].

هذا ما يعطيه التدبر في الآية الكريمة، وللمفسرين فيها أبحاث طويلة الذيل ومشاجرات أضربنا عن الاشتغال بها، من أرادها فليراجع المفصّلات.

وقوله: ﴿إنه عليٌ حكيم﴾[٥] تعليل لمضمون الآية فهو تعالى لعلوه عن الخلق والنظام الحاكم فيهم يجلّ أن يكلمهم كما يكلم بعضهم بعضاً، ولعلوه وحكمته يكلمهم بما اختار من الوحي، وذلك أن هداية كل نوع إلى سعادته من شأنه تعالى، كما قال: ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[٦]، وقال: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾[٧]، وسعادة الإنسان الذي يسلك سبيل سعادته بالشعور والعلم في إعلام سعادته والدلالة إلى سنّة الحياة التي تنتهي اليها، ولا يكفي في ذلك العقل الذي من شأنه الإخطاء والإصابة فاختار سبحانه لذلك طريق الوحي الذي لا يخطىء البتة، وقد فصّلنا القول في هذه الحجة في موارد من هذا

١. سورة البروج: الآية ٢٠.
٢. سورة القصص: الآية ٣٠.
٣. سورة النّساء: الآية ١٦٣.
٤. سورة النّحل: الآية ٤٣.
٥. سورة الشورى: الآية ٥١.
٦. سورة طه: الآية ٥٠.
٧. سورة النّحل: الآية ٩.

الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا اليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾[1] الخ، ظاهر السياق كون «كذلك» إشارة إلى ما ذكر في الآية السابقة من الوحي بأقسامه الثلاثة، وتؤيده الروايات الكثيرة الدالة على أنه ﷺ كما كان يوحى اليه بتوسط جبريل وهو القسم الثالث،كان يوحى اليه في المنام وهو من القسم الثاني، ويوحى اليه من دون توسط واسطة وهو القسم الأول...

في الدر المنثور أخرج البخاري ومسلم والبيهقي عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحيانًا يأتيني الملك في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وهو أشده عليّ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول:

قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم، وإن جبينه ليتفصد عرقاً.

وفي التوحيد بإسناده عن زرارة قال: قلت لأبي عبدالله ﵇: جعلت فداك الغشية التي كانت تصيب رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال: «ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد ذاك إذا تجلى الله له. قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة، وأقبل يتخشع».

وفي العلل بإسناده عن ابن أبي عمير عن عمرو بن جميع عن أبي عبدالله ﵇ قال: «كان جبرئيل إذا أتى النبي ﷺ قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه».

وفي أمالي الشيخ بإسناده عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله ﵇ قال: قال بعض أصحابنا: أصلحك الله كان رسول الله ﷺ يقول: قال جبرئيل، وهذا جبرئيل يأمرني ثم يكون في حال اخرى يغمى عليه، فقال أبو عبدالله ﵇: «إنه إذا كان الوحي من الله اليه ليس بينهما جبرئيل أصابه ذلك لثقل الوحي من الله، وإذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك، فقال: قال لي جبرئيل وهذا جبرئيل»[2]

---

١. سورة الشورى: الآية ٥٢.

٢. الميزان ج ١٨ ص ٧٣ ـ ٧٩.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مراحل نزول القرآن

قال المدرس: في تنزلات القرآن الكريم:

«وهي ثلاث:

التنزل الأول: الى اللوح المحفوظ. ودليله قوله سبحانه: **﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾**[1] وهذا الوجود فيه لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن أطلّعه على غيبه.

التنزل الثاني: للقرآن الكريم هو من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا. والدليل عليه قوله تعالى في سورة الدخان: **﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾**[2] وفي سورة القدر: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾**[3] وفي سورة البقرة: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾**[4] دلت هذه الآيات على ان القرآن أُنزل كله في ليلة واحدة.

التنزل الثالث: هو تنزل المَلَك الأمين جبريل بأمر الله سبحانه على قلب النبي ﷺ لفظاً لفظاً حسب أمره تعالى بلا زياد ونقصان. ودليله قوله سبحانه وتعالى في سورة الشعراء مخاطباً لرسوله: ﷺ **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لِتكونَ مِن المُنْذرين بلسانٍ عربيٍ مبين﴾**[5]. وبهذا النزول أَشعَّ النورُ على العالم وَوَصَلَتْ هداية الله الى الخلق. فطوبى

---

١. سورة البروج: الآية ٢١ ـ ٢٢.
٢. سورة الدّخان: الآية ٣.
٣. سورة القدر: الآية ١.
٤. سورة البقرة: الآية ١٨٥.
٥. سورة الشعراء: الآية ١٩٣ ـ ١٩٥.

لمن آمَنَ به وعَمل به، ففاز به سعادة الدّارين»[١].

قال المدرس : في كيفية أخذ جبريل للقرآن الكريم وعمن أخذ: «وهذا من أنباء الغيب وفيها أقوال: وأوْفقُها وأوقَعُها هو أنَّ جبريل عليه السلام أخَذَ القرآن عن ذات الباري سبحانه وتعالى كما أَسْمَعَ اللّهُ كلامَه رسولَه محمداً ﷺ ليلةَ المعراج، ورسولَهُ موسى في الوادي الأيمن. وما ذلك على الله بعزيز. ويؤيده ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً الى النبي ﷺ : «إذا تكلّم اللّهُ بالوحي أخذتِ السماء رجفةٌ شديدة مِنْ خَوْف الله. فإذا سمع أهل السماء صَعِقوا وخرّوا سُجّدا. فيكون أولهم يرفع رأسَه جبريلُ، فكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به الى الملائكة فكلّما مَرّ بسَماءٍ سألَه أهلُها: ماذا قال ربُّنا؟ قال: الحق. فينتهي به حيث أُمِرَ»[٢].

قال ابن جوزي : «روى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة[٣].

وقال الشعبي: فرق الله تنزيل القرآن، فكان بين أوله وآخره عشرون سنة.

وقال الحسن: ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة، أنزل عليه بمكة ثماني سنين»[٤].

قال ابن عربي :

« اعلم أن الله أنزل الكتاب فرقانا في ليلة القدر ليلة النصف من شعبان، وأنزله قرآنا في شهر رمضان، كل ذلك إلى السماء الدنيا، ومن هناك نزل في ثلاث وعشرين سنة فرقانا، نجوما ذا آيات وسور، لتعلم المنازل وتبيين المراتب، فمن نزوله إلى الأرض في شهر شعبان يتلى فرقانا، ومن نزوله في شهر رمضان يتلى قرآنا »[٥].

قال الفيض الكاشاني في نبذ مما جاء في زمان نزول القرآن وتحقيق ذلك :

« روي في الكافي عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله

---

١. مواهب الرحمان ج ١ ص ١٠. ٢. مواهب الرحمان ج ١ ص ١٠ ـ ١١.
٣. رواه الحاكم ج ٢، ص ٢٢٢ وقال هذا حديث صحيح الأسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذّهبي.
٤. زاد المسير ج ١ ص ٥. ٥. رحمة من الرحمن ج ١ ص ٧.

تعالى: ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾[1]، وإنما نـزل فـي عشـرين سـنة بـين أوله وآخره. فقال أبو عبدالله عليه السلام: «أُنزل القرآن جملة واحـدة فـي شـهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة، «ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: أُنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأُنزل التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأُنـزل الإنـجيل لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، وأُنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، وأُنزل القرآن في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان».

وفيه وفي الفقيه باسنادهما عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «نزلت التوراة في ست مضين من شهر رمضان، ونزل الانجيل في إثنتي عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، ونزل الزبور في ليلة ثمان عشرة من شهر رمضان، ونزل القرآن في ليلة القدر». وفي بعض نسـخ الفـقيه، ونزل الفرقان في ليلة القدر.

وباسنادهما عن حمران أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿إنّا أنزلناه في ليـلة مباركة﴾[2] قال: «هي ليلة القدر وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشـر الأواخـر. ولم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر. قال الله تعالى: ﴿ فيها يفرق كل أمـر حكـيم ﴾[3]. قـال: «يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خـير أو شـر أو طاعة أو معصية أو مولود أو أجل أو رزق». الحديث.

وباسنادهما عن يعقوب قال: سمعت رجلاً يسأل أبا عبدالله عليه السلام عن ليلة القدر، فقال: أخبرني عن ليلة القدر كانت أو تكون في كل عام، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «لو رفعت ليـلة القدر لرفع القرآن».

أقول: وذلك لأن في ليلة القدر ينزل كل سنة من تبيين القرآن وتفسيره ما يتعلق بأمور تلك السنة إلى صاحب الأمر عليه السلام، فلو لم تكن ليلة القدر لم ينزل من أحكام القرآن ما لابد منه في القضايا المتجددة، وإنما لم ينزل ذلك إذا لم يكن من ينزل عليه وإذا لم يكن مـن ينزل عليه لم يكن قرآن، لأنهما متصاحبان لن يفترقا حتى يردا عـلى رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله

---

١. سورة البقرة: الآية ١٨٥.
٢. سورة الدّخان: الآية ٣.
٣. سورة الدّخان: الآية ٤.

حوضه. كما ورد في الحديث المتفق عليه وقد مضى معنى تصاحبهما.

والمستفاد من مجموع هذه الأخبار، وخبر الياس الذي أورده في الكافي في باب شأن ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾[١] وتفسيرها من كتاب الحجة، أن القرآن نزل كله جملة واحدة في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان إلى البيت المعمور، وكأنه أُريد به نزول معناه على قلب النبي ﷺ كما قال الله: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾[٢]، ثم نزل في طول عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه كلما أتاه جبرئيل عليه السلام بالوحي وقرأه عليه بألفاظه، وأن معنى انزال القرآن في ليلة القدر في كل سنة إلى صاحب الوقت، انزال بيانه بتفصيل مجمله وتأويل متشابهه وتقييد مطلقه وتفريق محكمه من متشابهه.

وبالجملة تتميم إنزاله بحيث يكون هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، كما قال الله سبحانه: ﴿شهر رمضان الذين أُنزل فيه القرآن﴾ يعني في ليلة القدر منه ﴿هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[٣] تثنية[٤] لقوله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾[٥] أي محكم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين، فقوله فيها يفرق وقوله والفرقان معناهما واحد، فان الفرقان، هو المحكم الواجب العمل به، كما مضى في الحديث، وقد قال تعالى: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾[٦]. أي حين أنزلناه نجوماً، فاذا قرأناه عليك حينئذ فاتبع قرآنه أي جملته، ثم إن علينا بيانه في ليلة القدر بانزال الملائكة والروح فيها عليك وعلى أهل بيتك من بعدك، بتفريق المحكم من المتشابه وبتقدير الأشياء وتبيين أحكام خصوص الوقائع التي تصيب الخلق في تلك السنة إلى ليلة القدر الآتية.

قال في الفقيه: تكامل نزول القرآن ليلة القدر وكأنه أراد به ما قلناه. وبهذا التحقيق حصل التوفيق بين نزوله تدريجاً ودفعة، واسترحنا من تكلفات المفسرين»[٧].

قال عبدالقادر: «إعلم نور الله قلبك، ان الله جل شأنه انزل القرآن العظيم جملة واحدة

---

١. سورة القدر: الآية ١.
٢. سورة الشعراء: الآية ١٩٣.
٣. سورة البقرة: الآية ١٨٥.
٤. في نسخة: تثبيت.
٥. سورة الدّخان: الآية ٣ ـ ٤.
٦. سورة القيامة: الآية ١٧.
٧. الصافي ج ١ ص ٦٤ ـ ٦٦.

في اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ، ووضع في بيت العزة ليلة القدر السابع عشر او العشرين من شهر رمضان سنة إحدى واربعين من ميلاده، ﷺ الموافق سنة ٦١٠من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام ، يدل على هذا قوله تعالى : ﴿ إنا انزلناه في ليلة القدر ﴾[١] السورة الآتية وقوله جل قوله : ﴿إنا انزلناه في ليلة مباركة ﴾[٢] وقوله تعالى قوله : ﴿شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن﴾[٣] ثم انزل نجوما بواسطة الامين جبريل ﷺ على قلب سيدنا محمد ﷺ متفرقة عند الحاجة وبحسب الحوادث والوقائع ، والأسئلة الموجهة إليه من بعض أمته»[٤].

قال المدرس في مبدأ التنزيل وأول زمانه :

«قال تعالى : ﴿ **حم والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر...**﴾ الآية وفي هذا دليل على أن الليلة المباركة هي ليلة القدر . وقال تعالى : ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ وفي هذا دليل على أن ليلة القدر في رمضان المبارك ، فيكون إنزال القرآن في ليلة مباركة مسماة بليلة القدر من لياليه . ولا خلاف في أن القرآن ـ كما في الكتب المعتمدة ـ أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملةً واحدة . فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا . ثم كان جبريل ينزل به نجماً نجماً في الأوامر والنواهي والأسباب في عشرين سنة . قلت : أو في ثلاث وعشرين سنة على ما هو المذكور في محله»[٥].

قال الطباطبائي (ره) في قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين ﴾[٦] :

« المراد بالليلة المباركة التي نزل فيها القرآن ليلة القدر على ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ ، وكونها مباركة ظرفيتها للخير الكثير الذي ينبسط على الخلق من الرحمة الواسعة ، وقد قال تعالى : ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ .

وظاهر اللفظ أنها إحدى الليالي التي تدور على الأرض ، وظاهر قوله : ﴿ فيها

---

١ . سورة القدر : الآية ١ .
٢ . سورة الدخان : الآية ٣ .
٣ . سورة البقرة : الآية ١٨٥ .
٤ . بيان المعاني ج ١ ص ٢٣ .
٥ . مواهب الرحمان ج ١ ص ٧ .
٦ . سورة الدّخان : الآية ٣ .

يفرق ﴾ الدال على الاستمرار أنها تتكرر، وظاهر قوله تعالى: ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾، أنها تتكرر بتكرر شهر رمضان فهي تتكرر بتكرر السنين القمرية وتقع في كل سنة قمرية مرة واحدة في شهر رمضان، وأما أنها أي ليلة هي؟ فلا إشعار في كلامه تعالى بذلك، وأما الروايات فستوافيك في البحث الروائي التالي.

والمراد بنزول الكتاب في ليلة مباركة على ما هو ظاهر قوله: ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ وقوله: ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾، وقوله: ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾[1]، أن النازل هو القرآن كله.

ولا يدفع ذلك قوله: ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾[2]، وقوله: ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ﴾[3]، الظاهرين في نزوله تدريجاً، ويؤيد ذلك آيات اخر، كقوله: ﴿ فإذا انزلت سورة محكمة ﴾[4]، وقوله: ﴿ وإذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض ﴾[5] وغير ذلك، ويؤيد ذلك أيضاً ما لا يحصى من الأخبار المتضمنة لأسباب النزول.

وذلك أنه يمكن أن يحمل على نزول القرآن مرتين مرة مجموعاً وجملة في ليلة واحدة من ليالي شهر رمضان، ومرة تدريجاً ونجوماً في مدة ثلاث وعشرين سنة، وهي مدة دعوته ﷺ.

لكن الذي لا ينبغي الارتياب فيه أن هذا القرآن المؤلف من السور والآيات، بما فيه من السياقات المختلفة المنطبقة على موارد النزول المختلفة الشخصية لا يقبل النزول دفعة، فإن الآيات النازلة في وقائع شخصية وحوادث جزئية مرتبطة بأزمنة وأمكنة وأشخاص وأحوال خاصة، لا تصدق إلا مع تحقق مواردها المتفرقة زماناً ومكاناً وغير ذلك بحيث لو اجتمعت زماناً ومكاناً وغير ذلك انقلبت عن تلك الموارد وصارت غيرها، فلا يمكن احتمال نزول القرآن وهو على هيئته وحاله بعينها مرة جملة، ومرة نجوماً.

---

١. سورة البقرة: الآية ١٨٥.
٢. سورة الإسراء: الآية ١٠٦.
٣. سورة الفرقان: الآية ٣٢.
٤. سورة محمّد: الآية ٢٠.
٥. سورة التّوبة: الآية ١٢٧.

فلو قيل بنزوله مرتين كان من الواجب أن يفرق بين المرتين بالإجمال والتفصيل، فيكون نازلاً مرة إجمالاً ومرة تفصيلاً، ونعني بهذا الإجمال والتفصيل ما يشير اليه قوله تعالى: ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾[١]، وقوله: ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾[٢]، وقد مر الكلام في معنى الإحكام والتفصيل في تفسير سورتي هود والزخرف[٣].

وقيل: المراد بنزول الكتاب في ليلة مباركة؛ افتتاح نزوله التدريجي في ليلة القدر من شهر رمضان، فأول ما نزل من آيات القرآن ـ وهو سورة العلق أو سورة الحمد ـ نزل في ليلة القدر.

وهذا القول مبني على استشعار منافاة نزول الكتاب كله في ليلة، ونزوله التدريجي الذي تدل عليه الآيات السابقة، وقد عرفت أن لا منافاة بين الآيات.

على أنك خبير بأنه خلاف ظاهر الآيات.

وقيل: إنه نزل أولاً جملة على السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل من السماء الدنيا على الأرض تدريجاً في ثلاث وعشرين سنة مدة الدعوة النبوية.

وهذا القول مأخوذ من الأخبار الواردة في تفسير الآيات الظاهرة في نزوله جملة، وستمر بك في البحث الروائي التالي إن شاء الله.

وقوله: ﴿ إنا كنا منذرين ﴾[٤] واقع موقع التعليل، وهو يدل على استمرار الإنذار منه تعالى قبل هذا الإنذار، فيدل على أن نزول القرآن من عنده تعالى ليس ببدع، فإنما هو إنذار والإنذار سنة جارية له تعالى لم تزل تجري في السابقين من طريق الوحي إلى الأنبياء والرسل وبعثهم لإنذار الناس.

قوله تعالى: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾[٥] ضمير (فيها) لليلة، والفرق: فصل الشيء من الشيء بحيث يتمايزان، ويقابله الإحكام فالأمر الحكيم ما لا تتميّز بعض أجزائه من

---

١. سورة هود: الآية ١.
٢. سورة الزّخرف: الآية ٤.
٣. انظر بعد صفحتين.
٤. سورة الدّخان: الآية ٣.
٥. سورة الدّخان: الآية ٤.

بعض ولا تتعيّن خصوصياته وأحواله، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدر معلوم ﴾[١].

فللامور بحسب القضاء الإلهي مرحلتان: مرحلة الإجمال والإبهام ومرحلة التفصيل، وليلة القدر ـ على ما يدل عليه قوله: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾، ليلة يخرج فيها الامور من مرحلة الإحكام الى مرحلة الفرق والتفصيل، وقد نزل فيها القرآن وهو أمر من الامور المحكمة فرق في ليلة القدر.

ولعل الله سبحانه أطلع نبيه على جزئيات الحوادث التي ستقع في زمان دعوته وما يقارن منها نزول كل آية أو آيات أو سورة من كتابه فيستدعي نزولها، وأطلعه على ما ينزل منها فيكون القرآن نازلاً عليه دفعة وجملة قبل نزوله تدريجاً ومفرقاً.

ومآل هذا الوجه اطلاع النبي ﷺ على القرآن في مرحلة نزوله إلى القضاء التفصيلي قبل نزوله على الأرض واستقراره في مرحلة العين، وعلى هذا الوجه لا حاجة إلى تفريق المرتين بالإجمال والتفصيل كما تقدم في الوجه الأول.

وظاهر كلام بعضهم أن المراد بقوله: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ تفصيل الامور المبينة في القرآن من معارف وأحكام وغير ذلك. ويدفعه أن ظاهر قوله: ﴿ فيها يفرق ﴾ الاستمرار والذي يستمر في هذه الليلة بتكررها تفصيل الامور الكونية بعد إحكامها، وأما المعارف والأحكام الإلهية فلا استمرار في تفصيلها، فلو كان المراد فرقها كان الأنسب أن يقال: «فيها فرق».

وقيل: المراد بكون الأمر حكيماً؛ إحكامه بعد الفرق لا الإحكام الذي قبل التفصيل، والمعنى: يقضى في الليلة كل أمر محكم لا يتغير بزيادة أو نقصان أو غير ذلك، هذا والأظهر ما قدمناه من المعنى»[٢].

قال الطباطبائي (ره) في قوله تعالى: ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾[٣]: تأكيد وتبيين لما تدل عليه الآية السابقة أن الكتاب في موطنه الأصلي وراء تعقل العقول.

١. سورة الحجر: الآية ٢١.
٢. الميزان ج ١٨ ص ١٣٠ ـ ١٣٢.
٣. سورة الزّخرف: الآية ٤.

والضمير للكتاب، والمراد بأم الكتاب اللوح المحفوظ كما قال تعالى: **﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾**[١]، وتسميته بأم الكتاب لكونه أصل الكتب السماوية يستنسخ منه غيره، والتقييد بأم الكتاب، و (لدينا) للتوضيح لا للاحتراز، والمعنى: أنه حال كونه في أم الكتاب لدينا ـ حالا لازمة ـ لعلي حكيم، وسيجيء في أواخر سورة الجاثية كلام في أم الكتاب إن شاء الله.

والمراد بكونه علياً على ما يعطيه مفاد الآية السابقة أنه رفيع القدر والمنزلة من أن تناله العقول، وبكونه حكيماً أنه هناك محكم غير مفصل ولا مجزأ إلى سور وآيات وجمل وكلمات، كما هو كذلك بعد جعله قرآناً عربياً كما استفدناه من قوله تعالى: **﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾**[٢].

وهذان النعتان أعني كونه علياً حكيماً هما الموجبان لكونه وراء العقول البشرية، فإن العقل في فكرته لا ينال إلا ما كان من قبيل المفاهيم والألفاظ أولاً، وكان مؤلفاً من مقدمات تصديقية يترتب بعضها على بعض كما في الآيات والجمل القرآنية، وأما إذا كان الأمر وراء المفاهيم والألفاظ وكان غير متجزيء إلى أجزاء وفصول فلا طريق للعقل إلى نيله.

فمحصل معنى الآيتين: أن الكتاب عندنا في اللوح المحفوظ ذو مقام رفيع وإحكام لا تناله العقول لذينك الوصفين، وإنما أنزلناه بجعله مقروا عربياً رجاء أن يعقله الناس.

فإن قلت: ظاهر قوله: **﴿لعلكم تعقلون﴾**[٣] إمكان تعقل الناس هذا القرآن العربي النازل تعقلاً تاماً، فهذا الذي نقرؤه ونعقله إما أن يكون مطابقاً لما في ام الكتاب كل المطابقة أو لا يكون، والثاني باطل قطعاً، كيف؟ وهو تعالى يقول: **﴿وإنه في ام الكتاب﴾**[٤] و **﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾**[٥]، و **﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون﴾**[٦]، فتعيّن الأول، ومع مطابقته لام الكتاب كل المطابقة ما معنى كون القرآن العربي الذي عندنا معقولاً لنا وما في ام الكتاب عند الله غير معقول لنا؟

---

١. سورة البروج: الآية ٢١ ـ ٢٢.
٢. سورة هود: الآية ١.
٣. سورة الزّخرف: الآية ٣.
٤. سورة الزّخرف: الآية ٤.
٥. سورة البروج: الآية ٢١ ـ ٢٢.
٦. سورة الواقعة: الآية ٧٧ ـ ٧٨.

قلت : يمكن أن تكون النسبة بين ما عندنا وما في ام الكتاب نسبة المثل والممثل ، فالمثل هو الممثل بعينه لكن الممثل له لا يفقه إلا المثل فافهم ذلك .

وبما مر يظهر ضعف الوجوه التي أوردوها في تفسير الوصفين ، كقول بعضهم : إن المراد بكونه علياً ؛ أنه عال في بلاغته مبين لما يحتاج اليه الناس ، وقول بعضهم : معناه ؛ أنه يعلو كل كتاب بما اختص به من الإعجاز وهو ينسخ الكتب غيره ولا ينسخه كتاب ، وقول بعضهم : يعني ؛ أنه يعظمه الملائكة والمؤمنون .

وكقول بعضهم في معنى ﴿ حكيم ﴾ : أنه مظهر للحكمة البالغة ، وقول بعضهم : معناه ؛ أنه لا ينطق إلا بالحكمة ولا يقول إلا الحق والصواب ، ففي توصيفه بالحكيم تجوز لغرض المبالغة . وضعف هذه الوجوه ظاهر بالتدبر في مفاد الآية السابقة ، وظهور أن جعله قرآناً عربياً بالنزول عن ام الكتاب»[١] .

---

١ . الميزان ج ١٢ ص ٨٥ ـ ٨٤.

أسرار النزول الدُفعي

قال النهاوندي :

« قد اتفقت الامّة من الخاصة والعامة وتظافرت بل تواترت نصوصهم على ان الكتاب العزيز نزل أولاً ، في ليلة القدر مجموعاً من اللّوح المحفوظ الى البيت المعمور الذي يكون في السماء الرابعة ، او الى بيت العزّة في السماء الدنيا الى السفرة الكرام البررة ، ثم نزل به جبرئيل نجوماً على خاتم النبيين ﷺ في مدّة عشرين او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين سنة ، على حسب اختلاف العلماء في مدّة اقامته ﷺ بمكة بعد بعثته وقبل هجرته.

وقيل في سر انزاله جملة أولاً الى السماء الدنيا او الى البيت المعمور : انه تفخيم امر القرآن وامر النبي الذي انزل اليه ، وذلك لان فيه اعلام سكان السماوات السبع بان هذا الكتاب اخر الكتب ، منزل على آخر الرسل وخاتمهم لاشرف الامم ، قد قربناه اليهم لننزله عليهم ولولا ان الحكمة الالهية اقتضت وصوله اليهم منجّماً بحسب الوقايع ، لنزلناه الى الارض جملة كساير الكتب المنزلة قبله ولكن اللّه باين بينه وبينها فجعل لهذا النبي الكريم الامرين؛ انزاله جملة ثم أنزاله مفرّقاً تشريفاً للمنزل عليه .

وقيل : ان السر هو تسليمه تبارك وتعالى لهذه الامة ما كان ابرز لهم من الحظّ من الرحمة التي استحقوها لاجل مبعث محمد ﷺ ، وذلك ان بعثة محمد ﷺ كانت

رحمة فلما خرجت الرحمة وفتح بابها جاءت بمحمد وبالقرآن معاً ، فوضع القرآن ببيت العزّة فى السماء الدنيا ليدخل فى حد الدنيا، ووضعت النبوة فى قلب محمد ﷺ ، وجاء جبرئيل ﷺ بالرسالة ثم بالوحى ، كأنّه تعالى اراد ، ان يسلم الى الامة الرحمة التى كانت حظها من اللّه .

وقيل : ان السر فى نزوله جملة الى السماء الدنيا تكريم بنى آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة ، وتعريفهم عناية اللّه بهم ورحمته لهم ، ولهذا المعنى امر اللّه سبعين الف ملك ان يشيعوا سورة الانعام ، وزاد سبحانه فى هذا المعنى بان امر جبرئيل باملائه على السفرة الكرام وانساخهم اياه وتلاوتهم له.

وفيه ايضا التسوية بين نبينا ﷺ وبين موسى بن عمران وعيسى بن مريم ﷺ ، فى انزاله كتابه جملة ،كما انزل كتابيهما جملتين والتفصيل لمحمد ﷺ فى انزاله عليه منجماً لحكم كثيرة لا يعلمها الاّ اللّه.

اقول : يمكن ان يكون السر تكميل عالم الملكوت ووجود الروحانيين بايجاد الكتاب الكريم فيهم ، وتقريره ان يقال : المراد من انزاله الى السماء الدنيا او الى البيت المعمور ، هو ابداعه تعالى وايجاده كتابه الكريم بوجوده الجوهرى وصورته النورية فى ملكوت السماء ، وعالم الانوار بعد وجوده فى مكنون علمه المعبر عنه بالعرش تارة وباللّوح المحفوظ اخرى ، ولما كان وجود خاتم النبيين ﷺ رحمة للعالمين حصل ببركته استعداد الكمال لجميع العوالم الملكية والملكوتية ، وكما كان للكتاب العظيم تأثير عظيم بوجوده اللفظى والكتبى فى تكميل النفوس المستعدة فى عالم الملك ، كان لوجوده الجوهرى النورى فى عالم الملكوت تأثير فى تكميل وجود الذوات المستعدة الملكوتية والملكية ، وبحصول مرتبة من الكمال الوجودى لعالم الوجود ، صار مستحقا لتزيّنه بوجود خاتم النبيين وتكميله ببعثته ، فشملته هذه الرحمة العظيمة وبعثه اللّه فيه ، ثم بعد هذا الفيض ، حصل له استعداد قبول فيض آخر واستحقاق رحمة اتم من انزال كتابه الكريم الذى هو تجلى صفاته التامة فى العوالم ، وكان ايجاد الكتاب الكريم فى عالم الملكوت تكميل الرحمة على جميع الموجودات الملكية والملكوتية ببركة وجود نبى

الرحمة، وارساله رحمة للعالمين، ولعل هذا الوجه الذى ذكرناه اوجه فى الواقع، واقرب الى الاذهان من الوجه الذى ذكره الفيض رحمه الله فى مقدمات الصافى، فانه بعد نقل الروايات الدالة على نزول القرآن جملة الى البيت المعمور فى ليلة القدر.

قال: «كأنه اريد به نزول معناه على قلب النبى ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿نزل به الروح الامين على قلبك﴾[١]، ثم نزل فى طول عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه الى ظاهر لسانه، كلما اتاه جبرئيل بالوحى وقرأه عليه بالفاظه، الى ان قال رحمه الله، وبهذا التحقيق حصل التوفيق بين نزوله تدريجاً ودفعة، واسترحنا من تكلفات المفسرين». انتهى.

مع انه ليس فيما ذكرناه حمل الروايات على خلاف ظاهرها، اذ من الواضح انه ليس المراد من القرآن الذى نزل فى البيت المعمور الاصوات المعتمدة على المخارج المعبر عنها بالحروف والكلمات، ولا النقوش المنطبعة فى الاوراق والصفحات، بل له صورة فى عالم الملكوت مغايرة لصورته فى هذا العالم، واستعمال لفظ الانزال فى معنى الايجاد غير عزيز، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُم مِنَ الأنْعامِ ثمانية أزْواجٍ﴾[٢] اى: اوجد لكم.

نعم فى خبر المفضّل اشعار بتوجيهه رحمه الله حيث قال: قال الصادق عليه السلام: «يا مفضّل انّ القرآن نزل فى ثلاث وعشرين سنة، والله تعالى يقول: ﴿شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن﴾[٣]، وقال ﴿انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين﴾[٤]، وقال: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك﴾[٥]، قال المفضل: «يا مولاى فهذا تنزيله الذى ذكره الله فى كتابه فكيف ظهر الوحى فى ثلاث وعشرين سنة»، قال: «نعم يا مفضّل اعطاه الله القرآن فى شهر رمضان وكان لا يبلّغه الا فى وقت استحقاق الخطاب، ولا يؤدّيه الاّ فى وقت امر ونهى، فهبط جبرئيل عليه السلام بالوحى فبلّغ ما يؤمر به قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾[٦].

فقال المفضل: «اشهد انكم من علم الله علمتم وبقدرته قدرتم، وبحكمه نطقتم

---

١. سورة الشعراء: الآية ١٩٣ و ١٩٤.
٢. سورة الزّمر: الآية ٦.
٣. سورة البقرة: الآية ١٨٥.
٤. سورة الدّخان: الآية ٣ ـ ٥.
٥. سورة الفرقان: الآية ٣٢.
٦. سورة القيامة: الآية ١٦.

وبامره تعملون ».

ويمكن حمله على ما ذكرنا من الوجه او ابقائه على ظاهره، ان كان له ظهور فيما ذكره رحمه الله من التوجيه والقول بنزوله فى البيت المعمور، وفى قلب النبي ﷺ ولا منافاة بينهما»[۱].

---

۱. نفحات الرحمن ج ۱ ص ٦ ـ ٧.

أسرار تنجيم القرآن

قال النهاوندي (ره) :

«اما سر نزوله نجوماً فكثير ،

منه : انه ﷺ بنزوله نجوماً كان يتحدى بكل نجم من آية او سورة تنزل عليه ، ومن الواضح ان عجز الفصحاء من الاتيان بمثل كل واحد من النجوم اظهر في الاعجاز من عجزهم من اتيان مثل المجموع ، اذا كان نزوله جملة واحدة و اذا كان تحدى به .

ومنه : ان في انزاله نجوماً كان لطفاً على المؤمنين ، حيث انه كان بنزول نجم يزداد فرحهم ويقينهم ، كما قال الله تعالى : ﴿واما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون﴾[1].

وايضا كان بنزول الآيات في مواقع الجهاد يزداد نشاطهم ورغبتهم وجدّهم فيه ، واذا نزلت بهم بليّة ثم نزلت في شأنهم آية، كانت تهون عليهم تلك البلية ، واذا وقعوا في تعب وعناء كان نزول الآيات يزيل تعبهم وعناءهم بتكميل بصيرتهم ويقينهم .

ومنه : ان مناسبة الوقايع وخصوصيات المقامات وانضمام القرائن الحالية، كانت موجبة لزيادة البلاغة.

ومنه : ان نزول بعض الآيات ردّا على الكفار في مواقع معارضتهم او القاء شبهاتهم ، او تهديداً لهم عند صدور استهزاءاتهم والطعون منهم على الاسلام والمسلمين ، او زجراً لهم

---

١. سورة التوبة : الآية ١٢٤.

عند ارادتهم الفساد في الدين، كان اشد تأثيراً في تبكيتهم و تفريعهم وردعهم وزجرهم وهدايتهم ودفعهم الى الايمان والانقياد للحق.

ومنه: ان نزوله مفرقاً ادعى لقبوله وتحمل اطاعة احكامه، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة، فانه كان يثقل قبوله على كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي.

روى عن عائشة انها قالت: «انما نزل اول ما انزل منه سور من المفصّل، فيها ذكر الجنّة والنار، حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام، نزل الحرام والحلال، ولو نزل اول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا لاندع الخمر ابداً، ولو نزل: لاتزنوا لقالوا: لاندع الزنا ابداً.

وعن الباقر عليه السلام قال: «ليس احد ارفق من اللّه تعالى، ومن رفقه تبارك وتعالى انه ينقلهم من خصلة الى خصلة، ولو حمل عليهم جملة واحدة لهلكوا».

وفي رواية عنهم عليهم السلام: «ان اللّه تعالى اذا اراد ان يفرض فريضة انزلها شيئا بعد شيء، حتى يوطن الناس انفسهم عليها ويسكنوا الى امر اللّه ونهيه، وكان ذلك من التدبير فيهم اصوب واقرب لهم الى الاخذ بها واقل لنفارهم منها».

اقول: ولعله الى جميع الوجوه المذكورة اشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ونزلناه تنزيلا﴾[1].

روى عن ابن عباس رضي اللّه عنه قال: «اخذ موسى الالواح بعد ما سكن عند الغضب، فامرهم بالذي امراللّه ان يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم، فابوا ان يقرّوا بها حتى نتق اللّه عليهم الجبل كأنه ظلة، ودنى منهم حتى خافوا ان يقع عليهم فاقروا بها».

اقول: لعله من الآصار التي كانت على بني اسرائيل انه نزلت التوراة على موسى دفعة، وحمل عليهم جميع التكاليف بدواً، فصار ثقيلاً عليهم فابوا عن قبولها»[2].

قال الزحيلي:

«وتعددت حكمة إنزال القرآن منجما، بسبب المنهج الإلهي الذي رسم به طريق الإنزال، كما قال تعالى: ﴿وقرآناً فرقناهُ لِتقرأهُ على النّاسِ على مُكثٍ، ونزّلناه تنزيلا﴾[3].

---

١. سورة الإسراء: الآية ١٠٦.
٢. نفحات الرحمن ج ١ ص ٧ـ٨.
٣. سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

من هاتيك الحِكَم: تثبيت قلب النَّبي ﷺ وتقوية فؤاده ليحفظه ويعيه؛ لأنه كان أميّاً لايقرأ ولا يكتب، قال اللّه تعالى: ﴿وقالَ الذينَ كفروا لولا نُزِّلَ عليهِ القرآنُ جُمْلةً واحدةً، كذلكَ لنثبِّتَ بِهِ فؤادَكَ، ورتّلْناهُ ترْتيلاً﴾[١].

ومنها: مراعاة مقتضيات التدرُّج في التشريع، وتربية الجماعة، ونقلها على مراحل من حالة إلى حالة أحسن من سابقتها، وإسبال الرحمة الإلهية على العباد، فإنهم كانوا في الجاهلية في إباحية مطلقة، فلو نزَّل عليهم القرآن دفعة واحدة، لعسر عليهم التكليف، فنفروا من التطبيق للأوامر والنواهي.

أخرج البخاري عن عائشة رضي اللّه عنها قال: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لاندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا»[٢].

ومنها: ربط نشاط الجماعة بالوحي الإلهي؛ إذ إن اتصال الوحي بالنَّبي ﷺ يساعده على الصبر والمصابرة، وتحمل المشاق والمصاعب وأنواع الأذى التي كابدها من المشركين، كما أنه وسيلة لتقوية العقيدة في نفوس الذين أسلموا، فإذا نزل الوحي علاجاً لمشكلة، تأكد صدق النَّبي ﷺ في دعوته، وإذا أحجم النَّبي عن جواب مسألة، ثم جاءه الوحي، أيقن المؤمنون بصدق الإيمان واطمأنوا إلى سلامة العقيدة، وأمان الدَّرْب الذي سلكوه، وزادت ثقتهم بالغايات والوعود المنتظرة التي وعدهم اللّه بها: إما بالنصر على الأعداء أو المشركين في الدنيا، وإما بالفوز بالجنة والرضا الإلهي، وتعذيب الكفار في نار جهنم»[٣].

---

١. سورة الفرقان: الآية ٣٢.

٢. هذا. وقد ذكر الزمخشري في الكشاف: ج ١ ص ١٨٥ وما بعدها أسباب تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً، منها أن تنوع البيان للجنس الواحد أحسن وأجمل وأفخم من أن يكون بياناً واحداً. ومنها إثارة النشاط والحث على الدرس والتحصيل من القرآن خلافاً لو استمر الكتاب جملة واحدة، ومنها اعتزاز الحافظ بطائفة مستقلة من القرآن بعد حفظها، ومنها أن التفصيل بمشاهد عديدة سبب لدعم المعاني، وتأكد المراد واجتذاب الأنظار.

٣. المنير ج ١ ص ١٦ ـ ١٧.

قال المدرس :

«دليل نزوله منجماً مفرقاً في مدة الرسالة، قوله سبحانه وتعالى في سورة الاسراء: **﴿وَقرآناً فَرَقْناه لتَقْرأه على الناس عَلى مُكث ونزّلناه تنزيلا﴾**[1]، وقوله في سورة الفرقان: **﴿وقال الذين كفروا لَولا نُزِّل عليه القرآنُ جملةً واحدةً كذلك لِنُثَبِّتَ به فؤادَك ورَتَّلناه تَرتيلا﴾**[2].

روي: أن الكفار من يهود ومشركين عابوا على النبي ﷺ نزول القرآن مُفرقاً، واقترحوا عليه أن ينزل جملة. فأنزل الله هاتين الآيتين ردّاً عليهم. وهذا الرد يدل على أمرين:

أحدهما: أن القرآن نزل مفرّقاً على النبي ﷺ.

والثاني: أن الكتب السماوية من قبله نزلت جملة. كما اشتهر ذلك بين جمهور العلماء حتى كاد يكون إجماعاً.

وفي هذا التنجيم أربع حكم رئيسية:

الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه. وذلك من وجوه:

الوجه الأول: إن في تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به من جانب الحق الى رسوله ﷺ سروراً يملأ قلب الرسول، وغبطة تشرح صدره.

الوجه الثاني: إن في التنجيم تيسيراً عليه من الله تعالى في حفظه وفهمه، ومعرفة احكامه وحكمه، كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله.

الوجه الثالث: أن في كل نوبة من نوبات هذا النزول المنجم معجزة جديدة غالباً. حيث تحدّاهم كل مرة أن يأتوا بمثل نوبة من نوبات التنزيل. فظهر عجزهم عن المعارضة. ولا شك أن في هذا تثبيتاً لقلبه ﷺ.

الوجه الرابع: ان في تأييد حقه وإدحاض باطل عدوه المرة بعد الأخرى تكراراً للذة فوزه بالحق والصواب. وكل ذلك مشجع لقلبه الشريف.

الوجه الخامس: تعهد الله إياه عند اشتداد الخصام بينه وبين أعدائه بما يخفف عليه هذه الشدائد. وفي هذا التخفيف تسلية وتثبيت له ﷺ، وفيها يقول الله تعالى: **﴿وكُلاًّ نَقُصُّ**

---

١. سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

٢. سورة الفرقان: الآية ٣٢.

ﵟعليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادكﵞ[1] ـ ويقول: ﵟواصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﵞ[2]. في سورة الطور. ويقول: ﵟوالله يعصمك من الناسﵞ[3].

الحكمة الثانية: التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة علماً وعملاً. وتحت هذا وجوه خمسة أيضاً:

الوجه الأول: تيسير حفظ القرآن على الامة العربية، وقد كانت آنذاك أمّةً امية. ولم تكن أدوات الكتابة ميسورة لدى الكاتبين، مع اشتغالها الشديد بأمر الجهاد، وبتحصيل أمورها المعاشية. فلو نزل جملة واحدة لعجزوا عن حفظه.

الوجه الثاني: تسهيل فهمه عليهم كذلك مثل ما سبق في تسهيل حفظه.

الوجه الثالث: التمهيد لكمال تخليهم وابتعادهم عن عقائدهم الباطلة شيئاً فشيئاً بسبب نزول الآيات شيئاً فشيئاً. فكلما نجح الإسلام في هدم عقيدة فاسدة انتقل بهم الى هدم أخرى.

الوجه الرابع: التمهيد لتحلّيهم بالعقائد الحقة، والعبادات الصحيحة. والأخلاق الفاضلة شيئاً فشيئاً. ولهذا بدأ الإسلام بمنعهم عن الشرك والضلال، وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد والجزاء، من أجل ان فتح القرآن عيونهم بأدلة التوحيد وبراهين البعث بعد الموت وحجج الحساب والمسئولية والجزاء. ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات. فبدأهم بفرض الصلاة قبل الهجرة. وثنّى بالزكاة وبالصوم في السنة الثانية من الهجرة، وختم بالحج في السنة السادسة منها.

الوجه الخامس: تثبيت قلوب المؤمنين بعزيمة الصبر واليقين بما يقصّه القرآن عليهم من قصص الأنبياء والمرسلين، وما جرى عليهم وعلى أتباعهم من الأعداء والمخالفين، وما وعد الله به عباده الصالحين من الأجر.

الحكمة الثالثة: مسايرة الحوادث والطوارىء في تجددها وتفرقها، فكلما حدث شيء جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وبيّن الله لهم من أحكامه ما يوافقه. وتحت هذه الحكمة أمور أربعة:

الأول: إجابة السائلين على أسئلتهم عندما يوجهونها الى الرسول ﷺ، سواء كانت تلك

---

١. سورة هود: الآية ١٢٠.
٢. سورة الطور: الآية ٤٨.
٣. سورة المائدة: الآية ٦٧.

الأسئلة لغرض امتحانه وتثبتهم من رسالته كما في أسئلة أعدائه عن الروح. وعن ذي القرنين. أو لغرض التنور والاستفادة، ومعرفة حكم الله تعالى، كما في سورة البقرة: ﴿يسألونك ماذا ينفقون؟ قل العفو﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ويسألونك عن اليتامى؟ قل إصلاح لهم خير﴾[٢]. ولا ريب أن تلك الأسئلة كانت ترفع إليه ﷺ في أوقات مختلفة، فلا بد أن ينزل الجواب عليها كذلك.

الثاني: مجاراة الوقائع في حينها ببيان حكم الله تعالى فيها عند حدوثها ووقوعها. ومعلوم أنها لم تقع في يوم واحد، أو شهر واحد بل وقعت تفصيلاً وتدريجاً.

الثالث: توجيه المسلمين إلى تصحيح أخطائهم التي يقعون فيها وإرشادهم الى الصواب. كما في قوله تعالى: ﴿ويوم حُنَين إذ أعجبتكم كثرتكم، فلم تغن عنكم شيئا﴾[٣] الآيات. فهي تردع المؤمنين عن رذيلة الإعجاب والاغترار في يوم من أيام اللّه. والى وجوب رجوعهم الى رشدهم ويتوبوا الى ربهم.

الرابع: كشف حال أعداء اللّه المنافقين، وهتك أستارهم، كي يأخذ المؤمنون منهم حذرهم فيأمنوا شرّهم. وحتى يتوب من شاء منهم. كما في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾[٤] الى آخر الآيات الثلاث عشرة التي فضحت المُنافقين. كما فضحتهم سورة التوبة في كثير من الآيات.

الحكمة الرابعة: الإرشاد الى مصدر القرآن، وأنه كلام اللّه وحده، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ، ولا كلام مخلوق سواه. وبيان ذلك: أنّا نقرأ القرآن الكريم من أوله الى آخره. فاذا هو محكم السرد، دقيق السبك متين الأسلوب، قوي الإتصال، آخذ بعضه برقاب بعض، في سوره وآياته وجمله تجري فيه روح الاعجاز من ألفه الى يائه، كأنه سبيكة واحدة، أو هيكل انسان واحد جميل، جليل القدر، متناسب الأجزاء والأعضاء، مبين آيات كونية علوية وسفلية، برية وبحرية بحيث يعجز عن كمال فهمها أكمل أرباب الفنون والصناعات. وذلك كله بوجه صالح للدراسة، وصادق بحسب التأمّل السليم، وباعتدالٍ تام على الصراط المستقيم»[٥].

---

١. سورة البقرة: الآية ٢١٩.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٢٠.
٣. سورة التوبة: الآية ٢٥.
٤. سورة البقرة: الآية ٨.
٥. مواهب الرحمان ج ١ ص ١١ ـ ١٥.

أوّل ما نُزّل

قال هود بن محكم :

«...»[1] عن أبي رجاء العطاردي، وكان قد أدرك النبي ﷺ ولم تكن له صحبة، قال: أول سورة نزلت على النبي ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[2]، وقال: تعلمت هذه السورة من أبي موسى. وقال بعض السلف: أول ما نزل من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[3][4].

أبو سَلَمة[5] قال: قلت لجابر بن عبدالله: أي القرآن نزل أول؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[6]، [قلت:][7] أو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؟، قال: أحدثك بما سمعت من رسول الله ﷺ إنه قال: جاورت في حراء، يعني جبلاً بمكة، وكان جوار أهل الجاهلية، فلما قضيت جواري استبطنت الوادي، فنوديت، فنظرت خلفي وأمامي، وعن يميني وعن شمالي، فلم أر شيئاً. فرفعت رأسي إلى السماء فإذا هو ـ يعني جبريل ﷺ قاعد على العرش بين

---

١. وضعت هذه النقط هنا لأن المقدمة مخرومة من أولها. ومن الصعب تقدير عدد الأوراق التي سقطت من أول هذه المخطوطة.

٢. سورة العلق: الآية ١.

٣. سورة العلق: الآية ١ ـ ٨.

٤. هو أبو سَلَمة بن عبدالرحمن بن عوف. وأمّه تماضر بنت الأصبغ الكلبية. كان يحمل عنه الحديث، وكان من فقهاء التابعين. قيل: إنه توفي سنة ٩٤ للهجرة عن اثنتين وسبعين سنة.

٥. سورة المدّثر: الآية ١.

٦. زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

٧. زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

السماء والأرض، فجممت منه، فأتيت خديجة فقلت: دثروني. وصبت علي ماءً بارداً، فأنزل الله علي: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [١]. قال: والعامّة على أن أول ما نزل من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [٢]» [٣].

قال ابن جوزى :

«واختلفوا في أول ما نزل من القرآن، فأثبت المنقول: أن أول ما نزل: ﴿إقرأ باسم ربك﴾. رواه عروة عن عائشة [٤]، وبه قال قتادة وأبو صالح.

وروي عن جابر بن عبدالله: أن أول ما نزل ﴿يا أيها المدثر﴾.

والصحيح أنه لما نزل عليه ﴿إقرأ باسم ربك﴾ رجع فتدثّر فنزل: ﴿يا أيها المدثر﴾، يدل عليه ما أخرج [في] «الصحيحين» من حديث جابر قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً فرجعت، فقلت: زملوني، زملوني، فدثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾». ومعنى جئثت: فرقت. يقال: رجل مجؤوث [ومجئوث] وقد صحّفه بعض الرواة فقال: جبنت من الجبن، والصحيح الأول. وروي عن الحسن، وعكرمة: أن أول ما نزل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾» [٥].

قال ابن جزى :

«واوّل ما نزل عليه من القرآن: صدر سورة العلق، ثم المدّثر والمزمل، وقيل أوّل ما نزل المدّثر، وقيل فاتحة الكتاب، والأوّل هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح، عن

---

١. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم ٢٥٧) عن أبي سلمة عن جابر بن عبدالله. وأخرجه البخاري مختصراً في أوائل صحيحه وفيه: «قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمٰن أن جابر بن عبدالله الأنصاري. قال، وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء ...» إلى آخر الحديث.

٢. انظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٦٩ ط. المشهد الحسيني، القاهرة: ١٣٧٨ ـ ١٩٦٧. تجد تلخيصاً وافياً يجمع بين الروايتين وتحقيقاً في أن أول القرآن نزولاً هو صدر سورة العَلق.

٣. تفسير كتاب الله العزيز ج ١ ص ٦١ ـ ٦٢.

٤. رواه مسلم.

٥. زاد المسير: ج ١ ص ٥.

عائشة في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني وغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، ثم قال: ﴿اقرأ بسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فقال: زمّلوني زمّلوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع.

وفي رواية من طريق جابر ابن عبدالله: فقال رسول الله ﷺ زمّلوني فأنزل الله تعالى ﴿يأيها المزمّل﴾»[1].

قال البحراني في اول سورة نزلت وآخر سورة:

«١ ـ محمد بن يعقوب، عن عدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد، وسهل بن زياد، عن منصور بن العباس، عن محمد بن الحسن بن المسرى، عن عمه علي بن المسرى، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «اول ما نزل على رسول الله ﷺ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم اقرء باسم ربك﴾ الى آخره، وآخر سورة ﴿اذا جاء نصرالله والفتح﴾[2]».

٢ ـ محمد بن علي بن بابويه، عن احمد بن علي بن ابراهيم، قال حدثني ابي عن جدي ابراهيم بن هاشم، عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد، قال: قال الرضا عليه السلام: « سمعت ابي يحدث عن ابيه عليه السلام: ان اول سورة نزلت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك﴾، وآخر سورة نزلت ﴿اذا جاء نصرالله والفتح﴾ ».

٣ ـ سعد بن عبدالله، عن احمد بن محمد بن عيسى، ومحمد بن الحسين بن ابي الخطاب وغيرهما، عن احمد بن محمد بن ابي نصر، عن هشام بن سالم، عن سعيد بن ظريف الخفّاف، قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: ما تقول فيمن اخذ عنكم علماً فنسيه؟ قال: «لا حجة عليه انما الحجة على من سمع منا حديثاً فانكره او بلغه فلم يؤمن به وكفر، فاما النسيان فهو موضوع عنه، ان اول سورة نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿سبح اسم ربك

---

١. التسهيل ج ١ ص ٤.

٢. سورة النّصر: الآية ١.

الاعلى﴾[1] فنسيها لم يلزمه حجة فى نسيانه ، ولكن الله تبارك وتعالى امضى له ذلك اذ قال: **﴿سنقرئك فلا تنسى﴾**[2]»[3].

قال عبدالقادر :

«إعلم فقهك الله ان جمهور المفسرين أجمعوا على أن أول ما نزل من الوحي خمس آيات من أول سورة العلق، ولا عبرة بمن شذ عن هذا الإجماع، فقد أخرج البيهقي في الشعب عن عمر رضي الله عنه أنه قال: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ، فإن جبريل كان ينزل به خمساً خمساً، وأخرج ابن عساكر من طريق آخر نظيره وما بمعناه، وهذا على الغالب وإلا فقد نزل أقل وأكثر .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .ـ والرؤيا صور حسية في الخيال تذهب الآراء والأفكار و في تعبيرها مذاهب شتى ، قلما يعرف تأويل الصادق منها غير الأنبياء كرؤيا ملك مصر التي عبرها سيدنا يوسف ﷺ ، ورؤيته هو في صغره وقد ظهرت بعد كما قصها الله علينا، وسيأتي بيانها مع بحث مسهب في الرؤيا في تفسير الآية ٥ من سورة يوسف وفي الآية ٣ منها فما بعدها أيضا ـ. ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث ـ يتعبد ـ فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ـ أي تلك الليالي ـ حتى جاءه الوحي، ـ وفي رواية حتى فاجأه ـ وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطني ـ ضمني وعصرني، والحكمة في ذلك أن لا يشتغل بالالتفات إلى غيره، ومبالغة في تصفية قلبه ولهذا كررها ثلاثا ـ حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾** فرجع بها رسول الله ترجف بوادر. ـ هي اللحمات

---

١. سورة الاعلى : الآية ١.
٢. سورة الاعلى : الآية ٦.
٣. البرهان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٢٩.

التي فوق الرغثاوين أي عروق الثدي وأسفل الشذوة أي لحم الثدي واللحمات ما بين المنكب والعنق ـ حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملونى زملوني ـ غطوني ولفوني بالثياب ـ فزملوه حتى ذهب عنه الروع ـ الفزع ـ، ثم قال لخديجة: مالي؟ وأخبرها الخبر، قال: لقد خشيت على نفسي ـ أي الهلاك ـ، قالت خديجة: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله ـ لا يذلك ـ أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسعد بن عبدالعزى عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس ـ يعني جبريل صاحب خبر الخير، يسمى بهذا لأن الله خصّه بالوحي إلى الأنبياء ـ الذي نزله على موسى، يا ليتني فيها ـ أي نبوتك ـ جذعاً ـ شابا قوياً ـ ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وان يدركني يومك ـ أي يوم يخرجك قومك عند ادعائك النبوة ـ أنصرك نصراً مؤزرا ـ قوياً معززا ـ ثم لم يلبث ورقة أن توفي ـ أي قبل ظهور الدعوة ـ. وفتر الوحي. زاد البخاري قال: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراكي يتردى ـ أي يوقع نفسه ـ من رؤوس شواهق الجبال، فلما أوفى بذروة جبل كي يلقي نفسه منه تبدّى ـ أي ظهر عيانا ـ له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه ـ قلبه وما ثار من فزعه وهاج من حزنه ـ وتقر عينه فيرجع إلى حالته الأولى أملا برجوع الوحي إليه، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل، ذلك فإذا أوفي بذروة الجبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال مثل ذلك.

مطلب أول ما نزل من القرآن:

وروى البخاري ومسلم عن يحيى بن كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر﴾ قلت: يقولون: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ قال أبو سلمة: سألت جابراً عن ذلك وقلت له مثل ذلك فقال لي: لا أحدثك إلا بما حدثنا به

رسول الله قال: جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني فدثروني وصبوا علي ماءً بارداً ـ فيه أن من يفزع ينبغي أن يصب عليه الماء البارد ليسكن خوفه ـ فنزلت ﴿يا أيها المدثر﴾، وذلك قبل أن تفرض الصلاة، وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه وقال: فإذا هو قاعد على عرش في الهواء ـ يعني جبريل ـ فأخذتني رجفة شديدة ـ والمراد بالعرش هنا السرير والكرسي المبين في الحديث الآتي ـ ورويا عن جابر في رواية الزهري عن ابن سلمة رضي الله عنهما قال سمعت: رسول الله يحدث عن فترة الوحي، فقال لي في حديثه: بينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض فجُئثت ـ بجيم مضمومة وهمزة مكسورة وثاء ساكنة وتاء مضمومة وروي بتاءين ومعناه: رعبت وفزعت ـ منه رعباً، فقلت زملوني زملوني، فدثروه فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها المدثر﴾ قال: ثم حمي الوحي بعده وتتابع.

واعلم ا ان هذين الحديثين لا يتعارضان مع حديث عائشة المتقدم ذكره، بأن أول ما نزل مبادىء سورة اقرأ، لأن ما جاء في هذين الحديثين من أن أول سورة نزلت هي المدثر لا يصح، لأن قوله في الحديث الأول وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ يدل على تقدم الوحي على هذا الحديث. وقوله في الحديث الثاني: فإذا الملك الذي جاءني بحراء، يدل على صحة ما جاء في حديث عائشة أيضا، وان أول ما نزل هو ﴿اقرأ باسم ربك﴾، وقوله فيه أيضا: ثم حمي الوحي وتتابع، أي بعد ما فتر، وبعد نزول ﴿اقرأ باسم ربك﴾ نزلت ﴿يا أيها المدثر﴾ وبهذا يحصل الجمع والتوفيق بين الحديثين المذكورين، وحديث عائشة المتقدم هو الصواب الذي لا مرية فيه والمجمع عليه على الاطلاق، ومعنى فترة الوحي احتباسه وعدم تواليه، ومعنى حمي الوحي كثر نزوله، وحديث عائشة هذا يعد من مراسيل الصحابة لأنها لم تدرك هذه القصة فلا بد أنها سمعتها من حضرة الرسول أو من ثقات أصحابه، ومرسل الصحابي حجّة عند جميع العلماء ولا سيما السيدة عائشة التي كان ينزل الوحي في فراشها وهي مع النبي بخلاف بقية نسائه،

فإنهن إذا نزل الوحي عليه وهو في فراش إحداهن انعزلت عنه، فقد روى ابو يعلى في مسنده عن عائشة قالت: أعطيت تسعاً وفيه، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفن عنه، وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه، وبهذا يندفع التعارض باختصاص نزول الوحي في فراش عائشة، تأمل، وهذا النوع من القرآن يسمى الفراشي، كيف وهي التي شهد الله ببراءتها وحسبك بها حجة، ولم يخرج عن هذا الإجماع إلا أبو إسحاق الاسفراييني.

وإنما ابتدىء ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك بصريح النبوة، فلا تتحملها قواه البشرية، فبدأه بعلامتها توطئة للوحي، وارهاصا إلى مقدمات النبوة.

مطلب معنى الإرهاص والوحي ومأخذ الشفرة:

والإرهاص معناه هنا الإثبات، يقال: ارهص الشيء إذا أثبته وأسسه على طريق المجاز. فهذه المقدمات التي تأتي الرسل من الرؤيا الصادقة والكشف والفراسة في الأمور، أي التوسم بها ـ.

وتخيل المعاني قبل وقوعها، إثبات لنزول الوحي الالهي وأساس للمنزول عليه ليقوى جنانه ويأخذ ما يتلقاه من الوحي بعزم وحزم، وليعرفه حقاً انه من الله دون تطرق لشك أو ظن أو وهم. تدبر هذا»[١].

قال عبدالقادر :

«وأول ما نزل في نهار تلك الليلة مبادىء سورة ﴿العلق﴾، ﴿إقرأ باسم ربك﴾ إلى آخر الآيات الخمس الأول منها، كما سيأتي بيانه في غار حراء بمكة، الذي كان يتعبد فيه، كما روي عن ابن اسحق عن وهب بن كيسان عن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، على خلاف للعلماء في الليلة لا في المكان والشهر ، كما حكاه القسطلاني في شرحه على البخاري»[٢].

قال السيد مصطفى الخميني (ره) :

«الاقوال في اوّل ما انزل اربعة:

---

١. بيان المعاني ج ١ ص ٥٠ ـ ٥٣.

٢. بيان المعاني ج ١ ص ٢٣.

١ ـ ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وهو المروي عن عايشة وعن مجاهد وعطاء وابن يسار، قول اكثر المفسرين.

٢ ـ سورة المدثر، وهو قول سلمة بن عبدالرحمن عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ في حديث [١].

٣ ـ سورة الفاتحة بتمامها، وهو قول جماعة قليلين، ونسب ذلك في الكشاف الى الاكثر وهو محل منع ولكنه يساعده الاعتبار، لأن الصلاة كانت بالفاتحة عند الفرض وهو بمكّة، ولانها من الابتداء كانت مسماة بالفاتحة وبها فتح الوحي، وهو المراد من السبع المثاني على ما اشتهر في قوله تعالى: ﴿ولقد اتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾[٢] وهو مكّي، فاذا كانت هي مكية، فهي اوّل ما نزلت للاجماع المركب، ولكنه كما ترى.

٤ ـ التفصيل، اوّل الآيات من إقرأ، وأول السور الفاتحة بتمامها، وفي المسئلة بعض الأقوال الأُخر.

والذى هو الاظهر حسب نصوصنا، هو الاول، ولا ينافيه كون الفاتحة مكية كما يأتي انشاء الله تعالى.

واما ما قيل الاستدلال على اولية الفاتحة، نزولا: بانها سورة اجمالية من الكتاب العزيز ونموذج من هذا البحر المحيط، فلها الاحاطة التامة على ما فيه من التوحيد والقصص والاحكام وغيرها، فهو مما لا يبالي به العاقل ولا يركن اليه اللّبيب، بداهة ان التاريخ لا يصطاد بالذوق والاستحسان، ويعارضه ما افيد؛ من ان سؤاله ﷺ عما يقرأ بعد الامر بالقراءة على ما في الكتب، شاهد على عدم انسه بالوحي وعدم سبقه ﷺ بالبارقة الالهية، والله العالم.

نعم شهادة فضلاء الاسلام كأبن النديم، في كتابه نور العلوم المعروف بالفهرست، ناقلا حديثا مسندا عن محمد بن نعمان بن بشير، وهو موجود في البخاري ومسلم وساير ما قيل، المعنى يورث الظن، بل الاطمينان باولية اقرأ الى قوله تعالى: ﴿علّم الانسان

---

١. الإتقان ج ١ ص ٢٤.

٢. سورة الحجر: آية ٨٧.

ما لم يعلم﴾ ، وقال ابو عبيدة [١] في فضائل القرآن: حدثنا عبدالرحمن الىٰ ان قال : ان اول ما انزل ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ، و ن والقلم، انتهى.

وهو الوحيد في هذا الذيل كما ترى»[٢].

قال المدرس :

« وكان اول ما نزل منه آيات اول سورة العلق . ففي البخاري ....

وفي صحيح البخاري ـ وهو يحدث عن فترة الوحي ـ فقال في حديثه: « بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني. فانزل اللّه عز وجل: ﴿يا أيها المدّثّر قم فَأنْذر ـ الى قوله ـ والرّجزَ فاهْجُر﴾[٣] فحمي الوحي وتواتر ». انتهى.

ومما ينبغي ان يعلم أن فتور الوحي وانقطاعه عنه ﷺ كان في ثلاث نوبات:

الأولى: بعد نزول جبريل عليه السلام عليه ﷺ في غار حراء أول مرة إلى ان نزلت عليه سورة المدّثر.

والثانية: بعد سؤال اليهود له ﷺ عن الروح، وذي القرنين.

والثالثة: قبيل نزول (سورة الضحى) لحادث السرير المشهور من وجود جرو وكلب تحت سريره ﷺ ولم يدر به.

وان مدة فتوره في النوبة الأولى ـ وان ورد أنها كانت سنتين ونصفاً في رواية، أو ستة أشهر في أخرى ـ لكن ما حققه صاحب فتح الباري في شرح صحيح البخاري أنها كانت أياماً ولم تحدّد. وفي النوبة الثانية كانت اثنتي عشرة ليلة. وفي الثالثة كانت ثلاثة أيّام فقط. ثم تتابع الوحي على العادة ...

وخلاصة الأمر: انه ﷺ نُبّيء في ربيع الأول على رأس أربعين سنة من عمره الشريف. فكان الوحي رؤىً صادقة الى رمضان. وجاءه جبريل في الثامن عشر منه. وقرأ عليه أوائل

---

١. الاتقان ج ١ ص ٢٤.
٢. تفسير القرآن الكريم ج ١ ص ١٧ ـ ١٨.
٣. سورة المدّثر: الآية ١ ـ ٥.

سورة العلق. ثم نزل عليه الوحي بالقرآن في مدة ثلاث وعشرين سنة ، عدا أيام فتور الوحي كما علمته سابقاً»[١].

قال المدرس :

«ورد في أول ما نزل أقوال:

أصحها أنه صدر سورة العلق إلى قوله تعالى: ﴿علَّمَ الإنْسانَ ما لم يَعْلَمْ﴾.

الثاني : أنه ﴿يا أيها المدثر﴾ إلى آيات. والمحققون على أنه أول ما نزل بعد فترة الوحي وذلك هو الظاهر من رواية رواها الشيخان عن أبي سلمة عن جابر فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زمّلوني زملوني! فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرّجز فاهجر﴾. فظاهر هذه الرواية يدل على أن جابراً استند في كلامه على أن أول ما نزل من القرآن هو المدثر إلى ما سمعه من رسول الله وهو يحدّث عن فترة الوحي ، وكأنه لم يسمع بما حدث به رسول الله عن الوحي قبل فترته من نزول الملك على الرسول في حراء بصدر سورة (إقرأ).

القول الثالث: إن أول ما نزل (سورة الفاتحة) وهذا قول عددٍ قليلٍ جداً ولا قاطع عليه.

القول الرابع: هو أن أول ما نزل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ واستدل قائلوه بما أخرجه الواحدي عن عكرمة والحسن ، قالا: أول ما نزل من القرآن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ، وأول سورة ﴿إقرأ﴾. وردَّ هذا بأنه مرسل فلا يعارض المسند. والصحيح: أن أول ما نزل صدر سورة العلق ، وأن البسملة نزلت بعد ذلك ، والرسول ﷺ أمر بوضعها في أول السورة»[٢].

قال الخفاجي :

«بينما كان الرسول الأعظم محمد بن عبدالله صلوات الله عليه يتعبد في غار حراء، في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده الكريم،

١. مواهب الرحمان ج ١ ص ٧ـ٩. ٢. مواهب الرحمان ج ١ ص ٤٢ـ٤٣.

وسِنُّه أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام، أى فى السادس من شهر أغسطس عام ٦١٠ م[١]، نزل عليه جبريل بالرسالة الألهية العظمى التى اصطفاه الله من بين الخلق لأدائها للبشر كافة؛ هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور.

قال جبريل: يا محمد اقرأ.

قال: ما أنا بقارىء.

قال: اقرأ.

قال: ما أنا بقارىء.

قال: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾**.

فكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم[٢].

وأول سورة أعلنها الرسول بمكة هى **﴿والنجم إذا هوى﴾**[٣].

وأول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة هى **﴿ويل للمطففين﴾**[٤].

و استمر نزول القرآن بعد البعثة فى مكة قبل هجرة الرسول صلوات الله عليه، ثم بعد الهجرة والرسول الأكرم بالمدينة، حتى توفى إلى رحمة الله عام ١١ هـ - ٦٣٢.

كان القرآن الكريم ينزل منجما مفرقا وفق الوقائع، ومسايرة للحوادث، وتدرجا فى التكاليف، وتنقلا بالتشريع حسب الطباع ومدى استعداد النفوس»[٥].

قال الزحيلى :

«كان أول ما نزل من القرآن الكريم قول الله تعالى من سورة العلق: **﴿اقرأ باسم ربِّكَ الذي خلقَ * خلقَ الإنسانَ من علقٍ * اقرأ وربُّكَ الأكرم * الذي علَّم بالقلم * علَّم الإنسانَ ما لمْ يعلم﴾** ، وذلك يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، سنة إحدى وأربعين من ميلاده ﷺ، في غار حراء، حين بدأ الوحي بواسطة جبريل الأمين ﷺ»[٦].

---

١ . سار على ذلك كثير من الباحثين ومنهم المرحوم الخضرى بك فى الجزء الأول من تاريخ الأمم الإسلامية، وإن كان الرافعى يقول: إن ابتداء الوحى كان بمكة عام ٦١١ م (٣٤ إعجاز القرآن).

٢ . يروى السيوطى آراء أخرى لبعض العلماء، فبعض يزعم أن ﴿ن﴾ كانت أيضا أول ما نزل من القرآن. وآخرون يقولون ﴿المدثر﴾، وآخرون يقولون انها الفاتحة الخ (راجع ٢٩ وما بعدها ج ١ من الإتقان ط ١٩٤١).

٣ . سورة النّجم: الآية ١.

٤ . سورة المطفّفين: الآية ١.

٥ . تفسير القرآن الحكيم ج ١ ص ١٤ - ١٥.

٦ . المنير ج ١ ص ١٩.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

آخر ما نُزّل

قال هود بن محكم :

«ذكروا عن أُبي بن كعب قال: آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان في سورة براءة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1] ... إلى آخر السورة. وذكروا عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب قال: إن آخر القرآن بالسماء عهداً هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ... إلى آخر الآيتين.

وذكروا عن الكلبي قال: آخر ما نزل من القرآن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[2][3].

قال ابن جوزى :

«واختلفوا في آخر ما نزل، فروى البخاري في أفراده من حديث ابن عباس، قال: آخر آية أنزلت على النبي ﷺ، آية الربا، وفي أفراد مسلم عنه: آخر سورة نزلت جميعاً ﴿إذا جاء نصرالله والفتح﴾ وروى الضحّاك عن ابن عباس قال: آخر آية أنزلت ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ [4]. وهذا مذهب سعيد بن جبير وأبي صالح. وروى أبو إسحاق عن البراء،

---

١. سورة التوبة: الآية ١٢٨.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٨١.
٣. تفسير كتاب الله العزيز ج ١ ص ٦٢.
٤. رواه الطبري واسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه الطبراني باسنادين رجال أحدهما ثقات.

قال: آخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾[١]، وآخر سورة نزلت ﴿براءة﴾[٢]. وروي عن أبيّ بن كعب: أن آخر آية نزلت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾[٣] إلى آخر السورة[٤]»[٥].

قال ابن جزي :

«آخر ما نزل ﴿إذا جاء نصرالله والفتح﴾ وقيل آية الزنى التى فى البقرة، وقيل الآية قبلها»[٦].

قال عبدالقادر :

«وآخر ما نزل منه سورة النصر، ومن الآيات آية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[٧]، وذلك يوم الجمعة في ٩ ذي الحجة، السنة العاشرة من الهجرة، الموافقة سنة ٦٣ من ميلاده عليه السلام، يوم عرفة، في مكة المكرمة، ولم ينزل بعدها إلا آية: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾[٨]، وكان نزولها في المدينة، قبل وفاته ﷺ بواحد وعشرين يوما، كما سيأتي بيان هذا في تفسير هذه الآية في القسم المدني إنشاء الله، فتكون مدة نزوله اثنتين وعشرين سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾[٩]، فيوم نزول الفرقان يوم الجمعة في ١٧ أو ٢٧ رمضان سنة ٤١ من ميلاده ﷺ، ويوم التقاء الجمعين ببدر يوم الجمعة في ١٧ رمضان سنة ٥٤ منه، فاليومان متحدان في الوصف في اليوم والشهر، كما سيأتي بيانه في سورة الأنفال المذكورة، ويدل على هذا ما رواه الطبري، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان. وقد ملت إلى هذا القول لإشارة القرآن العظيم إليه في أحسن موقع، حيث تكلم فيه عن غنائم بدر في اليوم الذي أعز الله به الإسلام وأراهم عجائب نصره، وفي مثله شرف الله نبيه بالرسالة لأن

---

١. سورة النساء: الآية ١٧٦.
٢. رواه البخاري في تفسير سورة (براءة).
٣. سورة التوبة: الآية ١٢٨.
٤. رواه أحمد والحاكم.
٥. زاد المسير ج ١ ص ٦.
٦. التسهيل ج ١ ص ٤.
٧. سورة المائدة: الآية ٣.
٨. سورة البقرة: الآية ٢٨١.
٩. سورة الانفال: الآية ٤١.

هذه الليلة المبينة في السورتين المذكورتين آنفا على جلالة قدرها ورفعة شأنها لا بد وان يشير القرآن إلى تعيينها ولو بالاشارة، ويؤيد هذا ما قاله الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[١] الآية المارة، بأنه يوم عرفة عام حجة الوداع ولم ينزل بعدها شيء من الفرائض والأوامر والنواهي، ولا من التحليل والتحريم، ولم يعش بعدها ﷺ إلا إحدى وثمانين ليلة . رواه السدي وابن جريح عن ابن عباس وروى النيسابوري في تفسيره عن ابن عباس : أنه قرأ هذه الآية وعنده يهودي ، فقال : لو نزلت علينا هذه في يوم لاتخذناه عيداً، فقال ابن عباس: إنها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد ، يوم جمعة وافق يوم عرفة، وذكرنا آنفا أنه نزلت بعدها آية: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾، ولا منافاة لأن هذه لا تحليل وتحريم فيها، تدبر»[٢].

قال الزحيلى :

«وكان آخر ما نزل من القرآن في أرجح الأقوال، قوله تعالى: ﴿واتَّقوا يوماً تُرْجَعونَ فيهِ إلى اللهِ، ثمَّ تُوفَّى كلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ، وهمْ لا يُظلمونَ﴾[٣]، وذلك قبل وفاته ﷺ بتسع ليالٍ بعد ما فرغ من حجّة الوداع، أخرجه كثيرون عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أما ما قيل وروي عن السُّديّ: إن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿اليومَ أكملتُ لكم دِينكم، وأتممتُ عليكم نعمتي، ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً ...﴾ ، فغير مسلَّم به؛ لأنَّ هذه الآية نزلت باتفاق العلماء يوم عرفة من حجة الوداع قبل نزول سورة النصر، وآية البقرة السابقة»[٤].

قال الخفاجى :

«كانت آخر آية نزلت من القرآن الحكيم قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[٥]، حيث نزلت فى حجة الوداع ونزل

---

١. سورة المائدة : الآية ٣. ٢. بيان المعانى ج ١ ص ٢٣ ـ ٢٤.

٣. سورة البقرة : الآية ٢٨١. ٤. المنير ج ١ ص ١٩ ـ ٢٠.

٥. وفى الإتقان خلاف كثير حول آخر ما نزل من القرآن، فقيل آخر آية نزلت: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة﴾، وآخر سورة نزلت ﴿سورة براءة﴾، وقيل آخر آية نزلت آية الربا، وقيل: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ ـ وكان بين نزولها وبين موت الرسول واحد وثمانون يوما ، وقيل تسع ليال، وقيل آخر براءة الخ (٤٤ : ١ الإتقان وما بعدها).

قبلها بقليل سورة براءة.

وتم نزول القرآن الكريم قبل وفاة الرسول صلوات الله عليه في ثلاثة وعشرين عاما، ما بين بعثته إلى وفاته، كان في ثلاث عشرة سنة منها يقيم بمكة، وطنه الذي ولد وتربى ونشأ فيه، وفي عشر السنين الأخرى يقيم بالمدينة بعد هجرته صلوات الله عليه من مكة، حيث نشر الدعوة وحماها وأيدها»[١].

قال المدرس :

«وأما آخر ما نزل من القرآن ففيه أقوال: أصحها أن آخر ما نزل منه على الإطلاق هو قوله تعالى: **﴿واتقوا يوماً تُرْجعونَ فيه إلى الله ثم تُوفَّى كلُّ نَفْسٍ ما كسبت، وهم لا يُظلمون﴾**[٢]. وأخرجه النسائي وعاش النبي صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك تسع ليالٍ ثم توفى لليلتين خلتا من ربيع الأول ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلّم »[٣].

---

١. تفسير القرآن الكريم ج ١ ص ١٥.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٨١.
٣. مواهب الرحمان ج ١ ص ٤٣.

معنى السورة وعدد سور القرآن

قال الطبري : « والسورة بغير همز : المنزلة من منازل الإرتفاع . ومن ذلك سور المدينة ، سمي بذلك الحائط الذي يحويها ، لإرتفاعه ما يحويه . غير أن السورة من سور المدينة لم يسمع في جمعها « سور » كما سمع في جمع سورة من القرآن « سور » . قال العجاج في جمع السورة من البناء :

فرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَـحْجُورِ سُرْتُ إليه في أعالي السُّورِ

فخرّج تقدير جمعها على تقدير جَمع بُرَّة وبُسْرة ، لأن ذلك يجمع بُرَاً وبُسراً . وكذلك لم يسمع في جمع سورة من القرآن سُوْرٌ ، ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ في القياس ، إذا أريد به جميعُ القرآن . وإنما تركوا ـ فيما نرى ـ جمعه كذلك ، لأن كل جمع كان بلفظ الواحد المذكر مثل : بُرّ وشعير وقَصَب وما أشبه ذلك ، فإن جِماعَه يجري مجرى الواحد من الأشياء غيره . لأن حكم الواحد منه منفرداً قلّما يصاب ، فجرى جماعه مجرى الواحد من الأشياء غيره ، ثم جُعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه ، فقيل : بُرّة وشعيرة وقصبة ، يراد به قطعة منه . ولم تكن سور القرآن موجودةً مجتمعةً اجتماع البر والشعير وسور المدينة ، بل كلّ سورة منها موجودةٌ منفردة بنفسها ، انفرادَ كل غُرْفة من الغُرف وخُطبة من الخطب ، فجُعِل جمعُها جمع الغُرَف والخطب ، المبنيّ جمعها من واحدها .

ومن الدلالة على أنّ معنى السورة: المنزلةُ من الارتفاع، قول نابغة بني ذُبيان:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّه أعطاكَ سُورَةً تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ

يعني بذلك: أن اللّه أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل الملوك.

وقد همز بعضهم السورةَ من القرآن. وتأويلُها، في لغة من هَمَزها، القطعةُ التي قد أفضِلت من القرآن عما سواها وأبقيت. وذلك أن سؤر كل شيء: البقية منه تَبقى بعد الذي يُؤخذ منه، ولذلك سميت الفضْلة من شراب الرجل ـ يشرَبُه ثم يُفضلها فيبقيها في الإناء ـ سُؤراً. ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة، يصف امرأةً فارقته فأبقت في قلبه من وجْدِها بقية:

فبَانَتْ، وقد أَسْأَرتْ في الفُؤا دِ صَدْعاً، على نَأْيِها، مُسْتَطِيرَا

وقال الأعشىٰ في مثل ذلك:

بَانَتْ، وقد أَسْأَرتْ في النَّفس حَاجَتَها بعدَ ائتِلاف، وخيرُ الوُدِّ ما نَفَعَا »[1].

قال الماوردي:

« وأما السورة من سورة القرآن، وتجمع سُوَراً ففيها لغتان:

إحداهما: بهمز.

والأخرى: بغير همز.

فأما السورة بغير همز، فهي المنزلة من منازل الارتفاع، ومن ذلك سُمّيَ سُور المدينة لارتفاعه على مايحويه، ومنه قولُ نابغةِ بنى ذبيان:

أَلَـم تَـرَ أَنَّ اللّـهَ أعْـطَاكَ سُـورَةً تَرىٰ كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَب[2]

يعني منزلة من منازل الشرف، التي قصرت عنها منازل الملوك، فسُميت السورة لارتفاعها وعلو قدرها.

وأما السُؤرَة بالهمزة، فهي القطعة، التي قد فُضِّلَتْ من القرآن على سواها وأُبْقِيَتْ منه، لأن سُؤرَ كلّ شيء بَقِيَّتُه بَعدَمَا يُؤخَذُ منه، ولذلك سُمّيَ مافضَل في الإناء بعد الشرب منه

١. جامع البيان ج ١ ص ٧٢ـ٧٣.

٢. بيت من قصيدة مدح واعتذار مدح فيها النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ملك الحيرة. أنظر ديوانه: ٥٧.

سُؤْراً، وقال النبيّ ﷺ: «إذَا شَرِبْتُمْ فأسْئِرُوا»[١] يعني فأبقوا فضلة في الإناءِ، ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة يصف امرأةً فارقته، فأبقت في قلبه بقية من حبها:

قَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي الْفُؤَا ... دِ صَدْعاً عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرا[٢]

والأول من القولين أصح»[٣].

قال الطوسي (ره): «وأما السورة - بغير همز - فهي منزلته من منازل الإرتفاع، ومن ذلك سور المدينة، سمي بذلك الحائط الذي يحويها لإرتفاعه عما يحويه، غير أن سور المدينة لم يجمع سوراً، وسورة القرآن تجمع سوراً. وهذه أليق بتسمية سور القرآن سورة. قال النابغة.

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... يرى كل ملك دونها يتذبذب

يعني منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها الملوك.

وأما من همز السورة من القرآن، فإنه أراد به القطعة التي انفصلت من القرآن، وأبقيت وسؤر كل شيء بقيته. يقال: اسأرت في الإناء، أي أبقيت فيه. قال الأعشى بن ثعلبة، يصف امرأة:

فبانت وقد أسأرت في الفؤا ... د صدعاً على نأيها مستطارا»[٤]

قال ابن عطية: «وأما السورة[٥]: فإن قريشاً كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل، وسعد بن بكر، وكنانة يقولون: سورة بغير همز. وتميم كلها وغيرهم أيضا يهمزون فيقولون: سؤرة، فأما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التي هي سؤر.

وسؤرة: من أسأر إذا أبقى. ومنه سؤر الشراب، ومنه قول الأعشى وهو ميمون بن قيس:

---

١. وفي نسخة أخرى إذا أكلتم، وهذا الحديث وذاك ذكرا بدون إسناد فقد نقلهما القاري عن القاضي عياض كما في كشف الخفا ج ١ ص ٨٣ بدون عزو لأحد. وقال النجم عن حديث إذا أكلتم فأفضلوا لم أجده حديثاً بل في الحديث ما يعارضه كحديث مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: «إنكم لاتدرون في أي طعامكم البركة». وقد تعرض الوزير ابن هبيرة لتأويل حديث إذا شربتم فاسئروا كما نقله ابن رجب في ذيل الطبقات ج ١ ص ٢٧٢ عن ابن الجوزي عنه. ولم ينسب الحديث لأحد.

٢. ديوان الأعشى: ٦٧

٣. النكت والعيون ج ١ ص ٢٧

٤. التبيان ج ١ ص ١٩.

٥. وأكثر القراء على ترك الهمزة. انظر اللسان ج ٦ ص ٥٢.

فَبانَتْ وَقَـدْ أسأَرَتْ فـي الفُـؤا ... دِ صَدْعاً على نَأيِها مُسْتَطِيرَا[١]

أي أبقت فيه . وأما من لا يهمز ، فمنهم من يراها من المعنى المتقدم إلا أنها سهلت همزتها ، ومنهم [٢] ومن يراها مشبهة بسورة البناء أي القطعة منه ، لأن كل بناء فإنما يبنى قطعة بعد قطعة ، وكل قطعة منها سورة .

وجمع سورة القرآن سُوَر [٣] بفتح الواو ، وجمع سورة البناء سُوْر بسكونها. قال أبو عبيدة : إنما اختلفا في هذا فكأن سور القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن [٤] . ويقال أيضا للرتبة الرفيعة من المجد والملك : سورة ، ومنه قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر :

أَلَـمْ تَـر أَنَّ اللَّـه أعـطاكَ سُـورَةً ... ترى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَب [٥]

فكأن الرتبة انبنت حتى كملت » [٦] .

قال ابن جُزَي : « يجوز في السورة من القرآن الهمز ، وترك الهمز لغة قريش ، وأما الآية فأصلها العلامة ثم سميت الجملة من القرآن بها لأنها علامة على صدق النبي ﷺ » [٧] .

---

١ . الأعشى يصف امرأة فارقته فأبقت في قلبه من وجدها بقية . انظر الديوان ٩٣ وفيه « وبانت وقد أورثت » والبيت مذكور أيضاً في تفسير الطبري ج ١ ص ٣٦ . ومجمع البيان ج ١ ص ٦٢ . والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ٢٢٢ .

٢ . من بين هؤلاء أبو عبيدة . اللسان ٥٢/٦ .

٣ . فدل على أنه لم يجعلها من سور البناء ، لأنها لو كانت من سور البناء لقال : (فأتوا بعشر سور مثله) ولم يقل : (بعشر سور) والقراء مجتمعون على سور. وكذلك اجتمعوا على قراءة سور في قوله تعالى : ﴿ فضرب بينهم بسور له باب ﴾ . فدل هذا على تمييز سورة من سور القرآن عن سورة من سور البناء . اللسان ج ٦ ص ٥٣ .

٤ . انظر مجاز القرآن ج ١ ص ٢٠ .

٥ . ويروى صورة أي جمالاً وبهاء . وسورة بالسين : منزلة وفضيلة قال ابن النحاس : مأخوذ من سور البناء وأراد منزلة شريفة ارتفعت إليها عن منازل الملوك . انظر الديوان ١٣ ، وتفسير الطبري ج ١ ص ٣٦ ، ومجاز القرآن ج ١ ص ٤ ، وتفسير غريب القرآن ٣٤ ، واللسان ج ٦ ص ٥٣ ، والعقد الفريد ج ١ ص ١٢٨ ، والإتقان ج ١ ص ٨٩ ، والمفردات في غريب القرآن ص ٢٤٨ ، ومجمع البيان ج ١ ص ٦١ ، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٧ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ١٨ .

٦ . المحرر الوجيز ج ١ ص ٨٠ ـ ٨٢ وقد نقل عين هذه العبارة الثعالبي في جواهر الحسان ج ١ ص ١٨ .

٧ . التسهيل ج ١ ص ٥ .

قال القرطبي في ذكر معنى السورة :

« معنى السورة في كلام العرب : الإبانة لها من سورة أخرى وانفصالها عنها، وسُمِّيت بذلك لأنها يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة . قال النابغة :

ألم تر أنّ اللّه أعطاك سورةً ترى كلّ مَلْك دونها يَتَذبذَبُ

أي منزلة شرف ارتفعت إليها عن منزل الملوك. وقيل: سُمِّيت بذلك لشرفها وارتفاعها، كما يقال لما ارتفع من الأرض : سور . وقيل : سميت بذلك لأن قارئها يشرف على ما لم يكن عنده ، كسُور البناء كله بغير همز ، وقيل : سُمِّيت بذلك ، لأنها قطعت من القرآن على حِدَة ، من قول العرب للبقية : سُؤر . وجاء في أسآر الناس : أي بقاياهم ، فعلى هذا يكون الأصل سؤرة بالهمزة ثم خُفِّفت فأبدلت واواً لانضمام ما قبلها . وقيل : سميت بذلك لتمامها وكمالها ، من قول العرب للناقة التامة : سورة ، وجمع سُورة سُوَر بفتح الواو . وقال الشاعر (١) :

سُودُ المحاجرِ لا يَقرأنَ بالسوَر !

ويجوز أن يجمع على سُورات وسُورَات » (٢)

قال النيشابوري :

« وأما السورة من القرآن ، فإنها تهمز ولا تهمز وهذا أكثر وعليه القراءة . والسورة : اسم لآي جمعت وقرنت بعضها إلى بعض حتى تمت وكملت، وبلغت في الطول المقدار الذي أراد اللّه تعالى، ثم فصل بينها وبين سورة أخرى ببسم اللّه الرحمن الرحيم ، ولا تكون السورة إلا معروفة المبتدأ معلومة المنتهى ، قيل : اشتقاقها من سور البناء والمدينة ، لأن السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهي إلى الارتفاع الذي يراد . فالقرآن أيضاً وضع آية إلى جنب آية حتى بلغت السورة في عدد الآى المبلغ الذي أراد اللّه تعالى . وقيل: سميت سورة لأنها وصفت بالعلو والرفعة ،كما أن سور المدينة سمي سوراً لارتفاعه ، قال النابغة :

ألَمْ تَرَ أنَ اللّهَ أعطاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

---

١. هو الراعي وصدر البيت : هن الحرائر لا رباب اخمرة

٢. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٥ـ٦٦.

أي شرفاً ورفعة، وقيل: سميت سورة لإحاطتها بما فيها من الآيات، كما أن سور المدينة محيط بمساكنها وأبنيتها، وجمع سورة القرآن: سور بفتح الواو مثل جملة وجمل، وجمع سورة البناء، سور بالسكون مثل صوفة وصوف. ومن همز سورة جعلها من أسأرت في الإناء سؤرا: أي أفضلت منه بقية، ومنه سؤر الدواب، إذ كلها قطعة من القرآن على حدة »[١].

قال ابن كثير:

« واختلف في معنى السورة مما هي مشتقة فقيل من الإبانة والإرتفاع قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكان القاريء ينتقل بها من منزلة إلى منزلة.

وقيل: لشرفها وارتفاعها كسور البلدان.

وقيل: سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه مأخوذ من أسآر الإناء وهو البقية. وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا. وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوا لإنضمام ما قبلها.

وقيل: لتمامها وكمالها لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة.

قلت: ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنازله ودوره. وجمع السورة سور بفتح الواو، وقد يجمع على سورات وسورات»[٢].

قال عبدالقادر:

« ومعنى السورة: المنزلة، قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

أي منزلة قصرت عنها منازل الملوك »[٣].

قال ابن عاشور في سور القرآن: « السورة قطعةمن القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني

---

١. غرائب القرآن ج ١ ص ٢٨-٢٩.
٢. تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٤.
٣. بيان المعاني ج ١ ص ٢٦.

آيات تلك السورة، ناشيء عن أسباب النزول، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة.

وكونها تشتمل على ثلاث آيات مأخوذ من استقراء سور القرآن مع حديث عمر، فيما رواه أبو داود عن الزبير «جاء الحارث بن خُزيمة (هو المسمى في بعض الروايات خزيمة وأبا خُزيمة) بالآيتين من آخر سورة براءة، فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول اللّه. فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما منه، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة» إلخ، فدل على أن عمر ما قال ذلك إلا عن علم بأن ذلك أَقَلُّ مقدار سوره. وتسمية القطعة المعينة من عدة آيات القرآن سورة من مصطلحات القرآن، وشاعت تلك التسمية عند العرب حتى المشركين منهم. فالتحدي للعرب بقوله تعالى ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾[1] وقوله: ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾[2]، لايكون إلا تحدياً باسم معلومِ المسمّى والمقدارِ عندهم وقت التحدي، فإن آيات التحدي نزلت بعد السور الأُوَل، وقد جاء في القرآن تسمية سورة النور باسم سورة، في قوله تعالى: ﴿ سورةٌ أنزلناها ﴾[3] أي هذه سورة، وقد زادته السنة بيانا. ولم تكن أجزاء التوراة والإنجيل والزبور مسماة سورا عند العرب في الجاهلية ولا في الإسلام، ووجه تسمية الجزء المعين من القرآن سورة قيل: مأخوذة من السور بضم السين وتسكين الواو وهو الجدار المحيط بالمدينة، أو بمحلة قوم زادوه هاء تأنيث في آخره مراعاة لمعنى القطعة من الكلام، كما سموا الكلام الذي يقوله القائل؛ خُطبةً أو رسالةً أو مقامة. وقيل: مأخوذة من السؤر بهمزة بعد السين وهو البقية مما يشرب الشارب بمناسبة أن السؤر جزء مما يُشرب، ثم خففوا الهمز بعد الضمة فصارت واوا.

قال ابن عطية: «وترك الهمز في سورة هو لغة قريش ومن جاورها من هذيل وكنانة وهوازن وسعد بن بكر، وأما الهمز فهو لغة تميم، وليست إحدى اللغتين بدالة على أن أصل الكلمة من المهموز أو المعتل، لأن للعرب في تخفيف المهموز وهمز المخفف من حروف العلة طريقتين، كما قالوا أُجوه وإعاء وإشاح، في وُجوه ووِعاء ووِشاح، وكما قالوا

١. سورة هود: الآية ١٣.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٣.
٣. سورة النور: الآية ١.

الذئب بالهمز والذيب بالياء. قال الفراء: ربما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس مهموزا كما قالوا: «رثأت الميت ولَبَّأْتُ بالحج وحَلأتُ السويق بالهمز».

وجمع سورة سور بتحريك الواو كغُرَف، ونقل في شرح القاموس عن الكُراع [١]؛ أنها تجمع على سُور بسكون الواو» [٢].

قال النهاوندي في بيان معنى السورة:

«السورة، اسم لطايفة من القرآن ذات فاتحة وخاتمة مسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ، وقد نص النبي ﷺ باسامي السور في الأحاديث والآثار، روى عن عكرمة قال: كان المشركون يقولون: سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزئون بها فنزل: ﴿ **إنّا كفينا المستهزئين** ﴾، ووجه التسمية بالأسامي المعينة المعروفة ظاهر، فإن سورة الحمد سميت بالفاتحة لإفتتاح القرآن بها وسورة البقرة؛ لذكر قصة البقرة فيها ولم يذكر في غيرها، وسورة آل عمران؛ لذكر آل عمران فيها وهكذا ساير السور، وأما وجه تسمية كل قطعة معينة بالسورة لإرتفاع منزلتها وشأنها، لأنها كلام الله، وتطلق السورة على المنزلة الرفيعة، وقيل: إنها مأخوذة من سور البلد لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور ومنه، السوار لإحاطته بالساعد [٣].

قال الطباطبائي (ره) في بحثه القرآني:

«متعلق بقوله تعالى: ﴿ **وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث** ﴾...

١ـ ان للقرآن الكريم أجزاء يعرف بها كالجزء والحزب والعشر وغير ذلك، والذي ينتهي اعتباره إلى عناية من نفس الكتاب العزيز؛ اثنان منها وهما السورة والآية، فقد كرر الله سبحانه ذكرهما في كلامه كقوله: ﴿ **سورة أنزلناها** ﴾ [٤] وقوله: ﴿ **قل فأتوا بسورة مثله** ﴾ [٥] وغير ذلك.

وقد كثر استعمالها في لسان النبي ﷺ والصحابة والائمة كثرة لاتدع ريباً في أن لها

---

١. هو علي بن الحسن الهُنائي ـ بضم الهاء ـ نسبة إلى هناءة بوزن تمامة: اسم جد قبيلة من قبائل الأزد والكراع بضم الكاف وتخفيف الراء لقب لعلى هذا، كان يلقب كراع النمل.

٢. التحرير والتنوير ج ١ ص ٨٤ـ ٨٥.

٣. نفحات الرحمن ج ١ ص ٨٧.

٤. سورة النور: الآية ١.

٥. سورة يونس: الآية ٣٨.

حقيقة في القرآن الكريم، وهي مجموعة من الكلام الإلهي مبدوّة بالبسملة مسوقة لبيان غرض، وهي معرف للسورة مطرد غير منقوض إلا ببراءة، وقد ورد(١) عن أئمة أهل البيت عليهم السلام انها آيات من سورة الانفال، والا بما ورد(٢) عنهم عليهم السلام أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة وأن الفيل والإيلاف سورة واحدة»(٣).

ـ في عدد سور القرآن

قال النهاوندي (ره) في عدد سور القرآن:

«المشهور بين الاماميّة رضوان الله عليهم انّ عدد سور الكتاب العزيز مائة واثنا عشر، لعدّهم الضّحىٰ والإنشراح سورة واحدة والفيل وقريش ايضاً سورة واحدة، بل ادّعى بعض الأساطين الإجماع عليه، وعليه النّصوص المعتبرة عن اهل البيت عليهم السلام، ونقل جماعة من العامّة انّ فى مصحف أُبيّ ان سورة الفيل وسورة لايلاف واحدة، ونقل عن طاوس وغيره من مفسّرى العامّة على ما فى اتّقان السيوطي، انّ الضّحىٰ والم نشرح سورة واحدة، وخالف فى ذلك اكثرهم وذهبوا الى انّ عدد السّور مائة واربع عشرة، وادّعوا عليه اجماعهم.

نعم، قال بعضهم: بكونه مائة وثلاث عشرة بجعل الانفال والبراءة واحدة، لعدم البسملة بينهما، ولما روى عن مجاهد وسفيان وابى روق وهو بمكان من الضّعف لاشتهار تعدّدهما وتعدّد اسمهما بين المسلمين، ولرواية مجمع عن اميرالمؤمنين عليه السلام لم تنزل ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ على رأس سورة براءة لانّ بِسْمِ الله للأمان والرّحمة، ونزلت براءة لدفع الأمان والسّيف.

وعن ابن عبّاس قال: سألت عليّ بن ابى طالِب لم لم تَكْتب فى براءة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: (لانّها أمان وبراءة نزلت بالسّيف).

وقال: قلت لِعثمان: «ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهى من المثاني والى براءة

---

١. تقدم بعض ما يدل عليه من الرواية في ذيل قوله: ﴿ انا نحن نزلنا الذكر ﴾ الآية، الحجر: ٨ في الجزء الثاني عشر من الميزان.

٢. رواه الشيخ في التهذيب باسناده عن الشحام عن الصادق عليه السلام ونسبه المحقق في الشرائع والطبرسي في مجمع البيان الى رواية اصحابنا.

٣. الميزان ج ١٣ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

وهى من المثين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتموها فى السّبع الطّوال » ، فقال عثمان : « كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السّورة ذات العدد » . الخبر وقد مرّ تمامه فى بعض الطّرائف السّابقة.

وروى الصّدوق رحمه الله فى ثواب الاعمال والعيّاشي عن الصّادق عليه السلام : « من قرأ سورة الانفال وسورة البراءة فى كلّ شهر لم يدخله نفاق ابداً » .

فمن جميع ذلك ومن عدم ظهور شبهة في تعدّدهما بين الاصحاب مع تعرّضهم لاتّحاد بعض السّور كما مرّ ، لا ينبغى الاشكال فى تعدّد البراءة والانفال وان ما رواه الطّبرسى والعيّاشى عليهما الرّحمة عن الصّادق عليه السلام الانفال وبراءة واحدة مأوّل او مطروح»[1].

قال الطباطبائي (ره): « أما عدد السور القرآنية فهي مائة وأربع عشرة سورة على ما جرى عليه الرسم في المصحف الدائر بيننا وهو مطابق للمصحف العثماني، وقد تقدم كلام أئمة أهل البيت عليهم السلام فيه، وأنهم لا يعدون براءة سورة مستقلة ، ويعدون الضحى وألم نشرح سورة واحدة ، ويعدون الفيل والإيلاف سورة واحدة »[2].

---

١. نفحات الرحمن ج ١ ص ١٧ .

٢. الميزان ج ٣ ص ٢٣٢ .

معنى الآية وعدد الآي القرآن

قال الطبري : « وأما الآية من آي القرآن ، فإنها تحتمل وجهين في كلام العرب :

أحدهما : أن تكون سمّيت آية ، لأنها علامةٌ يُعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها ، كالآية التي تكون دلالةً على الشيء يُستدل بها عليه ، كقول الشاعر :

ألِكنِي إليها ، عَمْرَكَ اللهُ يا فتى ... بآيةِ ما جاءتْ إلينا تَهادِيا

يعني : بعلامة ذلك . ومنه قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾ [1] أي علامةً منك لإجابتك دُعاءنا وإعطائك إيَّانا سُؤْلَنا .

والآخر منهما : القصةُ ، كما قال كعب بن زهير بن أبي سُلمىٰ :

ألاَ أبلغا هذا المُعَرِّض آيَةً : ... أيَقْظانَ قالَ القولَ إذْ قَالَ ، أمْ حَلَمْ

يعني بقوله « آية » : رسالةً مني وخبراً عني .

فيكون معنى الآيات : القصص ، قصةٌ تتلو قصةً ، بفُصُول ووُصُول » [2] .

قال الماوردى : « وأما الآية من القرآن ، ففيها تأويلان :

أحدهما : إنما سميت آية لأنها علامة يعرف بها تمام ماقبلها ، لأن الآية العلامة ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾

---

١ . سورة المائدة : الآية ١١٤ .

٢ . جامع البيان ج ١ ص ٧٣ .

يعني علامة منك لإجابتك دعاءنا. قال الشاعر، وهو عبد بني الحسحاس:

أَلِكْنِي إِلَيْهَا - عَمْرَكَ اللَّهُ - يَافَتًى ... بِآيَةِ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا [1]

والتأويل الثاني: أن الآية في كلامهم، القصة والرسالة، كما قال كعب بن زهير:

أَلاَ أَبْلِغَا هَذَا الْمُعَرِّض آيَةً ... أَيَقْظَانَ قَالَ الْقَوْلَ أَوْ قَالَ ذُو حُلْمِ

فيكون معنى الآية: القصة، التي تتلو قصة بفصول ورسول وأصول »[2].

قال الطوسي (ره):

« وتسمية الآية بأنها آية، يحتمل وجهين أحدهما - لأنها علامة يعرف بها تمام ماقبلها، ومنه قوله تعالى: ﴿ أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك ﴾[3] يعني علامة لإجابتك دعاءنا. والآخر، أن الآية القصة والرسالة. قال كعب بن زهير:

ألا أبلغا هذا المعرض آية ... أيقظان قال القول إذا قال أم حلم

يعني رسالة. فيكون معنى الآيات القصص، قصة تتلو قصةً »[4].

قال ابن عطية: « وأما الآية: فهي العلامة في كلام العرب، ومنه قول الأسير الموصى إلى قومه باللغز: « بآية ما أكلت معكم حيسا »[5] فلما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الآتي بها وعلى عجز المتحدي بها سميت آية، هذا قول بعضهم. وقيل: سميت آية، لما كانت جملة وجماعة كلام كما تقول العرب: جئنا بآياتنا. أي بجماعتنا، وقيل: لما كانت علامة للفصل بين ماقبلها ومابعدها سميت آية. ووزن آية عند سيبويه فَعَلَه - بفتح العين - أصلها أَيَية تحركت الياء الأولى وما قبلها مفتوح فجاءت آية، وقال الكسائي: أصل آية آيِيَة على وزن فاعلة حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام مالزم في دابة، وقال مكي في تعليل هذا الوجه: سكنت الأولى وأدغمت فجاءت آية على وزن دابة ثم سهلت الياء المثقلة، وقيل: أصلها أية على وزن فَعْله - بسكون العين - أبدلت الياء الساكنة ألفا استثقالاً للتضعيف قاله الفراء، وحكاه أبو علي عن سيبويه في ترجمة ﴿ وكأين من نبي ﴾.

---

١. بيت من قصيدة لكعب في ديوانه: ٦٤

٢. النكت والعيون ج ١ ص ٢٨.

٣. سورة المائدة: الآية ١١٤.

٤. التبيان ج ١ ص ٢٠.

٥. الحيس: هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن. والأقط شيء يتخذ من اللبن المخيض بطبخ. قال ابن الأعرابي: هو من ألبان الإبل خاصة. اللسان: مادة حيس، ومادة أقط.

وقال بعض الكوفيين: أصلها أيِيَة على وزن فَعِلَة بكسر العين أبدلت الياء الأولى ألفا لثقل الكسر عليها وانفتاح ما قبلها». (١)

قال القرطبي: «وأما الآية فهي العلامة، بمعنى أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وانفصاله، أي هي بائنة من أختها ومنفردة. وتقول العرب: بيني وبين فلان آية، أي علامة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إن آيَةَ مُلْكِهِ ﴾ (٢). وقال النابغة:

توهمتُ آياتٍ لها فعرفتُها ... لستة أعوام وذا العامُ سابعُ

وقيل: سُميت آية لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه، كما يقال: خرج القوم بآياتهم، أي بجماعتهم. قال بُرْج بن مُسْهر الطائي:

خَرجنا من النَّقْبَيْن لاحَيَّ مثلُنا ... بآياتنا نُزجي اللِّقاح المطَافلا

وقيل: سُميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها. واختلف النحويون في أصل آية، فقال سيبويه: أَيَيَة على فَعَلَة مثل أكمة وشجرة، فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا، فصارت آية بهمزة بعدها مدة. وقال الكسائي: أصلها آيِيَة على وزن فاعلة مثل آمنة، فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها، ثم حذفت لالتباسها بالجمع. وقال الفراء: أصلها أيّة بتشديد الياء الأولى فقلبت ألفا كراهة للتشديد فصارت آية، وجمعها آي وآيات وآياء (٣)، وأنشد أبو زيد:

لم يُبق هذا الدهر من آيائه ... غير أثَافيهِ وأرْمِدائِه» (٤).

قال ابن كثير: «وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها؛ أي هي بائنة عن أختها ومنفردة، قال الله تعالى: ﴿إن آية ملكه ﴾ (٥) وقال النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة أعوام وذا العام سابع

وقيل: لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه، كما يقال خرج القوم بآياتهم أي

---

١. المحرر الوجيز ج ١ ص ٨١ـ٨٢.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٤٨.
٣. قال في اللسان مادة (أيا): أياء جمع الجمع نادر.
٤. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٦.
٥. سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

بجماعاتهم ، قال الشاعر :

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا

وقيل : سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها ، قال سيبويه : وأصلها أيية مثل أكمة وشجرة ، تحركت الياء وانفتح ماقبلها فقلبت ألفاً فصارت آية بهمزة بعدها مـ.ـة ، وقال الكسائي : أصلها آيية ، على وزن آمنة فقلبت ألفاً ثم حذفت لإلتباسها ، وقال الفراء : أصلها أيية بتشديد الياء الأولى فقلبت ألفاً كراهية التشديد فصارت آية وجمعها آي وآيات وآياي . وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل ما ولا ونحو ذلك . وقد تكون أكثر ، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل ﴿ ليستخلفنهم ﴾[١] و ﴿أنلزمكموها ﴾[٢] و ﴿ فأسقيناكموه ﴾[٣] . وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل: ﴿ والفجر ﴾[٤] ﴿ والضحى﴾[٥] ﴿ والعصر ﴾[٦] وكذلك ﴿ ألم ﴾ و ﴿ طه ﴾ و ﴿ يس ﴾ و ﴿ حم ﴾ في قول الكوفيين وحم عسق عندهم كلمتان، وغيرهم لايسمي هذه آيات ، بل يقول : هذه فواتح السور ، وقال أبو عمرو والداني : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى ﴿ مدهامتان ﴾[٧] بسورة الرحمن »[٨] .

قال النيشابوري : « وأما الآية : فقد قال جمع من العلماء : إنها في القرآن عبارة عن كلام متصل إلى انقطاعه وانقطاع معناه فصلاً فصلا ، ولايخفى توقف الآية على التوقيف .

وقال غيرهم : معناها العلامة ، لأنهاتدل على نفسها بإنفصالها عن الآية المتقدمة عليها والمتأخرة عنها .

وقيل : معناها جماعة حروف ، من قولهم : خرج القوم بآيتهم : أي بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئا .

وقيل : معناها العجيبة ، لأنها عجيبة لمباينتها كلام المخلوقين ، من قولهم : فلان آية من الآيات .

---

١. سورة النور : الآية ٥٥ .
٢. سورة هود : الآية ٢٨ .
٣. سورة الحجر : الآية ٢٢ .
٤. سورة الفجر : الآية ١ .
٥. سورة الضحى : الآية ١ .
٦. سورة العصر : الآية ١ .
٧. سورة الرحمن : الآية ٦٤ .
٨. تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٥

واختلف في وزنها ، فقال الفراء : وزنها فعلة بالفتح وبسكون العين وأصلها أية ، فاستثقلوا التشديد فأتبعوه الفتحة التي قبله .

وقال الخليل وأصحابه : وزنها فعلة بالفتح والأصل أيية قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها .

وقال الكسائي : أصلها آيية فاعلة كضاربة . وكان يلزمه للياءين الإدغام على نحو دابة وخاصة ويكون مستثقلاً فحذفوا إحدى الياءين [١] .

قال الثعالبي : «أما الآية فهي العلامة في كلام العرب ، ولما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الآتي بها وعلى عجز المتحدىٰ بها سميت آية هذا قول بعضهم .

وقيل : سميت آية لما كانت جملة وجماعة كلام ، كما تقول العرب جئنا بآيتنا أي بجماعتنا .

وقيل: لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها سميت آية، وقوله ﷺ في الصحيح : آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب الحديث ، وآية الإيمان حب الأنصار ، وآية ما بيننا وبين المنافقين شهود العشاء ، يقوى القول الأول والله أعلم ، وهذا هو الراجح في مختصر الطبري قال : والآية العلامة وذلك أظهر في العربية والقرآن .

وأصح القول : إن آيات القرآن علامات للإيمان وطاعة الله تعالى ودلالات على وحدانيته ، وارسال رسله ، وعلى البعث والنشور وأمور الأخرة، وغير ذلك مما تضمنته علوم القرآن انتهى» [٢] .

قال ابن عاشور :

« الآية : هي مقدار من القرآن مركب ولو تقديراً أو إلحاقا ، فقولي ولو تقديراً لإدخال قوله تعالى : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ إذ التقدير هما مدهامتان ، ونحو ﴿ والفَجْرِ ﴾ إذ التقدير أُقسم بالفجر .

وقولي أو إلحاقا : لإدخال بعض فواتح السور من الحروف المقطعة، فقد عُد أكثرها في المصاحف آيات ما عدا : الٓر ، والٓمٓر ، وطسٓ ، وذلك أمر توقيفي وسنة متبعة ولا يظهر

---

١. غرائب القرآن ج ١ ص ٢٩.

٢. جواهر الحسان ج ١ ص ١٨ - ١٩.

فرق بينها وبين غيرها . وتسمية هذه الأجزاء آيات هو من مبتكرات القرآن ، قال تعالى: ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ مُحْكَماتٌ** ﴾[١] وقال: ﴿ **كتاب أُحكمت آياتُه ثم فُصِّلَتْ** ﴾[٢] . وإنما سُميت آية ؛ لأنها دليل على أنها موحىً بها من عند اللّه إلى النبي ﷺ ، لأنها تشتمل على ما هو من الحد الأعلى في بلاغة نظم الكلام ، ولأنها لوقوعها مع غيرها من الآيات جعلت دليلاً على أن القرآن منزل من عند اللّه وليس من تأليف البشر ، إذ قد تحدّىٰ النبي به أهل الفصاحة والبلاغة من أهل اللسانِ العربي ، فعجزوا عن تأليف مِثل سُورة من سوره .

فلذا لا يحق لجُمل التوراة والإنجيل أن تسمى آيات إذ ليست فيها هذه الخصوصية في اللغة العبرانية والآرَامية . وأما ماورد في حديث رجم اليَهُودِيَّيْن اللذيْنِ زنيا ، من قول الراوي : « فوضع الذي نَشَر التوراةَ يدَه على آية الرجم » فذلك تعبير غَلب على لسان الراوي على وجه المشاكلة التقديرية تشبيها بجمل القرآن، إذ لم يَجِدْ لها اسما يعبر به عنها .

وتحديد مقادير الآيات مروي عن النبي ﷺ ، وقد تختلف الرواية في بعض الآيات وهو محمول على التخيير في حد تلك الآيات التي تختلف فيها الرواية في تعيين منتهاها ومُبْتَدإ ما بعدها . فكان أصحاب النبي ﷺ على علم من تحديد الآيات .

قلت : وفي الحديث الصحيح: « أن فاتحة الكتاب السبع المثاني » أي السبع الآيات .

وفي الحديث: « من قرأ العشر الخواتم من آخر آل عمران » الحديث . وهي الآيات التي أولها: ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾[٣] إلى آخر السورة .

وكان المسلمون في عصر النبوءة وما بعده يُقَدِّرون تارة بعض الأوقات بمقدار ما يَقرأهُ القارىءُ عددا من الآيات، كما ورد في حديث سُحور النبي ﷺ أنه كان بينه وبين طلوع الفجر مقدارُ ما يقرأ القاريُ خمسين آية . .

قال أبو بكر ابن العربي: « وتحديد الآية من معضلات القرآن ، فمن آياته طويل وقصير ،

---

١ . سورة آل عمران : الآية ٧ . ٢ . سورة هود : الآية ١ .
٣ . سورة آل عمران : الآية ١٩٠ .

ومنه ما ينقطع، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام »، وقال الزمخشري: « الآيات علم توقيفي ».

وأنا أقول: لايبعد أن يكون تعيين مقدار الآية تبعاً لانتهاء نزولها، وأمارته وقوع الفاصلة.

والذي استخلصته: أن الفواصل هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها، وتكرر في السورة تكراراً يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة، تكثر وتقل، وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع.

والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات وسكون، وهي أكثر شبهاً بالتزام مالايلزم في القوافي. وأكثرها جار على أسلوب الأسجاع.

والذي استخلصته أيضاً: أن تلك الفواصل كلها منتهى آيات ولو كان الكلام الذي تقع فيه لم يتم فيه الغرض المسوق إليه، وأنه إذا انتهى الغرض المقصود من الكلام ولم تقع عند انتهائه فاصلة لايكون منتهى الكلام نهاية آية إلا نادرا، كقوله تعالى: ﴿ ص والقرآن ذي الذكر ﴾[1]، فهذا المقدار عُد آية وهو لم ينته بفاصلة، ومثله نادر.

فإن فواصل تلك الآيات الواقعة في أول السورة أقيمت على حرف مفتوح بعده ألفُ مد بعدها حرف، مثل: شقاق، مناص، كذّاب، عُجاب، وفواصل بنيت على حرف مضموم مشبع بواو. أو على حرف مكسور مشبع بياء ساكنة وبعد ذلك حرف، مثل: « أنتم عنه معرضون، إذ يستمعون، نذير مبين، من طين ».

فلو انتهى الغرض الذي سيق له الكلام وكانت فاصلة تأتي بعد انتهاء الكلام، تكون الآية غير منتهية ولو طالت، كقوله تعالى: ﴿ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك ـ إلى قوله ـ وخر راكعاً وأناب ﴾[2]، فهذه الجمل كلها عدت آية واحدة.

واعلم! أن هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز لأنها ترجع إلى محسنات الكلام وهي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل لتقع في الأسماع، فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر

---

١. سورة ص: الآية ١. ٢. سورة ص: الآية ٢٤.

بالقوافي في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع. فإن قوله تعالى: ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون. في الحميم ثم في النار يسجرون. ثم قيل لهم أين ماكنتم تشركون. من دون الله ...﴾[١] إلى آخر الآيات. فقوله: ﴿ في الحميم ﴾ متصل بقوله: ﴿ يسحبون ﴾، وقوله: ﴿ ومن دون الله ﴾ متصل بقوله: ﴿ تشركون ﴾. وينبغي الوقف عند نهاية كل آية منها.

وقوله تعالى: ﴿ واشهدوا أني بريء مما تشركون ﴾ الآية، وقوله: ﴿ من دونه ﴾[٢] ابتداء الآية بعدها (في سورة هود).

ألا ترى أن من الإضاعة لدقائق الشعر أن يلقيه ملقيه على مسامع الناس دون وقف عند قوافيه، فإن ذلك إضاعة جهود الشعراء، وتغطية على محاسن الشعر، وإلحاق للشعر بالنثر.

وان إلقاء السجع دون وقوف عند أسجاعه، هو كذلك لامحالة.

ومن السذاجة أن ينصرف ملقي الكلام عن محافظة هذه الدقائق فيكون مضيعاً لأمر نفيس أجهد فيه قائله نفسه وعنايته.

والعلة بأنه يريد أن يبين للسامعين معاني الكلام، فضول، فإن البيان وظيفة ملقي درس لا وظيفة منشد الشعر، ولوكان هو الشاعر نفسه.

وفي الإتقان عن أبي عمرو، قال بعضهم: الوقف على رؤوس الآي سنة. وفيه عن البيهقي في شعب الإيمان: الأفضل الوقف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بمابعدها، اتباعا لهدي رسول الله ﷺ وسنته، وفي سنن أبي داود عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾. ثم يقف ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .ثم يقف. ﴿ الرحمن الرحيم ﴾[٣] ثم يقف.

على أن وراء هذا وجوبَ اتّباع المأثور من تحديد الآي كما قال ابن العربي والزمخشري، ولكن ذلك لايصدنا عن محاولة ضوابط تنفع الناظر وإن شذ عنها ما شذ.

ألا ترى أن بعض الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور قد عد بعضها آيات،

---

١. سورة غافر: الآية ٧١ـ٧٤.
٢. سورة هود: الآية ٥٤ـ٥٥.
٣. سورة الحمد: الآية ١ـ٣.

مثل: آلم. آلمص. كهيعص. عسق. طسم. يس. حم. طه.

ولم تعد آلر. آلمر. طس. ص. ق. ن. آيات.

وآيات القرآن متفاوتة في مقادير كلماتها فبعضها أطول من بعض، ولذلك فتقدير الزمان بها في قولهم مقدار ما يقرأ القارىء خمسين آية مثلاً، تقدير تقريبي، وتفاوت الآيات في الطول تابع لما يقتضيه مقام البلاغة من مواقع كلمات الفواصل على حسب ما قبلها من الكلام.

وأطول آية قوله تعالى: ﴿ **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام - إلى قوله - وكان الله بكل شيء عليماً** ﴾[1] في سورة الفتح، وقوله: ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان - إلى قوله - لو كانوا يعلمون** ﴾[2] في سورة البقرة.

ودونهما قوله تعالى: ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم - إلى قوله - إن الله كان غفورا رحيما** ﴾[3] في سورة النساء.

وأقصر آية في عدد الكلمات قوله تعالى: ﴿ **مُدهَامَّتَان** ﴾[4]. في سورة الرحمان، وفي عدد الحروف المقطعة قوله: «طه».

وأما وقوف القرآن فقد لاتُساير نهايات الآيات، ولا ارتباط لها بنهايات الآيات، فقد يكون في آية واحدة عدة وقوف كما في قوله تعالى: ﴿ **إليه يرد علم الساعة (وقف) وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه (وقف) ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منّا من شهيد** ﴾[5]. (وقف، ومنتهى الآية) في سورة فصلت »[6].

قال الطباطبائي (ره): « ونظيره القول في الآية فقد تكرر في كلامه تعالى إطلاق الآية على قطعة من الكلام كقوله: ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً** ﴾[7] وقوله: ﴿ **كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً** ﴾[8]، وقد روي عن ام سلمة: أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس

---

١. سورة الفتح: الآية ٢٥ـ٢٦. هكذا عنه مصحفنا.
٢. سورة البقرة: الآية ١٠٢.
٣. سورة النساء: الآية ٢٣.
٤. سورة الرحمن: الآية ٦٤.
٥. سورة فصلت: الآية ٤٧.
٦. التحرير والتنوير ج ١ ص ٧٤ـ٧٧
٧. سورة الانفال: الآية ٢.
٨. سورة فصلت: الآية ٣.

الآي، وصح أن سورة الحمد سبع آيات، وروي عنه ﷺ: أن سورة الملك ثلاثون آية، إلى غير ذلك مما يدل على وقوع العدد على الآيات في كلام النبي ﷺ.

والذي يعطيه التأمل في انقسام الكلام العربي إلى قطع وفصول بالطبع، وخاصة فيما كان من الكلام مسجعاً، ثم التدبر فيما ورد عن النبي وآله ﷺ في أعداد الآيات؛ أن الآية من القرآن هي قطعة من الكلام من حقها أن تعتمد عليها التلاوة بفصلها عما قبلها وعما بعدها.

ويختلف ذلك باختلاف السياقات وخاصة في السياقات المسجعة، فربما كانت كلمة واحدة كقوله: ﴿ مدهامتان ﴾ [١]، وربما كانت كلمتين فصاعداً كلاماً أو غير كلام كقوله: ﴿ الرحمان علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾ [٢].

وقوله: ﴿ الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة ﴾ [٣] وربما طالت كآية الدين من سورة البقرة آية: ٢٨٢» [٤]

ـ في عدد آيات القرآن

قال الطبرسي (ره) في تعداد آي القرآن والفائدة في معرفتها:

«اعلم! أن عدد أهل الكوفة أصح الأعداد وأعلاها إسناداً لأنه مأخوذ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ، وتعضده الرواية الواردة عن النبي ﷺ أنه قال: «فاتحة الكتاب سبع آيات إحداهن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾».

وعدد أهل المدينه منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القعقاع القاري، وشيبة بن نصاح وهما المدني الأول، وإلى إسماعيل بن جعفر وهو المدني الأخير. وقيل: المدني الأول، هو الحسن بن علي بن أبي طالب وعبدالله بن عمر، والمدني الأخير أبو جعفر وشيبة وإسماعيل، والأول أشهر.

وعدد أهل البصرة منسوب إلى عاصم بن أبي الصباح الجحدري وأيوب بن المتوكل،

---

١. سورة الرحمن: الآية ٦٤.
٢. سورة الرحمن: الآية ١ ـ ٤.
٣. سورة الحاقة: الآية ١ ـ ٣.
٤. الميزان: ج ١٣ ص ٢٣١.

لا يختلفان إلاّ في آية واحدة فـي سـورة ص قـوله : ﴿ فـالحق والحـق أقـول ﴾[١] عـدها الجحدري ، وتركها أيوب .

وعدد أهل مكة منسوب إلى مجاهد بن جبر، وإلى إسماعيل المكي، وقيل : لا ينسب عددهم إلى أحد ، بل وجد في مصاحفهم على رأس كل آية ثلاث نقط .

وعدد أهل الشام منسوب إلى عبدالله بن عامر.

والفائدة في معرفة آي القرآن؛ ان القارىء إذا عدها بأصابعه كان أكثر ثواباً ، لأنـه قـد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه، والحري أن تشهد له يوم القيامة ، فـإنها مـسؤولة ولأن ذلك أقرب إلى التحفظ ، فإن القارىء لا يأمن من السهو، وقد روى عبدالله بن مسعود عـن النبي ﷺ أنه قال : « تعاهدوا القرآن فإنه وحشي » وقال عـليه الصـلاة والسـلام لبـعض النسـاء : «اعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات» وقال حمزة بن حبيب وهو أحد القراء السبعة : العدد مسامير القرآن »[٢].

قال ابن كثير :

« فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية ، ثم اختلف فـيما زاد عـلى ذلك عـلى أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم مـن قـال: ومـائتا آيـة وأربـع آيـات ، وقـيل: وأربع عشرة آية . وقيل: ومائتان وتسع عشرة آية، وقيل: ومائتان وخمس وعشرون آية، أو ست وعشرون آية ، وقيل : ومائتان وست وثلاثون ، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان »[٣].

قال القرطبي : « وأما عدد آى القرآن فى المدنىّ الأوّل ، فقال محمد بن عيسى: جـميع عدد آى القرآن فى المدنى الأوّل ستة آلاف آية. قال أبو عمرو : وهو العدد الذى رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة ، ولم يسمّوا فى ذلك أحدا بعينه يسندونه إليه .

وأما المدنىّ الأخير فهو فى قول إسماعيل بن جعفر: ستة آلاف آية ومائتا آيـة وأربـع عشرة آية . وقال الفضل: عدد آى القرآن فى قول المكيين ستة آلاف آية ومائتا آية وتسع

١. سورة ص : الآية ٨٤.
٢. مجمع البيان ج ١ ص ٧٧ ـ ٧٨.
٣. تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣.

عشرة آية. قال محمد بن عيسى : وجميع عدد آى القرآن فى قول الكوفيين ستة آلاف آية ومائتا آية وثلاثون وست آيات ، وهو العدد الذى رواه سليم والكسائى عن حمزة ، وأسنده الكسائى إلى علىّ رضى الله عنه . قال محمد : وجميع عدد آى القرآن فى عدد البصريين ستة آلاف ومائتان وأربع آيات، وهو العدد الذى مضى عليه سلفهم حتى الآن . وأما عدد أهل الشام فقال يحيى بن الحارث الذّمارى : ستة آلاف ومائتان وست وعشرون . فى رواية ستة آلاف ومائتان وخمس وعشرون ؛ نقص آية. قال ابن ذكوان : فظننت أن يحيى لم يعدّ «بسم الله الرحمن الرحيم» . قال أبو عمرو: فهذه الأعداد التى يتداولها الناس تأليفا، ويعدّون بها فى سائر الآفاق قديما وحديثا »[١].

قال ابن عاشور: « فأما ما اختلف السلف فيه من عدد آيات القرآن بناء على الاختلاف فى نهاية بعضها ، فقد يكون بعض ذلك عن اختلاف فى الرواية كما قدمنا آنفا ، وقد يكون بعضه عن اختلاف الاجتهاد .

قال أبو عمرو الدانى فى كتاب العدد : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن يبلغ ستة آلاف آية ، واختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال: ومائتين وأربع آيات ، وقيل: وأربع عشرة ، وقيل: وتسع عشرة ، وقيل: وخمسا وعشرين ، وقيل وستا وثلاثين ، وقيل وستمائة وستّ عشرة .

قال المازرى فى شرح البرهان : قال مَكّىُّ بن أبى طالب: قد أجمع أهل العدد من أهل الكوفة والبصرة والمدينة والشام على ترك عد البسملة آية فى أول كل سورة، وإنما اختلفوا فى عدها وتركها فى سورة الحمد الحمد لا غير ، فعدّها آيةً الكوفىُّ والمكىُّ ولم يعُدَّها آية البَصرى ولا الشامىُّ ولا المدنىُّ .

وفى الإتقان كلامٌ فى الضابط الأول من الضوابط غيرُ محرر وهو آيل إلى ما قاله المازرى، ورأيت فى عد بعض السور أن المصحف المدنى عدَّ آيَها أكثر مما فى الكوفى ، ولو عنوا عد البسملة لكان الكوفى أكثر .

وكان لأهل المدينة عددان ، يعرف أحدهما بالأول ويعرف الآخر بالأخير، ومعنى ذلك

١. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٦٤ـ ٦٥.

أن الذين تصدوا لعد الآى بالمدينة من أئمة القراء هم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأبو نصاح شيبة بن نصاح، وأبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السُلمى، وإسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصارى، وقد اتفق هؤلاء الأربعة على عدد وهو المسمى بالعدد الأول، ثم خالفهم إسماعيل بن جعفر بعدد انفرد به وهو الذى يقال له العدد الثانى، وقد رأيت هذا ينسب إلى أيوب بن المتوكل البصرى المتوفى سنة ٢٠٠.

ولأهل مكة عدد واحد، وربما اتفقوا فى عدد آى السورة المعينة، وربما اختلفوا، وقد يوجد اختلاف تارة فى مصاحف الكوفة والبصرة والشام، كما نجد فى تفسير المهدوى وفى كتب علوم القرآن، ولذلك تجد المفسرين يقولون فى بعض السور: عدد آيتها فى المصحف الفلانى كذا. وقد كان عدد آى السور معروفا فى زمن النبىء ﷺ: وروى محمد بن السائب عن ابن عباس أنه لما نزلت آخر آية وهي قوله تعالى: ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾ الآية، قال جبريل للنبىء ﷺ: ضعها فى رأس ثمانين ومائتين من سورة البقرة. واستمر العمل بِعَدِّ الآى فى عصر الصحابة، ففى صحيح البخارى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ﴾ »[١].

قال الخطيب في عدد آيات القرآن:

« وكان من اهتمام المسلمين بالقرآن، وحرصهم عليه أن أحصوه آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً ... ونسجل هنا هذا الجهد المشكور لعلماء القرآن رضى الله عنهم.

عدد آيات القرآن:

اختلف الدارسون للقرآن فى إحصاء آياته ...

فقال بعضهم: هى ستة آلاف آية.

وقال آخرون: ستة آلاف آية ومئتان وأربع آيات.

وقيل: ستة آلاف ومئتان وأربع عشرة آية.

وقيل: ستة آلاف ومئتان وتسع عشرة آية.

وقيل: ستة آلاف ومئتان وخمس وعشرون أو ست وعشرون أو ست وثلاثون ... »[٢].

---

١. التحرير والتنوير ج ١ ص ٧٧ ـ ٧٨.

٢. التفسير القراني للقرآن ج ١ ص ١٥.

قال الطباطبائي (ره) : « وأما عدد الآي فلم يرد فيه نص متواتر يعرف الآي ويميز كل آية من غيرها ولا شيء من الآحاد يعتمد عليه ، ومن أوضح الدليل على ذلك اختلاف أهل العدد فيما بينهم ، وهم المكيون والمدنيون والشاميون والبصريون والكوفيون .

فقد قال بعضهم : إن مجموع القرآن ستة آلاف آية ، وقال بعضهم : ستة آلاف ومائتان وأربع آيات ، وقيل : واربع عشرة ، وقيل : وتسع عشرة ، وقيل : وخمس وعشرون ، وقيل : وست وثلاثون .

وقد روى المكيون عددهم عن عبداب بن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب، وللمدنيين عددان ينتهي أحدهما إلى أبي جعفر مرثد[١] بن القعقاع وشيبة بن نصاح ، والآخر إلى اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ، وروى أهل الشام عددهم عن أبي الدرداء ، وينتهي عدد أهل البصرة الى عاصم بن العجاج الجحدري ، ويضاف عدد أهل الكوفة إلى حمزة والكسائي وخلف ، قال حمزة : أخبرنا بهذا العدد ابن أبي ليلى عن أبي عبدالرحمان السلمي عن علي بن أبي طالب .

وبالجملة لما كانت الأعداد لا تنتهي إلى نص متواتر أو واحد يعبأ به ويجوز الركون إليه ، وتتميّز به كل آية عن أُختها لا ملزم للاخذ بشيء منها فما كان منها بينا ظاهر الأمر فهو وإلا فللباحث المتدبر أن يختار ما أدى إليه نظره .

والذي روي عن علي عليه السلام من عدد الكوفيين معارض بأن البسملة غير معدودة في شيء من السور ما خلا فاتحة الكتاب من آياتها، مع أن المروي عنه عليه السلام وعن غيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام : أن البسملة آية من القرآن وهي جزء من كل سورة افتتحت بها، ولازم ذلك زيادة العدد بعدد البسملات.

وهذا هو الذي صرفنا عن إيراد تفاصيل ما ذكروه من العد ههنا ، وذكر ما اتفقوا على عدده من السور القرآنية وهي أربعون سورة وما اختلفوا في عدده أو في رؤوس آيه من السور وهي أربع وسبعون سورة ، وكذا ما اتفقوا على كونه آيةً تامة أو على عدم كونه آية مثل : «الر» أينما وقع من القرآن وما اختلف فيه ، وعلى من أراد الاطلاع على تفصيل ذلك أن يراجع مظانه » [٢].

---

١ . هكذا في نسختنا ولكن الصحيح يزيد بن القعقاع.
٢ . الميزان ج ١٣ ص ٢٣٢ _ ٢٣٣ .

معنى الكلمة والحرف
واعدادهما في القرآن

قال النيشابوري: «أما الكلمة فإن تراكيب ك ل م تفيد القوة والشدة، وتقاليب هذه الحروف الثلاثة بحسب الإشتقاق الكبير ستة: واحد مهمل والبواقي معتبرة، منها: ك ل م، فمنه الكلام لأنه يقرع السمع ويؤثر فيه، وأيضاً يؤثر في الذهن بواسطة إفادة المعنى، ومنه الكلم للجرح، وفيه شدة.

ومنها: ك م ل لأن الكامل أقوى من الناقص.

ومنها: ل ك م ومعنى الشدة في اللاكم واضح.

ومنها: م ك ل ومنه بئر مكول: إذا قل ماؤها، وإذا كان كذلك كان ورودها مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها، وأيضاً إنها تدل على شدة منابعها.

ومنها: م ل ك ملكت العجين إذا أنعمت عجنه، ومنه ملك الإنسان لأنه نوع قوة.

ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظة الواحدة، وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض، ومنه قولهم للقصيدة كلمة، ومنه كلمة الشهادة، «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»، ولأن المجاز خير من الإشتراك، فإطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز، إمامن باب إطلاق الجزء على الكل، وإما من باب المشابهة، لأن الكلام المرتبط يشبه المفرد في المفرد في الوحدة، وأفعال اللّه تعالى كلماته، إما لأنه حدث بقوله: كن، أو لأنه حدث في

زمان قليل، كما تحدث الكلمة كذلك.

وعند النحويين: الكلمة لفظ وضع لمعنىً مفرد. وفائدة القيود تذكر في ذلك العلم. والكلام ماتضمن كلمتين بالإسناد. ومنكروا الكلام النفسي اتفقوا على أن الكلام اسم لهذه الألفاظ والكلمات. والأشاعرة يثبتون الكلام النفسي ويقولون:

أنَّ الكَلامَ لَفي الفُؤادِ وَ إنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسانُ عَلَى الفُؤادِ دَليلاً

وقد تسمى الكلمات والعبارات أحاديث، لأن كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبتها، قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾[١]، وجمع الكلمة كلم، والتاء في الكلمة ليست للوحدة كاللبنة واللبن والرطبة والرطب، لأن الرطب واللبن مذكر، والكلم مؤنث، وتصغير رطب رطيب، وتصغير كلم كليمات بالرد إلى كلمة ثم جمعه بالألف والتاء، وقد يكون الكلام مصدراً بمعنى التكليم كالسلامة بمعنى التسليم. قال تعالى: ﴿ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾[٢] فسره ابن عباس، بتكليم الله موسى وقت المناجاة». [٣]

قال القرطبي: «وأما الكلمة: فهي الصورة القائمة بجميع مايختلط بها من الشّبهات[٤] أي الحروف، وأطول الكلم في كتاب الله عز وجل مابلغ عشرة أحرف، نحو قوله تعالى: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾[٥]. و ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾[٦] وشبههما، فأما قوله: «فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ[٧]» فهو عشرة أحرف[٨] في الرسم، وأحد عشر في اللفظ. وأقصرهن ما كان على حرفين نحو ما ولا ولك وله، وما أشبه ذلك. ومن حروف المعاني ما هو على كلمة واحدة، مثل همزة الإستفهام وواو العطف، إلا أنه لاينطق به مفردا. وقد تكون الكلمة وحدها آية تامة نحو قوله تعالى: «وَالْفَجْرِ». «وَالضُّحىٰ». «وَالْعَصْرِ». وكذلك «آلم». و «آلمص». و «طه». و «يٰس». و «حٰم» في قول الكوفيين، وذلك في فواتح السور، فأما في حشوهن فلا. قال أبو عمرو الداني: ولا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله في الرحمن: ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[٩]

---

١. سورة الطور: الآية ٣٤.
٢. سورة البقرة: الآية ٧٥.
٣. غرائب القرآن ج ١ ص ٢٩ ـ ٣٠.
٤. لم تر هذا التعبير لغير المؤلف.
٥. سورة النور: الآية ٥٥.
٦. سورة هود: الآية ٢٨.
٧. سورة الحجر: الآية ٢٢.
٨. كأنه اعتبر هاء الضمير كلمة أخرى في الرسم فقط.
٩. سورة الرحمن: الآية ٦٤.

لا غير . وقد أتت كلمتان متصلتان وهما آيتان، وذلك في قوله: « حٰمٓ عٓسٓقٓ » على قول الكوفيين لا غير . وقد تكون الكلمة في غير هذا : الآيةَ التامة ، والكلام القائم بنفسه ، وإن كان أكثر أو أقل ، قال اللّه عز وجل : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [١] . قيل: إنما يعني بالكلمة هاهنا قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [٢] إلى آخر الآيتين ، وقال عز وجل: « وَأَلْزَمَهُمْ [٣] كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ » . قال مجاهد : لا إله إلا اللّه . وقال النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان اللّه وبحمده سبحان اللّه العظيم » . وقد تسمي العرب القصيدة بأسرها، والقصة كلها؛ كلمة. فيقولون: قال قُسٌّ في كلمته كذا، أي في خطبته، وقال زُهير في كلمته كذا، أي في قصيدته، وقال فلان في كلمته يعنى في رسالته، فتسمى جملة الكلام كلمة إذ كانت الكلمة منها، على عادتهم في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره وكان بسبب منه ، مجازاً واتساعاً» [٤] .

ـ معنى الحرف

قال القرطبي : «وأما الحرف فهو الشبهة القائمة وحدها من الكلمة ، وقد يُسمَّىٰ الحرف كلمة والكلمة حرفاً على ما بيناه من الإتساع والمجاز . قال أبو عمرو الداني : فإن قيل فكيف يسمىٰ ما جاء من حروف الهجاء في الفواتح على حرف واحد نحو : « ص » و« ق » و« ن » حرفاً أو كلمة ؟ قلت :كلمة لا حرفاً ، وذلك من جهة أن الحرف لايسكت عليه ، ولاينفرد وحده في الصورة ولاينفصل مما يختلط به ، وهذه الحروف مسكوت عليها منفردة منفصلة كانفراد الكلم وانفصالها ، فلذلك سُمِّيت كلمات لا حروفا . قال أبو عمرو: وقد يكون الحرف في غير هذا : المذهب والوجهَ ، قال اللّه عزّ وجلّ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [٥] أي على وجه ومذهب ، ومن ذلك قول النبي ﷺ: « أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف » أي سبعة أوجه من اللغات ، واللّه أعلم» [٦] .

---

١. سورة الأعراف : الآية ١٣٧.
٢. سورة القصص : الآية ٥.
٣. سورة الفتح آية ٢٦.
٤. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٦٧ ـ ٦٨.
٥. سورة الحج : الآية ١١.
٦. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٧ – ٦٨.

قال النيشابوري : «وأما الحرف ، فهو الواحد من حروف المعجم ، سمي حرفا لقلته ودقته ، ولذلك قيل : حرف الشيء لطرفه ، لأنه آخره والقليل منه . والحرف أيضاً : الناقة المهزولة ، وقد يقال للسمينة أيضاً : حرف ، فهو من الأضداد . والحرف : اللغة أيضاً ، قال عليه الصلاة والسلام « أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف » والحرف أيضاً : القراءة بكمالها ، والقصيدة بتمامها . والحرف أيضاً : أحد أقسام الكلمة ، وذلك أن الكلمة إن احتاجت في الدلالة علىٰ معناها الإفرادي إلى ضميمة ، نحو : من وقد فهو حرف ، وإلا فإن كانت في أصل الوضع بهيئتها التصريفية علىٰ أحد الأزمنة الثلاثة الماضي والحال والإستقبال ، فهو فعل نحو نصر وينصر ، وإلا فهو اسم كالإنسان فإن معناه لايقترن بالزمان أصلا ، ومثل اليوم والساعة والزمان فإن الزمان كل معناه ، ومثل الصبوح والغبوق لأن الزمان جزء معناه ، ومثل علم وجهل وضرب فإن معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ، ومثل ضارب ومضروب فإنه لو سلم أن معناه يدل علىٰ الزمان بحسب الهيئة ، إذ لكل منهما هيئة مخصوصة ، لكنها ليست في أصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو : عسى ، مما لايدل على زمان ، لأن تجرده عن الزمان غرض لغرض الإنشاء ، ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين ؛ الحال والإستقبال ، لأن قولنا بأحد الأزمنة تحديد لأدنى درجات الإقتران ولو سلم إنه يجب الإقتران بأحد الازمنة فقط فذلك في أصل الوضع ، ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر مجازاً »[1] .

١ . غرائب القرآن ج ١ ص ٣٠ .

ـ عدد الكلمات والحروف فى القرآن

قال القرطبى :

« وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان : جميع كلمات القرآن ـ فى قول عطاء بن يسار ـ سبعة وسبعون ألفا وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ؛ وحروفه ثلثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا.

قلت: هذا يخالف ما تقدّم عن الحمانى قبل هذا. وقال عبدالله بن كثير عن مجاهد قال : هذا ما أحصينا من القرآن ، وهو ثلثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفا ، وهذا يخالف ما ذكره قبل هذا عن الحمانى من عدّ حروفه »[1].

قال القرطبى : « وأما عدد حروفه وأجزائه فروى سلام أبو محمد الحمانى أن الحجاج بن يوسف جمع القرّاء والحفاظ والكُتّاب، فقال: أخبرونى عن كله كم من حرف هو ؟ . قال : وكنت فيهم ، فحسبنا فأجمعنا على أن القرآن ثلثمائة ألف حرف وأربعون ألف حرف وسبعمائة حرف وأربعون حرفا. قال : فأخبرونى إلى أىّ حرف ينتهى نصف القرآن؟ فإذا هو فى الكهف ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ فى الفاء . قال : فأخبرونى بأثلاثه ؛ فإذا الثلث الأوّل رأس مائة من براءة ، والثلث الثانى رأس مائة أو إحدى ومائة من طسم الشعراء، والثلث الثالث ما بقى من القرآن. قال : فأخبرونى بأسباعه على الحروف ؛ فإذا أوّل سبع فى النساء ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ ﴾ فى الدال ، والسبع الثانى فى الأعراف ﴿ أُولَئِكَ حَبِطَتْ ﴾ فى التاء ، والسبع الثالث فى الرعد ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ فى الألف من آخر أكلها ، والسبع الرابع فى الحج ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ﴾ فى الألف، والسبع الخامس فى الأحزاب ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ ﴾ فى الهاء ، والسبع السادس فى الفتح ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ فى الواو ، والسبع السابع ما بقى من القرآن .

قال سلام أبو محمد : عملناه فى أربعة أشهر ، وكان الحجاج يقرأ فى كل ليلة ربعا ، فأوّل ربعه خاتمة الأنعام . والربع الثانى فى الكهف ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ ، والربع الثالث خاتمة الزُّمَر ، والربع الرابع ما بقى من القرآن . وفى هذه الجملة خلاف مذكور فى كتاب البيان لأبى عمرو

---

١. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٦٥.

الدّاني، من أراد الوقوف عليه وجده هناك »[١].

قال ابن كثير: « وأما كلماته ، فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة. وأما حروفه ، فقال عبدالله بن كثير عن مجاهد : هذا ما أحصينا من القرآن وهو ثلثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفاً، وقال الفضل بن عطاء بن يسار ثلثمائة ألف حرف. وقال سلام أبو محمد الحماني : ان الحجاج جمع ثلاثة وعشرين ألفاً وخمسة عشر حرفاً»[٢].

قال الخطيب : « عدد كلماته :

أجمع العلماء على أن عدد كلمات القرآن سبع وسبعون ألفاً وأربع مئة وسبع وثلاثون كلمة .

عدد حروفه :

وأما عدد حروفه فهي ثلاثمئة وواحد وعشرون ألف حرف .

وقيل : إن الحجاج بن يوسف جمع القراء والحفاظ والكتّاب ، فقال لهم : أخبروني عن القرآن كله ،كم من حرف هو ؟ فأجمعوا على أنه ثلاثمئة وأربعون ألفاً وسبع مئة وأربعون حرفاً .

قال : فأخبروني عن نصفه ...

قالوا : عند الفاء من قوله تعالى في سورة الكهف ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾[٣]»[٤].

---

١. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٦٤.
٢. تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣ ـ ١٤.
٣. سورة الكهف : الآية ١٩.
٤. التفسير القرآني للقرآن ج ١ ص ١٥.

معنى الحزب وحدوده

قال ابن تيمية : « والمقصود بهذا الفصل أنه إذا كان التحزيب المستحب مابين أسبوع إلى شهر ـ وإن كان قد روى ، مابين ثلاث إلى أربعين ـ فالصحابة إنما كانوا يحزبونه سوراً تامة ، لايحزبون السورة الواحدة ، كما روى أوس بن حذيفة ، قال : قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف علي المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له ، قال : وكان كل ليلة يأتينا بعد العشاء ، يحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام ، وأكثر مايحدثنا مالقى من قومه من قريش ، ثم يقول : لا سواء كنا مستضعفين مستذلين بمكة ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا ، فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت عنا الليلة ، قال : إنه طرأ علي حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجيء حتى أتمه [1] .

---

١ . أورد ابن الأثير هذه القصة بأكملها في ترجمته لأوس ابن حذيفة فقال قال حذيفة « قدمنا وفد ثقيف على رسول اللّه ﷺ فنزل الأحلافيون على المغيرة بن شعبة ، وأنزل المالكيين قبته . وكان رسول اللّه يأتينا يحدثنا بعد العشاء الأخيرة حتى يراوح بين قدميه من قدميه من طول القيام. وكان أكثر مايحدثنا اشتكاء قريش. يقول كنا بمكة مستذلين مستضعفين فلما قدمنا المدينة انتصفنا من القوم . فكانت (الحرب) سجال لنا وعلينا . يقول حذيفة : احتبس عنا (الرسول) ليلة عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ثم أتانا فقلنا: يا رسول اللّه : احتبست عنا الليلة عن الوقت الذي كنت تأتينا فيه. فقال رسول اللّه ﷺ: إنه طرأ علي حزبي من القرآن فاحببت ألا أخرج حتى أقضيه .

قال حذيفة: فلما أصبحنا سألنا أصحاب رسول اللّه عن أحزاب القرآن كيف يحزبونه ... إلخ » .

أنظر بالإضافة إلى أبي داود وابن ماجة : ابن الأثير في أسد الغابة ج ١ ص ١٦٧ .

قال أوس : سألت أصحاب رسول الله ﷺ : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل واحد [١]. رواه أبو داود وهذا لفظه ، وأحمد وابن ماجه ، وفي رواية للإمام أحمد قالوا : نحزبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدىٰ عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم . ورواه الطبراني في معجمه فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ : كيف كان رسول الله ﷺ يحزب القرآن ؟ فقالوا : كان رسول الله ﷺ يحزبه ثلاثاً ، وخمساً ، فذكره .

وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبدالله بن عمرو ، في أن المسنون كان عندهم قراءته في سبع ، ولهذا جعلوه سبعة أحزاب ، ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة ، وفيه أنهم حزبوه بالسور ، وهذا معلوم بالتواتر ، فإنه قد علم أن أول ما جزيء القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين ، وثلاثين ، وستين . هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة ، وأثناء القصة ونحو ذلك ، كان في زمن الحجاج ومابعده ، وروي أن الحجاج أمر بذلك . ومن العراق فشا ذلك ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك .

وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثة من عهد الحجاج بالعراق ، فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر ، فإنهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون : خمسون آية ، ستون آية . وتارة بالسور ، لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد ولا ذكره أحد فتعين التحزيب بالسور .

فإن قيل : فترتيب سور القرآن ليس هو أمراً واجباً منصوصاً عليه وإنما هو موكول إلى الناس ، ولهذا اختلف ترتيب مصاحف الصحابة رضي الله عنهم ، ولهذا في كراهة تنكيس السور روايتان عن الإمام أحمد . « إحداهما » يكره لأنه خلاف المصحف العثماني المتفق عليه . و « الثانية » لايكره كما يلقنه الصبيان ، إذ قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قرأ بالبقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران .

قيل : لا ريب أن قراءة سورة بعد سورة لابد أن يكون مرتباً ، أكثر ما في الباب أن الترتيب يكون أنواعاً ، كما أنزل القرآن علىٰ أحرف ، وعلىٰ هذا فهذا التحزيب يكون تابعاً لهذا

١ . حزب المفصل يبدأ من سورة محمد إلى آخر القرآن ، وانظر القاموس المحيط مادة « فصل » .

الترتيب، ويجوز أيضاً أن يكون هذا التحزيب مع كل ترتيب، فإنه ليس في الحديث تعيين السور.

وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن، لوجوه:

أحدها: أن هذه التحزيبات المحدثة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيحصل القارىء في اليوم الثاني مبتدئاً بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ﴾[١] وقوله: ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله ﴾[٢] وأمثال ذلك. ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض ـ حتى كلام المتخاطبين ـ حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾[٣].

ومثل هذه الوقوف لايسوغ ـ في المجلس الواحد إذا طال ـ الفصل بينها بأجنبي، ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي لم يسغ باتفاق العلماء، ولو تأخر القبول عن الإيجاب بمثل ذلك بين المتخاطبين لم يسغ ذلك بلا نزاع، ومن حكى عن أحمد خلاف ذلك فقد أخطأ، كما أخطأ من نقل عن ابن عباس في الأول خلاف ذلك، وذلك أن المنقول عن أحمد أنه فيما إذا كان المتعاقدان غائبين، أو أحدهما غائب والآخر حاضرا فينقل الإيجاب أحدهما إلى الآخر، فيقبل في مجلس البلاغ وهذا جائز، بخلاف ما إذا كانا حاضرين، والذي في القرآن نقل كلام حاضرين متجاوزين، فكيف يسوغ أن يفرق هذا التفريق لغير حاجة؟ بخلاف ما إذا فرق في التلقين لعدم حفظ المتلقن ونحو ذلك.

والثاني: أن النبي ﷺ كانت عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة (ق) ونحوها، وكما كان عمر يقرأ بـ«يونس» و «يوسف» و «النحل». ولما قرأ ﷺ بسورة «المؤمنون» في الفجر أدركته سعلة فركع في أثنائها. وقال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي فأخفف لما أعلم من وجد أمه به».

---

١. سورة النساء: الآية ٢٤.
٢. سورة الاحزاب: الآية ٣١.
٣. سورة الكهف: الآية ٧٥.

وأما « القراءة بأواخر السور وأوساطها » فلم يكن غالبا عليهم ، ولهذا يتورع في كراهة ذلك ، وفيه النزاع المشهور في مذهب أحمد وغيره ، ومن أعدل الأقوال قول من قال : يكره اعتياد ذلك دون فعله أحياناً ، لئلا يخرج عما مضت به السنة ، وعادة السلف من الصحابة والتابعين .

وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئة فيه مخالفة للسنة أعظم مما في قراءة آخر السورة ووسطها في الصلاة ، وبكل حال فلا ريب أن التجزئة والتحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسن .

و المقصود ، أن التحزيب بالسورة التامة أولى من التحزيب بالتجزئة .

الثالث : أن التجزئة المحدثة لا سبيل ـ فيها ـ إلى التسوية بين حروف الأجزاء ، وذلك لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان ، يزيد كل منهما على الآخر من وجه دون وجه ، وتختلف الحروف من وجه ، وبيان ذلك بأمور :

أحدها ـ إن ألفات الوصل ثابتة في الخط ، وهي في اللفظ ، تثبت في القطع وتحذف في الوصل ، فالعادُّ إن حسبها انتقض عليه حال القارىء إذا وصل وهو الغالب فيها ، وإن أسقطها انتقض عليه بحال القارىء القاطع ، وبالخط .

الثاني ـ أن الحرف المشدد حرفان في اللفظ ، أولهما ساكن وهذا معروف بالحس واتفاق الناس ، وهما متماثلان في اللفظ ، وأما في الخط فقد يكونان حرفاً واحداً مثل (إياك) و (إياك) وقد يكونان حرفين مختلفين مثل : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ﴾[1] ، و (حينئذ) و (قد سمع) ، فالعاد إن حسب اللفظ فالإدغام إنما يكون في حال الوصل دون حال القطع ، ويلزمه أن يجعل الأول من جنس الثاني ، وهذا مخالف لهذا الحرف المعاد بها . وإن حسب الخط كان الأمر أعظم اضطراباً . فإنه يلزمه أن يجعل ذلك تارةً حرفاً وتارةً حرفين مختلفين ، وهذا وإن كان هو الذي يتهجىٰ فالنطق بخلافه .

الثالث ـ أن تقطيع حروف النطق من جنس تقطيع العروضيين ، وأما حروف الخط

---

١. سورة الحمد : الآية ٣ ، ٦ ـ ٧ .

فيخالف هذا من وجوه كثيرة، والناس في العادة إنما يتهجون الحروف مكتوبة لا منطوقة، وبينهما فرق عظيم.

الرابع ـ أن النطق بالحروف ينقسم إلى ترتيل وغير ترتيل، ومقادير المدات والأصوات من القراء غير منضبطة، وقد يكون في أحد الحزبين من حروف المد أكثر مما في الآخر فلا يمكن مراعاة التسوية في النطق، ومراعاة مجرد الخط لا فائدة فيه، فإن ذلك لا يوجب تسوية زمان القراءة.

وإذا كان تحزيبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحديد، كان ذلك من جنس تجزئته بالسور هو أيضاً تقريب، فإن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض الحروف، وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والإفتتاح بما فتح اللّه به السورة، والإختتام بما ختم به، وتكميل المقصود من كل سورة ماليس في ذلك التحزيب. وفيه أيضاً من زوال المفاسد الذي في ذلك التحزيب ماتقدم التنبيه على بعضها، فصار راجحاً بهذا الإعتبار.

ومن المعلوم أن طول العبادة وقصرها يتنوع بتنوع المصالح، فتستحب إطالة القيام تارة وتخفيفه أخرى في الفرض والنفل بحسب الوجوه الشرعية، من غير أن يكون المشروع هو التسوية بين مقادير ذلك في جميع الأيام. فعلم أن التسوية في مقادير العبادات البدنية في الظاهر لا اعتبار به إذا قارنه مصلحة معتبرة، ولا يلزم من التساوي في القدر التساوي في الفضل، بل قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أن ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾[1] تعدل ثلث القرآن[2]، وثبت في الصحيح أن فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلها[3]، وثبت في الصحيح أن آية الكرسي أعظم آية في

---

١. سورة الاخلاص: الآية ١.

٢. ورد الحديث في البخاري عن أبي سعيد الخدري ولفظه: ... والذي نفسي بيده أنها ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ لتعدل ثلث القرآن. أنظر البخاري ج ٦ ص ٢٣٣ (كتاب فضائل القرآن. فضل قل هو اللّه أحد).

٣. ورد الحديث في البخاري ج ٦ ص ٢٠٠ (كتاب التفسير. باب ماجاء في فاتحة الكتاب). الترمذي (ثواب القرآن). ابن حنبل ج ٤ ص ٣١١.

القرآن [١]، وأمثال ذلك .

فإذا قرأ القارىء في اليوم الأول البقرة ، وآل عمران ، والنساء بكمالها ، وفي اليوم الثاني إلى آخر براءة ، وفي اليوم الثالث إلى آخر النمل ؛ كان ذلك أفضل من أن يقرأ في اليوم الأول إلى قوله : ﴿ بليغاً ﴾[٢] وفي اليوم الثاني إلى قوله : ﴿ إنا لانضيع أجر المصلحين ﴾[٣] فعلى هذا إذا قرأه كل شهر كما أمر به النبي ﷺ عبدالله بن عمرو أولاً عملا على قياس تحزيب الصحابة ، فالسورة التي تكون نحو جزء أو أكثر بنحو نصف أو أقل بيسير يجعلها حزباً كآل عمران، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف .

وأما البقرة فقد يقال : يجعلها حزباً وإن كانت بقدر حزبين وثلث ، لكن الأشبه أنه يقسمها حزبين للحاجة ، لأن التحزيب لابد أن يكون متقارباً ، بحيث يكون الحزب مثل الأجزاء ومثله مرة ودون النصف ، وأما إذا كان مرتين وشيئاً فهذا تضعيف وزيادة .

وعلى هذا فإلى الأعراف سبعة أجزاء ، والأنفال جزء ، وبراءة جزء ، فإن هذا أولى من جعلها جزءاً ، لأن ذلك يفضي إلى أن يكون نحو الثلث في ثمانية . والذي رجحناه يقتضي أن يكون نحو الثلث في تسعة ، وهذا أقرب إلى العدل . وتحزيب الصحابة أوجب أن يكون الحزب الأول أكثر ، ويكون إلى آخر العنكبوت العشر الثاني سورتين سورتين .

وأما يونس وهود فجزءان أيضاً أو جزء واحد ، لأنهما أول ذوات (الر) ، ويكون على هذا الثلث الأول سورة سورة ، والثاني سورتين سورتين ، لكن الأول أقرب إلى أن يكون قريب الثلث الأول في العشر الأول ، فإن الزيادة على الثلث بسورة أقرب من الزيادة بسورتين ، . وأيضاً فيكون عشرة أحزاب سورة سورة ، وهذا أشبه بفعل الصحابة ، ويوسف والرعد جزء ، وكذلك إبراهيم والحجر ، وكذلك النحل وسبحان (الاسراء) ، وكذلك الكهف ومريم، وكذلك طه والأنبياء ، وكذلك الحج والمؤمنون ، وكذلك النور والفرقان ، وكذلك ذات (طس) الشعراء والنمل والقصص ، وذات (الم) العنكبوت والروم ولقمان والسجدة جزء ، والأحزاب وسبأ وفاطر جزء ، و(يس) و (الصافات) و

---

١. أنظر (فضل آية الكرسي) في البخاري ج ٦ ص ٢٣١ (فضل سورة البقرة) .

٢. سورة النساء : الآية ٦٣ . ٣. سورة الاعراف : الآية ١٧٠ .

(ص) جزء ، والزمر وغافر.و (حم) السجدة جزء ، والخمس البواقي من آل (حم) جزء .

والثلث الأول أشبه بتشابه أوائل السور ، والثاني أشبه بمقدار جزء من تجزئة الحروف وهو المرجح . ثم « القتال » و « الفتح » و « الحجرات » و « ق » و « الذاريات » جزء ، ثم الأجزاء الأربعة المعروفة ، وهذا تحزيب مناسب مشابه لتحزيب الحروف ، واحدى عشرة سورة حزب حزب ، وإذ البقرة كسورتين ، فيكون إحدى عشرة سورة ، وهي نصيب إحدى عشرة ليلة . والله أعلم »[1] .

قال ابن كثير :

« أما التحزيب والتجزئة ، فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها ، وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن والحديث في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجة وغيرهم، عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلاث عشرة[2]، وحزب المفصل - من (ق) - حتى تختم »[3].

---

١ . دقائق التفسير ج ١ ص ٢٤-٣٦.
٢ . كذا والقاعدة في المذكر أحد عشر وثلاثة عشر وفي المؤنث أحدى عشرة وثلاث عشرة .
٣ . تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٤.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ميزان المكية والمدنية

قال هود بن محكم :

«وإن ما أُنزل بمكة وما أُنزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي. وما أُنزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو مدني. وماكان من القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو مدني، وما كان ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ففيه مكي ومدني، وأكثرُهُ مكي»[1].

قال ابن جزى :

«في السورة المكية والمدنية : اعلم ! أنّ السور المكية هى التى نزلت بمكة، ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، كما أن المدنية هى السورة التى نزلت بالمدينة ويعدّ منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة، وتنقسم السور ، ثلاثة أقسام: قسم مدنية باتفاق، وهى اثنان وعشرون سورة، وهي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، وإذا جاء نصرالله. وقسم فيها خلاف، هل هي مكية أو مدنية؟ وهى ثلاث عشرة سورة: أم القرآن ، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففون، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت،

---

١. تفسير كتاب الله العزيز ج ١ ص ٦٩.

وأرأيت، والإخلاص ، والمعوّذتين. وقسم مكية باتفاق، وهى سائر السور، وقد وقعت آيات مدنية فى سور مكية، كما وقعت آيات مكية فى سور مدنية، وذلك قليل، مختلف فى أكثره»[١].

قال عبدالقادر :

«وليعلم أن القرآن نزل في مكانين ومدتين.

فالأوليان مدة مقامه في مكة، وهي اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما، أي يوم البعثة في ١٧ رمضان سنة ٤١ من ميلاده الشريف إلى يوم الهجرة في ١ ربيع الأول سنة ٥٤ منه، وكل ما نزل في هذه المدة يسمى مكيا، وهو ست وثمانون سورة، أولها ﴿اقرأ باسم ربك﴾، وآخرها ﴿ويل للمطففين﴾.

والأخريان مدة مقامه في المدينة، أي من مغادرته مكة، فتعتبر من ١ ربيع الأول سنة ٥٤، إلى حجة الوداع في ٩ ذي الحجة السنة العاشرة من الهجرة، الموافق لسنة ٦٣ من ميلاده الشريف ، إذ لم ينزل بعدها إلا آية البقرة المارة الذكر، وهي تسع سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيام، وكل ما نزل في هذه المدة يسمى مدنيا، وهو ثمان وعشرون سورة أولها البقرة وآخرها النصر، فيكون مجموع السور مائة وأربع عشرة سورة أولها إقرأ وآخرها النصر»[٢].

قال السيد مصطفى الخمينى (ره) :

«..... اقول: وليعلم ان المفسرين اختلفوا في المكى والمدني من السور، فقيل: المكي ما نزل في شأن اهل مكة والمدني غيره، وقيل: ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والجمهور على ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها.

الذى يساعده الاعتبار في ميزان المكية والمدنيّة ما عليه الاكثر وهو ان: ما نزل في مكة ونواحيها قبل الهجرة فهو مكّي، وما نزل بالمدينة بعد الهجرة وان نزل بغيرها فهو مدنى ولذلك تكون سورة النصر مدنية مع أنها نزلت بمكة في حجة الوداع، وغير خفي ان عهد نزول القرآن ينقسم الى زمانين متمايزين: الاول : مدة مقامه ﷺ في مكة وهي اثنتا عشرة

---

١. التسهيل ج ١ ص ٥.

٢. بيان المعانى ج ١ ص ٢١.

سنة وتسعة اشهر وثلاثة عشر يوما وبقي من يوم ١٧ رمضان سنة ٤١ يوم الفرقان الى اول يوم ربيع الاول سنة ٥٤ من ميلاده.

الثاني: زمان نزوله بعد الهجرة الى المدينة فالمدني نحو ١١/٣٠»[١].

قال الخفاجي :

«والسور قسمان: مكى ومدنى.

فالمكى منها أرجح الآراء فيه أنه هو ما نزل قبل الهجرة، والمدنى ما نزل بعدها، والسور المدنية اثنتان وعشرون سورة تبلغ نحو ثلث القرآن الكريم، وهى: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب والقتال والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم والعصر.

وما عدا هذه السور وهى اثنتان وتسعون سورة فهو مكى[٢].

قال الزحيلى فى المكي والمدني من القرآن:

«كان للوحي القرآني صبغتان أو لونان جعلت منه نوعين هما: المكي والمدني، وانقسمت بالتالي سور القرآن إلى مكية ومدنية.

أما المكي: فهو ما نزل في مدى ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة ـ هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ـ سواء نزل في مكة أو في الطائف أو في أي مكان آخر، مثل سورة (ق) و (هود) و (يوسف). وأما المدني: فهو ما نزل في مدى عشر سنوات بعد الهجرة، سواء نزل في المدينة أو في الأسفار والمعارك الحربية أو في مكة عام الفتح، مثل سورة (البقرة) و (آل عمران)»[٣].

قال المدرس فى العلم بالمكي والمدني:

«وفي هذا إصطلاحات:

الأول: إن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة. والمدني ما نزل بالمدينة. ويدخل في كل

---

١. تفسير القرآن الكريم ج ١ ص ١٩ ـ ٢٠.
٢. تفسير القرآن الحكيم ج ١ ص ١٦.
٣. المنير ج ١ ص ١٧ ـ ١٨.

من مكة والمدينة ضواحيهما. وهذا لوحظ فيه مكان النزول كما ترى، لكنه غير حاصر لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما.

الثاني: إن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة. والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة. وهذا التقسيم لوحظ فيه المخاطبون كما ترى، لكن يرد عليه أمران: أحدهما: ما ورد على الأول من أنه غير ضابط، فان فيه ما ورد غير مصدّر بأحدهما نحو قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتّق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾[١].

والثاني: أن هذا التقسيم غير مطرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين، إذ هناك آيات مدنيّة صدرت بصيغة ﴿يا أيها الناس﴾، وآيات مكية صدرت بصيغة ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾، مثال الأولى سورة النساء؛ فإنها مدنية وأولها ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾[٢]، ومثال الثانية سورة الحج؛ فإنها مكية مع أنّ في أواخرها ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ...﴾[٣] الآية.

الثالث: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل هجرته ﷺ إلى المدينة ـ وإن كان نزوله بغير مكة ـ والمدني ما نزل بعد الهجرة ـ وان كان نزوله بمكة ـ وهذا التقسيم لوحظ فيه زمن النزول. وهو تقسيم صحيح سليم لأنّه ضابط حاصر ومطرد لا يختلف. ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم، وعليه فآية ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾[٤] مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع. وكذلك آية ﴿إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأماناتِ إلى أهلها﴾[٥] فإنّها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح»[٦].

١. سورة الاحزاب: الآية ١.
٢. سورة النساء: الآية ١.
٣. سورة الحج: الآية ٧٧.
٤. سورة المائدة: الآية ٣.
٥. سورة النساء: الآية ٥٨.
٦. مواهب الرحمان ج ١ ص ٤٢ـ٤٣.

مميزات المكية عن المدنية
وفوائد العلم بها

قال ابن جزى :

«واعلم أن السور المكية نزل أكثرها فى إثبات العقائد والرد على المشركين، وفى قصص الأنبياء. وأن السور المدنية نزل أكثرها فى الأحكام الشرعية، وفى الردّ على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى فى مسائل، وذكر غزوات النبى صلى اللّه عليه وسلم، وحيث ما ورد: يأيها الذين آمنوا؛ فهو مدنى، وأما: يأيها الناس، فقد وقع فى المكى والمدنى»[1].

قال عبدالقادر :

«.... ويتضح من المقارنة بين التشريع المكي والتشريع المدني، أن المكي مجمل قلما يتعرض للتفصيل، والمدني مجمل يتعرض للتفصيل في كثير من الأحكام، وأن معظم الأحكام مستنبطة من المدني، ومعظم ما يحمي العقيدة من المكي، وهذا أول مميزات المكي عن المدني الأربعة؟

الثاني: أن آيات المكي على الجملة قصار، وآيات المدني طوال، مثلا سورة الشعراء

---

١. التسهيل ج ١ ص ٥.

المكية، آياتها ٢٢٧ وسورة الأنفال المدنية، آياتها ٧٥ مع أن كلا منهما نصف جزء، وأن جزء ﴿قد سمع﴾ مدني وآياته ١٣٧، وجزء تبارك مكي وآياته ٤٣١، وأن سورة الحج مدنية، وسورة المؤمن مكية، عدا بعض آيات فيهما، وهما متقاربتان من حيث عدد الآيات، وقد توجد بعض الآيات على العكس لا بعض السور وعليه تكون القاعدة أغلبية، ولهذا قلنا في الجملة، وما قيل: ان سورة ﴿التغابن﴾ من جزء قد سمع مكية، وسورة تبارك من جزء تبارك مدنية ضعيف. واعلم أن نسبة المكي للمدني ١٩ من ٣٠ وآياته ٤٧٨٠، ونسبة المدني للمكي ١١ من ٣٠ وآياته ١٤٥٦.

والثالث: ان غالب الخطاب في المكي بـ﴿يا أيها الناس﴾ وفي المدني بـ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾، بل لا يوجد في المكي ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ البتة رغم انها مكررة بالقرآن بما يقارب التسعين مرة، ويوجد في المدني ﴿يا أيها الناس﴾ إذ بدأت سورة النساء بها وجاء فيها: ﴿يا ايها الناس قد جاءكم الرسول﴾[1] ﴿يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾[2]، وفيها ايضا: ﴿إن يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين﴾ وبدأ بها ايضا سورة الحج: ﴿يا ايّها الناس ضرب مثل﴾، وجاء في سورة الحجرات: ﴿يا ايها الناس اتقوا ربكم﴾[3]، وفيها ايضاً ﴿يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث﴾ الآية[4] و﴿ويا ايها الناس انا خلقناكم﴾[5]، وفي سورة البقرة: ﴿يا ايها الناس اعبدوا ربكم﴾[6] و ﴿يا ايها الناس كلوا مما فى الأرض﴾[7]، وكلها مدنيات سنأتي على ذكرها في ج ٣، وقد كررت ما يقارب العشرين مرة.

الرابع: عدم وجود شيء من التشريع التفصيلي في المكي، ومعظم ما فيه يرجع الى المقصد الاول في امر الدّين، وهو التوحيد، واقامة البراهين على وجود اللّه والبعث، والتحذير من العذاب، ووصف الجنة ونعيمها، والقيامة واهوالها، والنار وعذابها، والحث على مكارم الاخلاق، وضرب الامثال مما اصاب الاقدمين لمخالفتهم انبياءهم وجرأتهم

---

١. سورة النساء: الآية ١٧٠.
٢. سورة النساء: الآية ١٧٤.
٣. سورة الحج: الآية ١.
٤. سورة الحج: الآية ٥.
٥. سورة الحجرات: الآية ١٣.
٦. سورة البقرة: الآية ٢٧.
٧. سورة البقرة: الآية ١٦٨.

على أذاهم، ومعظم التشريع التفصيلي في المدني»[١].

قال الخفاجي:

«أما السور المكية فأظهر موضوعاتها هي:

١ ـ الدعوة إلى توحيد الله ومحاربة الشرك والأوثان.

٢ ـ تأييد رسالة محمد صلوات الله عليه، وتحدى العرب بهذه المعجزة الخارقة ألا وهي القرآن الكريم.

٣ ـ إثبات البعث والحساب والنشور واليوم الآخر، والرد على من ينكر ذلك في إفاضة وقوة حجة وتأثير.

٤ ـ قص قصص الأمم القديمة وعنادها ولجاجها مع الرسل والأنبياء واصرارها على الضلال، وما حل بها من المثلات تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون.

٥ ـ محاربة التقليد ودعوة العقل البشرى إلى الاستقلال بالتفكير واتباع الحق من العقائد والطاعات، ونبذ الأوهام والأساطير والخرافات والتفكير في نواميس الله في الكون.

وأما أهم موضوعات السور المدنية فهى ما يلى:

١ ـ تشريع النظم والقوانين للفرد والأسرة والجماعة والأمة، لتسير الإنسانية إلى حياة كريمة مهذبة تليق بكرامة الإنسان خليفة الله فى الأرض، إلى الفضيلة والخير والعدل و... الحق والأمن والسلم والعمران والحضارة.

٢ ـ الدعوة الى الفضائل ومحاربة الرذائل بكل سلاح وكل وسيلة.

٣ ـ تقرير وحدة الانسانية والأخوّة البشرية العامة، وتعزيز الصلات الاجتماعية بين الانسان والإنسان، وإلغاء الفروق بين الطبقات والجماعات والشعوب، ورفع كرامة الإنسان الأدبية فى الحياة، وتعزيز شخصية الإنسان وإيضاح رسالته، ورسم الأهداف الكريمة التى يجب أن يسير إليها ويعمل لها فى الحياة.

٤ ـ وضع شرائع الحرب والسلام، التى تسير مع الإنسانية العالية، وتوافق مصالح البشر

---

١. بيان المعانى ج ١ ص ٢١ ـ ٢٢.

فى الحياة الدنيا على اختلاف الزمان والمكان.

وعلى العموم فالسور المدنية احتوت على أكثر التشريع الإسلامى، وأودعت أعظم الآداب الاجتماعية والسياسية التى تؤلف القلوب، وتحوط الملك، وتصون الشعوب.

وقصارى الكلام؛ القرآن كتاب هداية ونور ودين ودنيا وخبر عام، وهو دستور الانسانية المهذبة، ووثيقة الحرية والمساواة والاخاء التى نالها الانسان على طول الايام والأحقاب»[١].

قال الزحيلى :

«ويغلب على التشريع المكي إصلاح العقيدة والأخلاق، والتنديد بالشرك والوثنية، وإقرار عقيدة التوحيد، وتصفية آثار الجهل من قتل وزنى ووأد بنات، والتأدُّب بآداب الإسلام وأخلاقه، مثل العدل، والوفاء بالعهد، والإحسان، والتعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، وفعل الخيرات وترك المنكرات، وإعمال العقل والفكر، ونقض أوهام التقليد الأعمى، وتحرير الإنسان، والاعتبار بقصص الأنبياء مع أقوامهم. وقد اقتضى ذلك جعل الآيات المكية قصيرة تزخر بالرهبة والزجر والوعيد، وتبعث على الخشية، وتشعر بمعنى الجلال.

وأما التشريع المدني فيغلب عليه تقرير الأنظمة والأحكام المفصلة للعبادات، والمعاملات المدنية والعقوبات، ومتطلبات الحياة الجديدة في إقامة صرح المجتمع الإسلامي في المدينة، وتنظيم شؤون السياسة والحكم، وترسيخ قاعدتي الشورى والعدل في إصدار الأحكام، وتنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم في داخل المدينة وخارجها، وقت السلم والحرب، بتشريع الجهاد لوجود مسوغاته؛ من إيذاء وعدوان وتشريد وطرد وتهجير، ثم وضع أنظمة المعاهدات لإقرار الأمن وتوطيد دعائم السلم، وقد اقتضى ذلك كون الآيات المدنية طويلة هادئة، ذات أبعاد وغايات دائمة غير وقتية، تستدعيها عوامل الاستقرار والاطمئنان وبناء الدولة على أمتن الأسس وأقوى الدعائم»[٢].

---

١. تفسير القرآن الحكيم ج ١ ص ١٦ ـ ١٧.
٢. المنير ج ١ ص ١٨.

قال المدرس:

«قد ذكروا ضوابط لمعرفة المكي والمدني. أما ضوابط المكي فهي كما يلي:

أولاً: كل سورة فيها لفظ كلا فهي مكية. وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن. وذلك لأن أهل مكة كانوا جبابرة، فتكررت فيه الكلمة المذكورة على وجه التهديد.

ثانياً: كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

ثالثاً: كل سورة في أولها حروف الهجاء، فهي مكية، سوى سورة البقرة وآل عمران فإنهما مدنيتان بالإجماع، وفي الرّعد خلاف.

رابعاً: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية، سوى سورة البقرة.

خامساً: كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية، سوى سورة البقرة أيضا.

سادساً: كل سورة من المفصّل فهي مكية. أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: نزل المفصل بمكة فمكثنا حججاً نقرأه ولا ينزل غيره. ولكن التحقيق يحكم بأن كلام ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يحمل على الكثرة الغالبة من سور المفصل لا على جميعها.

سابعاً: كل سورة فيها ﴿يا أيها الناس﴾ وليس فيها ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهي مكية إلاّ سورة الحج.

وأما ضوابط المدني فهي كما يلي:

أولاً: كل سورة فيها الحدود والفرائض فهي مدنية.

ثانياً: كل سورة فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكام الجهاد فهي مدنية.

ثالثاً: كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت. والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الإحدى عشرة الأولى منها، فإنها مدنية وهي التي ذكر فيها المنافقون»[1].

---

١. مواهب الرحمان ج ١ ص ٤٥ـ٤٦.

ـ فوائد العلم بالمكية والمدنية

قال الطباطبائي (ره) :

«وللعلم بمكية السور ومدنيتها ثم ترتيب نزولها أثر هام في الأبحاث المتعلقة بالدعوة النبوية ، وسيرها الروحي والسياسي والمدني في زمنه ﷺ وتحليل سيرته الشريفة، والروايات ـ كما ترى ـ لا تصلح أن تنهض حجة معتمداً عليها في إثبات شيء من ذلك على أن فيما بينها من التعارض ما يسقطها عن الاعتبار.

فالطريق المتعين لهذا الغرض هو التدبر في سياق الآيات ، والاستمداد بما يتحصل من القرائن والأمارات الداخلية والخارجية، وعلى ذلك نجري في هذا الكتاب ، والله المستعان»[١].

قال المدرس :

«ومن فوائد العلم بالمكي والمدني: تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد ، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفاً للحكم في غيرها، ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني، فإنا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظراً إلى تأخر المدني عن المكي.

ومن فوائده أيضاً: معرفة تأريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسموّ السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

ومن فوائده أيضاً: الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف. ويدلّ على ذلك اهتمام المسلمين به كلّ هذا الاهتمام، حتى إنهم يعرفون ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر، وما نزل بالسفر. وما نزل بالنهار وما نزل بالليل، وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف إلى غير ذلك ... فلا يتصور عاقلٌ أن القرآن أهمل حتى تمتد إليه أيدي العابثين، حيث كان الصحابة الكرام متحمسين لحراسته وحمايته ، والإحاطة بكل ما يتصل به»[٢].

---

١ ـ الميزان ج ١٣ ص ٢٣٥.

٢ ـ مواهب الرحمان ج ١ ص ٤٤ ـ ٤٥.

السور المكية والمدنية

قال البغدادي:

«وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه في التلاوة والمصحف، فأما ترتيب نزوله على رسول الله ﷺ فأوّل ما نزل من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربك الذى خلق. ثم نون والقلم. ثم يأيها المزمّل. ثم المدّثر. ثم تبت يدا أبى لهب. ثم إذا الشمس كوّرت. ثم سبح اسم ربك الأعلى. ثم والليل إذا يغشى. ثم والفجر. ثم والضحى. ثم ألم نشرح. ثم والعصر. ثم والعاديات. ثم إنا أعطيناك الكوثر. ثم ألهاكم التكاثر. ثم أرأيت الذى. ثم قل يا أيها الكافرون. ثم الفيل. ثم قل هو الله أحد. ثم والنجم. ثم عبس. ثم سورة القدر. ثم سورة البروج. ثم التين. ثم لإيلاف قريش. ثم القارعة. ثم القيامة. ثم الهمزة. ثم المرسلات. ثم ق. ثم سورة البلد. ثم الطارق. ثم اقتربت الساعة. ثم ص. ثم الأعراف. ثم الجنّ. ثم يس. ثم الفرقان. ثم فاطر. ثم مريم. ثم طه. ثم الواقعة. ثم الشعراء. ثم النمل. ثم القصص. ثم سورة بنى إسرائيل. ثم يونس. ثم هود. ثم يوسف. ثم الحجر. ثم الأنعام. ثم والصافات. ثم لقمان. ثم سبأ. ثم الزمر. ثم المؤمن. ثم السجدة. ثم حم عسق. ثم الزخرف. ثم الدخان. ثم الجاثية. ثم الأحقاف. ثم الذاريات. ثم الغاشية. ثم الكهف. ثم النحل. ثم نوح. ثم إبراهيم. ثم الأنبياء. ثم قد أفلح المؤمنون. ثم تنزيل السجدة. ثم الطور. ثم الملك. ثم الحاقة. ثم سأل سائل. ثم عم يتساءلون. ثم النازعات. ثم إذا السماء انفطرت. ثم إذا السماء انشقت. ثم

الروم. ثم العنكبوت.

واختلفوا في آخر ما نزل بمكة، فقال ابن عباس: العنكبوت، وقال الضحاك وعطاء: المؤمنون، وقال مجاهد: ويل للمطففين. فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات.

وأما ما نزل بالمدينة: فاحدى وثلاثون سورة، فأوّل ما نزل بها: سورة البقرة. ثم الأنفال. ثم آل عمران. ثم الأحزاب. ثم الممتحنة. ثم النساء. ثم إذا زلزلت الأرض. ثم الحديد. ثم سورة محمد ﷺ. ثم الرعد. ثم سورة الرحمن. ثم هل أتى على الإنسان. ثم الطلاق. ثم لم يكن. ثم الحشر. ثم الفلق. ثم الناس. ثم إذا جاء نصرالله والفتح. ثم النور. ثم الحج. ثم إذا جاءك المنافقون. ثم المجادلة. ثم الحجرات. ثم التحريم. ثم الصف. ثم الجمعة. ثم التغابن. ثم الفتح. ثم التوبة. ثم المائدة. ومنهم من يقدّم المائدة على التوبة. فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة. واختلفوا في سور، فقيل: نزلت بمكة، وقيل: نزلت بالمدينة، وسنذكر ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى»[1].

قال ابن كثير:

«قال أبوبكر بن الانباري: حدثنا إسماعيل بن إسحٰق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا همام عن قتادة قال: نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق و ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾[2] الى رأس العشر، وإذا زلزلت و ﴿إذا جاء نصرالله﴾، هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة»[3].

قال الخطيب:

«المكّي من القرآن ما نزل بمكة، والمدنيّ ما نزل بالمدينة.

وعدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة باتفاق.

---

١. لباب التأويل (خازن) ج ١ ص ٨.
٢. سورة التحريم: الآية ١.
٣. تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣.

السُّور المكية.

١) اقرأ باسم ربك
٢) ن
٣) المزمل
٤) المدثر
٥) المسد
٦) التكوير
٧) الأعلى
٨) الليل
٩) الفجر
١٠) الضحى
١١) الشرح
١٢) العصر
١٣) العاديات
١٤) الكوثر
١٥) التكاثر
١٦) الماعون
١٧) الكافرون
١٨) الفيل
١٩) الفلق
٢٠) الناس
٢١) الاخلاص
٢٢) النجم
٢٣) عبس
٢٤) القدر
٢٥) الشمس
٢٦) البروج
٢٧) التين
٢٨) قريش
٢٩) القارعة
٣٠) القيامة
٣١) الهمزة
٣٢) المرسلات
٣٣) ق
٣٤) البلد
٣٥) الطارق
٣٦) القمر
٣٧) ص
٣٨) الاعراف
٣٩) الجن
٤٠) يس
٤١) الفرقان
٤٢) المعارج[١]
٤٣) مريم
٤٤) طه

---

١. كذا ولكن الصحيح: الملائكة (فاطر).

٤٥) الواقعة
٤٦) الشعراء
٤٧) النمل
٤٨) القصص
٤٩) الاسراء
٥٠) يونس
٥١) هود
٥٢) يوسف
٥٣) الحجر
٥٤) الانعام
٥٥) الصافات
٥٦) لقمان
٥٧) سبأ
٥٨) الزمر
٥٩) المؤمن
٦٠) حم (السجده)
٦١) حم عسق
٦٢) الزخرف
٦٣) الدخان
٦٤) الجاثية
٦٥) الاحقاف
٦٦) الذاريات
٦٧) الغاشية
٦٨) الكهف
٦٩) النحل
٧٠) نوح
٧١) ابرهيم
٧٢) الانبياء
٧٣) المؤمنون
٧٤) الَم : السجدة
٧٥) الطور
٧٦) الملك
٧٧) الحاقة
٧٨) المعارج
٧٩) النبأ
٨٠) النازعات
٨١) الانفطار
٨٢) الانشقاق
٨٣) الروم
٨٤) العنكبوت
٨٥) المطففون

السور المدنية:

٨٦) البقرة (أول ما نزل بالمدينة)
٨٧) الأنفال
٨٨) آل عمران
٨٩) الأحزاب
٩٠) الممتحنة
٩١) النساء
٩٢) الزلزلة
٩٣) الحديد
٩٤) محمد ﷺ
٩٥) الرعد
٩٦) الرحمن
٩٧) الإنسان
٩٨) الطلاق
٩٩) البينة
١٠٠) الحشر
١٠١) النصر
١٠٢) النور
١٠٣) الحج
١٠٤) المنافقون
١٠٥) المجادلة
١٠٦) الحجرات
١٠٧) التحريم
١٠٨) الجمعة
١٠٩) التغابن
١١٠) الصف
١١١) الفتح
١١٢) التوبة
١١٣) المائدة
١١٤) فاتحة الكتاب ... اختلف في نزولها بمكة أو بالمدينة.

وقيل إنها نزلت مرتين ـ مرة بمكة ومرة بالمدينة ...»[١].

قال السيد مصطفى الخميني (ره):

«قال ابوالحسن بن الحصار في كتابه (الناسخ والمنسوخ): المدني بالاتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي بالاتفاق، وهي: ١ ـ البقرة ٢ ـ آل عمران ٣ ـ النساء ٤ ـ المائدة ٥ ـ الانفال ٦ ـ التوبة ٧ ـ النور ٨ ـ الاحزاب ٩ ـ محمد ١٠ ـ الفتح ١١ ـ الحجرات ١٢ ـ الحديد ١٣ ـ المجادلة ١٤ ـ الحشر ١٥ ـ الممتحنة ١٦ ـ الجمعة ١٧ ـ المنافقون ١٨ ـ الطلاق ١٩ ـ التحريم ٢٠ ـ اذا جاء نصرالله»[٢].

١. التفسير القرآني للقرآن ج ١ ص ١٣ ـ ١٥.
٢. الاتقان ج ١ ص ١١ ينقل عنه.

ووافقه على جميعها في ذلك ابوبكر بن الانباري المتوفى ٣٢٨ ومحمد بن القاسم الآ في الانفال، وابو عبيدة القاسم بن سلام المتوفى ٣٣٤ في فضائل القرآن إلاّ في الحجرات والجمعة والمنافقون، وصاحب الفهرست محمد بن اسحق المتوفى ٣٨٥ برواية محمد بن نعمان بن بشير المذكورة في اول ما نزل من القرآن الآ في الاحزاب.

فالمتفق عليه هؤلاء الاربعة الذين اشتهر صيتهم بين الافاضل والاعلام: خمس عشرة سورة لما ذكره ابوالحسن في كتابه (الناسخ والمنسوخ)، والمختلف فيه خمس: الانفال، خالفه فيها ابن الانباري، والحجرات والجمعة والمنافقون، خالف فيها ابو عبيدة، والاحزاب، خالف فيها صاحب الفهرست»[1].

قال الطباطبائي (ره):

«في ترتيب السور نزولا: نقل في الإتقان عن ابن الضريس في (فضائل القرآن قال: حدثنا محمدبن عبدالله بن أبي جعفر الرازي، أنبأنا عمرو بن هارون، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن ابن عباس قال: كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء.

وكان أول ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربك، ثم نٓ، ثم يا أيها المزمل، ثم يا أيها المدثر، ثم تبت يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك، ثم ألهاكم التكاثر، ثم أرأيت الذي يكذب، ثم قل يا أيها الكافرون، ثم ألم تر كيف فعل ربك، ثم قل أعوذ برب الفلق، ثم قل أعوذ برب الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم، ثم عبس، ثم إنا أنزلناه في ليلة القدر، ثم والشمس وضحاها، ثم والسماء ذات البروج، ثم التين، ثم لايلاف قريش، ثم القارعة، ثم لا أقسم بيوم القيامة، ثم ويل لكل همزة، ثم والمرسلات، ثم ق، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم والسماء والطارق، ثم اقتربت الساعة، ثم صٓ، ثم الأعراف، ثم قل أوحي، ثم يسٓ، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم كهيعصٓ، ثم طهٓ، ثم الواقعة، ثم طسم الشعراء، ثم طس، ثم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم يونس، ثم هود،

---

١. تفسير القرآن الكريم ج ١ ص ٢١.

ثم يوسف ، ثم الحجر ، ثم الأنعام ، ثم الصافات ، ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم الزمر ، ثم حٓمٓ المؤمن ، ثم حمٓ السجدة ، ثم حمٓعسق ، ثم حٓم الزخرف ، ثم الدخان ، ثم الجاثية ، ثم الأحقاف ثم الذاريات ، ثم الغاشية ، ثم الكهف ، ثم النحل ، ثم إنا أرسلنا نوحاً ، ثم سورة إبراهيم ، ثم الأنبياء ، ثم المؤمنون ، ثم تنزيل السجدة ، ثم الطور ، ثم تبارك الملك ، ثم الحاقة ، ثم سأل ، ثم عم يتساءلون ، ثم النازعات ، ثم اذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء انشقت ، ثم الروم ، ثم العنكبوت ، ثم ويل للمطففين ، فهذا ما أنزل الله بمكة.

ثم أنزل الله بالمدينة سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم إذا زلزلت ، ثم الحديد ، ثم القتال ، ثم الرعد ، ثم الرحمان ، ثم الإنسان ، ثم الطلاق ، ثم لم يكن ، ثم الحشر ، ثم إذا جاء نصرالله ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم التحريم ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الصف ، ثم الفتح ، ثم المائدة ، ثم براءة .

وقد سقطت من الرواية سورة فاتحة الكتاب، وربما قيل : إنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة .

ونقل فيه عن البيهقي في (دلائل النبوة) أنه روى باسناده عن عكرمة والحسين بن أبي الحسن قالا : أنزل الله من القرآن بمكة ﴿اقرأ باسم ربك﴾، وساقا الحديث نحو حديث عطاء السابق عن ابن عباس، إلا أنه قد سقط منه الفاتحة والأعراف وكهيعص مما نزل بمكة .

وأيضاً ذكر فيه حم الدخان قبل حم السجدة ، ثم إذا السماء انشقت قبل إذا السماء انفطرت ، ثم ويل للمطففين قبل البقرة مما نزل بالمدينة ، ثم آل عمران قبل الأنفال ، ثم المائدة قبل الممتحنة .

ثم روى البيهقي باسناده عن مجاهد عن ابن عباس إنه قال : إن أول ما أنزل الله على نبيه من القرآن اقرأ باسم ربك الحديث ، وهو مطابق لحديث عكرمة في الترتيب ، وقد ذكرت فيه السور التي سقطت من حديث عكرمة فيما نزل بمكة .

وفيه عن كتاب (الناسخ والمنسوخ) لابن حصار أن المدني باتفاق عشرون سورة ، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما عدا ذلك مكي باتفاق انتهى .

والذي اتفقوا عليه من المدنيات؛ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والمنافقون والجمعة والطلاق والتحريم والنصر. وما اختلفوا في مكيته ومدنيته: سورة الرعد والرحمان والجن والصف والتغابن والمطففين والقدر والبينة والزلزال والتوحيد والمعوذتان»[1].

١. الميزان ج ١٣، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥.

أسماءُ سُوَرِ القرآن

قال الطبري: «لسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله ﷺ:

١ ـ حدثنا محمدبن بشار، قال: حدثنا أبو داود الطيالسي، قال: حدثنا أبو العوّام ـ وحدثني محمد بن خلف العَسْقلاني، قال: حدثنا رَوّاد بن الجرّاح، قال: حدثنا سعيدبن بَشير، جميعاً ـ عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة بن الأسْقَع: أن النبي ﷺ قال: «أعطيتُ مكان التوراةِ السبعَ الطُّوَل، وأعطيت مكان الزّبور المِئِين، وأعطيتُ مكان الإنجيل المَثاني، وفُضّلت بالمفصَّل».

٢ ـ حدثني يعقوب بن ابراهيم، قال: حدثنا ابن عُلية، عن خالد الحذّاء، عن أبي قِلابة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطِيتُ السبعَ الطُّوَل مكان التوراة، وأعطيت المثانِيَ مكانَ الزّبور، وأعطيت المئين مكانَ الإنجيل، وفُضّلت بالمفصّل». قال خالد: كانوا يسمُّون المفصّل: العربي. قال خالد: قال بعضهم: ليس في العربّي سجدةٌ.

٣ ـ وحدثنا محمدبن حميد، قال حدثنا حَكّام بن سَلْم، عن عمرو بن أبي قيس، عن عاصم، عن المسيّب، عن ابن مسعود قال: الطُّول كالتوراة، والمئون كالإنجيل، والمثاني كالزّبور، وسائر القرآن بعدُ فَضْلٌ على الكتب.

٤ ـ حدثني أبو عُبيد الوَصّابي، قال: حدثنا محمد بن حفص، قال: أنبأنا أبو حميد، حدثنا الفزاري، عن ليث بن أبي سُلَيم، عن أبي بُرْدة، عن أبي المَليح، عن واثلة بن الأسقع

عن رسول الله قال: «أعطاني ربّي مكانَ التوراة السبعَ الطول، ومكان الإنـجيل المـثاني، ومكان الزّبور المئين، وفضّلني ربي بالمفصّل».

قال أبو جعفر: والسبع الطُّوَل: البقرةُ، وآل عِـمْران، والنسـاء، والمـائدة، والأنـعام، والأعراف، ويونس، في قول سعيد بن جبير.

٥ ـ حدثني بذلك يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هُشيم، عن أبي بِشر، عن سعيد بن جبير.

وقد روي عن ابن عباس قولٌ يدلّ على موافقته قولَ سعيد هذا.

٦ ـ وذلك ماحدثنا به محمد بن بَشّار، قال: حدثنا ابن أبي عَدي، ويحيى بن سعيد، ومحمد بن جعفر، وسهل بن يوسف، قالوا: حدثنا عَوْف، قال: حدثني يزيد الفارسي، قال: حدثني ابن عباس: قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عَمَدْتُم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾، ووضعتموها في السبع الطُّوَل؟ ماحملكم على ذلك؟ قال عثمان: كان رسول الله ﷺ ممّا يأتي عليه الزمانُ وهو تُنزَّل عليه السُّورُ ذواتُ العَدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا ببعض من كان يكتبُ فيقول: «ضَعُوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا». وكانت الأنفال من أوائل مانزل بالمدينة، وكانت براءةُ من آخر القرآن نزولاً، وكانت قِصّتُها شبيهةً بقصتها، فظننت أنها منها. فقُبض رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: ﴿ بسم اللـه الرحـمن الرحيم ﴾، ووضعتهما في السّبع الطُّوَل.

فهذا الخبر ينبيء عن عثمان بن عفان رحمة الله عليه، أنه لم يكن تَـبيّن له أنّ الأنـفال وبراءةَ من السبع الطُّوَل، ويصرِّح عن ابن عباس أنه لم يكن يَرى ذلك منها.

وإنما سميت هذه السور السبعَ الطُّوَل، لطولها على سائر سُوَر القرآن.

وأما «المئون»: فهي ماكان من سور القرآن عدد آيه مئة آية، أو تـزيد عـليها شـيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً.

وأما «المثاني» فإنها ماثَنَّى المئين فتلاها، وكانت المئون لها أوائلَ، وكانت المثاني لها

ثواني . وقد قيل : إن المثاني سميت مثاني ، لتثنية الله جل ذكره فيها الأمثال والخبر والعبرَ ، وهو قول ابن عباس .

٧ ـ حدثنا بذلك أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عثمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وروي عن سعيد بن جبير ، أنه كان يقول : إنما سميت مثاني لأنها ثنيت فيها الفرائض والحدود .

٨ ـ حدثنا بذلك محمد بن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير .

وقد قال جماعة يكثر تعدادهم : القرآن كله مثانٍ .

وقال جماعة أخرى : بل المثاني فاتحة الكتاب ، لأنها تُثْنَى قراءتُها في كل صلاة، وسنذكر أسماء قائلي ذلك وعللهم ، والصوابُ من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك، إذا انتهينا إلى تأويل قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ﴾[1] إن شاء الله ذلك .

وبمثل ما جاءتْ به الرواية عن رسول الله ﷺ في أسماء سور القرآن التي ذُكرَتْ ، جاء شعرُ الشعراء . فقال بعضهم :

حَلفتُ بالسَّبع اللَّواتي طُوِّلتْ ... وبِمِئين بعدَها قد أُمئِيَتْ

وبمَثَانٍ ثُنِّيتْ فكُرِّرتْ ... وبالطَّواسِينِ التي قد ثُلِّثَتْ

وبالحَوامِيم اللَّواتِي سُبِّعتْ ... وبالمفصَّلِ اللَّواتِي فصِّلتْ

قال أبو جعفر رحمة الله عليه : وهذه الأبيات تدل على صحة التأويل الذي تأولناه في هذه الأسماء .

وأما « المفصَّل » : فإنها سميت مفصلاً لكثرة الفصول التي بين سوَرها بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ .

قال أبو جعفر : ثم تسمى كل سورة من سور القرآن « سورة » ، وتجمع « سُوَراً » ، على تقدير « خُطبة وخُطب » ، و « غُرفة وغُرَف »[2] .

---

١. سورة الحجر : الآية ٨٧.

٢. جامع البيان ج ١ ص ٧٠ ـ ٧٢.

قال الماوردي : « روى أبو بردة ، عن أبي المليح ، عن واثلة بن الأسقع ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أَعْطَانِي رَبِّي مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطُّول ، ومَكَانَ الإِنْجِيلِ المثَانِيَ ، ومَكَانَ الزَّبُورِ المِئِينَ ، وَفَضَّلَنِي رَبِّي بِالمُفَصَّل » [١] .

فأما السبع الطول ، فالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، في قول سعيد بن جبير [٢] ونحوه، عن ابن عباس [٣]، وهو الصحيح ، وإنما سُمِّيت السبع الطولَ لطولها على سائر القرآن .

أما المئون : فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص عنها شيئاً . وأما المثاني ، ففيها ثلاثة أقاويل :

أحدها: أنها السور التي عَنِيَ اللهفيها القصص والأمثال والفرائض والحدود ، هذا قول عبدالله بن عباس وسعيد بن جبير .

والثاني : أنها فاتحة الكتاب ، وهو قول الحسن البصري [٤]، قال الراجز :

نَشَدْتُكم بِمَنْزِلِ القُرآنِ أمِّ الكِتَابِ السَّبعِ مِنْ مَثَانِي
ثُنينَ مِنْ آيٍ مِنَ القرآنِ والسَّبع سَبْعِ الطُّوَل الدَّوَانِي

١. رواه الطبري ج ١ ص ١٠١ . من الطريق التي ذكرها المؤلف من حديث ليث بن أبي سليم عن أبي بردة عن أبي المليح به ، وليث : أكثر الجمهور على تضعيفه لكن للحديث متابعة من حديث بن بشير عن قتادة عن أبي المليح به رواها الطبري ج ١ ص ١٠٠ . والطريق التي ذكرها المؤلف رواها أحمد أيضاً ج ٤ ص ١٠٧ . والطيالسي برقم ١٩٧ والطبري في الكبير ج ٢٢ ص ٧٥ . والطحاوي في مشكل الآثار ج ٢ ص ١٥٤ . وحسنها الألباني في السلسلة الصحيحة ج ٣ ص ٤٦٩ . ثم صحح الحديث بعد ذلك في المصدر المشار إليه ، وللحديث شاهد من مرسل أبي قلابة بسند صحيح رواه الطبري ج ١ ص ١٠٠ . وقد حسن الإمام السيوطي الحديث في الجامع ج ١ ص ٥٦٥ . ولعله لشاهده وللمتابع وإلا فهو ضعيف من طريق واحد .

تنبيه : فات الألباني نسبة الحديث للمسند في السلسلة وهو فيه كما رأيت .

٢. هو سعيد بن جبير هشام الإمام العلم ، أبو عبدالله ، الأسدي . كان من التابعين أجل تلاميذ ابن عباس استشهد رحمه الله بواسط سنة خمس وتسعين : أنظر :ـ

طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٥٦. سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٢١. ثقات ابن حبان ج ٤ ص ٢٧٥ .

٣. أفاد الحافظ في الفتح أن النسائي رواه عنه بسند صحيح ج ٨ ص ١٥٨ .

٤. هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، أبو سعيد ، كان إمام أهل البصرة . أخباره ومناقبه يطول شرحها ، توفي سنة عشر ومئة . أنظر :ـ

سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٦٣. حلية الأولياء ج ٢ ص ١٣١. الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٢٧ .

والثالث : أن المثاني ما ثنيت المائة فيها من السور ، فَبَلَغَ عددُها مائتي آيةٍ أو ما قاربها ، فكأن المائتين لها أوائل ، والثاني ثواني ، وقال بعض الشعراء[١] :

حَلَفْتُ بالسَّبعِ اللَّواتِي طُوِّلَتْ وَمَـائَتَيْنِ بَـعْدَهَا قَـدْ أمنت
وَبِـمَثَانِي ثُـنِّيَتْ وكُـرِّرت وبالطواسين التـي قـد ثـلثت
وبالحواميم التـي قَـدْ سَبَقَت وَبَالتَّفَاصِيلِ التـي قَـدْ فُـصِّلَتْ

وأما المفصل ، فإنما سمي مُفَصَّلاً لكثرة الفصول التي بين سُوَرِهِ ، وهو ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ ، وسمي المفصلُ محكماً، لما قيل : إنه لم ينسخ شيء منه .

وأختلفوا في أول المفصل على ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو قول الأكثرين : أنه سورة محمد ﷺ إلى سورة الناس .

والثاني: من سورة ق إلى الناس، حكاه عيسى بن عمر، عن كثير من الصحابة .

والثالث : وهو قول ابن عباس : من سورة الضحى إلى الناس ، وكان يفصل في الضحى بين كل سورتين بالتكبير ، وهو رأي قراء مكة»[٢] .

قال الطوسي (ره) :

«روى واثلة بن الأصقع أن النبي ﷺ قال : « أعطيت مكان التوراة السبع الطول ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل ، المثاني ، وفضلت بالمفصل » ، فالسبع الطول : ١ـ البقرة ٢ـ آل عمران ٣ـ النساء ٤ ـ المائدة ٥ـ الأنعام ٦ـ الأعراف ٧ـ ويونس . في قول سعيد بن جبير ، وروي مثل ذلك عن ابن عباس قال: وسميت السبع الطوال، لطولها على سائر القرآن.

وأما المئون ، فهو كل سورة تكون مائة آية أو يزيد عليها شيئاً يسيراً ، أو ينقص عنها شيئاً يسيراً .

وأما المثاني: فهي ما ثنت المئين ، فتلاها . فكان المئون لها أوائل ، وكان المثاني لها ثوان، وقيل: إنها سميت بذلك ، لتثنية اللّه فيها الأمثال ، والحدود ، والقرآن ، والفرائض، وهو قول

---

١ . هذه الأبيات في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٧ .
٢ . النكت والعيون ج ١ ص ٢٥ ـ ٢٧ .

ابن عباس. وقال قوم: «المثاني سورة الحمد، لأنها تثنى قراءتها في كل صلاة» وبه قال الحسن البصري، وهو المروي في أخبارنا، قال الشاعر:

حلفت بالسبع اللواتي طُولت ... وبمئين بعده قد أُمئيت
وبمثان ثُنيت وكررت ... وبالطواسين التي قد تليت
وبالحواميم التي قد سبعت ... وبالمفصل اللواتي فصلت

وسميت المفصل مفصلا، لكثرة الفصول بين سورها بـ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾، وسمي المفصل محكما، لما قيل: انها لم تنسخ. وقال أكثر أهل العلم: «أول المفصل من سورة محمد ﷺ إلى سورة الناس»، وقال آخرون: من ق إلى الناس، وقالت فرقة ثالثة ـ وهو المحكي عن ابن عباس ـ: أنه من سورة الضحى إلى الناس، وكان يفصل من الضحى بين كل سورتين بالتكبير، وهو قراءة ابن كثير»[1].

قال الطبرسي (ره):

«... وقد شاع في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزبور المئين، وفضلت بالمفصل».

وفي رواية واثلة بن الأسقع: «وأعطيت مكان الإنجيل المئين، ومكان الزبور المثاني، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة».

فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، والأنفال مع التوبة لأنهما يدعيان القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بـ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾، وقيل: إن السابعة سورة يونس.

والطول جمع الطولىٰ تأنيث الأطول، وإنما سميت هذه السور الطول لأنها أطول سور القرآن.

وأما المثاني، فهي السورة التالية للسبع الطول، وأولها سورة يونس وآخرها النحل، وإنما سميت مثاني؛ لأنها ثنت الطول أي تلتها وكأن الطول هي المبادي والمثاني لها ثواني،

---

١. التبيان ج ١ ص ٢٠.

وواحدها مثنى، مثل المعنى والمعاني، وقال الفراء: واحدها المثناة وقيل: المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى: ﴿كتاباً متشابهاً مثاني﴾[١]، وهو قول ابن عباس.

وإنما سميت مثاني لأنه سبحانه ثنى فيها الأمثال والحدود والفرائض، وقيل: إن المثاني في قوله: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾[٢]، آيات سورة الحمد، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام وبه قال الحسن البصري.

وأما المئون فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية أو فويق ذلك أو دوينه، وهي سبع: أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون، وقيل: إن المئين ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل، وسميت المثاني لأن المئين مبادٍ لها.

وأما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، سميت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾»[٣].

قال النيشابوري في ذكر السبع الطول والمثاني والمئين والطواسيم والحواميم والمفصل والمسبحات وغير ذلك:

« فالسبع الطول مضمومة الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضلى والفضل، هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التوبة لأنهما نزلتا جميعاً في مغازي رسول ﷺ، وكانتا تدعيان القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة، وقال بعضهم: السابعة من السبع سورة يونس لا الأنفال مع التوبة.

وأما المثاني، فسبع سور تتلو السبع الطول: أولها سورة يونس، وآخرها سورة النحل، لأنها ثنت الطول: أي تلتها، واحدها مثنى، مثل معنى ومعان، وقد تكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها، من قوله تعالى: ﴿ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ

---

١. سورة الزمر: الآية ٢٣.
٢. سورة الحجر: الآية ٨٧.
٣. مجمع البيان ج ١ ص ٨٢ ـ ٨٣.
٤. سورة الزُمر: الآية ٢٣.

آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ﴾[١]، وقيل: المثاني في هذه الآية؛ آيات الفاتحة لأنها نزلت مرتين، أو لأنها تثنى في كل صلاة.

وأما المئون فهن سبع: أولها سورة بني إسرائيل وآخرها سورة المؤمنون، لأن كل سورة منها نحو من مائة آية، وقيل: المئون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها. وقيل: إن ما بعد السبع الطول من المئين إلى الحواميم، وبعد الحواميم المفصل.

وأما الطواسيم، فإن شئت قلت هكذا، وإن شئت قلت: الطواسين، قال الراجز:

وَبِالطَّوَاسِينِ الَّتِي قَدْ ثُلِّثَتْ

وفي الحديث: «وأُعْطِيتُ طه وَالطَّوَاسِيمَ مِنْ أَلْوَاحِ مُوسَى وَأُعْطِيتُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ».

وأما الحواميم، فإن شئت قلت هكذا، وإن شئت قلت: آل حم، قال ابن عباس: إن لكل شيء لبابا، وإن لباب القرآن آل حم، وقال: الحواميم، فكأن من قال: آل حم، نسب السور كلها إلى حم، وهو من اسماء الله تعالى بدليل قوله ﷺ: «إنْ تَبَيَّتُم اللَيلة فقولوا حم لايُنصَرونَ»، وتسمى الحواميم عرائس القرآن.

عن عاصم عن زر بن حبيش الأسدي قال: «قرأت على علي بن أبي طالب القرآن في المسجد الجامع بالكوفة، فلما بلغت الحواميم قال: يازرُّ بن حبيش عرائس القرآن، فلما بلغت رأس العشرين من حم عسق ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ لَهُمْ مَايَشَاؤنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[٢] بكى حتى ارتفع نحيبه. ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: يازرّ أمّن على دعائي، ثم قال: «اللّهُمّ إنّي أسْأَلُكَ إخبَاتَ المُخْبِتِينَ، وَإخلاَصَ المُوقِنِينَ، وَمُرَافَقَةَ الأبْرَارِ، وَاسْتِحْقَاقَ حَقَائِقِ الإيمَانِ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍ وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ، وَوُجُوبَ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالخَلاَصَ مِنَ النَّارِ». يازر إذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات، فإن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن أدعو بهن عند ختم القرآن.

وأما المفصل: فمابعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، لكثرة التفصيل فيها بالبسملة.

---

١. سورة الحِجر: الآية ٨٧.
٢. سورة الشورى: الآية ٢٢.

وأما المُسَبِّحاتِ: فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى، لأن في فواتحهن مايدل على التسبيح. وفي الحديث: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لاَيَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ المُسَبِّحاتِ وَيَقُولُ: إنَّ فِيهَا آيَةً كَأَلْفِ آيَةٍ»، وأفضل المسبحات ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىَ ﴾[1]، فقد كان العلماء يقرأون هذه السورة في التهجد والجمعة ويتعرفون بركتها.

وأما المقشقشتان: فسورة الكافرون والإخلاص، لأنهما تبرئان من النفاق والشرك، يقال قشقشه؛ إذا برأه، وقشقش المريض من علته؛ إذا أفاق منها وبريء.

وأما المعوذتان: فالفلق والناس، وقد تضمَ إليهما الإخلاص، فيقال: المعوذات»[2].

قال عبد القادر: «وقد أخذ بعض أسماء السور من مطالعها كالأنفال، والإسراء، وطه، والمؤمنون، والفرقان، والروم، وفاطر، ونون، وق، والمرسلات وغيرها، وهي تسع وسبعون سورة، والباقي بأسماء ما ذكر ضمنها كالبقرة، فإنها ذكرت بعد ٦٥ آية، وآل عمران بعد ٣٢، والنساء، وكذلك الجاثية والأحقاف والتغابن وغيرها من المائدة، والأحزاب وسبأ وهكذا، وهي خمس وثلاثون سورة وكان نزوله كماذكرنا بحسب الحوادث»[3].

قال ابن عاشور: «وأما أسماء السور فقد جُعلت لها من عهد نزول الوحي، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة. وقد دل حديث ابن عباس الذي ذُكر آنفا، أن النبي ﷺ كان يقول إذا نزلت الآية: «ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا»، فسورة البقرة مثلا كانت تلقب بالسورة التي تذكر فيها البقرة. وفائدة التسمية أن تكون بما يميز السورة عن غيرها. وأصل أسماء السور أن تكون بالوصف، كقولهم: السورة التي يذكر فيها كذا، ثم شاع فحذفوا الموصول وعوضوا عنه الإضافة، فقالوا: سورة ذِكْر البقرة مثلا، ثم حذفوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه، فقالوا: سورة البقرة. أو أنهم لم يقدروا مضافاً ـ وأضافوا السورة لما يذكر فيها لأدنى ملابسة. وقد ثبت في صحيح البخاري قول عائشة رضي الله عنها: «لما نزلت الآيات من آخر البقرة» الحديث، وفيه عن ابن مسعود قال: قرأ

---

١. سورة الاعلى: الآية ١.
٢. غرائب القرآن ج ١ ص ٣١ ـ ٣٢.
٣. بيان المعاني ج ١ ص ٢٥ ـ ٢٦.

رسول الله النجم. وعن ابن عباس: أن رسول الله سجد بالنجم. ومَارُوي من حديث عن أنس مرفوعا: « لاتقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذلك القرآن كله، ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها آل عمران ـ وكذا القرآن كله »، فقال أحمد بن حنبل هو حديث منكر، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ولكن ابن حجر أثبت صحته. ويذكر عن ابن عمر أنه كان يقول مثل ذلك ولا يرفعه إلى النبي ﷺ، ذكره البيهقي في (شعب الإيمان)، وكان الحجاج بن يوسف يمنع من يقول سورة كذا، ويقول: قل السورة التي يذكر فيها كذا، والذين صححوا حديث أنس تأوّلوه وتأوّلوا قول ابن عمر، بأن ذلك كان في مكة حين كان المسلمون إذا قالوا: سورة الفيل وسورة العنكبوت مثلاً هزأ بهم المشركون، وقد روي أن هذا سبب نزول قوله تعالى: ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾[1]، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة زال سبب النهي فنسخ، وقد علم الناس كلهم معنى التسمية.

ولم يشتهر عن السلف هذا المنع ولهذا ترجم البخاري في كتاب فضائل القرآن بقوله: «باب من لم ير بأساً أن يقول: سورة البقرة وسورة كذا وسورة كذا»، وأخرج فيه أحاديث تدل على أنهم قالوا: سورة البقرة، سورة الفتح، سورة النساء، سورة الفرقان، سورة براءة، وبعضها من لفظ النبي ﷺ، وعليه فللقائل أن يقول: سورة البقرة أو التي يذكر فيها البقرة، وأن يقول: سورة والنجم، وسورة النجم، وقرأت النجم، وقرأت والنجم، كماجاءت هذه الإطلاقات في حديث السجود، في سورة النجم عن ابن عباس.

والظاهر أن الصحابة سموا بما حفظوه عن النبي ﷺ، أو أخذوا لها أشهر الأسماء التي كان الناس يعرفونها بها ولو كانت التسمية غير مأثورة، فقد سمّى ابنُ مسعود القنوتَ سورة الخلع والخنع كما مر، فتعيّن أن تكون التسمية من وضعه، وقد اشتهرت تسمية بعض السور في زمن النبي ﷺ وسمعها وأقرها، وذلك يكفي في تصحيح التسمية.

واعلم! أن أسماء السور، إما أن تكون بأوصافها مثل: الفاتحة وسورة الحمد، وإما أن تكون بالإضافة لشيء اختصت بذكره نحو: سورة لقمان وسورة يوسف وسورة البقرة، وإما بالإضافة لماكان ذكره فيها أوفى نحو: سورة هود وسورة ابراهيم، وإما بالإضافة

١. سورة الحجر: الآية ٩٥.

لكلمات تقع في السورة نحو سورة براءة، وسورة حَم عَسَق، وسورة حَم السجدة كما سماها بعض السلف، وسورة فاطر. وقد سموا مجموع السور المفتتحة بكلمة حم «آل حَم»، وربما سموا السورتين بوصف واحد، فقد سموا سورة الكافرون وسورة الإخلاص المقشقشتين.

واعلم! أن الصحابة لم يثبتوا في المصحف أسماء السور، بل اكتفوا بإثبات البسملة في مبدأ كل سورة علامة على الفصل بين السورتين، وإنما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ماليس آية قرآنية، فاختاروا البسملة لأنها مناسبة للإفتتاح مع كونها آية من القرآن، وفي (الإتقان) أن سورة البينة سميت في مصحف أُبي: سورة أهل الكتاب، وهذا يؤذن بأنه كان يسمي السور في مصحفه.

وكتبت أسماء السور في المصاحف باطراد في عصر التابعين، ولم ينكر عليهم ذلك.

قال المازري في شرح البرهان عن القاضي أبي بكر الباقلاني: إن أسماء السور لما كتبت المصاحف، كتبتْ بخط آخر لتتميز عن القرآن، وإن البسملة كانت مكتوبة في أوائل السور بخط لا يتميز عن الخط الذي كتب به القرآن»[1].

قال النهاوندي (ره) في أن عدة سور من القرآن سميت: بالطول، وعدة منها بالمئين، وعدة بالمثاني، وعدة بالمفصل ووجه التسمية:

«كما سمّي كلّ سُورة باسْم خاص، سميّت عدة سُور باسْم مَخصوص.

عَن الكافي بإسناده عَن سَعد الأسكاف عَن أبي جَعفر عليه السلام قال: قال النّبي صلى الله عليه وآله:

«أعطيت السّور الطّوال مكان التّوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزّبُور، وفضّلت بالمفصّل ثمان وستّون سُورة، وهو مهيمن على سائر الكتب، فالتّوراة لمُوسى، والإنجيل لعيسى، والزّبوُر لداوُد».

ثمّ اعْلم أنّه يستفاد من الرّواية الشريفة أمُور.

الأوّل: إنّ جميع سُور القُرآن يكوُن داخلاً تحتَ العناوين الأربعة لاتخرج منها سورة.

الثّاني: إنّ الطّوال مقدّم في التّرتيب على المئين، والمئين على المثاني، والمثاني عَلى

---

١. التحرير والتنوير ج ١ ص ٩٠ ـ ٩٢.

المفصّل.

الثالث: إنّ الطّوال أفضل من المئين لكونهابمنزلة التّوراة التّي هي أفضل مّن الإنجيل، والمئين أفضَل مّن المثاني لكونها بمنزلة الإنجيل الذّي هو أفضل من الزّبور، ويمكن اسْتفادة كون المُفصّل أفضل من المثاني لأنّها ممّا فضّل به النّبي ﷺ، قيل: الطّول كصرد.

و في بعض روايات العامّة الطّوال، قيل: سمّيت به لكثرة طوّلها، وسمي ما بَعدها مئين لأنّ كلّ سُورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها، وسمّي ماولى المئين بالمثاني لأنّها ثنيّتها أي؛ كانَت بَعدها فهي لها ثوان والمئون لها أوائل. وقال الفرّاء: المثاني هي السّور التّي آيها أقلّ من مائة لأنّها تثنّى أكثر ممّا يثنّى الطّوال والمئون، وقيل: لتثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر أو لتثنية القِصص فيها وسمّي ماولى المثاني من قصار السّور بالمفصّل؛ لكثرة الفصُول التّي بين السّور بالبسملة، وقيل: لقلّة المنسوخ منْه ولهذا يسمّى بالمحْكم أيضاً.

روي عَن سعيد بن جُبير قال: إنّ الذّي تدعونه المفصّل هو المحكم وآخره سورة النّاس بلانزاع، ثم لا اشكال في أنّ عدد الطّوال سَبع لرواية واثلة عن النّبي ﷺ قال: «أعطيت السّبع الطّوال مكان التّوراة».

و عَنْ ابن عبّاس -ره-: أنّ السّبع الطّوال: البقرة وآل عمران والنّساء والمائدة والأنعام والأعراف قال الرّاوي فذكر السّابعة فنَسيتها، وفي رواية اخْرىٰ عَنه أنّها الكَهف، وعَن مجاهد وسعيد بن جبير أنّها يونس.

وقال الفيض رحمه الله: الطّوال السّبع بَعد الفاتحة، على أن تعد الأنفال والبراءة واحدة لنزولهما جميعاً في المغازي، وتسميتهما بالقرنتين.

وفيه أنّه بعد ماثبت أنّ الأنفال وبراءة سورتان، كيف يمْكن عدهما واحدة؟! إلا أن يحمل ما روي عن الصّادق عليه السلام من قوله: «الأنفال والبراءة واحد» على تَنزيلهما منزلة الواحد من هذه الجهة، مؤيّدا باشعار البنّوي على تقدّم السبع الطّوال علىٰ غيرها.

ثم قال: والمئين من بني اسرآئيل إلى سَبع سور لأنّ كلا منها على نحو مائة آية، والمفصّل من سورة محمّد إلى آخر القرآن سميّت به لكثرة الفواصل.

اقول: هذا مبنيّ على عدّ الضّحى و الإنشراح والفيل وقريش أربع سُور، وهذا خلاف

الأخبار والمعروف بين الأصحاب، وعليه فلابّد أن يعدّ المفَصّل من الجاثية حتّى يتمّ ثمان وستّون سورة إلى آخر القرآن على ما في الرّواية الشّريفة.

ثمّ قال رحمه الله: والمثاني بقيّة السّور وهي التّي تقصر عن المئين وتزيد على المفصّل.

أقول: كان عليه أن يكتفي في تعيين المثاني بذكر بقيّة السّور إذ بَعض المثاني لاتزيد على بعض سور المفصّل على ماحدّه لأنّ عدد آيات سُورة الرّحمن التّي جَعَلها في المفصل ثمان وسبعونُ، وسُورة الواقعة ستّ وتسعون، وليس في المثاني بعد الكهف سُورة تكونُ آياتها بهذا العدد إلاّ قليلاً كطه والأنبيّاء والمؤمنُون والشّعراء والصّافات.

ونقل عن جرير بن عبد الحميد: إنّه قال تأليف مُصحَف عبدالله بن مَسعُود الطّوال؛ البقرة وآل عمران والنّساء والأنعام والأعراف والمائدة ويونس، والمئين؛ براءة والنّحل وهود ويوسُف والكهف وبني اسرآئيل والأنبياء وطه والمؤمنون والشّعراء والصّافات، والمثاني؛ الأحزاب والحجّ والقصص والنّمل والنّور والأنفال ومَريم والعنكبُوت والرُّوم ويسّ والفرقان والحجر والرّعد وسبأ والملائكة وابرهيم وصّ والذّين كَفَرُوا ولقمان والزّمر والحواميم حمّ المؤمن والزخرف والسّجدة وحمعسق والأحقاف والجاثية والدخان والممتحنات إنا فتحنالك والحشر وتنزيل السّجدة والطّلاق ون والقلم والحجرات وتبارك والتّغابن والمنافقون والجمعة والصّف وقل أوحي وإنّا أرسلنا والمجادلة والممتحنة، والمفصّل؛ من الرّحمن إلى آخر القرآن.

أقول: الظّاهر من هذا الخبر إنّ الممتحنات والحواميم عند ابن مسعود؛ قسمان خارجان من الأقسام الأربعة، وانّه كان ترتيب السّور في مُصحفه على خلاف المصحف الذي بايدينا، إلا أنّه لا اعتبار بهذا النقل»[١].

قال المدرس: «وممايَنبغي أن يعلم أنه قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام، وخصّوا كلاً منها باسم، وهي: الطُّوالُ، والمئون، والمثاني، والمُفَصّلُ. فالطوال سبع سور: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف. فهذه ستّ، واختلفوا في

---

١. نفحات الرحمن ج ١ ص ١٧ ـ ١٨.

السابعة : أهي الأنفال و براءة معاً لعدم الفصل بينهما بالبسملة ؟ أم هي سورة يونس ؟

والمِئون : هي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها . والمثاني : هي التي تلي المئين في عدد الآيات . وقال الفرّاء : هي السور التي آيُها أقلّ من مائة آية لأنها تثني ـ أي تكرر ـ أكثر مما تكرر الطوال والمئون .

والمفصل : هو أواخر القرآن واختلفوا في تعيين أوله . وصحح النووي أن أوله الحجرات ، وسمي بالمفصّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة . وقيل : لقلة المنسوخ منه . وقيل : لكثرة الفصل بين آياتها وذلك لقصرها . والمفصل ثلاثة أقسام : طوال ، وأواسط ، وقصار . فطواله : من أول (الحجرات) إلى سورة (البروج) . وأواسطه : من سورة (الطارق) إلى سورة (لم يكن) . وقصاره : من سورة (إذا زلزلت) إلى آخر القرآن .

وإنما لم تتميز الأنفال من براءة بالبسملة. قال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا أنزل عليه شيءٌ دعا بعض مَن يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال نزلت بالمدينة .

وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقُبِض رسول الله ﷺ ولم يُبَيّن لنا أنها منها . فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، ووضعتهما في السبع الطوال. أي أن قرن براءة بالأنفال للمناسبة الشديدة في القصة، وسكوته ﷺ عن الأمر بزيادة البسملة ، جعلني بحيث لم أتجرأ على زيادتها .

وقيل : إن سكوته عن ذلك والحكمة في ذلك نزول (براءة) في الغضب غير المناسب للافتتاح بشعار الرحمة»[1] .

---

١. مواهب الرحمان ج ١ ص ٤١ ـ ٤٢ .

جمع القرآن

- جمع القرآن في الأثر
- شكل القرآن ونقطه وتعشيره
- حروف ليست على القاعدة في القرآن
- ترتيب السور والآيات
- تناسب السور والآيات

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جمع القرآن في الأثر

١ ـ قال ابن عطية: «كان القرآن [١] فى مدة رسول الله ﷺ متفرقا فى صدور الرجال؛ وقد كتب الناس منه فى صحف، وفى جريد، وفى لِخَاف [٢]، وفى ظُرَر [٣]، وفى خزف، وغير ذلك. فلما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة، أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر الصديق بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأُبَىّ، وزيد، وابن مسعود. فيذهب، فندبا إلى ذلك زيد بن ثابت فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد منه رضى الله عنه. وروى [٤] أن فى هذا الجمع سقطت الآية من آخر براءة حتى وجدها عند خزيمة بن ثابت.

وحكى الطبرى: أنه إنما سقطت له فى الجمع الأخير [٥]. والأول أصح؛ وهو الذى حكى البخارى، إلا أنه قال فيه مع أبى خزيمة الأنصارى، وقال [٦]: إنه فى الجمع الثانى فَقَدَ زَيْد آيةً من سورة الأحزاب: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [٧] فوجدها مع خزيمة [٨] بن ثابت، وبقيت

---

١. انظر عمدة القارى ج ٢٠ ص ١٦.

٢. اللخاف: حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة. انظر اللسان وتفسير الطبرى ج ١ ص ٤٣.

٣. الظرر: الحجر عامة. وقيل: هو الحجر المدور. وقيل: حجر له حد كحد السكين والجمع ظرار مثل رطب ورطاب. انظر اللسان، وتفسير الطبرى ج ١ ص ٤٣.

٤. انظر عمدة القارى ج ٢٠ ص ١٩.

٥. انظر تفسير الطبرى ج ١ ص ٢١.

٦. انظر عمدة القارى ج ٢٠ ص ١٩.

٧. سورة الاحزاب: الآية ٢٣.

٨. خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصارى، من السابقين الأولين، شهد بدرا وما بعدها، وقيل أول مشاهده أحد، جعل النبى بشهادة رجلين، استشهد بصفين. الإصابة فى تمييز الصحابة ج ٢ ص ١١١.

الصحف عند أبى بكر ثم عند عمر بن الخطاب بعده ثم عند حفصة بنته فى خلافة عثمان، وانتشرت فى خلال ذلك، صحف فى الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف ابن مسعود، وما كتب عن الصحابة بالشام، ومصحف أُبى وغير ذلك، وكان فى ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التى أنزل القرآن عليها، فلما قدم حذيفة من غزوة أرمينية ـ حسبما قد ذكرناه ـ انتدب عثمان لجمع المصْحف وأمر زيد [١] بن ثابت بجمعه، وقرن بزيد ـ فيما ذكر البخارى ـ ثلاثة من قريش: سعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدالله بن الزبير. وكذلك ذكر الترمذى وغيرهما وقال الطبرى [٢]: فيما روى أنه قرن بزيد أبان [٣] بن سعيد بن العاص وحده، وهذا ضعيف. وقال الطبرى أيضا: إن الصحف التى كانت عند حفصة جعلت إماما فى هذا الجمع الأخير. وروى أن عثمان رضى الله عنه قال لهم [٤]: إذا اختلفتم فى شىء فاجعلوه بلغة قريش. فاختلفوا فى التابوه، والتابوت قرأه زيد بن ثابت بالهاء والقرشيون بالتاء، فأثبته بالتاء. وكتب المصحف على ما هو عليه غابر الدهر، ونسخ عثمان منه نسخا ووجه بها إلى الآفاق، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق [٥] أو تخرق [٦]، تروى بالحاء غير منقوطة، وتروى بالخاء على معنى ثم تدفن، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن» [٧].

قال القرطبى فى جمع القرآن، وسبب كتب عثمان المصاحف وإحراقِه ماسواها:

«كان القرآن فى مدّة النبىّ ﷺ متفرقاً فى صدور الرجال، وقد كتب الناس منه فى صُحُف، وفى جَريدٍ، وفى لِخافٍ، وظُرَر، وفى خَزَف وغير ذلك ـ قال الأصمعى: اللِّخاف:

١. استصغر يوم بدر، وشهد أحدا، كتب الوحى للنبى، روى عنه جماعة منهم أبو هريرة توفى (٤٥ هـ) الإصابة ج ٣ ص ٢٢.

٢. انظر تفسير الطبرى ج ١ ص ٢١.

٣. له صحبة، شهد بدرا مشركا، أسلم أيام خيبر، وشهدها مع النبى. توفى (٢٧ هـ) الإصابة ج ١ ص ١٠.

٤. عمدة القارى ج ٢٠ ص ١٧، وتفسير الطبرى ج ١ ص ٢١.

٥. وهى رواية المروزى. قال ابن بطال: فى هذا الحديث جواز تحريق الكتب التى فيها اسم الله عز وجل بالنار وأن ذلك إكرام لها وصون عن وطئها بالأقدام. انظر عمدة القارى ج ٢٠ ص ١٩.

٦. وهى رواية الأكثرين أى تدفن وهذا اتجاه الحنفية فيقولون: إن المصحف إذا بلى بحيث لا ينتفع به يدفن فى مكان طاهر بعيد عن وطء الناس. انظر عمدة القارى ج ٢٠ ص ١٩.

٧. المحرر الوجيز ج ١ ص ٦٤ ـ ٦٦.

حجارة بيض رِقاق، واحدتها لَخْفة. والظُّرَر: حجر له حدّ كحد السكين، والجمع ظِرار؛ مثل رُطَب ورِطاب، ورُبَع ورِباع، وظِرّان أيضا مثل صُرد وصِردان - فلما اسْتَحرّ[1] القتلُ بالقراء يوم اليمامة فى زمن الصديق رضى الله عنه وقتل منهم فى ذلك اليوم فيما قيل؛ سبعمائة، اشار عمر بن الخطاب على ابى بكر الصديق رضى الله عنهما بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القرّاء، كأُبيّ وابن مسعود وزيد؛ فندبا زيد بن ثابت إلى ذلك، فجمعه غير مرتب السُّوَر، بعد تعب شديد، رضي الله عنه. روى البخاريّ عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبوبكر مقتَل أهلِ اليمامة وعنده عمر، فقال أبوبكر: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد اسْتَحَرّ يوم اليمامة بالناس، وإنى أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء فى المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلاّ أن تجمعوه، وإنى لأرى أن تجمع القرآن، قال أبوبكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال: هو والله خير؛ فلم يزل يراجعني حتى شرح الله لذلك صدرى، ورأيتُ الذى رأى عمر. قال زيد: وعنده عمر جالس لا يتكلم، فقال لى أبوبكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتّهمك، كنتَ تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلّفنى نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن؛ قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؛ فقال أبوبكر: هو والله خير؛ فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبىبكر وعمر؛ فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف[2] والعُسُب [3] وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة «التوبة» آيتين مع خُزيمة الأنصارى لم أجدهما مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[4] إلى آخرها. فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفّاه الله، ثم عند عمر حتى توفّاه اللّه، ثم عند حفصة بنت عمر. وقال الليث: حدثنى عبدالرحمن ابن غالب عن ابن شهاب وقال: مع أبي خزيمة الأنصارى. وقال أبو ثابت: حدثنا إبراهيم وقال: مع خزيمة أو أبي خزيمة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ

---

١. قوله: استحر، أى اشتد وكثر.
٢. الأكتاف: جمع كتف وهو عظم عريض يكون فى أصل كتف الحيوان كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم.
٣. العسب: جمع عسيب وهو جريد النخل إذا نزع منه خوصه.
٤. سورة التوبة: الآية ١٢٨.

﴿تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[١].

وقال الترمذي في حديثه عنه: فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت ﴿لقد جاءكم رسول مِن أنفسِكم عَزِيزٌ عليهِ ما عَنِتم حَرِيص عليكم بِالمؤمنين رءوف رحيم. فإن تَوَلَّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾[٢]. قال: حديث حسن صحيح.

وفي البخاري عن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصُّحف في المصاحف فقدتُ آية من سورة «الأحزاب» كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري [٣] ـ الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين ـ ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾. وقال الترمذي عنه: فقدتُ آية من سورة «الأحزاب» كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾[٤] فالتمستها فوجدتها عند خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة، فألحقتها في سورتها.

قلت: فسقطت الآية الأولى من آخر «براءة» في الجمع الأوّل، على ما قاله البخاري والترمذي؛ وفي الجمع الثاني فقدت آية من سورة «الأحزاب». وحكى الطبري: أن آية «براءة» سقطت في الجمع الأخير، والأوّل أصح والله أعلم. فإن قيل: فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه، وقد سبقه أبوبكر إلى ذلك وفرغ منه؛ قيل له: إن عثمان رضي الله عنه لم يَقْصد بما صنع جَمْعَ الناس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك؛ على ما يأتي. وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءات بسبب تفرق الصحابة في البلدان، واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم؛ ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة رضي الله عنه. وذلك أنهم اجتمعوا في غَزْوة أرْمِينية فقرأت كل طائفة بما رُوِي لها؛ فاختلفوا

---

١. سورة التوبة: الآية ١٢٨ ـ ١٢٩.
٢. سورة التوبة: الآية ١٢٩.
٣. خزيمة ذو الشهادتين غير أبي خزيمة بالكنية (القسطلاني).
٤. سورة الاحزاب: الآية ٢٣.

وتنازعوا وأظهر بعضهم إكفار بعض، والبراءة منه وتلاعنوا؛ فأشفق حذيفة مما رأى منهم؛ فلما قدم حُذيفة المدينة ـ فيما ذكر البخاريّ والترمذيّ ـ دخل إلى عثمان قبل أن يدخل إلى بيته، فقال: أدرك هذه الأمة قبل أن تَهْلِك! قال: فيماذا؟ قال: فى كتاب الله، إنى حضرت هذه الغزوة، وجَمَعتْ ناسا من العراق والشام والحجاز؛ فوصف له ما تقدّم، وقال: إنى أخشى عليهم أن يختلفوا فى كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى.

قلت: وهذا أدل دليل على بطلان من قال: إن المراد بالأحرف السبعة قراءات القراء السبعة، لأن الحق لا يختلف فيه، وقد روى سُوَيد بن غَفَلة عن علىّ بن أبى طالب؛ أن عثمان قال: ما ترون فى المصاحف؟ فإن الناس قد اختلفوا فى القراءة حتى إن الرجل ليقول: قراءتى خير من قراءتك، وقراءتى أفضل من قراءتك. وهذا شبيه بالكفر؛ قلنا: ما الرأى عندك يا أميرالمؤمنين؟ قال: الرأى عندى أن يجتمع الناس على قراءة، فأنكم إذا اختلفتم اليوم كان منْ بعدكم أشد اختلافا! قلنا: الرأى رأيك يا أميرالمؤمنين؛ فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردّها إليك؛ فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم؛ ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. وكان هذا من عثمان رضى الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وَجلّةَ أهل الإسلام وشاورهم فى ذلك؛ فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت فى القراءات المشهورة عن النبىّ ﷺ واطّراح ما سواها، واستصوبوا رأيه وكان رأيا سديداً موفّقا؛ رحمة الله عليه وعليهم أجمعين. وقال الطبرى فيما روى: أن عثمان قَرَن بزيد أبَانَ بن سعيد بن العاص وحده؛ وهذا ضعيف. وما ذكره البخارى والترمذىّ وغيرهما أصح. وقال الطبرى أيضا: إن الصحف التى كانت عند حفصة جُعلت إماماً فى هذا الجمع الأخير؛ وهذا صحيح.

وقال ابن شهاب: وأخبرنى عبيدالله بن عبدالله أن عبدالله بن مسعود كره لزيد بن ثابت

نسخ المصاحف، وقال: يا معشر المسلمين، أُعْزَلُ عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفي صُلب رجل كافر! ويريد زيد بن ثابت. ولذلك قال عبدالله ابن مسعود: يا أهل العراق، اكتموا المصاحف التي عندكم وغُلُّوها، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1] فالقوا الله بالمصاحف، خرّجه الترمذي. وسيأتي الكلام في هذا في سورة «آل عمران» إن شاء الله تعالى.

قال أبوبكر الأنباريّ: ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبدالله ابن مسعود في جمع القرآن، وعبدالله أفضل من زيد، وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل، إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبدالله، إذ وَعاه كلّه، ورسول الله ﷺ حيّ، والذي حفظ منه عبدالله في حياة رسول الله ﷺ، نيّف وسبعون سورة، ثم تعلّم الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ؛ فالذي ختم القرآن، وحفظه ورسول الله ﷺ حيّ، أولى بجمع المصحف وأحق بالإيثار والاختيار. ولا ينبغي أن يظنّ جاهل أن في هذا طعناً على عبدالله بن مسعود؛ لأن زيدا إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبا لتقدمته عليه، لأن أبابكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن، وليس هو خيراً منهما ولا مساوياً لهما في الفضائل والمناقب. قال أبوبكر: وما بدا من عبدالله بن مسعود من نكير ذلك فشيء نَتَجه الغضب، ولا يُعمل به ولا يؤخذ به، ولا يُشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم. فالشافع الذائع المتعالم عند اهل الرواية والنقل: أن عبدالله بن مسعود تعلم بقيّة القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقد قال بعض الأئمة: مات عبدالله بن مسعود قبل أن يختم القرآن. قال يزيد بن هارون: المعوّذتان بمنزلة البقرة وآل عمران، من زعم أنهما ليستا من القرآن فهو كافر بالله العظيم؛ فقيل له: فقول عبدالله بن مسعود فيهما؟ فقال: لا خلاف بين المسلمين في أن عبدالله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كله.

قلت: هذا فيه نظر، وسيأتي. وروى إسماعيل بن إسحاق وغيره، قال حماد - أظنه عن أنس بن مالك، قال: كانوا يختلفون في الآية فيقولون: أقرأها رسول الله ﷺ فلان بن فلان؛

---

١. سورة آل عمران: الآية ١٦١.

فعسى أن يكون من المدينة على ثلاث ليال فيُرسَل إليه فيُجاء به، فيقال: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيكتبون كما قال. قال ابن شهاب: واختلفوا يومئذ في التابوت، فقال زيد: التابوه. وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: التابوت؛ فرُفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه بالتاء؛ فإنه نزل بلسان قريش. أخرجه البخاري والترمذي. قال ابن عطية: قرأه زيد بالهاء، والقرشيون بالتاء، فأثبتوه بالتاء؛ وكتبت المصاحف على ما هو عليه غابر الدهر، ونسخ منها عثمان نسخاً. قال غيره: قيل: سبعة، وقيل: أربعة، وهو الأكثر، ووجّه بها إلى الآفاق، فوجّه للعراق والشام ومصر بأمّهات، فاتخذها قرّاء الأمصار معتمد اختياراتهم، ولم يخالف أحد منهم مصحفه على النحو الذي بلغه، وما وجد بين هؤلاء القرّاء السبعة من الاختلاف في حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم، فذلك لأن كلاً منهم اعتمد على ما بلغه في مصحفه ورواه، إذ قد كان عثمان كتب تلك المواضع في بعض النسخ ولم يكتبها في بعض إشعارا بأن كل ذلك صحيح، وأن القراءة بكل منها جائزة. قال ابن عطية: ثم إن عثمان أمر بما سواها من المصاحف أن تُحرَق أو تُخرق، تروى بالحاء غير منقوطة وتروى بالخاء على معنى ثم تدفن، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن.

وذكر أبوبكر الأنباري في كتاب الردّ عن سُوَيد بن غَفَلة، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يقول: يا معشر الناس، اتقوا الله! وإيّاكم والغُلُوّ في عثمان، وقولكم: حرّاق المصاحف؛ فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ. وعن عُمير بن سعيد قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان».

قال أبوالحسن بن بطّال: وفي أمر عثمان بتحريق الصحف والمصاحف حين جمع القرآن جواز تحريق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى، وأن ذلك إكرام لها وصيانة عن الوطء بالأقدام، وطرحها في ضياع من الأرض. روى معمر، عن ابن طاوس عن أبيه: أنه كان يحرق الصحف إذا اجتمعت عنده الرسائل فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وحرق عروة ابن الزبير كتب فقه كانت عنده يوم الحَرّة، وكره إبراهيم أن تحرق الصحف إذا كان فيها ذكر الله تعالى؛ وقول من حرقها أولى بالصواب، وقد فعله عثمان. وقد قال القاضي أبوبكر

لسان الأمة: جائز للإمام تحريق الصحف التى فيها القرآن، إذا أدّاه الاجتهاد إلى ذلك.

فصل - وقد طعن الرافضه ... فى القرآن، وقالوا: إن الواحد يكفى فى نقل الآية والحرف كما فعلتم، فإنكم أثبتم بقول رجل واحد وهو خزيمة بن ثابت وحده آخر سورة «براءة» وقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾.

فالجواب: أن خزيمة رضى الله عنه لما جاء بهما تذكّرهما كثير من الصحابة، وقد كان زيد يعرفهما، ولذلك قال: فقدت آيتين من آخر سورة «التوبة». ولو لم يعرفهما لم يدر هل فَقَدَ شيئا أوْ لا؟!، فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده.

جواب ثان - إنما ثبتت بشهادة خزيمة وحده لقيام الدليل على صحتها فى صفة النبىّ ﷺ، فهى قرينة تغنى عن طلب شاهد آخر، بخلاف آية «الأحزاب» فإن تلك ثبتت بشهادة زيد وأبى خزيمة لسماعهما إياها من النبىّ ﷺ.

قال معناه المهلب، وذكر: أن خزيمة غير أبى خزيمة، وأن أبا خزيمة الذى وجدت معه آية التوبة معروف من الأنصار، وقد عرفه أنس وقال: نحن ورثناه، والتى فى الأحزاب وجدت مع خزيمة بن ثابت فلا تعارض؛ والقصة غير القصة لا إشكال فيها ولا التباس.

وقال ابن عبدالبر: «أبو خزيمة لا يوقف على صحة اسمه وهو مشهور بكنيته؛ وهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أَصْرم بن ثعلبة بن غُنْم بن مالك بن النجار، شهد بدرا وما بعدها من المشاهد، وتوفى فى خلافة عثمان بن عفان، وهو أخو مسعود بن أوس».

قال ابن شهاب عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت: وجدت آخر التوبة مع أبى خزيمة الأنصارىّ وهو هذا، وليس بينه وبين الحارث بن خزيمة أبى خزيمة نسب إلا اجتماعهما فى الأنصار، أحدهما أَوْسِىّ والآخر خَزْرَجِىّ».

وفى مسلم والبخارى عن أنس بن مالك قال: جمع القرآن على عهد النبىّ ﷺ أربعةٌ كلهم من الأنصار: أُبَىّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت لأنس: مَن أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى.

وفى البخارىّ أيضا عن أنس قال: مات النبىّ ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة:

أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد؛ [قال][١]: ونحن ورثناه. وفى أخرى قال: مات أبو زيد ولم يترك عَقِباً، وكان بَدْرِيّاً، واسم أبى زيد سعد بن عُبيد.

قال ابن الطَّيب رضى الله عنه: لا تدل هذه الآثار على أن القرآن لم يحفظه فى حياة النبىّ ﷺ ولم يجمعه غير أربعة من الأنصار، كما قال أنس بن مالك، فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان، وعليّ، وتميم الدارىّ، وعُبادة بن الصامت، وعبدالله بن عمرو بن العاص. فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة، يحتمل أنه لم يجمع القرآن، وأخذه تلقيناً من فِيِّ رسول الله ﷺ غير تلك الجماعة؛ فإن أكثرهم أخذ بعضَه عنه وبعضه عن غيره، وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبى ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول ﷺ لهم.

قلت: لم يذكر القاضى، عبدالله بن مسعود وسالما مولى أبى حُذيفة رضى الله عنهما فيما رأيت، وهما ممن جمع القرآن. روى جرير عن عبدالله بن يزيد الصهبانى عن كُميل قال: قال عمر بن الخطاب: كنت مع رسول الله ﷺ ومعه أبوبكر ومن شاء الله، فمررنا بعبدالله بن مسعود وهو يصلى، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا يقرأ القرآن»؟. فقيل له: هذا عبدالله بن أمّ عَبْد؛ فقال: «إن عَبْدالله يقرأ القرآن غَضًّا كما أنزل» الحديث. قال بعض العلماء: معنى قوله: «غضًّا كما أنزل» أى إنه كان يقرأ الحرف الأوّل الذى أنزل عليه القرآن دون الحروف السبعة التى رُخّص لرسول الله ﷺ فى قراءته عليها بعد معارضة جبريل ﷺ القرآن إياه فى كل رمضان.

وقد روى وكيع وجماعة معه عن الأعمش عن أبى ظبيان قال: قال لى عبدالله بن عباس: أىّ القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى قراءة ابنِ أُمّ عَبْدٍ؛ فقال لى: بل هى الآخرة، إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل فى كل عام مرّة، فلما كان العام الذى قبضْ فيه رسول الله ﷺ عرضه عليه مرتين، فحضر ذلك عبدالله، فعلم ما نُسخ من ذلك وما بُدّل.

وفى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة؛ من ابن أمّ عبدٍ ـ فبدأ به ـ ومعاذ بن جبل، وأُبىّ بن كعب، وسالم مَوْلى أبى

١. زيادة عن البخارى. وقوله: ونحن ورثناه. أى أبا زيد.

حُذيفة».

قلت: هذه الأخبار تدل على أن عبدالله جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ خلاف ما تقدّم، والله أعلم.

وقد ذكر أبوبكر الأنباري في كتاب الردّ: حدّثنا محمّد بن شهريار، حدّثنا حسين بن الأسود، حدّثنا يحيى بن آدم، عن أبي بكر، عن أبي إسحاق قال: قال عبدالله بن مسعود: قرأت مِن فِيّ رسول الله ﷺ اثنتين وسبعين سورة - أو ثلاثا وسبعين سورة - وقرأت عليه من البقرة إلى قوله تعالى: ﴿إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ويُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين﴾ [1].

قال أبو إسحاق: وتعلّم عبدالله بقيّة القرآن من مُجمّع بن جارية الأنصاري.

قلت: فإن صح هذا، صح الإجماع الذي ذكره يزيد بن هارون، فلذلك لم يذكره القاضي أبوبكر بن الطيب مع من جمع القرآن وحفظه في حياة النبي ﷺ، والله أعلم.

قال أبوبكر الأنباري: حدّثني إبراهيم بن موسى [2] الخُوزي، حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا مالك بن اسماعيل، حدّثنا زهير عن أبي إسحاق، قال: سألت الأسود، ما كان عبدالله يصنع بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة؛ قال: وقد قال بعض أهل العلم: مات عبدالله بن مسعود رحمة الله عليه قبل أن يتعلم المعوّذتين؛ فلهذه العلة لم توجدا في مصحفه، وقيل: غير هذا، على ما يأتي بيانه آخر الكتاب عند ذكر «المعوّذتين» إن شاء الله تعالى.

قال أبوبكر: والحديث الذي حدّثناه إبراهيم بن موسى، حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا عمر بن هارون الخراساني، عن ربيعة بن عثمان، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، قال: كان ممن ختم القرآن ورسول الله ﷺ حيّ، عثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود، حديث ليس بصحيح عند أهل العلم، إنما هو مقصور على محمد بن كعب؛ فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعوّل عليه.

قلت: قوله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة من ابن أمّ عَبْدٍ» يدل على صحته، ومما يبين لك ذلك أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق، كلٌّ منهم عَزَا قراءته التي

---

١. سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

٢. كذا في الأصول. والذي في التهذيب وغيره: ابن يزيد.

اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ، لم يستثن من جملة القرآن شيئا؛ فأسند عاصم قراءته إلى عليّ وابن مسعود، وأسند ابن كثير قراءته إلى أبيّ، وكذلك أبو عمرو بن العلاء، أسند قراءته إلى أُبيّ، وأما عبدالله بن عامر فإنه أسند قراءته إلى عثمان؛ وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول الله ﷺ، وأسانيد هذه القراءات متصلة ورجالها ثقات. قاله الخَطَّابي»[١].

قال البغدادي في جمع القرآن: «عن زيد بن ثابت قال: بعث إليّ أبوبكر لمقتل أهل اليمامة، وعنده عمر، فقال أبوبكر: إن عمر جاءني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن، فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال: قلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟، فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: فقال لي أبوبكر: إنك رجل شاب عاقل لانتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن، فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبوبكر: هو والله خير، فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر - وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر - ورأيت في ذلك الذي رأيا، قال: فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة، أو مع أبي خزيمة الأنصاري، فلم أجدها مع أحد غيره ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾[٢] إلى آخر براءة، فألحقتها في سورتها، قال: فكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر، قال بعض الرواة: اللخاف يعني الخزف.

عن أنس: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية

---

١. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٤٩ ـ ٥٩.
٢. سورة التوبة: الآية ١٢٨.

وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أميرالمؤمنين أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة؛ أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف، ثم نردها إليك. فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ـ ثمّ ـ ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب: وأخبرنى خارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول: فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه﴾[1]، فألحقناها فى سورتها فى المصحف، قال: فى رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، زاد فى رواية؛ قال ابن شهاب: اختلفوا يومئذ فى التابوت، فقال زيد: التابوه، وقال عبداللّة بن الزبير وسعيد بن العاص: التابوت، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش. (شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما).

قوله: «بعث إلىّ أبوبكر لمقتل أهل اليمامة» أي: لأوان قتلهم وأراد به؛ الوقعة التى كانت باليمامة فى زمن أبى بكر الصديق، وهى وقعة الردة مع أصحاب الردة، فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن. واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف، وعلى أربعة أيام من مكة، ولها عمائر وهى فى عداد أرض نجد.

قوله: «استحر القتل» أى كثر، وينسب المكروه إلى الحر، والمحبوب إلى البرد، وشرح الصدر؛ سعته وقبوله الخير.

---

١. سورة الاحزاب: الآية ٢٣.

قوله : « فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع » جمع رقعة: وهى ما يكتب فيها. والعسب - بضم العين والسين المهملتين - جمع عسيب: وهو جريد النخل وسعفه. واللخاف: حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة.

قوله : « يغازى أهل الشام » أى مع أهل الشام فى فتح إرمينية - بكسر الهمزة وتخفيف الياء لا غير - سميت بأرمين بن لمطى بن لومن بن يافث بن نوح، وهو أول من نزل بها، سميت باسمه. وأذربيجان - بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك فى ضبطها - وقال : ابن جنى: فيها خمسة موانع من الصرف؛ التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والألف والنون؛ وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة . قوله : « حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابى خزيمة الانصارى »، وفى الحديث الآخر: فقدت آية من سورة الاحزاب - الى قوله - فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى. ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه﴾[1] الآية، فاعلم أنَّ المذكور فى الحديث الأول ، غير المذكور فى الحديث الثانى ، وهما قضيتان ، فأما المذكور فى الحديث الأول ؛ فهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار الأنصارى ، شهد بدراً وما بعدها وتوفى فى خلافة عثمان ، وهو الذى وجدت عنده آخر سورة التوبة ، كذا ذكره ابن عبدالبر ، وأما المذكور فى الحديث الثانى ؛ فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمى الأوسى الأنصارى، يعرف بذى الشهادتين شهد بدراً وما بعدها وقتل يوم صفين مع على بن أبى طالب.

قوله : « فقدت آية من سورة الأحزاب - إلى قوله - فوجدناها مع خزيمة » معناه؛ أنه كان يتطلب نسخ القرآن من الأصل الذى كتب بأمر النبى ﷺ وبين يديه، فلم يجد تلك الآية إلا مع خزيمة، وليس فيه إثبات القرآن بقول الواحد، لأن زيدا كان قد سمعها من رسول اللّه ﷺ وعلم موضعها من سورة الأحزاب بتعليم رسول اللّه ﷺ، كما صرح به الحديث : « قد كنت أسمع رسول اللّه ﷺ يقرأ بها وتتبعه الرجال »، كان للاستظهار لا لاستحداث علم، لان القرآن العظيم كان محفوظاً عند زيد وغيره من الصحابة، فقد ثبت فى الصحيح عن أنس

---

١. سورة الاحزاب : الآية ٢٣ .

قال: « جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد » يعني ابن ثابت، قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي. أخرجاه في الصحيحين، اسم أبي زيد سعدبن عبيد.

وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأُبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة » قال: حديث حسن صحيح.

وتقدّم حديث زيد بن ثابت، وفيه: « أنه استحر القتل بقراء القرآن » فثبت بمجموع هذه الأحاديث، أنّ القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن رسول الله ﷺ.

وإنما ترك جمعه في مصحف واحد، لأنّ النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة، كما كان ينسخ بعض أحكامه فلم يجمع في مصحف واحد، ثم لو رفع بعض تلاوته أدّى ذلك إلى الاختلاف واختلاط أمر الدين، فحفظ الله كتابه في القلوب إلى انقضاء زمن النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وثبت بالدليل الصحيح: أنّ الصحابة، إنما جمعوا القرآن بين الدفتين، كما أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئا.

والذي حملهم على جمعه ما جاء مبينا في الحديث، وهو أنه كان مفرقا؛ في العسب، واللخاف، وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا إلى خليفة رسول رب العالمين ﷺ، أبي بكر فدعوه إلى جمعه، فرأى في ذلك رأيهم، فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ من غير أن قدّموا أو أخروا شيئا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية، أنّ هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا.

فثبت أنّ سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإنّ القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن.

وقد صح فى حديث ابن عباس: أنّ النبى ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فى رمضان، وأنه عرضه فى العام الذى توفى فيه مرتين. ويقال: إنّ زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى عرضها رسول الله ﷺ على جبريل عليه السلام، وهى العرضة التى نسخ فيها ما نسخ وبقى فيها ما بقى، ولهذا أقام أبوبكر زيد بن ثابت فى كتابة المصحف وألزمه بها، لأنه قرأ على النبى « فى العام الذى توفى فيه مرتين، فكان جمع القرآن سبباً لبقائه فى الأمّة رحمة من الله تعالى لعباده، وتحقيقاً لوعده فى حفظه على ما قال تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1] »[2].

قال ابن جزى: « وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقاً فى الصحف وفى صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى بيته، فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد.

فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب؛ أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بجمع القرآن، مخافة أن يذهب بموت القراء، فجمعه فى صحف غير مرتب السور، وبقيت تلك الصحف عند أبى بكر، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين، وانتشرت فى خلال ذلك صحف كتبت فى الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلاف، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضى الله عنهما، فجمع الناس على مصحف واحد خيفة من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمان، وأمر زيد بن ثابت فجمعه، وجعل معه ثلاثة من قريش: عبدالله بن الزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بن أمية، وقال لهم: إذا اختلفتم فى شيء فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذى كان عند حفصة إماما فى هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رضى الله عنه يتعهدهم ويشاركهم فى ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضى الله عنه منه نسخا، ووجهها الى الأمصار، وأمر بما سواها أن تخرق أو تحرق. «يروى بالحاء والخاء المنقوطة»[3].

---

١. سورة الحجر: الآية ٩.

٢. لباب التأويل (خازن) ج ١ ص ٦ ـ ٨.

٣. التسهيل ج ١ ص ٤.

قال النيشابوري في كيفية جمع القرآن :

« روى عن زيد بن ثابت أنه قال: أرسل إليّ أبوبكر مقتل أهل اليمامة وإذا عنده عمر، فقال أبوبكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ بقراء القرآن يوم اليمامة، وإنى أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء فى المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، قال: فقلت: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟، فقال لى هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى له، فرأيت فيه الذى رأى عمر، قال زيد بن ثابت: قال لى أبوبكر: إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، قد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال، وكانت الصحف عند أبى بكر حتى مات، ثم كانت عند عمر حتى مات، ثم كانت عند حفصة مدّة، إلى أن أرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلى إلىّ بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها عليك، فأرسلت إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وإلى عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام، فأمرهم أن ينسخوا الصحف فى المصاحف، ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم. قال: ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف، بعث عثمان فى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف، وأمر بما سوى ذلك من القرآن أن يحرق أو يخرق. قال زيد بن ثابت: فرأيت أصحاب محمد يقولون: أحسن والله عثمان أحسن والله عثمان. وقال علىّ: لو وليت لفعلت فى المصاحف الذى فعل عثمان، إلا أن عبدالله بن مسعود كره أن ولى زيد بن ثابت نسخ المصاحف، فقال: « يا معشر المسلمين أأعزل عن نسخ كتاب الله ويولاها رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفى صلب رجل كافر » يعنى زيدا.

فكان أول من أمر بجمع القرآن فى المصحف أبوبكر مخافة أن يضيع منه شيء، غير أنه لم يجمع الناس عليه، وكان الناس يقرأون بقراءات مختلفة على سبيل ما أقرأهم رسول الله ﷺ وأصحابه إلى وقت عثمان، ثم إن عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد، ولذلك نسب المصحف إليه وجعل ذلك إماما.

واعلم ! أن القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله ﷺ، فإنه ما أنزلت آية إلا وقد أمر رسول الله ﷺ من كان يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا، ولا نزلت سورة إلا وقد أمر رسول الله ﷺ الكاتب أن يضعها بجنب سورة كذا.

روى عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب، فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا».

وعن أنس قال: « جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة من الأنصار: أبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد، قيل لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي » . غير أنهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدفتين، ولم يلزموا القراء توالي سورها؛ وذلك أن الواحد منهم إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله ﷺ أو كتبها، ثم خرج في سرية فنزلت في وقت مغيبه سورة، فإنه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته، ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له. فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه. وقد كان منهم، من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة، ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسب، ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن، فلا يرون بأكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه. فلما أن مضى رسول الله ﷺ لسبيله، وجُند المهاجرون والأنصار أجناداً فتفرقوا في أقطار الدنيا، واستحرّ القتل في بعضهم -كما مر- خيف حينئذ أن يتطرق إليه ضياع فأمروا بجمعه في المصحف»[1].

قال البحراني (ره) : في ان القرآن لم يجمعه كما انزل الا الائمة عليهم السلام :

« ١ - محمد بن الحسن الصفار عن محمد بن الحسين بن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال: « ما يستطيع احد يدعى انه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء » .

٢ - وعنه عن احمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ابى المقدام عن جابر قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: «ما من احد من الناس ادعى انه جمع القرآن كله

١ . غرائب القرآن ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ .

كما انزله الله الا كذب ، وما جمعه وحفظه كما انزله الله الاعلى بن ابى طالب والائمة من بعده » »[١].

قال الآلوسى فى « جمع القرآن وترتيبه » : اعلم ! ان القرآن جمع أولاً بحضرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقد أخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال : « كنا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نؤلف القرآن فى الرقاع. وثانياً بحضرة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ».

فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت ايضا قال : « أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبوبكر: إن عمر أتانى، فقال : ان القتل قد استحرّ بقراء القرآن [٢]، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ ، قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت الذى رأى عمر، قال زيد : قال أبوبكر : إنك شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ماكان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ قال هو والله خير، فلم يزل أبوبكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب [٣] واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الانصارى لم أجدها مع غيره ﴿لقد جاءكم رسول﴾[٤] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله تعالى ، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر».

١. البرهان فى تفسير القرآن ج ١ ص ١٥.
٢. وقد روى انه قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، منهم سالم مولى أبى حذيفة اهـ منه.
٣. العسب : جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض، واللخاف بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء: جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء، هى الحجارة الرقاق؛ وقال الخطابى صفائح الحجارة اهـ منه.
٤. سورة التوبة : الآية ١٢٨.

وأخرج ابن أبي داود بسند رجاله الثقات مع انقطاع: أن أبابكر قال لعمر وزيد مع انه كان حافظا: «اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه».

ولعل الغرض من الشاهدين أن يشهدا على أن ذلك كتب بين يدي الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، أو على أنه مما عرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عام وفاته.

وإنما اكتفوا في آية التوبة بشهادة خزيمة؛ «لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين».

والقول: بأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة مما لاحجار له [١].

وما شاع ان عليا كرم الله وجهه لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخلف لجمعه، فبعض طرقه ضعيفة [٢]، وبعضها موضوع [٣]، وما صح [٤] فمحمول، كما قيل: على الجمع في الصدر، وقيل: كان جمعا بصورة أخرى لغرض آخر، ويؤيده أنه قد كتب فيه الناسخ والمنسوخ، فهو ككتاب علم.

وقد أخرج ابن أبي داود بسند حسن عن عبد خير قال: سمعت عليا يقول: أعظم الناس في المصاحف أجرا أبوبكر رضي الله تعالى عنه رحمة الله على أبي بكر، هو اول من جمع كتاب الله، أي: على الوجه الذي تقدم، فلا ينافي ما في مختصر القرماني أن أول من جمعه عمر رضي الله تعالى عنه.

وما روي عن أبي بريدة أنه قال: أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه.

فهو مع غرابته وانقطاعه محمول على أنه أحد الجامعين بأمر أبي بكر رضي الله تعالى عنه، قاله الامام السيوطي وهي عثرة منه لا يقال لصاحبها لغا لأن سالما هذا قتل في وقعة اليمامة، كما يدل عليه كلام الحافظ ابن حجر في إصابته، ونص عليه السيوطي نفسه في إتقانه بعد هذا المبحث بأوراق، ولا شك أن الامر بالجمع وقع من الصديق بعد تلك الوقعة

---

١. هذا القول لابن حجر قال على سبيل الظن وهو من بعضه اهـ منه.

٢. وهو ما اخرجه ابو داود من طريق ابن سيرين اهـ منه.

٣. وهو ما اخرجه غير واحد من رواية أبي حيان التوحيدي أحد زنادقة الدنيا اهـ منه.

٤. كرواية ابي الضريس في فضائل علي رضي الله تعالى عنه اهـ منه.

وهى التى كانت سببا له، كما يدل عليه حديث البخارى الذى قدمناه، فسبحان من لا ينسى.

وما اشتهر أن جامعه عثمان فهو على ظاهره باطل، لانه رضى الله تعالى عنه إنما حمل الناس فى سنة خمس وعشرين [١] على القراءة بوجه واحد باختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والانصار، لما خشى الفتنة من اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات.

فقد روى البخارى عن أنس: أن حذيفة بن اليمانى قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال لعثمان: أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة، أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها ثم نردها اليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت [٢] وعبدالله بن الزبير و سعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها فى المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فانه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف [٣] مما نسخوا، وأمر بما سواه من القراءات فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال زيد: «ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[٤] ألحقناها فى سورتها فى المصحف».

وقد ارتضى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أن المرتضى كرم الله تعالى وجهه، قال ـ على ما أخرج ابن أبى داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة عنه ـ: «لا تقولوا فى عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ

١. وقيل فى حدود سنة ثلاثين ولا مستند له اهـ منه.

٢. واخرج ابن ابى داود انه جمع اثنى عشر رجلا من قريش والانصار اهـ منه.

٣. فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً كما أخرج ذلك ابن أبى داود من طريق حمزة الزيات أهـ منه.

٤. سورة الاحزاب: الآية ٢٣.

منا »، وفى رواية : « لو وليت لعملت بالمصحف الذى عمله عثمان ».

وما نقل عن ابن مسعود أنه قال لما أحرق مصحفه: « لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كما صنعوا بمصحفى » كذب، كسوء معاملة عثمان معه التى يزعمها الشيعة حين أخذ المصحف منه، وهذا الذى ذكرناه من فعل عثمان، هو ما ذكره غير واحد من المحققين حتى صرحوا بأن عثمان لم يصنع شيئا فيما جمعه أبوبكر من زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب، سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة قريش محتجا بأن القرآن نزل بلغتهم »[١].

قال عبدالقادر فى جمع القرآن ونسخه وترتيبه :

« إعلم نور الله بصيرتك انه ثبت في الصحيح عن انس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم في الأنصار، أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسعد بن عبيد أبو زيد أحد أعمام انس، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم.

مطلب جمعه ونسخه وكونه توقيفياً:

وكان جمعه على عهد الرسول على الرقاع واللخاف وجريد النخل، لا على صحف، وكان ترتيبه على ما هو موجود في المصاحف الآن، ثم كان جمعه على زمن أبي بكر، عبارة عن نسخه من هذه الأشياء إلى صحف، وجمعه على زمن عثمان نسخه إلى صحف وكراريس، وجعله بين دفتين، كما هو عليه الآن. ومن قال: إنه لم يجمع على عهد الرسول فقد أخطأ، يؤيد هذا ما ذكرناه آنفاً من حديث أنس المتقدم، وما أخرج الترمذي: من أن عمر رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: « خذوا القرآن على أربعة عن ابن مسعود، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة »، وكان هؤلاء الكتاب يكتبون القرآن حسبما يمليه عليهم حضرة الرسول، على العسب؛ جريد النخل، وعلى اللخف؛ الأحجار الرقيقة، ويضعون ما يكتبونه عند الرسول، ويكتب كل منهم نسخة لنفسه، وكلما ينزل ما يتعلق بالمكتوب، فإن الرسول ﷺ يدلهم أين يكتبونه أي في أي سورة، وبعد أي آية، ولم يجمعه من النساء إلا أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث، التي كان يزورها حضرة الرسول ويسميها

١. روح المعانى ج ١ ص ٢١ ـ ٢٣.

الشهيدة، ذكره الجلال السيوطي في إتقانه.

وقد قال ﷺ فيما أخرجه مسلم: «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن» وهذا زيادة في التثبت به، لئلا يدخل عليه ما ليس منه من أحاديثه ﷺ، أو غيرها في تفسير بعض كلماته من لدنه أو من بعض الأصحاب، وتدوينها بهامشه أو بين سطوره خشية من إدخال شيء من ذلك فيه، ولهذا قال: من قال، أن فلانا قرأ كذا، وفي مصحف فلان كذا، لأن بعض الأصحاب كان يدون بعض ما يفسره أو ما يسمعه من تفسير غيره على هامش مصحفه أو بين سطوره، حتى ظنها بعضهم أنها في جملة القرآن والقراءات، وهذا لا ينافي كتابة الاحاديث أي تدوينها على حدة، لأنها ليست من القرآن ولا تكتب معه، إذ لا يجوز أن يكتب معه غيره البتة، وكانت حافظة الأميين وصحف الكاتبين والصحف التي عند حضرة الرسول وفي بيته إلى أن توفاه الله، والنسخ التي عند كتبة الوحي جميعها متعاونة على حفظ كتاب الله انجازا لوعده في قوله: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[1] الآية، هذا وفي واقعة اليمامة التي قتل فيها سالم المذكور سنة ١٢ من الهجرة، نسخه زيد بن ثابت بأمر من الخليفة أبي بكر وصاحبه عمر رضي الله عنهما في الرقاع واللخف وجريد النخل إلى صحف فقط، كما مر آنفا، وإنما خص هذا الأمر العظيم بزيد لأنه أحد كتبة الوحي الأمينين، قال: تتبعته من الرقاع والعسب واللخف الموجودة في بيت الرسول عند السيدة عائشة رضي الله عنها، وفي صدور الرجال، حيث كان رضي الله عنه، يستقريء الرجال الحفاظ ويقابل قراءتهم على ما في الرقاع واللخف والعسب، عندما يحصل له شبهة في بعض الحروف والكلمات المحتكة ببعضها، لزيادة التيقن بها خوفاً من زيادة حرف أو نقصه فيما ينسخه، لشدة حرصه عليه، ولئلا ينفرد بما يعلمه، وبعد أن أكمله على هذه الصورة وضعت تلك الصحف المشتملة على القرآن كله عند أبي بكر فبقيت عنده مدة حياته، ثم عند عمر مدة حياته، ثم عند حفصة كما هو ثابت في صحيح البخاري، وإنما وضعت عند حفصة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ لأنها بنت الخليفة، وتقرأ وتكتب فهي نعم الأمينة على كتاب الله.

---

١. سورة الحجر: الآية ٩.

مطلب توزيع نسخ القرآن وأمر الناس بقراءتها:

ولما ولي عثمان رضي الله عنه وصار يغازي أهل الشام في فتح أرمينية واذربيجان سنة ٢٥ من الهجرة، طلبها من السيدة حفصة بتكليف من حذيفة اليماني وغيره من الأصحاب الكرام فأعطتها، وبعد الاستشارة بينهم انتصر رأيهم الصائب على نسخها في المصاحف بمعرفة الأمناء الصادقين، زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد ابن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وأمرهم عند الإختلاف في شيء من ألفاظه أن يكتب بلسان قريش لنزوله بلغتهم، فنسخوا ستة مصاحف أرسل واحداً منها إلى الشام، وواحداً إلى الكوفة، وواحداً إلى البصرة، وواحداً إلى مكة، وأبقى واحداً لنفسه، وواحداً لأهل المدينة، ومن قال: ان النسخ سبع، قال: أرسل السابعة لأهل البحرين، ثم أمر بحرق ماسواها من الصحف المتفرقة لئلا يقع خلاف بين القراء، ولتتحد القراءات على نمط واحد كما أنزل.

ولهذا وصم عثمان رضي الله عنه بعض المارقين بحرّاق المصاحف، نسأل الله أن يحرق المارق بناره لأن عثمان رضي الله عنه لم يرد بذلك إلا الخير، وكان سعي الصحابة بجمعه بموضع واحد بين دفتين لا غير، وزادهم عثمان بنسخه والأمر بالتقيد بما نسخوه، ومنع ما سواه من مراجعة الصحف واللخاف وغيرها، وإرسال نسخ منه للبلاد الإسلامية، فالفرق بين جمعهم وجمعه هو ذلك لاغير.

قال زيد بن ثابت: « فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع الرسول يقرؤها: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾**[1] الآية، وقد وجدتها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله شهادته شهادة رجلين، ويعرف بذى الشهادتين فألحقتها بسورتها، ووجدت آخر سورة التوبة: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾**[2] مع خزيمة أو أبي خزيمة بن اوس بن زيد الأنصاري غير خزيمة الأول فألحقتها بسورتها، وذلك بسبب تفتت بعض اللخاف المسطورتين عليها، وهو يعرفها لأنه أحد الحافظين الأربعة، وانه كان ينسخ لنفسه ما ينسخه لحضرة الرسول، فيعرف ما ينقص من آي التنزيل ويعلم

١. سورة الاحزاب: الآية ٢٣.
٢. سورة التوبة: الآية ١٢٨.

مواضعه »، وهذا ليس اجتهاداً منه، بل لثبوت حفظها ولسماعها من حضرة الرسول، ولتأكد ما يحفظه على ما هو بحفظ الغير لئلا ينفرد بشيء ما، إذ لا محل للاجتهاد في شيء من ذلك ولا في ترتيب السور والآيات، بل هو أمر توقيفي كما ذكرنا في المطلب السابق، ومن قال خلاف هذا فلا قيمة لقوله، وهذا هو معنى القول الشائع: بأن عثمان جمع القرآن.

أما ما اشتهر به بأنه هو الذي جمعه مبدئياً ولا جمع قبله، فقول باطل؛« لأنه مجموع على زمن الرسول ومنسوخ في زمن أبي بكر كما ذكرنا.

أخرج أبو داود في المصاحف بسند حسن عن عبد خير، قال: سمعت علياً يقول: « أعظم الناس في المصاحف أجراً أبوبكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله ».

واخرج ابن ابي داود من طريق ابن سيرين قال: قال علي: « لما مات رسول الله ﷺ آليت أن لا آخذ علي ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن، فجمعته ». ويراد من جمع علي كرم الله وجهه جمعه على الصورة المارة المتروكة من لون حضرة الرسول على الجريد واللخاف وغيرها.

ومن قال: إن علياً جمعه قبل عثمان، أراد هذا لا غير، لأنه كان مجموعاً زمن الرسول كما أشرنا إليه آنفا، ولم يجمعه في الصحف إلا أبوبكر ومن بعده عثمان رضي الله عنهما على الصورة المارة، ثم طلب من الأصحاب أن يضعوا له اسماً غير أسماء الكتب المتقدمة عليه، فقال ابن مسعود: في الحبشة كتاب يدعونه المصحف فسموه به، ثم انه رضي الله عنه حمل الناس سنة ٢٧ من الهجرة على قراءة المصاحف التي نسخت بأمره ومشورة الأصحاب الموجودين في زمنه، بعد أن وزعت في الآفاق على صورة واحدة خشية الفتنة بسبب اختلاف أهل الشام والعراق في أوجه القراءات، كي يقرأ الناس كلهم على نمط واحد هذا.

وما قيل: انه روي عن عائشة أنها قالت: « إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها »، لم يثبت، كما أن ما روي عن عثمان: « ان في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها »، باطل، لأن الصحابة يسارعون إلى انكار أدنى منكر، فكيف يقرون اللحن في القرآن، ولأن

العرب كانت تستقبح اللحن في مطلق الكلام فكيف لا يستقبحونه في القرآن، ولأن القرآن يقف عليه العربي والعجمي الذي لا يفرق غالباً اللحن، فكيف يقرونه لمن لا يعرفه إذا كانوا هم عارفين، ولأنه لما بلغ عمر أن ابن مسعود قرأ (عن) بدل (حتى) على لغة هذيل، أنكر عليه وأمره أن يقرأ «حتى على لغة قريش لأنه نزل بلغتهم».

وهذا من الاختلاف الذي نهى النساخ عنه من حيث كتابة بعض الكلمات، بأن لا تكتبه في القرآن إلا بلغة قريش لأنها سيدة اللغات، ومثله التابوت بالتاء لا بالهاء على لغة غيرهم، وكذلك الصلاة تكتب بالواو، ولما أراد زيد بن ثابت أن يكتب التابوت بالهاء على لغة الأنصار منعه الأصحاب ورفعوه إلى عثمان، فأمره أن يكتبه بالتاء، وكذلك الصراط، ويصطر، يكتبان بالصاد على لغة قريش لا بالسين على لغة غيرهم، وهكذا كما هو ثابت بالصحيح أيضا»[١].

قال وجدي في جمع القرآن:

«الكتاب الكريم الذى اوحاه الله خاتم انبيائه محمد ﷺ هدى ونورا للعالمين نزل نجوما على حسب الحوادث، ثم جمع فكان هو ذلك الكتاب الالهى الذى جعله الله آية خالدة، يهتدى بسناه العالمون ويعشو الى ضوئه التائهون، وقد وعد بحفظه فلا يناله المحرفون المبدّلون، فقال تعالى: ﴿إنا نَحْن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾[٢].

بدأ نزول هذا القرآن على رسول الله ﷺ وهو بمكة ثم توالى حتى تم فى ثلاث وعشرين سنة، وقيل: فى عشرين سنة، وأول ما نزل منه فى غار حراء: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾[٣] ثم توالى نزوله على حسب الحوادث، وكان رسول اللّه جعل له كتابا يكتبونه، منهم الخلفاء الاربعة والزبير وخالد وابان ابنا سعيد ابن العاص وعلاء ابن الحضرمي وابى ابن كعب وغيرهم كثيرون، وكان جبريل يعلم رسول الله ان يضع آية كذا في موضوع كذا على الترتيب الذى عليه آى السور، اما ترتيب السور فقد قال أكثر المسلمين: انه اجتهاد من الصحابة، ولا ضير عليك لو قرأته باى ترتيب شئت. وكان من

---

١. بيان المعاني ج ١ ص ٢٨ ـ ٣٢.
٢. سورة الحجر: الآية ٩.
٣. سورة العلق: الآية ١.

الصحابة من جمع القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ، منهم، أُبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد بن سعيد وعبدالله بن مسعود وعلى بن أبي طالب وعمر وعثمان وابوبكر وعمر بن العاص وعائشة وحفصة وام سلمة وغيرهم كثيرون، ولكن بعض هؤلاء الاخيرين اكملوا جمعه بعد وفاته ﷺ.

ولمّا ظهر في اليمامة بعد رسول الله مسيلمة الذى ادعى النبوة وفتن كثيرا من العرب، أرسل أبوبكر اليه جيشا فقاتله ودحره، ولكن مات فى تلك الموقعة سبعون من قراء القرآن، فقال عمر لابي بكر: أخشى أن يستمر القتل بالقراء في سائر مواطن القتال فيذهب من القرآن، وانى أرى ان تأمر بجمع القرآن. فارسل ابوبكر لزيد بن ثابت وعهد اليه بهذا الامر، فجمع جميع الحفاظ وكل ما كتب من القرآن حتى اجتمع كله في مصحف واحد، حفظه أبوبكر عنده، ثم عند عمر فى حياة ابى بكر، ثم اودعه عند حفصة ابنته.

ثم لما انتشر المسلمون فى الآفاق اختلف الناس فى القراءة على حسب اختلاف لغاتهم، مثل؛ التابوت كان يقرؤها بعضهم بالتاء وبعضهم بالهاء، فاخبروا عثمان بذلك فاستعار مصحف ابى بكر من عند حفصة، وكتب منه أربع نسخ وضبطها بلغة قريش دون غيرهم، لان لغات العرب متشعبة، واكملها لغة قريش وهي التي نزل بها القرآن. فارسل الى كل مصر بمصحف وأمر الناس بان ينسخوا مصاحفهم منها، وأمر باحراق كل ما خالفها. وكان ذلك سنة ثلاثين من الهجرة »[١].

قال ابن عاشور : « وقد جمع من الصحابة القرآن كله فى حياة رسول الله؛ زيدُ بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وأبيُّ بن كعب، وأبو الدرداء، وعبدالله بن عمر، وعُبادة بن الصامت، وأبو أيوب، وسعد بن عُبيد، ومُجَمِّع بن جارية، وأبو موسى الأشعرى، وحفظ كثير من الصحابة أكثر القرآن على تفاوت بينهم.

وفى حديث غزوة حنين ـ لما انكشف المسلمون ـ قال النبى ﷺ للعباس: «اصرُخْ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرة، يا أصحاب سورة البقرة» فلعل الأنصار كانوا قد عكَفوا على حفظ ما نزل من سورة البقرة لأنها أول السور النازلة بالمدينة، وفى احكام

١. صفوة العرفان ج ١ ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

القرآن لابن العربى عن ابن وهب عن مالك : «كان شعارهم يوم حنين يا أصحاب سورة البقرة».

وقد ذكر النحويون فى الوقف على تاء التأنيث هاءً أن رجلا نادى: يا أهل سورة البقرةْ بإثبات التاء فى الوقف وهى لغة، فأجابه مجيب «ما أحفظ منها ولا آيتْ» محاكاةً للغته»[١].

قال النهاوندى (ره) فى انّ جمع القرآن كان فى عصر النبيّ ﷺ وبامره : « الحقّ الّذى لا ينبغي ان يعرض عنه؛ هو انّ جمع القرآن كان فى عصر النبيّ ﷺ وبامره لشهادة الآثار، وحكم العقل ومساعدة الاعتبار.

امّا الاثار فقد روى عن ابن عباس قال : قلت لعثمان : « ما حملكم ان عمدتم الى الانفال وهى من المثانى، والى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهماسطر ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ ووضعتموهمافى السّبع الطوّال» ، فقال عثمان : «كان رسول اللّه ﷺ تنزل عليه ذات العدد فكان اذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر القرآن نزولاً، وكانت قصّتها شبيهة بقصّتها، فظننت انّها منها، فقبض رسول اللّه ﷺ ولم يبيّن لنا انّها منها، فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ ووضعتهما فى السبع الطوّال »، انتهى. فدلّت هذه الرواية على ان كتّاب الوحى كانوا يكتبون السور والايات فى عصر النبي ﷺ مجموعة مرتّبة بامره.

وعن ابي عبداللّه عليه السلام قال : «إن رسول اللّه ﷺ قال لعلي عليه السلام : « يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة » فانطلق على عليه السلام فجمعه فى ثوب اصفر وختم عليه فى بيته، وقال : « لا ارتدي حتى اجمعه » قال : كان الرجل ليأتيه فيخرج اليه بغير رداء حتّى جمعه قال : وقال رسول اللّه ﷺ : « لو ان الناس قرأوا القرآن كما انزل ما اختلف اثنان » فانّ الظاهر منه عدم تأخير اميرالمؤمنين عليه السلام فى امتثال امر النبي ﷺ، وانه جمعه فى حياته، وعن عبيداللّه

١. التحرير والتنوير ج ١ ص ٩٢.

بن عمر بن العاص قال سمعت النبي ﷺ يقول : « خذوا القرآن من اربعة من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وابى بن كعب » .

وعن قتاده قال : سألت انس بن مالك : « من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال : « اربعة كلهم من الانصار: ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد » . قلت : من ابو زيد؟ . قال : احد عمومتي .

وعن ابن حجر: قد ذكر ابن ابى داود في من جمع القرآن: قيس بن ابى صعصعة.

وروى عن غيره ان ابا زيد الذى جمع القرآن اسمه قيس بن السكن ـ الى ان قال : ومات ولم يدع عقبا ، ونحن ورثناه ، وعن ابن ابي داود : انه مات قريباً من وفات رسول الله ﷺ فذهب علمه ولم يؤخذ عنه .

وقال ابو احمد العسكري:« لم يجمع القرآن من الاوس غير سعيدبن عبيد » .

وقال محمّد بن حبيب : « سعد بن عبيد احد من جمع القرآن على عهد النبيّ ﷺ » .

وعن قتاده ، عن انس قال : افتخر الحيّان الاوس والخزرج ، فقال الاوس : منّا اربعة من اهتزّ العرش له: سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن ابى عامر، ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت ، فقال الخزرج : منّا اربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم .

وروى البخارى عن انس قال : « مات رسول الله ﷺ ولم يجمع القرآن غير اربعة ابي الدرّداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد » .

قال بعض الفحول : قد استنكر جماعة الحصر فى الاربعة .

وقال المازنى : « لا يلزم من قول انس لم يجمعه غيرهم ان يكون الواقع فى نفس الامر كذلك ـ الى ان قال ـ وقد تمسّك بقول انس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسّك لهم فيه فانّا لا نسلّم حمله على ظاهره » .

وعن القرطبى : قد قتل يوم اليمامة سبعون من القرّاء، وقتل في عهد النبيّ ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد ، قال : وانّما خصّ انس الاربعة بالذّكر لشدّة تعلّقه بهم .

أقول : الظاهر ان القراء مع حفظهم لجميع القرآن كان عندهم مكتوب جميعه فاذا

طعنت الملاحدة على القرآن وانكروا تواتره تمسّكاً برواية أنس، فكيف لم يطعنوا ولايطعنون على من اعتقد انّ القرآن لم يكن مجموعاً في زمان النبي ﷺ، بل كانت آياته وسوره متفرّقة عند الناس ثم تصدّى لجمعه بعد وفات النبيّ ﷺ ابوبكر وعمر، مع عدم علمهما بجميع القرآن حتي جمعوه على ما قيل: بشهادة شاهدين.

وعن النسائى عن عبدالله بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كلّ ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال: إقرأه في شهر.

وعن محمد بن كعب القرطبى قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الانصار، معاذ بن جبل، وعبادة بن الصّامت، وابىّ بن كعب وابي الدّرداء وابي ايّوب الانصاري.

وعن ابن سيرين قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ اربعة لا يختلف فيهم، معاذ بن جبل، وابي بن كعب، وابو زيد، واختلفوا في رجلين من ثلاثة ابي الدّرداء، وعثمان، وقيل: عثمان وتميم الداري».

وعن الشعبى قال: «جمع القرآن فى عهد رسول الله ستة ابىّ وزيد ومعاذ وابو الدّرداء وسعيد بن عبيد وابو زيد ومجمع بن جارية، وقد اخذه الأسورتين او ثلاث.

وعن ابي عبيد فى كتاب القراءات: انّه ذكر القرّاء من اصحاب النبي ﷺ فعدّ من المهاجرين الخلفاء الاربعة، وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالماً وعد ابن ابى داود من القراء، تميم الداري وعقبة بن عامر، قال: وممن جمعه ايضاً ابو موسى الاشعرى.

وروي فى الطبقات ان امراة من الصحابيات جمعت القرآن. وروى عن امّ ورقة بنت عبدالله بن حارث: ان رسول الله ﷺ كان يزورها ويسمّيها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن.

اقول: العجب كل العجب انّ احدا من هؤلاء لم يعدّوا فى من جمع القرآن على عهد النبيّ ﷺ، اميرالمؤمنين عليه السلام، بل روى ابن حجر وغيره من علماء العامّة انّ علياً عليه السلام جمع القرآن على ترتيب النّزول بعد وفات النبى ﷺ.

ان قيل: انّ المراد من جمع القرآن فى الرّوايات السابقة هو حفظ جميعه لا تدوينه فى

القراطيس.

قلنا: هذا الاحتمال في غاية البعد اذ لا يمكن عادة ان ينحصر فى زمان النبى ﷺ حفّاظ جميع القرآن فى اربعة او خمسة من الصحابة، مع وضوح اشتياق المؤمنين الى تلاوة القرآن، وكمال قوة حفظهم، وكون تلاوة القرآن وتعلّمه من اهم مشاغلهم وافضل عباداتهم، بل الظاهر ان المراد من جمع القرآن هو تدوينه مع ما افاده النبى ﷺ من تفسير آياته وبيان معضلاته، وكيفية قراءته وسائر العلوم الراجعة اليه، وعلىٰ هذا النحو من الجمع يحمل ما روته العامة من انه؛ لما بُويع ابوبكر وتخلّف علي عليه السلام عن بيعته وجلس فى بيته بعث اليه ابوبكر.

وقال: ما ابطأك عنى اكرهت امارتى، قال علي عليه السلام: «ما كرهت امارتك ولكن آليت ان لا ارتدى بردائى الا للصّلاة حتى اجمع القرآن».

وكذا ما روى فى الاحتجاج عن ابى ذر رضى اللّه عنه: انّه لما توفّى رسول اللّه ﷺ جمع على عليه السلام القرآن، وجاء به الى المهاجرين والانصار وعرضه عليهم، لما قد اوصاه بذلك رسول اللّه ﷺ فلما فتحه ابوبكر خرج فى اوّل صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: اردده يا على فلا حاجة لنا فيه، فاخذه على عليه السلام وانصرف، فان خروج فضائح القوم فيما جمعه علي عليه السلام لذكره شأن نزول الآيات، فان كثيراً منها نزلت بسبب عصيان اصحابه كما روت العامّة، انه بعد ما اجبر عمر زوجته على المواقعة فى ليلة الصيام حراماً، نزل قوله تعالى: ﴿احلّ لكم لَيلَةَ الصيام الرفثُ الى نسائكم﴾[1] وانه بعد ما ابىٰ ابوبكر وعبدالرحمن بن عوف وجمع من الصحابة عن قبول آية محاسبة ما فى النفس نزل قوله تعالى: ﴿لا يكلف اللّه نفساً الا وسعها﴾[2] وانه بعد ما شرب جمع من الصحابة الخمر وتكلم بعضهم فى حال السكر بالكفر، نزلت آية تحريم الخمر، وانّه بعد ما قتل أُسامة مسلماً القى اليه السلام بطمع الغنيمة، نزلت آية: ﴿يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل اللّه فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحيوة

١. سورة البقرة: الآية ١٨٧.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

الدنيا﴾[1] الى غير ذلك مما ذكر في مواقعها.

والحاصل : ان الكتاب الذى جمعه اميرالمؤمنين عليه السلام كان فيه بيان شأن نزول الآيات ، وأسماء الذين نزلت فيهم واوقات نزولها، وتأويل متشابهاتها، وتعيين ناسخها ومنسوخها وذكر عامّها وخاصّها ، وبيان العلوم المرتبطة بها ، وكيفية قراءتها .

ويؤيّد ذلك انه نقل عن ابن سيرين انه قال : « بلغني انه كتبه على تنزيله ، ولو اجيب الى ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير » .

ونقل عنه ايضا انه قال : « كتب علي عليه السلام في مصحفه الناسخ والمنسوخ ».

بل يشهد لذلك ما رواه الطبرسي في الاحتجاج في جملة احتجاج اميرالمؤمنين عليه السلام على جماعة من المهاجرين والانصار؛ ان طلحة قال له في جملة مسائله عنه : يا ابا الحسن اريد ان اسألك عن مسألة رأيتك خرجت بثوب مختوم ، فقلت : ايها الناس انى لم ازل مشتغلاً برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله وكفنه ودفنه، ثمّ اشتغلت بكتاب الله حتّى جمعته فهذا كتاب الله عندى مجموعاً لم يسقط عنّى حرف واحد ـ الى ان قال ـ فما يمنعك ان تخرج كتاب الله على الناس ، وقد عمد عثمان حين اخذ ما الّف عمر ، فجمع له الكتاب وحمل الناس على قراءة واحدة ، فمزّق مصحف ابى بن كعب وابن مسعود واحرقها بالنار، فقال له علي عليه السلام : « يا طلحة ان كل آية أنزلها الله عز وجلّ على محمّد صلى الله عليه وآله باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدى حتّى أرش الخدش » .

قال طلحة : كلّ شيء من صغيرٍ وكبير أو خاصّ أو عام كان او يكون الى يوم القيامة فهو عندك مكتوب ، قال : « نعم وسوى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله اسر الى فى مرضه مفتاح الف باب، ولو أنّ الامّة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اتبعونى واطاعونى لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ـ الى ان قال ـ ثمة قال طلحة : لا اراك يا ابا الحسن اجبتنى عمّا سألتك عنه من امر القرآن الا تظهره للناس.

قال : « يا طلحة عمداً كففت عن جوابك » قال : « فاخبرنى عمّا كتب عمر وعثمان اقرآن كلّه ام فيه ما ليس بقرآن » . قال : « يا طلحة بل قرآن كله » قال : « ان اخذتم بما فيه نجوتم من

---

١. سورة النساء : الآية ٩٤.

النار ودخلتم الجنة، فان فيه حجّتنا وبيان حقّنا وفرض طاعتنا »، قال: « طلحة حسبى اذا كان قرانا فحسبى »، وقال طلحة: « فاخبرنى مما فى يديك من القرآن وتأويله وعلم الحلال والحرام الى من تدفعه، ومن صاحبه بعدك ».

قال عليه‌السلام: « ان الذى امرنى رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله ان ادفعه اليه وصى واولى الناس بعدى بالناس ابني الحسن، ثم يدفعه ابني الحسن الى ابنى الحسين، ثم يصير الى واحد بعد واحد حتى يرد آخرهم علي رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله حوضه، لا يفارقونه والقرآن معهم لا يفارقهم ».

وعن جابر عن ابى جعفر عليه‌السلام انه قال: « ما يستطيع احد ان يدعى انه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء عليهم‌السلام ».

وعنه ايضاً: قال سمعت ابا جعفر عليه‌السلام يقول: « ما من احدٍ من الناس يقول جمع القرآن كله كما انزل اللّه الا كذّاب، وما جمعه وما حفظه كما انزل اللّه الا عليّ بن ابى طالب والائمة من بعده عليهم‌السلام ».

وممّا يؤيّد ما ذكرنا من كون القرآن مجموعاً على عهد النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله، بل يدلّ عليه ان اسم الكتاب لا يصحّ اطلاقه عرفاً الاّ على المطالب المجتمعة المرتّبة المدوّنة فى اوراق منضودة لغرض واحد، فاذا كانت مطالب متفرقة غير مدوّنة او مدوّنة في اوراق متشتّتة لا يسمّى كتاباً، ولا شبهة ان اللّه تعالى بعد هجرة النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله سمّى جميع ما انزله على النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله كتاباً، بقوله فى سورة البقرة التى هى اوّل ما نزلت فى المدينة: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾، وكذا النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله اطلق على ما انزل عليه لفظ الكتاب على ما فى كثير من الروايات المعتبرة، بل المتواترة.

منها: الرواية المتفق عليها بين الخاصّة والعامّة من قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله: « انى مخلف فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا كتاب اللّه وعترتي اهل بيتى » الخبر فانه نصّ فى انه كان فى ذلك الوقت آيات وسور مدوّنة مستحقة لاطلاق اسم الكتاب عليها، ولا يمكن القول بانّ هذا الاطلاق كان من باب المشارفة، حيث انه كان يعلم ان بعد وفاته صلى‌الله‌عليه‌وآله يجمع ما انزل عليه ويكون كتابا، نعلم ان التسمية كانت بعد تدوين مقدار من السور والايات المنزلة وتحقق مصداق الكتاب، ولذا لم يذكر في السور القصار المكية التى كانت من اوائل ما نزل

لفظ الكتاب.

والحاصل: ان لفظ الكتاب بعد ثبوت كونه حقيقة عرفية في مطالب مرتبة مجموعة مدونة، ظاهر في ان كل آية تضمنته، كقوله: ﴿ذلك الكتاب﴾ او ﴿تنزيل الكتاب﴾ او ﴿انا انزلنا عليك الكتاب﴾ او ﴿تلك آيات الكتاب﴾. نزلت بعد تحقق مصداقه وتدوين سور وآيات مرتبة مجموعة في اوراق وصفحات او اكتاف او عسب مجتمعة، ولا يلزم الالتزام بنزول جميع الايات والسور قبل هذا الاطلاق حتى يعترض عليه بانه خلاف الاجماع، والمتواتر عن الاخبار من ان القرآن نزل متدرجا الى قبيل وفاته بايام او ساعات.

نعم، يلزم القول: بتغيير مصداق الكتاب صغراً وكبراً بسبب انضمام ما ينزل فيما بعد التدوين اليه تدريجاً، فيرجع الكلام الى ان جميع القرآن في كل زمان وكتاب الله في كل وقت كان مقداراً من هذا المجموع الذي بايدينا، وبضمّ الايات شيئا فشيئاً بلغ ما بلغ، فما ذكره المرتضى رضوان الله عليه من: «ان القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفا على ما هو عليه الآن، وان جماعة من الصحابة مثل: عبدالله بن مسعود وأُبي ابن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدّة ختمات» حق غير مخدوش، فان المراد جمعه وختمه بمقدار المنزل في وقت الختم والجمع فان تمام القرآن كان في وقت الختم ذلك المقدار الذي ختموه، وليس مراده ختم جميع ما انزل اليه الى حين وفاته.

وليت شعري، كيف قال عمر في مرض النبي ﷺ بعد امره باحضار الدوات والكتف: «ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله» مع كون آيات الكتاب متفرقة بين الاصحاب وعدم علم احد غير اميرالمؤمنين بجميعها، وعدم معرفة مثل زيد بن ثابت بها حتى نقل عنه، انه جمعها بشهادة الشهود الاّ آية من سورة الاحزاب فانه لم يجدها الاّ عند خزيمة بن ثابت فادخلها في القرآن بشهادته وحده ولم يكن غيره مطلعاً عليها، وكيف لم يعترض احد على عمر، بانّك لا تدري اين آيات الكتاب وعند من تكون؟.

فعلم ان الكتاب كان جميعه معيناً معلوماً مشهوراً بين الاصحاب.

واما حكم العقل فبيانه، انه لا شبهة ان جمع الايات كان من اهم الواجبات، لانّ فيه حفظ اصلها من الضياع وحفظ ترتيبها ونظمها من الاختلال، مع ان عليها مدار شرع الاسلام

واساس الدين والاحكام، ولم يكن للنبيّ ﷺ والمسلمين شغل واجب اهم منه الا الجهاد، ولم يكن مزاحماً به فى اغلب الاوقات، مع كون اميرالمؤمنين عليه السلام وكثير من الصحابة الخلّصين غالب الحضور عنده ﷺ، وكان جمع القرآن وترتيبه فى غاية السهولة عليهم، فكيف يمكن القول بالتسامح والتساهل والتسويف من النبى ﷺ واميرالمؤمنين عليه السلام والخلّصين من الصحابة فى مدة عشرين سنة، وتأخير اميرالمؤمنين هذا الواجب الى بعد وفات النبى ﷺ حتى يقع كثير من الايات معرضاً للتغيير والضياع؟!.

والحاصل: انّ جمع الكتاب وترتيب كل ما نزل منه من كل وقت وتدوينه ونشره كان من اوجب الواجبات واهمّ الامور، لوضوح انه كان من اعظم معجزات النّبى ﷺ واتمّ الدّلائل على صدق النبوّة واساس الشريعة وماخذ الاحكام الالهيّة، ولم يكن مزاحماً باهمّ منه فى اغلب الاوقات، مع انا نعلم انه كان اغلب اوقات النبى ﷺ والمؤمنين الصادقين مصروفاً فى العبادات واى عبادة كان اهم من جمع القرآن الذى كان بجمعه وحفظه حفظ الاسلام؟ مع علمهم بكثرة المنافقين والمعاندين للدّين مع اقدامهم فى مشاق الامور لحفظ الاسلام، وكان جمع القرآن عليهم فى غاية السّهولة خصوصاً على النبى ﷺ، مع ملازمة اميرالمؤمنين عليه السلام لخدمته فى الليل والنهار، فالمتأمّل المنصف يقطع بوقوع الجمع متدرّجاً بتدرّج النزول بامر النبى ﷺ وخط اميرالمؤمنين صلوات اللّه عليه، بل يقطع بجمع كثير من المؤمنين له وتأليف نسخ كثيرة منه، وعرضها على النبى ﷺ، وعدم تساهل كثير منهم فيه، حيث لم يكن فى زمان النبى ﷺ علم غير علم القرآن ولم يكن للصحابة خط وعبادة اكثر من تلاوة القرآن.

واما العادة والاعتبار فبيانه، انه كان لعدة من اصحاب النبى ﷺ منصب كتابة الوحى، فلابدّ لهم بحسب العادة تهيئة لوازم الكتابة من القلم والمداد والاوراق او غير ذلك من الاشياء القابلة للكتابة، حتى لا يكون لهم تعطيل فى موقع الحاجة والقيام بالوظيفة وحفظ الترتيب، وايراد كل سورة او آية فى محلها وموردها، حتى لا يحصل لهم تحير وكلفة فى الكتابة، وبعيد غايته انهم كانوا يكتبون الايات فى اوراق متفرقة غير منتظمة، بحيث اذا امرهم النبى ﷺ ان يضعوا آية كذا فى موضع كذا كانوا يدوّرون تلك الاوراق ويفتشون

الصحائف المتشتتة حتى يجدوا موقعها.

والحاصل: ان التامّل الصادق قاض بان الكتّاب الذين كان منهم اميرالمؤمنين عليه السلام كانوا قد جمعوا جميع الايات المنزلة على الترتيب الذى كان يامرهم به النبى صلى الله عليه وآله ولم يكونوا غير معتنين بجمعه وترتيبه، ولا يمكن القول بانهم كتبوا الآيات فى اشياء متفرّقة من غير ترتيب ونظم الى ان دعا الله نبيه الى جواره، وتقمّص ابوبكر خلافته، واتفق قتل كثير من القراء باليمامة ولم يكن فى جميع المدّة نسخة مجموعة من الكتاب العزيز بين المسلمين، وكان اربعة او خمسة من الصحابة حافظين لجميع القرآن وتالين له عن ظهر القلب، وغيرهم لم يكونوا مطّلعين الا بقليل من آياته وكان عند كل منهم جزءٌ قليلٌ منه، حتّى صمم ابوبكر وعمر لخوف ذهاب القرآن على جمعه وترتيبه، وكتابة نسخة منه كما رواه بعض العامة.

روى البخارى عن زيد بن ثابت قال: «ارسل الى ابوبكر بعد مقتل اهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده، فقال ابوبكر: ان عمر اتانى فقال: ان القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وانى اخشى ان يستحرّ بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن، وانّى ارى ان تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعنى حتّى شرح الله صدرى لذلك ورأيت الّذى رأىٰ عمر، قال زيد: قال ابوبكر: انّك شاب عاقل لانتّهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله فتتبع القرآن واجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ماكان اثقل علي مما امرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: هو والله خير، فلم يزل ابوبكر يراجعنى حتّى شرح الله صدرى للذي شرح الله له صدر ابى بكر وعمر، فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع ابي خزيمة الانصارى لم اجدها مع غيره ﴿لقد جاءكم رسولٌ من انفسكم﴾[1] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند ابى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر».

---

١. سورة التوبة: الآية ١٢٨.

وعن الليث ابن سعد قال: «اول من جمع القرآن أبوبكر، وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية الا بشهادة عدلين، وإن آخر سورة براءة لم يوجد الا مع ابى خزيمة بن ثابت، فقال: اكتبوها فان رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب، وان عمر أتى باية الرجم - والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما بما قضيا اللذة نكالاً من الله والله عزيز حكيم - فلم يكتبها لانه كان وحده».

وعن ابن ابى داود قال: «قدم عمر وقال: من تلقى شيئاً من القرآن من رسول الله ﷺ فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والالواح والعسب، وكان لا يقبل من احد شيئا حتى يشهد شهيدان».

وعن ابى داود: «ان عمر سأل عن آية من كتاب الله فقيل: كانت مع فلان قتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله وامر بجمع القرآن فكان اوّل من جمعه».

اقول لعمرى: إنّ فى هذه الاخبار تضعيف الثقل الاكبر، وتوهين نبوّة خاتم النبيّين ﷺ، وتخريب اساس الدّين وتلقين الملحدين الحجّة فى انكار تواتر الكتاب المبين، وليس ببعيد من المستضعفين للثّقل الاصغر، وللمنكرين لامامة اميرالمؤمنين ؑ والمعرضين عن اهل الذكر والحجج المعصومين، وليت شعرى ما ألجأ عمر واباب‌کر الى التوسّل بزيد بن ثابت الشّاب الحدث فى جمع الكتاب الكريم مع عدم علمه بجميع الآيات، واميرالمؤمنين صلوات الله عليه بين اظهرهم وهو باتّفاق الامّة اعلم الناس بكتاب الله بعد رسول الله ﷺ؟!، وما السّبب فى اعتمادهم بشهادة شاهدين فى كون شيء من كتاب الله الاّ فى آيتين من آخر براءة، فاكتفوا فيه بشهادة خزيمة ولم يراجعوا الى عليّ بن ابي طالب صلوات الله عليه فى شيء، مع انّه كان عنده جميع القرآن وكان اصدق وأوثقَ من خزيمة وسائر الامّة؟! وكيف قال عمر بعد سؤاله عن آية من الكتاب واطّلاعه على كونها عند قتيل اليمامة: انا لله، مع علمه بانّه لم يفت عن اميرالمؤمنين صلوات الله عليه شيء من الآيات وانّه لم يكن يكتم آيات الكتاب من البرّ والفاجر؟!.

الطّرفة السّادسة: قال الحاكم فى المستدرك: جمع القرآن ثلاث مرات:

احداها: بحضرة النبى ﷺ واستدلّ بحديث زيد بن ثابت، قال: كنّا عند رسول الله ﷺ

تؤلف القرآن من الرّقاع.

الثّانية : بحضرة ابى بكر واستدل برواية البخاري عن زيد بن ثابت من بلوغ خبر مقتل اهل يمامة ، وقول عمر : إنّ القتل قد استحرّ بقرّاء القرآن يوم اليمامة الخ ، وقد مرّ ذكره فى الطرفة السابقة.

وعن حارث المحاسبي فى كتاب فهم السنن : «كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنّه كان مفرقا فى الرّقاع والاكتاف والعسب» .

فانما امر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعاً وكان ذلك بمنزلة اوراق وجدت فى بيت رسول اللّه ﷺ فيها القرآن منتشراً، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شىء، قال : فان قيل : كيف وقعت الثقة باصحاب الرّقاع وصدور الرجال، قيل : لانهم كانوا يبدون عن تأليف معجز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبي ﷺ عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأموناً وانّما الخوف من ذهاب شىء من صحفه .

وقد تقدّم فى حديث انه جمع القرآن من العسب واللّخاف . وفى رواية : والرّقاع ، وفى اخرى : من قطع الاديم ، وفى أُخرى : والاكتاف ، وفى أُخرى: والاضلاع ، وفى أُخرى : والاقتاب .

قال الحاكم : **والجمع الثالث** : هو ترتيب السور فى زمن عثمان ، روى البخارى عن انس : ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى اهل الشام فى فتح ارمينيّة وآذربيجان مع اهل العراق ، فافرغ حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال لعثمان : ادرك الامّة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فارسل الى حفصة ان ارسلي الينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردّها اليك ، فارسلت بها حفصة الى عثمان ، فامر زيد بن ثابت وعبداللّه بن زبير وسعيد بن العاص وعبدالرّحمن بن الحارث بن الهشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرّهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانّه انما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف ، ثم ردّ عثمان الصّحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة او مصحف ان يحرق ، قال زيد : ففقدت آية من

الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت اسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري : ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[1] الآية فالحقناها في سورتها في المصحف .

وقال جمع من العامة : « ان جمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغات على اتساع اللغات ، فادّى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الامر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بانه نزل بلغتهم » .

وقال الحارث المحاسبي : « المشهور ان جامع القرآن عثمان وليس كذلك، انّما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهد من المهاجرين والانصار ، لما خشي الفتنة عند اختلاف اهل العراق والشام في حروف القراءات » .

اقول : الظاهر من بعض الروايات وجمع من العلماء ؛ ان الجمع الذي وقع في زمان النبي ﷺ كان مشتملاً على العلوم المرتبطة بالقرآن من بيان شأن نزول الآيات ومن التفسيرات والتأويلات المأخوذة من النبي ﷺ ووجوه القراءات ، كما نقل عن ابن سيرين انه قال : « بلغني انّه كتبه عليّ ؑ على تنزيله ولو اجيب الى ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير »، وقال : « انّه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ » ، وقال بعض العامّة : « قد كان بعض الصحابة يدخلون في قراءتهم شيئاً من التفسير ايضاحاً، لانهم محققون فيما تلقوه من رسول الله قراناً فهم آمنون من ان يلبس بعض ذلك ببعض »، وربما كان يكتبه بعضهم كقراءة ابن عباس: ﴿ليس عليكم جناحٌ ان تبتغوا فضلاً من ربكم﴾[2] ثم يزيد في مواسم الحجّ.

اقول : ولعلّ قراءة بعض الآيات المنسوبة الى عبدالله بن مسعود من هذا القبيل، كقراءته قوله تعالى : ﴿كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين﴾[3] ، ثم انه لما كان في هذا الجمع فضائح القوم اسقط ابوبكر شان نزول الآيات

---

١. سورة الاحزاب : الآية ٢٣ .

٢. سورة البقرة : الآية ١٩٨ .

٣. سورة البقرة : الآية ٢١٣ .

وتفسيرها وتأويلها، وجمعه ثانياً مع اثبات وجوه القراءات، ثم فى زمان عثمان لما كثر الاختلاف جمعه ثالثا على قراءة زيد بن ثابت، وحمل الناس على قراءته واسقط سائر القراءات، واحرق مصاحف الكمّلين من قراء الصحابة كعبدالله بن مسعود وأُبي بن كعب وغيرهما، ونقل عن ابن مسعود ما يقرب من هذا المضمون: «لو كان لى مثل ما لهم لفعلت بصحفهم مثل ما فعلوا بصحيفتي، ولقد قرأت على رسول الله ﷺ سبعين سورة، وكان زيد بن ثابت فى صلب ابيه الكافر» او قال: كان يلعب مع الصّبيان»[1].

قال البلاغي قدس سره في جمع القرآن:

«لم يزل القرآن الكريم بحسب حكمة الوحي والتشريع والمصالح والمقتضيات المتجددة آناً فآناً يتدرج في نزوله نجوما[2] الآية والآيتين والأكثر والسورة. وكلما نزل شيء هفت اليه قلوب المسلمين وانشرحت له صدورهم، وهبوا الى حفظه بأحسن الرغبة والشوق وأكمل الاقبال وأشد الارتياح. فتلقوه بالابتهاج وتلقوه بالاغتنام من تلاوة الرسول العظيم الصادع بأمر الله والمسارع إلى التبليغ والدعوة إلى الله وقرآنه. وتناوله حفظهم بما امتازت به العرب وعرفوا به من قوة الحافظة الفطرية، واثبتوه في قلوبهم كالنقش في الحجر. وكان شعار الإسلام وسمة المسلم حينئذ: هو التجمل والتكمل بحفظ ما ينزل من القرآن الكريم. لكي يتبصر بحججه ويتنور بمعارفه وشرائعه وأخلاقه الفاضلة وتاريخه المجيد وحكمته الباهرة وأدبه العربي الفائق المعجز. فاتخذ المسلمون تلاوته لهم حجة الدعوة. ومعجز البلاغة. ولسان العبادة لله. ولهجة ذكره. وترجمان مناجاته. وانيس الخلوة. وترويح النفس. ودرساً للكمال. وتمريناً في التهذيب. وسلماً للترقي. وتدرباً في التمدُّن. وآية الموعظة. وشعار الإسلام. ووسام الايمان والتقدّم في الفضيلة. واستمرّ المسلمون على ذلك حتى صاروا في زمان الرّسول يعدون بالألوف وعشراتها ومئاتها.

---

١. نفحات الرحمن ج ١ ص ٨ـ ١٢.

٢. ولابد من أن تكون كتب الوحي والدعوة والتشريع جارية في كمالها على منهاج هذه الحكمة. ومما يشير إلى ذلك ان التوراة الرائجة تذكر ان نزول التوراة على موسى ﷺ كان من زمان تكليمه من الشجرة متدرجا بحسب الأزمان والحوادث والتاريخ والحكم في التشريع إلى حين وفاته بعد التيه عند عبر الأردن، ومتراخيا في اكثر من أربعين سنة. فانظر في شرح هذا المجمل إلى المقدمة الثانية من الجزء الأول من كتاب الهدى (صحيفة ٩ إلى ١٢).

وكلهم من حملة القرآن وحفاظه [١]، وإن تفاوتوا في ذلك بحسب السابقة والفضيلة .. هذا ولماكان وحيه لا ينقطع في حياة رسول الله ﷺ لم يكن كله مجموعا في مصحف واحد، وإن كان ما أوحي منه مجموعاً في قلوب المسلمين وكتاباتهم له .. ولما اختار الله لرسوله دار الكرامة وانقطع الوحي بذلك فلا يرجى للقرآن نزول تتمة، رأى المسلمون ان يسجلوه في مصحف جامع، فجمعوا مادته على حين اشراف الألوف من حفاظه ورتابة مكتوباته الموجودة عند الرسول، وكتاب الوحي، وسائر المسلمين؛ جملة وابعاضا وسورا [٢]. نعم لم يُترتب على ترتيب نزوله ولم يقدم منسوخه على ناسخه [٣]، فاستمرّ

١. اخرج ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن ـ أي حفظا في زمان النبي ﷺ خمسة من الانصار معاذ بن جبل وعبادة بن الصمت وابي بن كعب وابو ايوب الانصاري وابو الدرداء. واخرج ابن سعد ويعقوب بن سفيان والطبراني وابن عساكر عن الشعبي قال جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ستة من الانصار: ابي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وابو الدرداء وسعد بن عبيد وابو زيد، وكان مجمع ابن جارية قد أخذه كله إلا سورتين أو ثلاث. واخرج ابن عساكر عن محمد بن كعب القرضي قال: كان ممن ختم القرآن ورسول الله حي عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن مسعود. واخرج عن انس: قرأ القرآن على عهد رسول الله ﷺ معاذ وأبي وسعد وأبو زيد. واخرج الحاكم في الصحيح على شرط البخاري ومسلم عن زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع. وفي رواية حول رسول الله نؤلف القرآن. «فانظر إلى كنز العمال ومنتخبه اقلا» ولم اذكر هذه الروايات احتجاجا بها للحقيقة المعلومة، ولكن لتجبه بالمعارضة بعض الروايات الشاذة الواردة في خلاف ما ذكرناه من حفظ المسلمين في عصر النبي وبعده للقرآن الكريم.

٢. ومما يشهد لما ذكرناه ما عن ابي عبيد في فضائله وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه مسندا عن عمر بن عامر الانصاري: ان عمر بن الخطاب قرأ «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان» فرفع الانصار ولم يدخل واو العطف على «الذين»، فقال له زيد بن ثابت: «والذين اتبعوهم باحسان» فقال عمر: «الذين اتبعوهم باحسان» فقال زيد: أمير المؤمنين اعلم، فقال عمر: ايتوني بابي بن كعب فسأله عن ذلك، فقال: «والذين اتبعوهم باحسان» فجعل كل واحد منهما يشير إلى انف صاحبه باصبعه، فقال أبي: والله اقرأنيها رسول الله ﷺ، وانت تتبع الخبط. فقال عمر: فنعم إذن فنعم إذن. واخرج ابو عبيد في فضائله وسنيد وابن جرير وابو الشيخ عن محمد بن كعب القرضي. واخرج ابو الشيخ في تفسيره والحاكم في المستدرك مصححا على شرط البخاري ومسلم عن اسامة ومحمد بن ابراهيم التيمي؛ انه جرى بين عمر وابي بن كعب في هذه الآية نحو ذلك فانظر في كنز العمال ومنتخبه.

٣. نعم من المعلوم عند الشيعة ان عليا اميرالمؤمنين ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يرتد برداء إلا للصلاة حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله، وتقدم منسوخه على ناسخه. واخراج ابن سعد وابن عبدالبر في الاستيعاب عن محمد بن سيرين قال نبئت ان عليا ابطأ عن بيعة ابي بكر، فقال: اكرهت امارتي، فقال: آليت بيميني ان لا ارتدي برداء إلا للصلاة حتى اجمع القرآن، قال: فزعموا انه كتبه على تنزيله، قال محمد: فلو اصبت ذلك الكتاب كان فيه علم. قال ابن عوف فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه.

القرآن الكريم على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلا بعد جيل، ترى له في كل آن الوفا مؤلفة من المصاحف، والوفا من الحفّاظ، ولا تزال المصاحف ينسخ بعضها على بعض، والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض ويسمع بعضهم من بعض. تكون الوف المصاحف رقيبة على الحفاظ، وألوف الحفاظ رقباء على المصاحف، وتكون الألوف من كلا القسمين رقيبة على المتجدد منهما، نقول: الألوف ولكنها مئات الألوف، والوف الألوف. فلم يتفق لأمر تاريخي من التواتر وبداهة البقاء مثل ما اتفق للقرآن الكريم، كما وعد الله جلت آلاؤه بقوله في سورة الحجر: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[١] وقوله في سورة القيامة: ﴿إنّ علينا جمعه وقرآنه﴾، ولئن سمعت في الروايات الشاذة شيئا في تحريف القرآن وضياع بعضه فلا تُقم لتلك الروايات وزناً. وقل: ما يشاء العلم في اضطرابها ووهنها وضعف رواتها ومخالفتها للمسلمين، وفيما جاءت به في مروياتها الواهية من الوهن. وما ألصقته بكرامة القرآن مما ليس له شبه به واستمع من ذلك لأمور.

ـ اضطراب الروايات في جمع القرآن:

الأمر الأول: جاء فيها ان ابابكر هو الذي أدى رأيه اولاً الى جمع القرآن، وهو الذي طلب من زيد بن ثابت جمعه، فثقل ذلك عليه، فلم يزل ابوبكر يراجعه حتى قبلَ. وجاء فيها ايضا: ان زيداً هو الذي أدى رأيه اولاً الى جمع القرآن وعزم عليه وكلم في ذلك عمر، فكلم فيه عمر ابابكر، فاستشار ابوبكر في ذلك المسلمين. وجاء فيها ايضا ان ابابكر هو الذي جمع القرآن. وجاء فيها ان عمر قتل ولم يجمع القرآن. وجاء فيها ان عثمان هو الذي جمع القرآن في ايامه بأمره. وجاء فيها ان عمر هو الذي أمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص لما أراد جمع القرآن أن يملي زيد ويكتب سعيد. وجاء فيها ان ذلك كان من عثمان في ايامه وبعد قتل عمر. وجاء في ذلك ايضا ان الذي يملي ابي بن كعب وزيد يكتبه وسعيد يعربه. وفي رواية أخرى: ان سعيداً وعبدالله بن الحرث يعربانه. هذا بعض حال هذه الروايات في تعارضها واضطراباتها، ومن جملة ما جاء فيها ما مضمونه؛ ان براءة آخر ما نزل من القرآن فما ترى لهذه الرواية من القيمة التاريخية. فانظر الى الجزء الأول من كنز العمال

---

١. سورة الحجر: الآية ٩.

ومنتخبه اقلاً»[١].

قال الطباطبائي (ره):

« في تاريخ اليعقوبي: قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: يا خليفة رسول الله إن حملة القرآن قد قتل أكثرهم يوم اليمامة فلو جمعت القرآن، فإني أخاف عليه أن يذهب حملته، فقال له ابوبكر: أفعل ما لم يفعله رسول الله؟ فلم يزل به عمر حتى جمعه وكتبه في صحف، وكان مفرّقاً في الجريد وغيرها.

وأجلس خمسة وعشرين رجلاً من قريش وخمسين رجلاً من الانصار، فقال: اكتبوا القرآن واعرضوا على سعيد بن العاص فإنه رجل فصيح.

وروى بعضهم: أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان جمعه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأتى به يحمله على جمل، فقال: هذا القرآن قد جمعته. قال: وكان قد جزّأه سبعة أجزاء ثم ذكر الأجزاء.

وفي تاريخ أبي الفداء: وقتل في قتال مسيلمة جماعة من القرّاء من المهاجرين والأنصار، ولما رأى ابوبكر كثرة من قتل أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال وجريد النخل والجلود، وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ، انتهى.

والأصل فيما ذكراه الروايات فقد أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ ابوبكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال ابوبكر إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ بقرّاء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت الذي رأى عمر.

قال زيد: قال ابوبكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، فلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير.

---

١. آلاء الرحمن ج ١ ص ١٧ ـ ١٩.

فلم يزل ابوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبّعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره : ﴿ لقد جاءكم رسول ﴾ حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر .

وعن ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب قال : « قدم عمر فقال : من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من احد شيئاً حتى يشهد شهيدان » .

وعنه ايضاً من طريق هشام بن عروة عن ابيه ـ وفي الطريق انقطاع ـ أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: « اقعدوا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه » .

وفي الإتقان عن ابن أشتة في المصاحف عن الليث بن سعد، قال : « أول من جمع القرآن ابوبكر وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل ، وإن آخر سورة براءة لم يوجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت فقال : اكتبوها فإن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب، وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده » .

وعن ابن أبي داود في المصاحف من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير عن ابيه قال : « أتاني الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة، فقال : أشهد أني سمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتهما ، فقال عمر : وأنا أشهد لقد سمعتهما ثم قال : لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن فالحقوها في آخرها » .

وعنه ايضاً من طريق أبي العالية عن أُبي بن كعب : « أنهم جمعوا القرآن فلما انتهوا إلى الآية التي في سورة براءة: ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾[1] ظنوا أن هذا آخر ما أنزل، فقال ابي : إن رسول الله ﷺ أقرأني بعد هذا آيتين ﴿ لقد جاءكم رسول ﴾[2] إلى آخر السورة » .

١. سورة التوبة : الآية ١٢٧. ٢. سورة التوبة : الآية ١٢٨.

وفي الإتقان عن الدير عاقولي في فوائده حدثنا ابراهيم بن يسار حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت قال: قال: « قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء ».

وفي مستدرك الحاكم بإسناده عن زيد بن ثابت قال: « كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع »، الحديث.

أقول: ولعل المراد؛ ضم بعض الآيات النازلة نجوماً إلى بعض السور او إلحاق بعض السور إلى بعضها مما يتماثل صنفاً كالطوال والمئين والمفصلات، فقد ورد لها ذكر في الأحاديث النبوية، وإلا فتأليف القرآن وجمعه مصحفاً واحداً إنما كان بعد ما قبض النبي ﷺ بلا إشكال، وعلى مثل هذا ينبغي أن يحمل ما يأتي.

في صحيح النسائي عن ابن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال: اقرأه في شهر.

وفي الإتقان عن ابن ابي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال: « جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الانصار: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وابو الدرداء وابو ايوب الأنصاري ».

وفيه عن البيهقي في المدخل عن ابن سيرين قال: « جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم: معاذ بن جبل وأبي بن كعب وأبو زيد واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبي الدرداء وعثمان، وقيل: عثمان وتميم الداري ».

وفيه عنه وعن ابن أبي داود عن الشعبي قال: « جمع القرآن في عهد النبي ﷺ ستة: أُبيّ وزيد ومعاذ وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وأبو زيد ومجمع بن حارثة، وقد أخذه إلا سورتين أو ثلاث ».

وفيه أيضاً عن ابن أشتة في كتاب المصاحف منْ طريق كهمس عن ابن بريدة قال: « أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه فجمعه ». الحديث.

أقول: أقصى ما تدلُّ عليه هذه الروايات مجرَّد جمعهم ما نزلت من السور والآيات،

وأما العناية بترتيب السور والآيات كما هو اليوم او بترتيب آخر فلا. هذا هو الجمع الأول في عهد أبي بكر.

الفصل ـ ٥

وقد جمع القرآن ثانياً في عهد عثمان لما اختلفت المصاحف وكثرت القراءات.

قال اليعقوبي في تاريخه: وجمع عثمان القرآن وألّفه وصيّر الطوال مع الطوال والقصار مع القصار من السور، وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت ثم سلقها بالماء الحارّ والخلّ، وقيل: أحرقها فلم يبق مصحف حتى فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود.

وكان ابن مسعود بالكوفة فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبدالله بن عامر، وكتب [اليه ظ] عثمان أن أشخصه إن لم يكن هذا الدين خبالاً وهذه الامة فساداً، فدخل المسجد وعثمان يخطب فقال عثمان: إنه قد قدمت عليكم دابة سوء فكلّم ابن مسعود بكلام غليظ، فأمر به عثمان فجرّ برجله حتى كسر له ضلعان، فتكلمت عائشة وقالت قولاً كثيراً.

وبعث بها إلى الأمصار وبعث بمصحف إلى الكوفة ومصحف إلى البصرة ومصحف إلى المدينة ومصحف إلى مكة ومصحف إلى مصر ومصحف إلى الشام ومصحف إلى البحرين ومصحف إلى اليمن ومصحف إلى الجزيرة.

وأمر الناس أن يقرأوا على نسخة واحدة، وكان سبب ذلك أنه بلغه أن الناس يقولون: قرآن آل فلان فأراد أن تكون نسخته واحدة، وقيل: إن ابن مسعود كان كتب بذلك اليه فلما بلغه أنه كان يحرق المصاحف قال: لم أرد هذا، وقيل: كتب اليه بذلك حذيفة بن اليمان. انتهى موضع الحاجة.

وفي الإتقان روى البخاري عن أنس: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة: أن أرسلي الينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها اليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمان بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة او مصحف أن يحرق .

قال زيد : آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾[1] فألحقناها في سورتها في المصحف .

وفيه أخرج ابن أشتة من طريق أيوب عن أبي قلابة قال : حدثني رجل من بني عامر يقال له : أنس بن مالك قال : اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه فمن نأى عني كان أشدّ تكذيباً وأكثر لحناً، يا أصحاب محمد اجتمعوا واكتبوا للناس إماماً .

فاجتمعوا فكانوا إذا اختلفوا وتدارؤا في آية قالوا : هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلاناً ، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاثة من المدينة فيقال له : كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا ؟ فيقول كذا وكذا فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكاناً .

وفيه عن ابن أبي داود من طريق ابن سيرين عن كثير بن أفلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها، وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤا في شيء أخروه .

قال محمد : فظننت أنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة ، فيكتبونه على قوله .

وفيه أخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال : قال علي : لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا قال : ما تقولون في هذه القراء ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول : إن قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً ، قلنا : فما ترى ؟ [قال : أرى ظ] أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون فرقة

١ . سورة الاحزاب : الآية ٢٣ .

ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت.

وفي الدر المنثور أخرج ابن الضريس عن علباء بن أحمر ان عثمان بن عفان لما أراد ان يكتب المصاحف أرادوا ان يلقوا الواو التي في براءة: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾[1] قال ابي: لتلحقنها او لأضعن سيفي على عاتقي فألحقوها.

وفي الاتقان عن احمد وابي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ووضعتموهما في السبع الطوال.

فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا أُنزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها.

فمن اجل ذلك قرنت بينهما، ولم اكتب بينهما سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ووضعتها في السبع الطوال.

أقول: السبع الطوال ـ على ما يظهر من هذه الرواية، وروي أيضاً عن ابن جبير هي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، وقد كانت موضوعة في الجمع الأول على هذا الترتيب، ثم غير عثمان هذا الترتيب فأخذ الأنفال وهي من المثاني، وبراءة وهي من المئين، قبل المثاني فوضعهما بين الأعراف ويونس مقدماً الأنفال على براءة»[2].

قال الخوئي قدس سره في جمع القرآن:

«ان موضوع جمع القرآن من الموضوعات التي يتذرع بها القائلون بالتحريف، الى اثبات ان في القرآن تحريفاً وتغييراً. وان كيفية جمعه مستلزمة ـ في العادة ـ لوقوع هذا التحريف والتغيير فيه.

---

١. سورة التوبة: الآية ٣٤.

٢. الميزان ج ١٢ ص ١٠٨ـ ١٣٢.

فكان من الضروري أن يعقد هذا البحث اكمالاً لصيانة القرآن من التحريف، وتنزيهه عن نقص أو أي تغيير.

ان مصدر هذه الشبهة هو زعمهم بأن جمع القرآن كان بأمر من أبي بكر ، بعد أن قتل سبعون رجلاً من القراء في بئر معونة، وأربعمائة نفر في حرب اليمامة ، فخيف ضياع القرآن وذهابه من الناس. فتصدى عمر وزيد بن ثابت لجمع القرآن من العسب، والرقاع، واللخاف، ومن صدور الناس بشرط أن يشهد شاهدان على أنه من القرآن، وقد صرّح بجميع ذلك في عدة من الروايات، والعادة تقضي بفوات شيء منه على المتصدي لذلك إذا كان غير معصوم، كما هو مشاهد فيمن يتصدى لجمع شعر شاعر واحد أو أكثر، إذا كان هذا الشعر متفرقاً، وهذا الحكم قطعي بمقتضى العادة، ولا أقل من احتمال وقوع التحريف، فان من المحتمل عدم امكان اقامة شاهدين على بعض ما سمع من النبي ﷺ فلا يبقى وثوق بعدم النقيصة.

والجواب:

ان هذه الشبهة مبتنية على صحة الروايات الواردة في كيفية جمع القرآن، والأولى أن نذكر هذه الروايات ثم نعقبها بما يرد عليها.

أحاديث جمع القرآن:

١ ـ روى زيد بن ثابت. قال:

«أرسل إليّ أبوبكر مقتل أهل يمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبوبكر: إن عمر أتاني. فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأىٰ عمر. قال زيد: قال أبوبكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى

شرح الله صدري. للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[١].

حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر»[٢].

٢ ـ وروى ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه:

«انّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح ارمينية وأذربيجان مع أهل العراق. فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال حذيفة لعثمان: يا أميرالمؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان الى حفصة: أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها اليك، فأرسلت بها حفصة الى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فانما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ثمّ ردّ عثمان الصحف الى حفصة، فأرسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق».

قال ابن شهاب: «وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٣]

---

١. سورة التوبة الآية ١٢٨ ـ ١٢٩.
٢. صحيح البخاري. باب جمع القرآن ج ٦ ص ٩٨.
٣. سورة الاحزاب: الآية ٢٣.

فألحقناها في سورتها في المصحف»[١].

٣ـوروى ابن ابي شيبة باسناده عن علي. قال:

«أعظم الناس في المصاحف أجراً أبوبكر، إن أبابكر أول من جمع ما بين اللوحين».

٤ـوروى ابن شهاب. عن سالم بن عبدالله وخارجة:

«أن أبابكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل، فكانت الكتب عند أبي بكر حتى توفي، ثم عند عمر حتى توفي، ثم كانت عند حفصة زوج النبي ﷺ فأرسل اليها عثمان، فأبت أن تدفعها، حتى عاهدها ليردّنها اليها، فبعثت بها اليه، فنسخها عثمان هذه المصاحف، ثم ردها اليها فلم تزل عندها ...».

٥ـوروى هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

«لما قتل أهل اليمامة، أمر أبوبكر عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت. فقال: اجلسا على باب المسجد. فلا يأتينكما أحد بشيء من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلاّ اثبتماه، وذلك لأنه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جمعوا القرآن».

٦ـوروى محمد بن سيرين. قال: «قتل عمر ولم يجمع القرآن».

٧ـوروى الحسن:

«أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة. فقال: إنا لله، وأمر بالقرآن فجمع، فكان أول من جمعه في المصحف».

٨ـوروى يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب. قال:

«أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس. فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف، والألواح، والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك اليه، فقام عثمان. فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى

---

١. صحيح البخاري ج ٦ ص ٩٩، وهاتان الروايتان وما بعدهما الى الرواية الحادية والعشرين مذكورة في منتخب كنزالعمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣ـ٥٢.

يشهد عليه شهيدان، فجاء خزيمة بن ثابت. فقال: إني قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما. قالوا: ما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله ﷺ:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ..﴾[١].الى آخر السورة.

فقال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عندالله، فأين ترى ان نجعلهما؟ قال اختم بهما آخر ما نزل من القرآن فختمت بهما براءة».

٩ ـ وروى عبيد بن عمير. قال:

«كان عمر لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ...﴾ الى آخرها. فقال عمر: لا أسألك عليها بينة أبداً، كذلك كان رسول الله»[٢].

١٠ ـ وروى سليمان بن أرقم، عن الحسن وابن سيرين، وابن شهاب الزهري. قالوا:

«لما أسرع القتل في قراء القرآن يوم اليمامة ، قتل منهم يومئذ اربعمائة رجل، لقى زيد بن ثابت عمر بن الخطاب. فقال له: إن هذا القرآن هو الجامع لديننا فان ذهب القرآن ذهب ديننا، وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب. فقال له: انتظر حتى أسأل أبابكر ، فمضيا الى أبي بكر فأخبراه لذلك. فقال: لا تعجل حتى اشاور المسلمين، ثم قام خطيباً في الناس فأخبرهم بذلك. فقالوا: أصبت، فجمعوا القرآن، فأمر أبوبكر منادياً فنادى في الناس من كان عنده شيء من القرآن فليجيء به ..».

١١ ـ وروى خزيمة بن ثابت . قال:

«جئت بهذه الآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أنفُسِكُم ...﴾ الى عمر بن الخطاب. والى زيد بن ثابت. فقال: زيد من يشهد معك؟ قلت: لا والله ما أدري. فقال عمر: أنا أشهد معه على ذلك».

١٢ ـ وروى أبواسحق، عن بعض أصحابه. قال:

---

١. سورة التوبة: الآية ١٢٨.

٢. الروايات التي نقلناها عن المنتخب مذكورة في كنزالعمال «جمع القرآن» الطبعة الثانية ج٢ ص ٣٦١ عدا هذه الرواية، ولكن بمضمونها رواية عن يحيى بن جعدة.

«لما جمع عمر بن الخطاب المصحف سأل ، من أعرب الناس؟ قيل سعيد بن العاص. فقال: من أكتب الناس؟ فقيل زيد بن ثابت. قال: فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتبوا مصاحف اربعة، فانفذ مصحفاً منها الى الكوفة، ومصحفاً الى البصرة، ومصحفاً الى الشام، ومصحفاً الى الحجاز».

١٣ ـ وروى عبدالله بن فضالة ، قال:

«لما أراد عمر أن يكتب الامام اقعد له نفراً من أصحابه، وقال: إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فان القرآن نزل على رجل من مضر».

١٤ ـ وروى أبو قلابة، قال:

«لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلّم قراءة الرجل، والمعلم يعلّم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون ويختلفون، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً، فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشدّ اختلافاً، وأشدّ لحناً، فاجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً. قال أبو قلابة: فحدثني مالك بن أنس. قال أبوبكر بن أبي داود: هذا مالك بن أنس جد مالك بن أنس. قال : كنت فيمن أُملي عليهم فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي. فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل اليه، فلما فرغ من المصحف ، كتب الى اهل الأمصار ؛ أني قد صنعت كذا وصنعت كذا، ومحوت ما عندي، فامحوا ما عندكم».

١٥ ـ وروى مصعب بن سعد. قال:

«قام عثمان يخطب الناس. فقال: أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، تقولون قراءة أُبيّ، وقراءة عبدالله، يقول الرجل والله ما تقيم قراءتك، فاعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان ودعاهم رجلا رجلا، فناشدهم لسمعت رسول الله ﷺ وهو أملّه عليك ، فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان. قال: من اكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت. قال: فأيُّ الناس

أعرب؟ قالوا سعيد بن العاص. قال عثمان: فليمل سعيد، وليكتب زيد، فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد ﷺ يقول: قد أحسن».

١٦ ـ وروى ابو المليح. قال:

«قال عثمان بن عفان حين أراد أن يكتب المصحف، تملي هذيل وتكتب ثقيف».

١٧ ـ وروى عبدالأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر القرشي. قال:

«لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه. فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها».

١٨ ـ وروى عكرمة. قال:

«لما أتى عثمان بالمصحف رأى فيه شيئاً من لحن. فقال: لو كان المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا».

١٩ ـ وروى عطاء:

«أن عثمان بن عفان لما نسخ القرآن في المصاحف، ارسل الى أبيّ بن كعب فكان يملي على زيد بن ثابت، وزيد يكتب، ومعه سعيد بن العاص يعربه، فهذا المصحف على قراءة أبيّ وزيد».

٢٠ ـ وروى مجاهد:

«ان عثمان أمر أبيّ بن كعب يملي، ويكتب زيد بن ثابت، ويعربه سعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحرث».

٢١ ـ وروى زيد بن ثابت:

«لما كتبنا المصاحف فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله ﷺ فوجدتها عند خزيمة بن ثابت: ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ .. ـ إلى ـ تبديلا﴾[1]. وكان خزيمة يدعى ذا الشهادتين، أجاز رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين».

٢٢ ـ وقد أخرج ابن اشتة، عن الليث بن سعد. قال:

«اول من جمع القرآن أبوبكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا

١. سورة الاحزاب: الآية ٢٣.

يكتب آية إلا بشهادة عدلين، وإن آخر سورة براءة لم يوجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت. فقال: اكتبوها فان رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب، وإن عمر أتى بآية الرجم فلم نكتبها لأنه كان وحده»(١).

هذه أهم الروايات التي وردت في كيفية جمع القرآن، وهي ـ مع انها اخبار آحاد لا تفيدنا علماً ـ مخدوشة من جهات شتى:

١ ـ تناقض أحاديث جمع القرآن: ـ

إنها متناقضة في أنفسها فلا يمكن الاعتماد على شيء منها، ومن الجدير بنا أن نشير الى جملة من مناقضاتها، في ضمن أسئلة واجوبة:

ـ متى جمع القرآن في المصحف؟

ظاهر الرواية الثانية أن الجمع كان في زمن عثمان، وصريح الروايات الأولى، والثالثة، والرابعة، وظاهر البعض الآخر أنه كان في زمان أبي‌بكر، وصريح الروايتين السابعة، والثانية عشرة أنه كان في زمان عمر.

ـ من تصدى لجمع القرآن زمن أبي بكر؟

تقول الروايتان الأولى، والثانية والعشرون: إن المتصدي لذلك هو زيد بن ثابت، وتقول الرواية الرابعة: إنه أبوبكر نفسه، وإنما طلب من زيد أن ينظر فيما جمعه من الكتب، وتقول الرواية الخامسة ـ ويظهر من غيرها أيضاً ـ: إن المتصدي هو زيد وعمر.

ـ هل فوض لزيد جمع القرآن؟.

يظهر من الرواية الاولى أن أبابكر قد فوض اليه ذلك، بل هو صريحها، فان قوله لزيد: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه» صريح في ذلك، وتقول الرواية الخامسة وغيرها: إن الكتابة إنما كانت بشهادة شاهدين، حتى ان عمر جاء بآية الرجم فلم تقبل منه.

ـ هل بقي من الآيات ما لم يدون الى زمان عثمان؟.

ظاهر كثير من الروايات، بل صريحها أنه لم يبق شيء من ذلك، وصريح الرواية الثانية،

---

١. الاتقان النوع ١٨ ج ١ ص ١٠١.

بقاء شيء من الآيات لم يدون الى زمان عثمان.

-هل نقص عثمان شيئاً مما كان مدوناً قبله؟.

ظاهر كثير من الروايات بل صريحها أيضاً أن عثمان لم ينقص مما كان مدوناً قبله، وصريح الرواية الرابعة عشرة انه محا شيئاً مما دوّن قبله، وأمر المسلمين بمحو ما محاه.

-من أي مصدر جمع عثمان المصحف؟

صريح الروايتين الثانية والرابعة: ان الذي اعتمد عليه في جمعه هي الصحف التي جمعها أبوبكر، وصريح الروايات الثامنة، والرابعة عشرة، والخامسة عشرة، ان عثمان جمعه بشهادة شاهدين، وباخبار من سمع الآية من رسول الله ﷺ.

-من الذي طلب من أبي بكر جمع القرآن؟

تقول الرواية الاولى: إن الذي طلب ذلك منه هو عمر، وان ابابكر إنما اجابه بعد الامتناع، فأرسل الى زيد وطلب منه ذلك، فأجابه بعد الامتناع، وتقول الرواية العاشرة: إن زيداً وعمر طلبا ذلك من أبي بكر، فأجابهما بعد مشاورة المسلمين.

-من جمع الامام وأرسل منه نسخاً الى البلاد؟

صريح الرواية الثانية: أنه كان عثمان، وصريح الرواية الثانية عشرة: أنه كان عمر.

-متى الحقت الآيتان بآخر سورة براءة؟

صريح الروايات الاولى، والحادية عشرة، والثانية والعشرين: أن الحاقهما كان في زمان ابي بكر، وصريح الرواية الثامنة، وظاهر غيرها: أنه كان في عهد عمر.

-من أتى بهاتين الآيتين؟

صريح الروايتين الاولى، والثانية والعشرين: أنه كان أبا خزيمة، وصريح الروايتين الثامنة، والحادية عشرة: أنه كان خزيمة بن ثابت، وهما رجلان ليس بينهما نسبة أصلاً، على ما ذكره ابن عبدالبر [١].

-بماذا ثبت أنهما من القرآن؟

بشهادة الواحد، على ما هو ظاهر الرواية الاولى، وصريح الروايتين التاسعة، والثانية

١. تفسير القرطبي ج ١ ص ٥٦.

والعشرين، وبشهادة عثمان معه، على ما هو صريح الرواية الثامنة، وبشهادة عمر معه، على ما هو صريح الرواية الحادية عشرة.

ـ من عينه عثمان لكتابة القرآن واملائه؟

صريح الرواية الثانية : أن عثمان عين للكتابة زيداً، وابن الزبير، وسعيد، وعبدالرحمن، وصريح الرواية الخامسة عشرة : أنه عين زيداً للكتابة ، وسعيداً للإملاء، وصريح الرواية السادسة عشرة : أنه عين ثقيفاً للكتابة، وهذيلاً للإملاء، وصريح الرواية الثامنة عشرة : أن الكاتب لم يكن من ثقيف ، وان المملي لم يكن من هذيل، وصريح الرواية التاسعة عشرة : أن المملي كان أبيّ بن كعب، وان سعيداً كان يعرب ما كتبه زيد، وهذا أيضاً صريح الرواية العشرين بزيادة عبدالرحمن بن الحرث للإعراب .

٢ ـ تعارض روايات الجمع :

ان هذه الروايات معارضة بما دل على أن القرآن كان قد جمع، وكتب على عهد رسول الله ﷺ فقد روى جماعة، منهم ابن ابي شيبة واحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي،والضياءالمقدسي، عن ابن عباس. قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم الى الأنفال وهي من المثاني، والى براءة، وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر: ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ ووضعتموهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان تنزل عليه السورة ذات العدد. وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده. فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات. فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما أُنزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، وقبض رسول اللّه ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ ، ووضعتهما في السبع الطوال (١).

وروى الطبراني، وابن عساكر عن الشعبي. قال:

---

١. منتخب كنزالعمال ج ٢ ص ٤٨.

«جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار، أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد. وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلاّ سورتين أو ثلاث»[١].

وروى قتادة. قال:

«سألت أنس بن مالك، من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[٢].

وروى مسروق: ذكر عبدالله بن عمرو عبدالله بن مسعود. فقال:

«لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة، من عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبيّ بن كعب»[٣].

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبدالله بن عمر، قال:

«جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي ﷺ، فقال: اقرأه في شهر ...»[٤]. وستجيء رواية ابن سعد في جمع ام ورقة القرآن.

ولعل قائلا يقول: إن المراد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصدور لا التدوين، وهذا القول دعوى لا شاهد عليها، أضف الى ذلك أنك ستعرف أن حفاظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ كانوا أكثر من أن تحصى أسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة؟!! وان المتصفح لأحوال الصحابة، وأحوال النبي ﷺ يحصل له العلم اليقين بأن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ، وان عدد الجامعين له لا يستهان به، وأما ما رواه البخاري باسناده عن انس. قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وابو زيد، فهو مردود مطروح، لأنه معارض للروايات المتقدمة، حتى لما رواه البخاري بنفسه. ويضاف الى ذلك أنه غير قابل للتصديق به. وكيف يمكن أن يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي ﷺ

١. نفس المصدر ج ٢ ص ٥٢.
٢. صحيح البخاري باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ج ٦ ص ١٠٢.
٣. المصدر السابق.
٤. الاتقان النوع ٢٠ ج ١ ص ١٢٤.

على كثرتهم، وتفرقهم في البلاد، ويستعلم أحوالهم ليمكنه أن يحصر الجامعين للقرآن في أربعة؟! وهذه الدعوى تخرّص بالغيب، وقول بغير علم.

وصفوة القول: أنه مع هذه الروايات، كيف يمكن أن يصدق أن أبابكر كان أول من جمع القرآن بعد خلافته؟ وإذا سلمنا ذلك، فلماذا أمر زيداً وعمر بجمعه من اللخاف، والعسب، وصدور الرجال، ولم يأخذه من عبدالله، ومعاذ، وأبيّ، وقد كانوا عند الجمع أحياء، وقد أمروا بأخذ القرآن منهم، ومن سالم؟!. نعم إن سالماً قد قتل في حرب اليمامة، فلم يمكن الأخذ منه. على ان زيداً نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية، فلا حاجة الى التفحص والسؤال من غيره، بعد أن كان شاباً عاقلاً غير متهم، كما يقول أبوبكر، أضف الى جميع ذلك: أن اخبار الثقلين المتظافرة تدلنا على أن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ على ما سنشير اليه.

٣ ـ تعارض أحاديث الجامع مع الكتاب:

إن هذه الروايات معارضة بالكتاب، فان كثيراً من آيات الكتاب الكريمة دالة على أن سور القرآن كانت متميزة في الخارج بعضها عن بعض، وان السور كانت منتشرة بين الناس حتى المشركين وأهل الكتاب، فان النبي ﷺ قد تحدى الكفار والمشركين على الإتيان بمثل القرآن، وبعشر سور مثله مفتريات، وبسورة من مثله، ومعنى هذا أن سور القرآن كانت في متناول أيديهم.

وقد أطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي».

وفي هذا دلالة على أنه كان مكتوباً مجموعاً، لأنه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللخاف، والعسب، والاكتاف، إلاّ على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فان لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزءاً غير مجتمع، فضلاً عما إذا لم يكتب، وكان محفوظاً في الصدور فقط.

٤ ـ مخالفة أحاديث الجمع مع حكم العقل! :

ان هـذه الروايات مـخالفة لحكـم العـقل، فـان عـظمة القـرآن فـي نـفسه، واهـتمام النبي ﷺ بحفظه وقراءته، واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي ﷺ وما يستوجبه ذلك من الثواب، كل ذلك ينافي جمع القرآن على النحو المذكور في تلك الروايات، فـان فـي القرآن جهات عديدة كل واحدة منها تكفي لأن يكون القرآن مـوضعاً لعـناية المسـلمين، وسبباً لاشتهاره حتى بين الأطفال والنساء منهم، فضلاً عن الرجال. وهذه الجهات هي:

١ ـ بلاغة القرآن: فقد كانت العرب تهتم بحفظ الكلام البـليغ، ولذلك فـهم يـحفظون أشعار الجاهلية وخطبها، فكيف بالقرآن الذي تحدى ببلاغته كل بليغ، وأخرس بفصاحته كل خطيب لسن؟!، وقد كانت العرب بأجمعهم متوجهين اليه، سـواء فـي ذلك مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن يحفظه لإيمانه، والكافر يتحفظ به لأنه يتمنى معارضته، وإبطال حجته.

٢ ـ إظهار النبي ﷺ رغبته بحفظ القرآن، والاحتفاظ به: وكانت السيطرة والسلطة له خاصة، والعادة تقضي بأن الزعيم إذا أظهر رغبته بحفظ كتاب أو بقراءته فان ذلك الكتاب يكون رائجاً بين جميع الرعية، الذين يطلبون رضاه لدين أو دنيا.

٣ ـ إن حفظ القرآن سبب لارتفاع شأن الحافظ بين الناس، وتعظيمه عندهم: فقد عـلم كل مطلع على التاريخ ما للقرّاء والحفّاظ من المنزلة الكبيرة، والمقام الرفيع بين النـاس، وهذا أقوى سبب لاهتمام الناس بحفظ القرآن جملة، أو بحفظ القدر الميسور منه.

٤ ـ الأجر والثواب الذي يستحقه القارىء والحافظ بقراءة القرآن وحـفظه. هـذه أهـم العوامل التي تبعث على حفظ القرآن والاحتفاظ به، وقد كـان المـسلمون يـهتمون بشأن القرآن، ويحتفظون به أكثر من اهتمامهم بأنفسهم، وبما يهمهم من مال وأولاد. وقد ورد أن بعض النساء جمعت جميع القرآن. أخرج ابن سعد في الطبقات: «أنبأنا الفضل بن دكـين، حدثنا الوليد بن عبدالله بن جميع. قال: حدثتني جدتي عن أم ورقـة بـنت عـبدالله بـن الحارث وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويسميها الشهيدة ـ وكانت قد جمعت القرآن ـ ان رسول الله ﷺ حين غزا بدراً، قالت له: أتأذن لي فاخرج معك أداوي جرحاكم وامرّض

مرضاكم لعل الله يهدي لي شهادة. قال: إن الله مهد لك شهادة ...»[١].

وإذاكان هذا حال النساء في جمع القرآن فكيف يكون حال الرجال؟ وقد عدّ من حفاظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ جم غفير. قال القرطبي: «قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد»[٢].

وقد تقدم في الرواية «العاشرة» أنه قتل من القراء يوم اليمامة أربعمائة رجل. على أن شدة اهتمام النبي ﷺ بالقرآن، وقد كان له كتّاب عديدون، ولا سيما أن القرآن نزل نجوماً في مدة ثلاث وعشرين سنة، كل هذا يورث لنا القطع بأن النبي ﷺ كان قد أمر بكتابة القرآن على عهده.

روى زيد بن ثابت. قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وفيه الدليل الواضح: أن القرآن إنما جمع على عهد رسول الله[٣].

وأما حفظ بعض سور القرآن أو بعض السورة فقد كان منتشراً جداً. وشذّ أن يخلو من ذلك رجل أو امرأة من المسلمين.

روى عبادة بن الصامت قال: «كان رسول الله ﷺ يشغل، فاذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه الى رجل منّا يعلّمه القرآن»[٤].

وروى كليب. قال: «كنت مع علي ؑ فسمع ضجتهم في المسجد يقرأون القرآن. فقال: طوبى لهؤلاء ...»[٥].

وعن عبادة بن الصامت أيضاً:

«كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ الى رجل منّا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم

---

١. الاتقان ـ النوع ٢٠ ج ١ ص ١٢٥.

٢. الاتقان النوع ٢٠ ص ١٢٢. وقال القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٥٠: وقتل منهم «القراء» في ذلك اليوم «يوم اليمامة» فيما قيل سبعمائة.

٣. المستدرك ج ٢ ص ٦١١.

٤. مسند أحمد ج ٥ ص ٣٢٤.

٥. كنز العمال. فضائل القرآن الطبعة الثانية ج ٢ ص ١٨٥.

لئلا يتغالطوا»[١].

نعم، إن حفظ القرآن ولو ببعضه كان رائجاً بين الرجال والنساء من المسلمين، حتى أن المسلمة قد تجعل مهرها تعليم سورة من القرآن أو أكثر[٢]، ومع هذا الاهتمام، كله كيف يمكن أن يقال: إن جمع القرآن قد تأخر الى زمان خلافة أبي بكر، وإن أبابكر احتاج في جمع القرآن الى شاهدين يشهدان أنهما سمعا ذلك من رسول الله ﷺ ؟!.

٥ ـ مخالفة أحاديث الجمع للإجماع!:

ان هذه الروايات مخالفة لما أجمع عليه المسلمون قاطبة من أن القرآن لا طريق لإثباته إلا التواتر، فانها تقول: إن اثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصراً بشهادة شاهدين، أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل شهادتين، وعلى هذا فاللازم أن يثبت القرآن بالخبر الواحد أيضاً، وهل يمكن لمسلم أن يلتزم بذلك؟ ولست أدري كيف يجتمع القول بصحة هذه الروايات التي تدل على ثبوت القرآن بالبينة، مع القول بأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ؟!، أفلا يكون القطع بلزوم كون القرآن متواتراً سبباً للقطع بكذب هذه الروايات أجمع؟ ومن الغريب أن بعضهم كابن حجر فسر الشاهدين في الروايات بالكتابة والحفظ[٣].

وفي ظني أن الذي حمله على ارتكاب هذا التفسير هو ما ذكرناه من لزوم التواتر في القرآن. وعلى كل حال فهذا التفسير واضح الفساد من جهات:

أما، أولاً: فلمخالفته صريح تلك الروايات في جمع القرآن، وقد سمعتها.

وأما، ثانياً: فلان هذا التفسير يلزمه أنهم لم يكتبوا ما ثبت أنه من القرآن بالتواتر، إذا لم يكن مكتوباً عند أحد، ومعنى ذلك أنهم أسقطوا من القرآن ما ثبت بالتواتر أنه من القرآن.

وأما، ثالثاً: فلان الكتابة والحفظ لا يحتاج اليهما إذا كان ما تراد كتابته متواتراً، وهما

---

١. مناهل العرفان ص ٢٦٤.

٢. رواه الشيخان، وابو داود والترمذي، والنسائي. التاج. ج ٢ ص ٣٣٢.

٣. الاتقان ـ النوع ١٨ ص ١٠٠.

لا يثبتان كونه من القرآن، إذا لم يكن متواتراً. وعلى كل حال فلا فائدة في جعلهما شرطاً في جمع القرآن.

وعلى الجملة ؛ لا بد من طرح هذه الروايات، لأنها تدل على ثبوت القرآن بغير التواتر، وقد ثبت بطلان ذلك باجماع المسلمين.

٦ ـ أحاديث الجمع والتحريف بالزيادة!:

ان هذه الروايات لو صحت، وأمكن الاستدلال بها على التحريف من جهة النقص، لكان اللازم على المستدل أن يقول بالتحريف من جهة الزيادة في القرآن أيضاً، لأن كيفية الجمع المذكورة تستلزم ذلك، ولا يمكن له أن يعتذر عن ذلك بأن حد الإعجاز في بلاغة القرآن يمنع من الزيادة عليه، فلا تقاس الزيادة على النقيصة، وذلك لأن الإعجاز في بلاغة القرآن وإن كان يمنع عن الاتيان بمثل سورة من سوره، ولكنه لا يمنع من الزيادة عليه بكلمة أو بكلمتين، بل ولا بآية كاملة، ولا سيما إذا كانت قصيرة، ولولا هذا الاحتمال لم تكن حاجة الى شهادة شاهدين، كما في روايات الجمع المتقدمة، فان الآية التي يأتي بها الرجل تثبت نفسها أنها من القرآن أو من غيره. واذن فلا مناص للقائل بالتحريف من القول بالزيادة أيضاً، وهو خلاف اجماع المسلمين.

وخلاصة ما تقدم: أن اسناد جمع القرآن الى الخلفاء أمر موهوم، مخالف للكتاب، والسنة، والاجماع، والعقل، فلا يمكن القائل بالتحريف أن يستدل به على دعواه. ولو سلمنا أن جامع القرآن هو أبوبكر في أيام خلافته، فلا ينبغي الشك في أن كيفية الجمع المذكورة في الروايات المتقدمة مكذوبة، وأن جمع القرآن كان مستنداً الى التواتر بين المسلمين، غاية الأمر أن الجامع قد دوّن في المصحف ما كان محفوظاً في الصدور على نحو التواتر.

نعم لا شك أن عثمان قد جمع القرآن في زمانه، لا بمعنى أنه جمع الآيات والسور في مصحف، بل بمعنى أنه جمع المسلمين على قراءة إمام واحد، وأحرق المصاحف الأخرى التي تخالف ذلك المصحف، وكتب الى البلدان أن يحرقوا ما عندهم منها، ونهى المسلمين عن الاختلاف في القراءة. وقد صرح بهذا كثير من أعلام أهل السنة.

قال الحارث المحاسبي: «المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي انزل بها القرآن ...» (١).

أقول: أما أن عثمان جمع المسلمين على قراءة واحدة، وهي القراءة التى كانت متعارفة بين المسلمين، والتي تلقوها بالتواتر عن النبي ﷺ وأنه منع عن القراءات الأخرى المبتنية على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، التي تقدم توضيح بطلانها. أما هذا العمل من عثمان فلم ينتقده عليه أحد من المسلمين، وذلك لأن الأختلاف في القراءة كان يؤدي الى الاختلاف بين المسلمين، وتمزيق صفوفهم، وتفريق وحدتهم، بل كان يؤدي الى تكفير بعضهم بعضاً. وقد مرّ ـ فيما تقدم ـ بعض الروايات الدالة على أن النبي ﷺ منع عن الاختلاف في القرآن، ولكن الأمر الذي انتقد عليه هو إحراقه لبقية المصاحف، وأمره أهالي الأمصار باحراق ما عندهم من المصاحف، وقد اعترض على عثمان في ذلك جماعة من المسلمين، حتى سمّوه بحراق المصاحف.

النتيجة:

ومما ذكرناه: قد تبين للقارىء ان حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل، أو من الجأه اليه يجب القول به، والحب يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته»(٢).

قال المدرس في جمع القرآن الكريم :

«للقرآن الكريم جمع في عهد الرسول ﷺ، وجمع في عهد خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وجمع في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ ولنذكر ذلك:

أما الأول ـ أي الجمع في عهد الرسول ﷺ: فلا شك أن همة الرسول ﷺ وأصحابه كانت

---

١. الاتقان النوع ١٨ ج ١ ص ١٠٣.
٢. البيان ج ١ ص ٢٥٧ ـ ٢٧٨.

متوجهة أول الأمر إلى جمع القرآن في القلوب، وحفظه في الصدور، ضرورة أنه نبيّ أميّ بعثه اللّه في الأميين. علاوة على ذلك انه لم تكن أدوات الكتابة ميسورة لديهم في ذلك العهد. ومن هنا كان الاعتماد على الحفظ في الصدور أكثر من الاعتماد على الحفظ بين السطور. ولكن القرآن الكريم أخذ نصيباً وافياً من الأمرين: أي الحفظ في الصدور، والحفظ بين السطور. فقد اتخذ رسول اللّه ﷺ كتّاباً للوحي المنزل. فكلما نزل من القرآن شيء أَمَرَهُم بكتابته مبالغةً في حفظه.

وكان هؤلاء الكتّاب من خيرة الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ فيهم: أبوبكر وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، وإبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس وغيرهم ... وكان ﷺ يدلهم على موضع المكتوب في سورته، فيكتبونه في ما يسهل عليهم من: جريد النخل، والحجارة الرقيقة، وما تيسر من جلد، أو ورق، وعظام الأكتاف وغيرها... ثم يوضع المكتوب في بيت رسول اللّه ﷺ، وهكذا انقضى العهد النبوي السعيد.

روي عن ابن عباس أنه قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض مَن يكتب، فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا.

وعن زيد بن ثابت قال: كنّا عند رسول اللّه ﷺ نؤلف القرآن من الرّقاع. وكان هذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبي ﷺ، وكان هذا الترتيب بتوقيف من جبريل ﷺ، فقد ورد أن جبريل ﷺ كان يقول: ضعوا كذا في موضع كذا. ولا ريب أن جبريل كان لا يصدر في ذلك إلا عن أمر اللّه ـ عز وجلّ ـ.

أما الصحابة ـ رضوان اللّه عليهم ـ فقد كان منهم من يكتبون القرآن ولكن فيما تيسر لهم من: قرطاس، أو كتف، أو عظم، أو نحو ذلك، بالمقدار الذي يبلغ الواحد عن رسول اللّه ﷺ. ولم يلتزموا توالي السور ترتيبها، وذلك لأن أحدهم كان إذا حفظ سورة أنزلت على رسول اللّه ﷺ أو كتبها ثم خرج في سرية مثلا فنزلت في وقت غيابه سورة ... فإنه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته، ثم يستدرك ما كان قد فاته في غيابه فيجمعه، ويتتبعه على حسب ما يسهل له، فيقع في ما يكتبه تقديم وتأخير بسبب ذلك.

وقد كان من الصحابة من يعتمد على حفظه فلا يكتب جرياً على عادة العرب في حفظ أنسابها، واستظهار مفاخرها وأشعارها من غير كتابة.

والحاصل: أن القرآن كان مكتوباً كله على عهد الرسول ﷺ وكانت كتابته ملحوظاً فيها أن تشمل الأحرف السبعة التي نزل عليها. غير أنّ بعض الصحابة كان قد كتب بعض منسوخ التلاوة وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد. وربما كتبه غير مرتب، ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعاً في صحف ولا مصاحف عامة. وذلك لأمور:

أولها: أنه لم يوجد من دواعي كتابته في صحف أو مصاحف مثل ما وجد في عهد أبي بكر حتى كتبه في صحف، ولا مثل ما وجد على عهد عثمان حتى نسخه في مصاحف. فالمسلمون وقتئذ بخير، والقراء كثيرون، والإسلام لم تتسع رقعته بعد، والفتنة مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة غير ميسورة، وعناية الرسول ﷺ باستظهار القرآن تفوق الوصف حتى في طريقة أدائه على حروفه السبعة التي نزل عليها.

ثانيها: أن النبي ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات.

ثالثها: أن القرآن لم ينزل مرة واحدة، بل نزل منجماً في مدى عشرين سنة أو أكثر.

رابعها: أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله؛ فقد علمتَ أن نزوله كان على حسب الأسباب، أما ترتيبه فكان لِغير ذلك من الاعتبارات.

واما الثاني ـ أي الجمع في عهد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فكان السبب فيه استشهاد كثير من القراء، وخوف ضياع بعض من آيات القرآن الكريم. وفي ذلك يروي البخاري في صحيحه: أن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أبوبكر مَقْتَلَ أهلِ اليمامة، أي عَقب استشهاد القرّاء السبعين في واقعة ـ اليمامة ـ فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ إنّ عُمَرَ أتاني فقال إنّ القتل قد استحرّ ـ أي اشتدّ ـ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل في المواطن فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خيرٌ. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد:

قال أبوبكر. إنك رجلٌ شابٌ عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خيرٌ. فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لقد جاءكم رَسُول من أَنْفُسِكم عَزِيزٌ عليه ما عَنِتُّم حَرِيصٌ عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تَوَلَّوا فَقُل حَسبيَ اللهُ لا إلهَ إلاّ هو عليه توكلتُ وهو رَبُّ العرشِ العظيم﴾[١].

فأرادَ؛ أنه لم يجد آخر سورة براءة مكتوباً عند أحد إلا عند أبي خزيمة الأنصاري.

وأما حفظاً: فكان محفوظاً عند كثير من الأصحاب ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أجمعين. كما هو مذكور ومسطور في النقول المعتمدة.

فكانت الصحف عند أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى توفاه الله، ثم عند عمر في مدة حياته، ثم عند حفصة بنت عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وهذا الجمع كان بعناية بالغة، ويدل عليها ما أخرجه أبو داود: أنّ أبابكر قالَ لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله اكتباه. قال السخاوي في جمال القراء ما يفيد: أن المراد بهما رجلان عدلان يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده. ولذلك قال في الحديث الذي رواه البخاري سابقاً: أنه لم يجد آخر سورة براءة إلا مع أبي خزيمة، أي لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة الأنصاري، مع أن زيداً كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة يحفظونها. ولكنه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادة في التوثق. ثم جمع القرآن بإشراف أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة وإجماع الأمة عليه دون نكير. وكان ذلك منقبةً خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل لأبي بكر في الإشراف، ولعمر في الاقتراح، ولزيد في التنفيذ، وللصحابة في المعاونة والإقرار. قال علي ـ كرم الله وجهه ـ أعظم الناس في المصاحف أجراً: أبوبكر،

---

١. سورة التوبة: الآية ١٢٨ ـ ١٢٩.

رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله. أخرجه ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن.

وامتازت هذه الصحيفة أولا : بأنها جمعت القرآن على أدق وجوه البحث والتحري وأسلم أصول التثبت العلمي.

ثانياً : بأنه اقتصر فيها على ما لم تنسخ تلاوته.

ثالثاً : أنها ظفرت بإجماع الأمة عليها وتواتر ما فيها.

واما الجمع الثالث ـ أي جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ فالداعي إليه أنه اتّسعت الفتوحات في زمانه وتفرّق المسلمونَ في الأمصار، وظهر جيلٌ جديدٌ كان بحاجة إلى دراسة القرآن، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة؛ فأهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب وأهل الكوفة يقرأون بقراءة عبدالله بن مسعود، وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري. فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة بطريقة فتحت باب النزاع في قراءة القرآن.

ومن ذلك ما وقع بين بعض الأصحاب عندما اجتمعوا في غزوة أرْمينيّة فقرأت كل طائفة بما روي لها. فاختلفوا وتنازعوا. فأشفَق حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ من ذلك. فلما قدم المدينة دخل على عثمان قبل أن يذهب الى بيته. فقال له: أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك! قال: في ماذا؟ قال: في كتاب الله. إني حضرت هذه الغزوة وجمعت ناساً من العراق والشام والحجاز. فوصف له ما تقدم. وقال: إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى.

وقد روى سويد بن غفلة عن علي بن أبي طالب، ان عثمان قال: ما ترون في المصاحف فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى أن الرجل ليقول: قراءتي خير من قراءتك وقراءتي أفضل من قراءتك؟! وهذا شبيه بالكفر. قلنا: ما الرأي عندك يا أميرالمؤمنين؟ قال الرأي عندي: أن يجتمع الناس على قراءة. فإنكم إذا اختلفتم اليوم كانَ منْ بعدكم أشدَّ اختلافاً. قلنا: الرأي رأيك.

وشرع عثمان في تنفيذ هذا القرار الحكيم حوالي أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة

خمس وعشرين من الهجرة. فعمد في نسخ المصاحف الى أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ. وهم: زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث. وهؤلاء الثلاثة الاخيرون من قريش. وأرسل عثمان إلى أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر، فبعثت إليه بالصحف التي عندها، وهي الصحف التي جمع القرآن فيها على عهد أبي بكر رضي الله عنه. وقد جعلت إماماً في هذا الجمع الأخير وهذا صحيح.

وجاء في بعض الروايات أن الذى ندبوا لنسخ المصاحف كانوا إثني عشر رجلا، وما كانوا يكتبون شيئاً إلا بعد أن يعرض على الصحابة ويقرّوا أن رسول الله ﷺ قرأ على هذا النحو الذي نجده الآن في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم. ففعلوا. حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ـ رضي الله تعالى عنها ـ.

ومما تواضع عليه هؤلاء الصحابة، أنهم كانوا لا يكتبون في هذه المصاحف إلا ما تحققوا أنه قرآن وعلموا أنه قد استقر في العرضة الاخيرة، وما أيقنوا صحته عن النبي ﷺ مما لم ينسخ، وتركوا ما سوى ذلك.

وإنما كتبوا مصاحف متعددة لأن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قصد إرسال ما وقع الإجماع عليه الى أقطار بلاد المسلمين وهي متعددة. وكتبوها متفاوتة في إثباتٍ وحذفٍ وبَدَلٍ وغيرها؛ لأنه ـ رضي الله عنه ـ قصد اشتمالها على الأحرف السبعة. وجعلوها خالية من النقط والشكل تحقيقاً لهذا الاحتمال أيضاً، فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه واحد عند تجردها من النقط والشكل نحو (فتبيَّنوا) من قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا﴾[1]، فإنها تصلح أن تقرأ (فتثبتوا) عند خلوها من النقط والشكل. وهي قراءة أخرى وكذلك (نُنشِرها) من قوله تعالى: ﴿وانظر الى العظام كيف ننشزها﴾[2]، فإنّ تجردها عن النقط والشكل يجعلها صالحة عندهم أن يقرأوها بالزاي المعجمة، وهي قراءة واردة. أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوّها من النقط والشكل مع أنها واردة بقراءة أخرى أيضاً، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي

١. سورة الحجرات: الآية ٦.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية ، كقراءة (وَصَّى) بالتضعيف و (أَوْصى) بالهمزة ؛ وهما قراءتان في قوله سبحانه: ﴿وَوَصَّى بها ابراهيمُ بَنِيه وَيَعْقُوب﴾[١] ، وكذلك قراءة (تَحتَها الأنهارُ) وقراءة (مِنْ تحتِها الأنهار) بزيادة لفظ (مِن) في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿لهم جنّات تجري مِن تحتها الأنهار﴾[٢] ، وهما قراءتان أيضاً.

وصفوة القول: إن اللفظ الذي لا تختلف فيه وجوه القراءات كانوا يرسمونه بصورة واحدة لا محالة. أما الذي تختلف فيه وجوه القراءات ؛ فإن كان لا يمكن رسمه في الخط محتملاً لتلك الوجوه كلها، فإنهم يكتبونه برسم يوافق بعض الوجوه في مصحف، ثم يكتبونه برسم آخر يوافق بعض الوجوه الأخرى في مصحف آخر. وكانوا يتحاشون أن يكتبوه بالرسمين في مصحف واحد خشية أن يتوهم أن اللفظ نزل مكرراً بالوجهين في قراءة واحدة ، وليس كذلك ، بل هما قراءتان نزل اللفظ في إحداهما بوجه وفي الثانية بوجه آخر من غير تكرار في واحدة منهما. وكذلك كانوا يتحاشون أن يكتبوا هذا اللفظ في مصحف واحد برسمين ؛ أحدهما في الأصل والآخر في الحاشية لئلا يتوهم أن الثاني تصحيح للأول. أضف إلى ذلك أن كتابة أحدهما في الأصل والآخر في الحاشية دون العكس تحكم أو ترجيح بلا مرجِّح. وذلك نحو كلمة (وصَّى) بالتضعيف و (أوصى) بالهمزة كما سبق. أما اللفظ الذي تختلف فيه القراءات ويدل عليه الرسم بصورة واحدة تحتمل هذا الاختلاف ، ويساعدهم عليه ترك الإعجام والشكل نحو (فتبيّنوا) و (ننشرها) كما سلف بيانه، فتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين شبيهة بدلالة المشترك اللفظي على كلا المعنيين المعقولين.

والذي دعا الصحابة إلى انتهاج هذه الخطة في رسم المصاحف وكتابتها؛ أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بجميع وجوه قراءاته وبكافّة حروفه التي نزل عليها، فكانت هذه الطريقة أقرب إلى الإحاطة بالقرآن على وجوهه كلها حتى لا يقال: إنهم أسقطوا شيئاً من قراءاته أو منعوا أحداً من القراءة بأيّ حرف شاء، على حين أنها كانت منقولة نقلاً متواتراً عن النبي ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول: «أي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا».

---

١. سورة البقرة: الآية ١٣٢. ٢. سورة التوبة: الآية ٨٩و ١٠٠.

وكان من الدستور الذي وضعه عثمان ـ رضي الله عنه ـ لهم في هذا الجمع أيضاً أنه قال لهؤلاء الثلاثة القرشيين: اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا. حتى اذا نسخوا الصّحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ـ رضي الله تعالى عنها ـ وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرّق. وذلك ليقطع عرق النزاع من ناحية، وليحمل المسلمين على الجادة في كتاب الله من ناحية أخرى. فلا يأخذوا إلاّ بتلك المصاحف التي توافر فيها من المزايا ما لم يتوافر في غيرها. وهذه المزايا هي:

أولاً: الاقتصار على ما ثبت بالتواتر دون ماكانت روايته آحادا.

ثانياً: إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقرّ في العرضة الأخيرة.

ثالثاً: ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن.

رابعاً: كتابتها بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن ـ على ما مر بك ـ من عدم إعجامها وشكلها، ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد.

خامساً: تجريدها من كل ما ليس قرآناً كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة؛ شرحاً لمعنىً أو بياناً لناسخ ومنسوخ أو نحو ذلك.

وقد استجاب الصحابة لعثمان فحرقوا مصاحفهم، واجتمعوا جميعاً على المصاحف العثمانية، حتى عبدالله بن مسعود الذي نقل عنه أنه أنكر أولاً مصاحف عثمان، وأنه أبىَ أن يُحرق مصحفه .. رجع وعاد الى حظيرة الجماعة حين ظهر له مزايا تلك المصاحف العثمانية، واجتماع الأمة عليها، وتوحيد الكلمة بها. وبعدئذٍ طهر الجوّ الإسلامي من أوْبِئة الشقاق والنزاع، وأصبح مصحف ابن مسعود، ومصحف أبي بن كعب، ومصحف عائشة، ومصحف علي، ومصحف سالم مولى أبي حذيفة، أصبحت كلها وأمثالها في خبر كان مغسولة بالماء، أو محروقة بالنيران.

ورضي الله عن عثمان فقد أرضى بذلك العمل الجليل ربّه، وحافظ على القرآن، وجمع كلمة الأمّة، وأغلق باب الفتنة، ولا يبرح المسلمون يقطفون من ثمار صنيعه هذا إلى اليوم

وما بعد اليوم.

وفعل ما فعل بعد أن استشار الصحابة واكتسب موافقتهم، بل وظفر بمعاونتهم وتأييدهم وشكرهم.

روى أبوبكر الأنباري عن سويد بن غفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ يقول: يا معشر الناس اتقوا الله وإياكم والغلوّ في عثمان، وقولكم حرّاق مصاحف. فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منّا أصحاب رسول الله ﷺ.

وعن عمر بن سعيد قال: قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان رضي الله عن الجميع»[١].

قال الزحيلي في جمع القرآن :

«لم يكن ترتيب القرآن الكريم في آياته وسوره بالنحو التوقيفي في واقعه الموجود في المصاحف الحالية والغابرة متفقاً مع أحوال نزول الوحي به، فقد نزل بحسب الوقائع والمناسبات، إما سورة كاملة أو بعض آيات، أو بعض آية، كما عرفنا، ثم جمع ثلاث مرات.

الجمع الأول في عهد النبوة:

حدث الجمع الأول في عهد النّبي ﷺ بحفظه الثابت الراسخ كالنقش في الحجر في صدره عليه الصلاة والسلام، تحقيقاً لوعد الله تعالى: ﴿لا تحرّك به لسانَك لِتَعْجَلَ بِه، إنّ علينا جَمْعَهُ وقرْآنَه، فإذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبع قُرْآنه، ثمّ إنّ علينا بيانَه﴾[٢]، وقد عرضه النّبي ﷺ مرات على جبريل عليه السلام، مرة في كل رمضان، وعرضه عليه مرتين في آخر رمضان قبل الوفاة، ثم قرأه رسول الله ﷺ على الناس على نحو هذه العرضات، ثم كتبه الصحابة عنه، وكان كتّاب الوحي خمسةً وعشرين كاتباً، والتحقيق أنهم كانوا زهاء ستين، وأشهرهم الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وأخوه يزيد، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، وحفظه أيضاً عدد من الصحابة في صدورهم حبّاً به، واعتماداً على قوة حافظتهم وذاكرتهم التي اشتهروا بها، حتى إن حروب المرتدين قتل فيها سبعون من القراء، وقد عدّ أبو عبيد في كتاب القراءات بعض الحفاظ، فذكر من

---

١. مواهب الرحمان ج ١ ص ٢٦ ـ ٣٦.

٢. سورة القيامة: الآية ١٦ ـ ١٩.

المهاجرين: الخلفاء الراشدين الأربعة، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، وأبا هريرة، وعبدالله بن السائب، والعبادلة الأربعة (ابن عمر، وابن عباس، وابن عمرو، وابن الزبير) وعائشة، وحفصة، وأم سلَمة.

وذكر من الأنصار: عبادة بن الصامت، ومعاذاً أبا حليمة، ومُجَمِّع بن جارية، وفضالة بن عُبيد، ومسلمة بن مُخلَّد.

وكان من أشهر الحفاظ: عثمان، وعلي، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري.

الجمع الثاني في عهد أبي بكر:

لم يجمع القرآن في مصحف واحد على عهد رسول الله ﷺ، لاحتمال نزول وحي جديد مادام النبي ﷺ حيّاً، ولكن كانت كل آيات القرآن مكتوبة في الرقاع والعظام والحجارة وجريد النخل. ثم استحرّ القتل في القراء في وقعة اليمامة في عهد أبي بكر، كما روى البخاري في فضائل القرآن في الجزء السادس، فارتأى عمر بن الخطاب جمع القرآن، ووافقه أبوبكر، وكلّف زيد بن ثابت بهذه المهمة، وقال أبوبكر لزيد: «إنك شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه»، ففعل زيد ما أمر به وقال: «فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف [1]، وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة ـ أي مكتوبة ـ مع خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رسولٌ مِنْ أنفسِكُم﴾ [2]، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر» [3].

يتبين من هذا أن طريقة الجمع اعتمدت على أمرين معاً: هما المكتوب في الرقاع والعظام ونحوها، وحفظ الصحابة للقرآن في صدورهم. واقتصر الجمع في عهد أبي بكر على أنه جمع القرآن في صحف خاصة، بعد أن كان متفرقاً في صحف عديدة، ولم يكتف

---

١. العسب: جمع عسيب: وهو جريدة من النخل كشط خوصها. واللِّخاف: حجارة بيض رقاق، واحدتها لَخفة.

٢. سورة التوبة: الآية ١٢٨.

٣. صحيح البخاري: ج ٦ ص ٣١٤ـ٣١٥.

زيد بحفظه القرآن، وإنما اعتمد أيضاً على حفظ غيره من الصحابة، وهم العدد الكثير الذي يحصل به التواتر، أي اليقين المستفاد من نقل الجمع الكثير الذي يؤمن في العادة تواطؤهم على الكذب.

الجمع الثالث ـ في عهد عثمان، بنسخ المصاحف على خط واحد:

اقتصر دور عثمان بن عفان رضي الله عنه على كتابة ست نسخ من المصاحف على حرف واحد وطريقة واحدة، ووزعها في الأمصار الإسلامية، فأرسل ثلاثة منها إلى الكوفة ودمشق والبصرة، وأرسل اثنين إلى مكة والبحرين، أو إلى مصر والجزيرة، وأبقى لديه مصحفاً بالمدينة. وأمر بإحراق المصاحف الأخرى المخالفة في العراق والشام فقط. وظل المصحف الشامي محفوظاً بجامع دمشق (الجامع الأموي) عند الركن، شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد رآه ابن كثير كما ذكر في كتابه (فضائل القرآن) في آخر تفسيره، إلى أن أصابه الحريق الكبير الذي أصاب المسجد الأموي سنة ١٣١٠ هـ ورآه قبل الحريق كبار علماء دمشق المعاصرين.

وسبب هذا الجمع يظهر فيما رواه لنا البخاري في (فضائل القرآن) في الجزء السادس، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن حذيفة بن اليمان...

وأصبح المصحف العثماني أساساً في نشر وطبع المصاحف المتداولة الآن في العالم، فبعد أن كان الناس يقرأون بقراءات مختلفة، إلى وقت عثمان، جمع عثمان الناس على مصحف واحد، وحرف واحد، وجعله إماماً، ولهذا نسب إليه ولقِّب بأنه جامع القرآن.

والخلاصة: إن جمع القرآن في عهد أبي بكر كان جمعاً له في نسخة واحدة موثوقة، وجمع القرآن في عهد عثمان كان نسخاً من صحف حفصة، لمصاحف ستة بحرف واحد. وكان هذا الحرف ملائماً للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

وأصبح لقراءة رسم المصحف طريقان: موافقة للرسم المكتوب حقيقة، وموافقة للرسم احتمالاً أو تقديراً»[1].

---

١. المنير ج ١ ص ٢٠ ـ ٢٣.

قال الخفاجي في جمع القرآن :

«كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ـ ابتداء، أو بأمر الرسول صلوات اللّه عليه ـ على ما يتفق لهم من: العسب والألواح والرقاع واللخاف [1] وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وكل ما صلح للكتابة.

كان كل يكتب ما تيسرت له كتابته، وكان منهم بعض قليل كتبوا القرآن كله، والإجماع على: على بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعبداللّه بن مسعود وزيد بن ثابت[2]. وقبل وفاة الرسول عرض زيد القرآن عرضة على رسول اللّه صلوات اللّه عليه، ففى عهده صلوات اللّه عليه كان القرآن مرتب السور والآيات، ولكنه غير مجموع فى كتاب واحد.

وكان يحفظ القرآن كله أو بعضه كثير من الصحابة فى عهده عليه الصلاة والسلام، وتوفى الرسول والقرآن محفوظ فى صدور الصحابة، وفى الرقاع التى كانوا يكتبون آياته وسوره فيها.

وتقلد أبوبكر خلافة المسلمين، ونهض بعبء الدعوة النبوية، وأخذ يحارب أهل الردة فى معارك كثيرة، كان منها غزوة أهل اليمامة التى مات فيها كثير من الصحابة والقراء رضوان اللّه عليهم، ويقال: إن عدد من قتل فيها سبعون قارئا من الصحابة، وخيف أن يكثر موتهم فى الغزوات والحروب.

ففزع أبوبكر وعمر عليهما رحمة اللّه من ذلك، ورأى عمر جمع القرآن من صدور الصحابة ومن الألواح والعسب والأكتاف، ويروى أنه دخل على أبى بكر فقال له: يا خليفة رسول اللّه إن أصحاب الرسول باليمامة يتهافتون تهافت الفراش فى النار وإنى أخشى أن لا يشهدوا موطنا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا، وهم حملة القرآن، فيضيع القرآن وينسى،

---

١ . العسب: جمع عسيب وهو جريد النخل وكانوا يكشطون الخوص عنه ويكتبون فى الطرف العريض. واللخاف جمع لخفة بفتح فسكون وهى صفائح الحجارة.

٢ . يروى أن زيد بن ثابت تعلم الفارسية من رسول كسرى، والرومية من حاجب النبى، والحبشية من خادم النبى، والقبطية من خادمه أيضا (ص ٦ ج ٣ العقد). وكان كتاب الوحى حول رسول اللّه نحو الأربعين منهم جلة الصحابة رضوان اللّه عليهم.

فلو جمعته وكتبته [١].

فكر أبوبكر فى الأمر واستشار فيه الصحابة، وكان يفزع من أن يضع شيئا لم يأمر به الرسول الأعظم صلوات اللّه عليه، ولذلك قال أبوبكر لعمر: أفعل ما لم يفعل رسول اللّه ﷺ!!

وأرسل أبوبكر إلى زيد بن يزيد يستشيره فى الأمر، فكره ذلك، فقال عمر لهما: وما عليكما لو فعلتما ذلك، حتى ألهمهما اللّه به، فأمر أبوبكر زيد بن ثابت فجمع القرآن كله من الرقاع وصدور الرجال، ونسخه في قطع الأديم والأكتاف والعسب، وسمى أبوبكر هذه الألواح المكتوبة التى جمع فيها جميع القرآن الكريم مصحفا، وحفظت هذه الصحف عند أبى بكر حتى توفى، ثم عند عمر طول حياته، ثم حفصة بنت عمر صدرا من ولاية عثمان.

وهذا هو الجمع الأول، وقد حدث فى عهد أبى بكر على يد زيد بن ثابت [٢] وبإشراف الخليفة وعمر وكبار الصحابة، وكان الغرض منه جمع نص القرآن الكريم فى مجموعة واحدة، حتى لا يضيع شيء منه بموت الصحابة والقراء فى الغزوات والحروب.

وفي عهد عثمان تفرق الصحابة والقراء في الأمصار، فكان ابن مسعود فى الكوفة ، وأبو موسى الأشعرى فى البصرة ، والمقداد بن الأسود فى دمشق، وأخذ عنهم أهل تلك البلاد وجوه القراءة والترتيل، مما أدى إلى تعدد القراءات واختلاف المسلمين فى قراءة القرآن اختلافا كثيرا، حتى كان الواحد منهم يقول للآخر: قراءتى خير من قراءتك، والآخر يقول: بل قراءتى، واستمر الأمر على ذلك إلى أن شهد حذيفة بن اليمان ـ وهو صحابى جليل ـ غزوة أذربيجان وغزوة ارمينية وشاهد هذا الاختلاف الوبيل ، وحذر من سوء المصير إذا استمر هذا الاختلاف.

فأرسل عثمان إلى حفصة يستأذنها فى أخذ الصحف التى جمع فيها أبوبكر القرآن

---

١. راجع في ذلك الإتقان ج ١، ص ٩٨ وما بعدها.

٢. وكان يعاونه بعض كتاب الوحي وفيهم سالم مولى أبي حذيفة كما يروى.

فأذنت له، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن العاص بأن ينسخوها في المصاحف، وأمرهم بأن يرجعوا فيما اختلفوا فيه إلى زيد بن ثابت، وما اختلفوا فيه جميعا أن يكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم، فكتبوا مصحفا عرضوه على صحف حفصة، فلم يختلف في شيء، فرد عثمان صحف حفصة إليها، وفرح بما عمل فرحا شديدا وهذا هو الجمع الثاني للقرآن الكريم»[1].

١. تفسير القرآن الحكيم ج ١ ص ١٧ ـ ١٩.

شكل القرآن ونقطه
وتعشيره

قال ابن عطية :

«وأما شكل المصحف ونقطه، فروي أن عبدالملك بن مروان أمر به وعمله، فتجرد لذلك الحجاج [1] بواسط وَجَدّ فيه، وزاد تحزيبه، وأمر -وهو والي العراق- الحسن ويحيى بن [2] يعمر بذلك، وألف إثر ذلك بواسط كتاباً في القراءات، جمع فيه ما روى من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً الى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات. وأسند الزبيدي [3] في (كتاب الطبقات) إلى المبرد؛ أن أول من نقط

---

١. الحجاج بن يوسف الثقفي، قال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون اشتهر بإصلاحه للرسم العثماني. توفي ٩٥ هـ. وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤١.

٢. أبو سليمان يحيى بن يعمر الوشقي البصري النحوي كان تابعيا لقي عبدالله بن عمر وعبدالله ابن عباس رضي الله عنهما وروى عنه قتادة وهو أحد قراء البصرة كان عالماً بالقرآن والنحو ولغات العرب وأخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي قال خالد الحذاء: كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر توفي سنة ١٢٩ هـ انظر وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٢.

٣. أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي الأشبيلي. كان أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، وكان أخبر أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر ولم يكن بالأندلس في فنه مثله في زمانه. وله كتب تدل على وفور علمه منها: مختصر كتاب العين، وكتاب طبقات النحويين واللغويين بالمشرق والأندلس. وكان شاعرا كثير الشعر مات سنة ٣٧٩. انظر الوفيات ج ٤ ص ٧.

المصحف أبو الأسود الدؤلي [١]. وذكر أيضا: أن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر [٢].

وذكر أبو الفرج: أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود بنقط المصاحف. وذكر الجاحظ في كتاب الأنصار: أن نصر بن عاصم [٣] أول من نقط المصاحف وكان يقال له: نصر الحروف.

وأما وضع الأعشار فيه، فمر بي في بعض التواريخ: أن المأمون العباسي أمر بذلك. قيل: إن الحجاج فعل ذلك» [٤].

قال القرطبي: «وأما وضع الأعشار فقال ابن عطية: مرّ بي في بعض التواريخ أن المأمون العباسي أمر بذلك، وقيل: إن الحجاج فعل ذلك. وذكر أبو عمرو الدّاني في كتاب البيان له عن عبدالله بن مسعود: أنه كره التعشير في المصحف، وأنه كان يحكه. وعن مجاهد: أنه كره التعشير والطيب في المصحف. وقال أشهب: سمعت مالكا وسُئل عن العُشُور التي تكون في الصحف بالحمرة وغيرها من الألوان، فكره ذلك، وقال: تعشير المصحف بالحبر لا بأس به؛ وسُئل عن المصاحف يكتب فيها خواتم السُّور في كل سورة ما فيها من آية، قال: إني أكره ذلك في أمهات المصاحف أن يكتب فيها شيء أو يشكل، فأما ما يتعلم به الغلمان من المصاحف فلا أرى بذلك بأسا. قال أشهب: ثم أخرج إلينا مصحفا لجدّه، كتبه إذ كتب عثمان المصاحف، فرأينا خواتمه من حبر على عمل السلسلة في طول السطر، ورأيته معجوم الآي بالحبر. وقال قتادة: بدأوا فنقطوا ثم خمّسوا ثم عشّروا. وقال يحيى بن أبي كثير: كان القرآن مجرّدا في المصاحف، فأوّل ما أحدثوا فيه النّقط على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، ثم أحدثوا نقطا عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح

---

١. كان من سادات التابعين والمحدثين والفقهاء، صحب عليا بن أبي طالب، وشهد معه صفين، وكان من أكمل الرجال رأيا، وهو أول من وضع النحو بالبصرة. توفي فيما بين ٩٩ ـ ١٠١ هـ الوفيات ج ٢ ص ٦٩، ومعجم الأدباء ج ١٢ ص ٣٤.

٢. هكذا قال القرطبي في الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٦٣.

٣. هو نصر بن عاصم الليثي النحوي كان فقيها عالما بالعربية من فقهاء التابعين. قيل: أخذ النحو عن يحيى بن يعمر وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء مات سنة ٨٩. انظر الوفيات ج ١ ص ١٧٥، ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٢٤، وضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٨٤.

٤. المحرر الوجيز ج ١ ص ٦٦ ـ ٦٨.

والخواتيم . وعن أبى حمزة قال : رأى إبراهيم النُّخَعىّ فى مصحفى فاتحة سورة كذا وكذا ، فقال لى : امحه فإن عبدالله بن مسعود قال : لا تخلطوا فى كتاب الله ما ليس فيه . وعن أبى بكر السراج قال قلت لأبى رزين : أأكتب فى مصحفى سورة كذا وكذا ؟ قال : إنى أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه فيظنونه من القرآن .

قال الدانى رضى الله عنه : وهذه الأخبار كلها تؤذن بأن التعشير والتخميس، وفواتح السور ورؤوس الآى من عمل الصحابة رضى الله عنهم ، قادهم إلى عمله الاجتهاد ؛ وأرى أن من كره ذلك منهم ومن غيرهم إنما كره أن يعمل بالألوان كالحمرة والصفرة وغيرهما ؛ على أن المسلمين فى سائر الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك واستعماله فى الأمهات وغيرها ، والحرج والخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء الله»[١].

قال ابن جُزَى: «وأما نقط القرآن وشكله فأوّل من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبدالملك بن مروان ، وزاد الحجاج تحزيبه . وقيل : أوّل من نقطه يحيى بن يعمر وقيل : أبو الأسود الدؤلى، وأما وضع الأعشار فيه ، فقيل : إنَّ الحجاج فعل ذلك وقيل : بل أمر به المأمون العباسى»[٢].

قال الزحيلى فى طريقة كتابة القرآن والرسم العثماني :

«الرسم: طريقة كتابة الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها، والوقوف عليها.

والمصحف: هو المصحف العثماني الإمام الذي أمر بكتابته سيدنا عثمان رضي اللّه عنه، والذى أجمع عليه الصحابة رضوان اللّه عليهم [٣].

والرسم العثماني: هو الطريقة التي كتبت بها المصاحف الستة في عهد عثمان رضي اللّه عنه. وهو الرسم المتداول المعمول به بعد البدء بطباعة القرآن في البندقية سنة ١٥٣٠ م، وما تلاها من طبعة إسلامية خالصة للقرآن في سانت بترسبوغ، في روسيا، سنة ١٧٨٧ م، ثم في الآستانة سنة ١٨٧٧ م.

---

١. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٦٣ ـ ٦٤.
٢. التسهيل ج ١ ص ٤.
٣. المصاحف للسجستاني: ص ٥٠.

وللعلماء رأيان في طريقة كتابة القرآن أو الإملاء [١]:

١ ـ رأي جمهور العلماء: ومنهم الإمامان مالك وأحمد: أنه يجب كتابة القرآن كما وردت برسمها العثماني في المصحف الإمام، ويحرم مخالفة خط عثمان في جميع أشكاله في كتابة المصاحف؛ لأن هذا الرسم يدلّ على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة.

٢ ـ رأي بعض العلماء (وهم أبوبكر الباقلاني وعزالدين بن عبدالسلام وابن خلدون): أنه تجوز كتابة المصاحف بالطرق أو الرسوم الإملائية المعروفة للناس؛ لأنه لم يرد نص في الرسم، وإن ما في الرسم من زيادات أو حذوف لم يكن توقيفاً أوحى اللّه به على رسوله، ولو كان كذلك لآمنا به وحرصنا عليه، وإذا كتب المصحف بالإملاء الحديث أمكن قراءته صحيحاً وحفظه صحيحاً.

وقد رأت لجنة الفتوى بالأزهر وغيرها من علماء العصر [٢] الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف، احتياطاً لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة، وحفاظاً على طريقة كتابته في العصور الإسلامية السابقة، دون أن ينقل عن أحد من أئمة الاجتهاد تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولاً، ولمعرفة القراءة المقبولة والمردودة، فلا يفتح فيه باب الاستحسان الذي يعرض القرآن للتغيير والتحريف، أو للتلاعب به، أو العبث بآياته من ناحية الكتابة. لكن لا مانع في رأى جماهير العلماء من كتابة القرآن بطرق الإملاء الحديثة في مجال الدرس والتعليم، أو عند الاستشهاد بآية أو أكثر في بعض المؤلفات الحديثة، أو في كتب وزارة التربية والتعليم، أو أثناء عرضه على شاشة التلفاز» [٣].

١ . تلخيص الفوائد لابن القاصّ: ص ٥٦ وما بعدها، الإتقان للسيوطي: ج ٢ ص ١٦٦، البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج ١ ص ٣٧٩، ٣٨٧، مقدمة ابن خلدون: ص ٤١٩.
٢ . مجلة الرسالة: العدد ٢١٦، سنة ١٩٣٧، ومجلة المقتطف تموز سنة ١٩٣٣.
٣ . المنير ج ١ ص ٢٤ ـ ٢٥.

حروفٌ ليست على القاعدة في القرآن

قال النيشابوري في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف، وهي والاصل واحدة:

« فأول ذلك ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كتب بحذف الألف التي قبل السين، وكتب ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1]، ﴿وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾[2]، ﴿وَبِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ﴾[3]، ومنه اسمه بالألف، والأصل في ذلك كله واحد، وهو أن يكتب بالألف، وإنما حذفت من باسم الله فقط لأنها ألف وصل ساقطة من اللفظ، كثيرا قد كثر استعمال الناس إياها في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل أمر يبدأ به، فأمنوا أن يجهل القارىء معناها.

وكتب فيما موصولا في كل القرآن إلا في البقرة: ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[4]، وفيها: ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾[5]، وفي الأنعام: ﴿فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾[6]، وفيها: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[7]، وفي الأنفال: ﴿فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[8]، وفي الأنبياء: ﴿فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾[9]، وفي النور: ﴿فِي مَا

---

١. سورة العلق: الآية ١.
٢. سورة الاعلى: الآية ١.
٣. سورة الحجرات: الآية ١١.
٤. سورة البقرة: الآية ٢٣٤.
٥. سورة البقرة: الآية ٢٤٠.
٦. سورة الانعام: الآية ١٤٥.
٧. سورة الانعام: الآية ١٦٥.
٨. سورة الانفال: الآية ٦٨.
٩. سورة الانبياء: الآية ١٠٢.

أَفَضْتُمْ﴾[١]، وفى الشعراء: ﴿فِي مَا هَهُنَا آمِنِينَ﴾[٢]، وفى الروم: ﴿فى مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٣]، وفى الزمر: ﴿فِي مَاهُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٤]، وفيها: ﴿فى مَا كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٥]، وفى الواقعة: ﴿فى مَالاَ تَعْلَمُونَ﴾[٦]، فذلكن اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك موصول.

وكتب مما موصولا فى كل القرآن إلا ثلاثة مواضع: فى النساء: ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٧]، وفى الروم: ﴿مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٨]، وفى المنافقين: ﴿مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٩].

وكتب أنما موصولا فى كل القرآن إلا فى الحج: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[١٠]، وفى لقمان: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾[١١]، وفيها: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ﴾[١٢].

وكتب إنما موصولة فى كل القرآن إلا فى الأنعام: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾[١٣].

وكتب لكى لا مقطوعة فى كل القرآن إلا ثلاثة مواضع: فى الحج: ﴿لِكَيْلاَ يَعْلَمَ﴾[١٤]، وفى الأحزاب: ﴿لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾[١٥]، وفى الحديد ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا﴾[١٦].

وكتب (بئس ما) مقطوعا حيث كان إلا ثلاثة مواضع: فى البقرة: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾[١٧]، وفيها: ﴿وَبِئْسَما اشْتَرَوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾[١٨]، وفى الأعراف: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾[١٩].

وكتب أينما مقطوعاً فى جميع القرآن الا أربعة مواضع: فى البقرة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾[٢٠]،

---

١. سورة النور: الآية ١٤.
٢. سورة الشعراء: الآية ١٤٦.
٣. سورة الروم: الآية ٢٨.
٤. سورة الزمر: الآية ٣.
٥. سورة الزمر: الآية ٤٦.
٦. سورة الواقعة: الآية ٦١.
٧. سورة النساء: الآية ٢٥.
٨. سورة الروم: الآية ٢٨.
٩. سورة المنافقين: الآية ١٠.
١٠. سورة الحج: الآية ٦٢.
١١. سورة لقمان: الآية ٣٠.
١٢. سورة لقمان: الآية ٢٧.
١٣. سورة الانعام: الآية ١٣٤.
١٤. سورة الحج: الآية ٥.
١٥. سورة الاحزاب: الآية ٥٠.
١٦. سورة الحديد: الآية ٢٣.
١٧. سورة البقرة: الآية ٩٣.
١٨. سورة البقرة: الآية ٩٠.
١٩. سورة الاعراف: الآية ١٥٠.
٢٠. سورة البقرة: الآية ١١٥.

وفى النحل: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُ﴾[١]، وفى الشعراء: ﴿أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾[٢]، وفى الأحزاب: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾[٣].

وكتب ألا موصولا فى كل القرآن إلا عشرة مواضع: فى الأعراف: ﴿أَنْ لاَ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾[٤]، وفيها: ﴿أَنْ لاَ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾[٥]، وفى التوبة: ﴿أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ﴾[٦]، وفى هود: ﴿أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾[٧]، وفيها: ﴿وَأَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[٨]، وفى الحج: ﴿أَنْ لاَ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾[٩]، وفى يس: ﴿أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[١٠]، وفى الدخان: ﴿وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾[١١]، وفى الممتحنة: ﴿أن لا يشركن بالله شيئاً﴾[١٢]، وفى القلم: ﴿أن لا يدخلنّها اليوم﴾[١٣]، واختلف فى يوسف: ﴿ألا تعبدوا إلاّ إياه﴾[١٤]، وماسواهن فهو ألا مدغما بغير نون.

وكتبت إلا باسقاط النون فى كل القرآن من غير استثناء مثل: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ﴾[١٥]، و ﴿وإِلاَّ تَغْفِرْ لِي﴾[١٦].

وكتب ألم موصولا [١٧] فى كل القرآن إلا فى الأنعام: ﴿أن لم يكن ربُّك﴾[١٨]، وفى البلد: ﴿أن لم يره أحد﴾[١٩].

وكتب فى هود: ﴿فَإِلَّمْ يستجيبوا لكم﴾[٢٠]، موصولا مدغما، وفى القصص: ﴿فان لم يستجيبوا لك﴾[٢١]، مقطوعا.

وكتب أمن موصولا فى كل القرآن إلا أربعة مواضع: فى سورة النساء: ﴿أم من يكون

---

١. سورة النحل: الآية ٧٦.
٢. سورة الشعراء: الآية ٩٢.
٣. سورة الاحزاب: الآية ٦١.
٤. سورة الاعراف: الآية ١٠٥.
٥. سورة الاعراف: الآية ١٦٩.
٦. سورة التوبة: الآية ١١٨.
٧. سورة هود: الآية ٢.
٨. سورة هود: الآية ١٤.
٩. سورة الحج: الآية ٢٦.
١٠. سورة يس: الآية ٦٠.
١١. سورة الدخان: الآية ١٩.
١٢. سورة الممتحنة: الآية ١٢.
١٣. سورة القلم: الآية ٢٤.
١٤. سورة يوسف: الآية ٤٠.
١٥. سورة الانفال: الآية ٧٣.
١٦. سورة هود: الآية ٤٧.
١٧. قوله: موصولا. الصواب أنها مقطوعة فى جميع القرآن.
١٨. سورة الانعام: الآية ١٣١.
١٩. سورة البلد: الآية ٧.
٢٠. سورة هود: الآية ١٤.
٢١. سورة القصص: الآية ٥٠.

عليهم وكيلاً﴾[١]، وفى التوبة: ﴿أمْ مَّن أسس بنيانه﴾[٢]، وفى الصافات: ﴿أم من خلقنا﴾[٣]، وفى حم السجدة: ﴿أمن يأتى آمناً﴾[٤].

وكتب إما وأما موصولا إلا فى الرعد: ﴿وَإنْ ما نُرِيَنَّكَ﴾[٥]، وكتب عما موصولا إلا فى الأعراف: ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾[٦].

وكتب أن لن مقطوعا إلا ثلاثة مواضع: فى الكهف: ﴿ألَّن نجعل لكم موعدا﴾[٧]، وفى المزمل: ﴿ألن تحصوه﴾[٨]، وفى القيامة: ﴿ألَّن نجمع عظامه﴾[٩].

وكتب كلما موصولا إلا خمسة مواضع: فى النساء: ﴿كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا﴾[١٠]، وفى الأعراف: ﴿كل ما دخلت أمة﴾[١١]، وفى سبحان: ﴿كلَّ ما خبت﴾[١٢]، وفى الملك: ﴿كلَّ ما ألقى فيها﴾[١٣]، وفى نوح: ﴿كلَّ ما دعوتهم﴾[١٤].

وكتب يومهم موصولا إلا فى المؤمن: ﴿يوم هم بارزون﴾[١٥]، وفى الذاريات: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[١٦].

وكتبت الرحمة فى مواضع القرآن بالهاء إلا سبعة مواضع: فى البقرة: ﴿أولئك يرجون رحمت اللّه﴾[١٧]، وفى الأعراف: ﴿إن رحمت اللّه قريب﴾[١٨]، وفى هود: ﴿رحمت اللّه وبركاته﴾[١٩]، وفى مريم: ﴿ذكر رحمت ربك﴾[٢٠]، وفى الروم: ﴿إلى آثار رحمت اللّه﴾[٢١]، وفى الزخرف: ﴿أهم يقسمون رحمت ربِّك﴾[٢٢]، وفيها: ﴿ورحمت ربِّك﴾[٢٣]،

---

١. سورة النساء: الآية ١٠٩.
٢. سورة التوبة: الآية ١٠٩.
٣. سورة الصافات: الآية ١١.
٤. سورة فصلت: الآية ٤٠.
٥. سورة الرعد: الآية ٤٠.
٦. سورة الاعراف: الآية ١٦٦.
٧. سورة الكهف: الآية ٤٨.
٨. سورة المزمل: الآية ٢٠.
٩. سورة القيامة: الآية ٣.
١٠. سورة النساء: الآية ٩١.
١١. سورة الاعراف: الآية ٣٨.
١٢. سورة الاسراء: الآية ٩٧. قوله: كلما خبت وكلما دخلت امة وكلما القى وكلما دعوتهم موصول باتفاق.
١٣. سورة الملك: الآية ٨.
١٤. سورة نوح: الآية ٧.
١٥. سورة المؤمن: الآية ١٦.
١٦. سورة الذاريات: الآية ١٣.
١٧. سورة البقرة: الآية ٢١٨.
١٨. سورة الاعراف: الآية ٥٦.
١٩. سورة هود: الآية ٧٣.
٢٠. سورة مريم: الآية ٢.
٢١. سورة الروم: الآية ٥٠.
٢٢. سورة الزخرف: الآية ٣٢.
٢٣. سورة الزخرف: الآية ٣٢.

فإنها بالتاء.

وكتبت النعمة بالهاء إلا أحد عشر موضعا: في البقرة: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم﴾[١]، وفي آل عمران: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم﴾[٢]، وفي المائدة: ﴿اذكروا نعمت الله عليكم إذ همّ﴾[٣]، وفي ابراهيم: ﴿بدّلوا نعمت الله كفرا﴾[٤]، وفيها: ﴿وإن تعدوا نعمت الله﴾[٥]، وفي النحل: ﴿وبنعمت الله هم يكفرون﴾[٦]، وفيها: ﴿يعرفون نعمت الله﴾[٧]، وفيها: ﴿واشكروا نعمت الله﴾[٨]، وفي لقمان: ﴿في البحر بنعمت الله﴾[٩]، وفي الملائكة: ﴿اذكروا نعمت الله﴾[١٠]، وفي الطور: ﴿بنعمت ربّك بكاهن﴾[١١].

وكتبت امرأة بالهاء إلا سبعة مواضع: في آل عمران: ﴿إذ قالت امرأت عمران﴾[١٢]، وفي يوسف: ﴿امرأت العزيز تراود فتاها﴾[١٣]، وفيها: ﴿امرأت العزيز الآن﴾[١٤]، وفي القصص: ﴿وقالت امرأت فرعون﴾[١٥]، وفي التحريم: ﴿امرأت نوح وامرأت لوط﴾[١٦]، و﴿امرأت فرعون﴾[١٧].

وكتبت سنّة بالهاء في كل القرآن إلا خمسة مواضع: في الأنفال: ﴿مضت سنّت الأولين﴾[١٨]، وفي فاطر: ﴿إلا سنت الأولين، فلن تجد لسنت الله تبديلا، ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾[١٩]، وفي المؤمن: ﴿سنت الله التي قد خلت﴾[٢٠].

وكتبت معصية بالهاء[٢١] حيث كانت إلا موضعين: في المجادلة: ﴿ومعصيت

---

١. سورة البقرة: الآية ٢٣١.
٢. سورة آل عمران: الآية ١٠٣.
٣. سورة المائدة: الآية ١١.
٤. سورة ابراهيم: الآية ٢٨.
٥. سورة ابراهيم: الآية ٣٤.
٦. سورة النحل: الآية ٧٢.
٧. سورة النحل: الآية ٨٣.
٨. سورة النحل: الآية ١١٤.
٩. سورة لقمان: الآية ٣١.
١٠. سورة فاطر: الآية ٣.
١١. سورة الطور: الآية ٢٩.
١٢. سورة آل عمران: الآية ٣٥.
١٣. سورة يوسف: الآية ٣٠.
١٤. سورة يوسف: الآية ٥١.
١٥. سورة القصص: الآية ٩.
١٦. سورة التحريم: الآية ١٠.
١٧. سورة التحريم: الآية ١١.
١٨. سورة الانفال: الآية ٣٨.
١٩. سورة فاطر: الآية ٤٣.
٢٠. سورة غافر: الآية ٨٥.
٢١. قوله: وكتبت معصية بالهاء فيه نظر، إذ لم يوجد في القرآن غير موضعي المجادلة.

الرسول﴾[١]، بالتاء.

وكتبت لعنة بالهاء فى كل القرآن إلا فى آل عمران: ﴿فنجعل لعنت الله﴾[٢]، وفى النور: ﴿أنَّ لعنت الله﴾[٣].

وكتبت جنة بالهاء إلا فى الواقعة: ﴿وجنَّت نعيم﴾[٤].

وكتبت شجرة بالهاء إلا فى الدخان: ﴿إنَّ شجرت الزقوم﴾[٥].

وكتبت قرة بالهاء إلا فى القصص: ﴿قرَّت عين لى ولك﴾[٦].

وكتبت بقية بالهاء إلا فى هود: ﴿بقيَّت الله﴾[٧].

وكتبت من ثمرة بالهاء إلا فى حم السجدة: ﴿من ثمرت من أكمامها﴾[٨].

وكتبت كلمة بالهاء إلا أربعة مواضع: فى الأنعام: ﴿وتمَّت كلمت ربِّك﴾[٩]، وفى يونس حرفان: ﴿كلمت ربِّك﴾[١٠]، وفى المؤمن: ﴿حقَّت كلمت ربِّك﴾[١١].

وكتبت: ﴿غيابت الجبِّ﴾[١٢] بالتاء، ﴿فهم على بيِّنت منه﴾[١٣] بالتاء.

وكتبت كل ما فى القرآن من ذكر الآية بالهاء إلا فى العنكبوت: ﴿لولا أنزل عليه ءايت﴾[١٤]، فإنها بالتاء.

وكتب: ﴿فطرت﴾[١٥] و ﴿عفريتٌ﴾[١٦]، و﴿أفرأيتم اللأت والعزَّى﴾[١٧]، و﴿لات حين مناص﴾[١٨]، و﴿ذات بهجة﴾[١٩]، ﴿وهيهات﴾[٢٠]، ﴿ومريم ابنت عمران﴾[٢١]،

---

١. سورة المجادلة: الآية ٨.
٢. سورة آل عمران: الآية ٦١.
٣. سورة النور: الآية ٧.
٤. سورة واقعة: الآية ٨٩.
٥. سورة الدخان: الآية ٤٣.
٦. سورة القصص: الآية ٩.
٧. سورة هود: الآية ٨٦.
٨. سورة فصلت: الآية ٤٧. والصحيح ﴿من ثمرات من اكمامها﴾.
٩. سورة الانعام: الآية ١١٥.
١٠. سورة يونس: الآية ٣٣ و ٩٦.
١١. سورة المؤمن: الآية ٦. وكلمة آخر يونس وموضع غافر بالهاء فى العراقية وبالتاء فى غيرها.
١٢. سورة يوسف: الآية ١٠ و ١٥.
١٣. سورة فاطر: الآية ٤٠.
١٤. سورة العنكبوت: الآية ٥٠.
١٥. سورة الروم: الآية ٣٠.
١٦. سورة النمل: الآية ٣٩.
١٧. سورة النجم: الآية ١٩.
١٨. سورة ص: الآية ٣.
١٩. سورة النمل: الآية ٦.
٢٠. سورة المؤمنون: الآية ٣٦.
٢١. سورة التحريم: الآية ١٢.

﴿ومرضات﴾[1]، كلها بالتاء.

وكتب الملأ بالألف إلا أربعة مواضع: في المؤمنون: ﴿فقال الملؤ الذين كفروا﴾[2]، وفي النمل: ﴿يا أيها الملؤ إني - يا أيها الملؤ أفتوني - يا أيها الملؤ أيكم يأتيني﴾[3]، فإنها كتبت بالواو.

وكتب في البقرة: ﴿يبصط﴾[4]، بالصاد، وما سواه بالسين. وكتبت في البقرة: ﴿بسطة﴾[5] بالسين، وفي الأعراف بالصاد. وكتبت في آل عمران ﴿منهم تقية﴾[6] بالياء: و ﴿حقَّ تقاته﴾[7] بالألف.

وكتب في أول يوسف والزخرف: ﴿قرءاناً عربياً﴾[8]، بغير ألف وسائر القرآن قرآنا بألف.

وكتب في الأعراف ويونس: ﴿بكلِّ سحر عليم﴾[9] بغير ألف، وفي الشعراء: ﴿سحَّار عليم﴾[10]، بالألف بعد الحاء.

وكتب في الذاريات: ﴿ساحرٌ أو مجنون﴾[11]، بالألف وما سواه بغير ألف. وكتب في يونس: ﴿لننظر كيف تعملون﴾[12]، بنون واحدة.

واختلف في قوله: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾[13]، في المؤمن.

وكتب في يونس: ﴿ننج المؤمنين﴾[14] بنونين وحذف الياء، وفي آخر يوسف: ﴿فنجي من نشاء﴾[15] بنون واحدة، وفي الأنبياء: ﴿وكذلك نجي المؤمنين﴾[16] بالياء وبنون واحدة.

---

١. سورة البقرة: الآية ٢٠٧ و ٢٦٥.
٢. سورة المؤمنون: الآية ٢٤.
٣. سورة النمل: الآية ٢٩ و ٣٢ و ٣٨.
٤. سورة البقرة: الآية ٢٤٥.
٥. سورة البقرة: الآية ٢٤٥.
٦. سورة آل عمران: الآية ٢٨.
٧. سورة آل عمران: الآية ١٠٢.
٨. سورة يوسف: الآية ٢. وسورة الزخرف: الآية ٣.
٩. سورة الاعراف: الآية ١١٢ و سورة يونس: الآية ٧٩.
١٠. سورة الشعراء: الآية ٣٧.
١١. سورة الذاريات: الآية ٣٩.
١٢. سورة يونس: الآية ١٤ - وعلى ما في العقيلة.
١٣. سورة المؤمن: الآية ٥١.
١٤. سورة يونس: الآية ١٠٣.
١٥. سورة يوسف: الآية ١١٠.
١٦. سورة الانبياء: الآية ٨٨.

وكتب جميع ما في القرآن من ذكر الأيدي بياء واحدة إلا في الذاريات: ﴿والسَّماء بنيناها بأييد﴾[١]، فإنها كتبت بياءين والأصل كتبه بياء واحدة.

وكتب الئن بغير ألف في كل القرآن إلا في الجن: ﴿فمن يستمع الآن﴾[٢] فإنه بالألف.

وكتبت في حم السجدة: ﴿سمٰوات﴾[٣] بالألف، وما سواها كتبت ﴿سموت﴾[٤] بغير ألف. وكتب في أول سبأ: ﴿علم الغيب﴾[٥] بغير ألف.

وكتب في البقرة: ﴿خطيٰكم﴾[٦] بحرف واحد بين الطاء والكاف، وفي الأعراف: ﴿خطيئتكم﴾[٧] بحرفين بينهما.

وكتب (رءا) بغير ياء في كل القرآن إلا في النجم: ﴿لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى﴾[٨]، ﴿وما كذب الفؤاد ما رأى﴾[٩].

وكتب في يونس: ﴿وما تغني الآيات﴾[١٠] بالياء على الأصل، وفي القمر ﴿فما تغن النذر﴾[١١]، بغير ياء على اللفظ.

وكتب في البقرة: ﴿يؤتي الحكمة﴾[١٢] بالياء، وفي النساء: ﴿وسوف يؤت اللّه﴾[١٣]، بغير ياء.

وكتب: ﴿ويمح اللّه الباطل﴾[١٤] بغير واو، و﴿يمحوا اللّه ما يشاء﴾[١٥] بالواو والألف.

وكتب ﴿الدَّاع﴾[١٦] بغير ياء حيث كان إلا قوله: ﴿أجيبوا داعي اللّه﴾[١٧].

وكتب (ثمودا) بالألف في حال النصب، وهي في أربعة مواضع: في هود والفرقان والعنكبوت والنجم.

---

١. سورة الذاريات: الآية ٤٧.
٢. سورة الجن: الآية ٩.
٣. سورة فصلت: الآية ١٢.
٤. سورة الشورى: الآية ٤ و ٥ و ١١ و ١٢ و ...
٥. سورة سبأ: الآية ٣.
٦. سورة البقرة: الآية ٥٨.
٧. سورة الاعراف: الآية ١٦١.
٨. سورة النجم: الآية ١٨.
٩. سورة النجم: الآية ١١.
١٠. سورة يونس: الآية ١٠١.
١١. سورة القمر: الآية ٥.
١٢. سورة البقرة: الآية ٢٦٩.
١٣. سورة النساء: الآية ١٤٦.
١٤. سورة الشورى: الآية ٢٤.
١٥. سورة الرعد: الآية ٣٩.
١٦. سورة البقرة: الآية ١٨٦.
١٧. سورة الاحقاف: الآية ٣٠.

وكتب: ﴿ثمود الناقة﴾[١] بغير ألف.

وكتب في النمل: ﴿وما أنت بهادى﴾[٢] بالياء، وفى الروم: ﴿بهاد﴾[٣] بغير ياء والأصل فيهما الياء.

وكتب في الحج: ﴿ولؤلؤا﴾[٤] بألف، وفى فاطر[٥] بغير ألف.

وكتب في الأعراف: ﴿قال ابن أم﴾[٦] بالألف مقطوعا، وفى طه ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾[٧] بالواو موصولا.

وكتب في الحجر، وق: ﴿أصحاب الأيكة﴾[٨] بالألف، وفي الشعراء وص ﴿لْئَيْكَةِ﴾[٩] بغير ألف.

وكتب في يوسف: ﴿لذو علم لما علّمناه﴾[١٠]، وفى المؤمن: ﴿ذو العرش﴾[١١]، وفى السجدة: ﴿لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾[١٢] وفى الجمعة ﴿ذو الفضل العظيم﴾[١٣] وفى البروج: ﴿ذو العرش﴾[١٤] بغير ألف فى هذه المواضع وما سواها (ذوا) بالألف.

وكتب: ﴿الربوا﴾[١٥] بواو بعدها ألف فى كل القرآن إلا قوله: ﴿وما آتيتم من ربا﴾[١٦] فإنه بغير واو.

وكتب: ﴿لدا الباب﴾[١٧] بالألف: ﴿ولدى الحناجر﴾[١٨] بالياء.

﴿ولا أوضعوا خلالكم﴾[١٩] و ﴿ولا أذبحنّه﴾[٢٠] بزيادة ألف. وفى مصاحف الشام:

---

١. سورة الاسراء: الآية ٥٩.
٢. سورة النمل: الآية ٨١.
٣. سورة الروم: الآية ٥٣.
٤. سورة الحج: الآية ٢٣.
٥. سورة فاطر: الآية ٣٣.
٦. سورة الاعراف: الآية ١٥٠.
٧. سورة طه: الآية ٩٤.
٨. سورة الحجر: الآية ٧٨.
٩. سورة الشعراء: الآية ١٧٦ وص: الآية ١٣.
١٠. سورة يوسف: الآية ٦٨.
١١. سورة المؤمن: الآية ١٥.
١٢. سورة حم السجدة: الآية ٤٣.
١٣. سورة الجمعة: الآية ٤.
١٤. سورة البروج: الآية ١٥.
١٥. سورة البقرة: الآية ٢٧٥ و ٢٧٦.
١٦. سورة الروم: الآية ٣٩.
١٧. سورة يوسف: الآية ٢٥.
١٨. سورة غافر: الآية ١٨.
١٩. سورة التوبة: الآية ٤٧. ويحذف الالف باتفاق المصاحف.
٢٠. سورة النمل: الآية ٢١.

﴿ولا أمة مؤمنة﴾[١] بزيادة ألف أيضا.

وكتب: ﴿أيّه المؤمنون﴾[٢] - ﴿وأيّه الساحر﴾[٣] - ﴿وأيّه الثقلان﴾[٤] بغير ألف وما سواها: ﴿يا أيها﴾[٥] و ﴿يا أيتها﴾[٦] بالألف.

وكتب في الأحزاب: ﴿الظنونا﴾[٧]، و﴿الرّسولا﴾[٨]، و﴿السبيلا﴾[٩] بالألف. وفي الفرقان: ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾[١٠] وفي الأحزاب: ﴿وهو يهدى السبيل﴾[١١] وهما رأس آية[١٢].

وكتب في الإنسان: ﴿قواريرا﴾[١٣] بالألف ﴿قوارير من فضة﴾[١٤] بغير ألف. وكتب في الأنعام: ﴿أئنكم لتشهدون﴾[١٥]. وفي الأعراف: ﴿أئنكم لتأتون الرّجال﴾[١٦]. وفي العنكبوت: ﴿أئنكم لتأتون الرّجال﴾[١٧] وفي حم السجدة: ﴿أئنكم لتكفرون﴾[١٨] بالياء وما سواها بغير ياء.

وكتب في الأعراف: ﴿أءنّ لنا لأجرا﴾[١٩] بغير ياء. وفي الشعراء: ﴿أئنّ لنا لأجرا﴾[٢٠] بالياء.

وكتب في النمل: ﴿أئنّا لمخرجون﴾[٢١] بالياء وكذلك في الصافات: ﴿أئنّا لتاركوا﴾[٢٢] وما سواهما فهو: ﴿أءنّا﴾[٢٣] بغير ياء.

وكتب في الواقعة: ﴿أئذا﴾[٢٤] بالياء وفي سائر القرآن: ﴿أءذا﴾[٢٥] بغير ياء.

---

١. سورة البقرة: الآية ٢٢١. وبحذف الالف باتفاق المصاحف.
٢. سورة النور: الآية ٣١.
٣. سورة الزخرف: الآية ٤٩.
٤. سورة الرحمن: الآية ٣١.
٥. سورة البقرة: الآية ٢١ و ١٠٤ و ...
٦. سورة الفجر: الآية ٢٧.
٧. سورة الاحزاب: الآية ١٠.
٨. سورة الاحزاب: الآية ٦٦.
٩. سورة الاحزاب: الآية ٦٧.
١٠. سورة الفرقان: الآية ١٧.
١١. سورة الاحزاب: الآية ٤.
١٢. بغير ألف.
١٣. سورة الانسان: الآية ١٥.
١٤. سورة الانسان: الآية ١٦.
١٥. سورة الانعام: الآية ١٩.
١٦. سورة الاعراف: الآية ٨١.
١٧. سورة العنكبوت: الآية ٢٨.
١٨. سورة فصلت: الآية ٩.
١٩. سورة الاعراف: الآية ١١٣.
٢٠. سورة الشعراء: الآية ٤١.
٢١. سورة النمل: الآية ٦٧.
٢٢. سورة الصافات: الآية ٣٦.
٢٣. سورة الاسراء: الآية ٩٨.
٢٤. سورة الواقعة: الآية ٤٧.
٢٥. سورة الاسراء: الآية ٩٨.

وكتب فى هود : ﴿فى أموالنا ما نشؤا﴾[1] بالألف بعد الواو، ومثله فى الأنعام : ﴿يأتيهم أنبؤا﴾[2] وفيها : ﴿أنهم فيكم شرَكؤا﴾[3] وفى حم عسق: ﴿أم لهم شركؤا﴾[4] وفى الروم : ﴿من شركائهم شفعؤا﴾[5] وفى ابراهيم: ﴿فقال الضعفؤا﴾[6] وفى الشعراء : ﴿فسيأتيهم أنبؤا﴾[7] وفيها أيضا : ﴿أن يعلمه علمؤا﴾[8] وفى فاطر : ﴿من عباده العلمؤا﴾[9] وفى الصافات : ﴿لهو البلؤا﴾[10] وفى حم الأولى : ﴿وما دعؤا الكافرين﴾[11] وفى الدخان : ﴿ما فيه بلؤا﴾[12] بالواو، وفى الممتحنة : ﴿إنا برءآؤا﴾[13].

وكتب : (جزاؤ) بالواو إلا فى الكهف : ﴿فله جزاء الحسنى[14]﴾ وكتب : ﴿إن امرؤا هلك﴾[15] و ﴿يتفيّؤا ظلاله﴾[16] ـ و﴿يعبؤا بكم﴾[17] ـ و﴿أتوكؤا عليها﴾[18] ـ و﴿تفتؤا تذكر﴾[19] ـ و﴿يدرؤا عنها﴾[20] ـ ﴿ونبؤا الذين﴾[21] و﴿نبؤا الخصم﴾[22] ـ و﴿ينشؤا فى الحلية﴾[23] ـ و﴿لا تظمؤا فيها﴾[24] ـ و﴿يبدؤا الخلق﴾[25]، وما أشبهها بواو وألف، ليقوّوا بها الهمزة المضمومة أو على لغة من لا يهمز، ولو كتبت، كلها بالواو وحدها أو بالألف وحدها لجاز.

وكتب فى الأنعام : ﴿من نبإى المرسلين﴾[26] بياء بعد الهمزة، وكذلك فى يونس: ﴿تلقاءى نفسى﴾[27] وفى النحل: ﴿وإيتاءى ذى القُربى﴾[28] وفى طه : ﴿ومن آناءى

---

١. سورة هود : الآية ٨٧.
٢. سورة الانعام : الآية ٥.
٣. سورة الانعام : الآية ٩٤.
٤. سورة الشورى : الآية ٢١.
٥. سورة الروم : الآية ١٣.
٦. سورة ابراهيم : الآية ٢١.
٧. سورة الشعراء : الآية ٦.
٨. سورة الشعراء : الآية ١٩٧.
٩. سورة فاطر : الآية ٢٨.
١٠. سورة الصافات : الآية ١٠٦.
١١. سورة غافر : الآية ٥٠.
١٢. سورة الدخان : الآية ٣٣.
١٣. سورة الممتحنة : الآية ٤.
١٤. سورة الكهف : الآية ٨٨.
١٥. سورة النساء : الآية ١٧٦.
١٦. سورة النحل : الآية ٤٨.
١٧. سورة الفرقان : الآية ٧٧.
١٨. سورة طه : الآية ١٨.
١٩. سورة يوسف : الآية ٨٥.
٢٠. سورة النور : الآية ٧٠.
٢١. سورة التوبة : الآية ٧٠.
٢٢. سورة ص : الآية ٢١.
٢٣. سورة الزخرف : الآية ١٨.
٢٤. سورة طه : الآية ١١٩.
٢٥. سورة يونس : الآية ٤.
٢٦. سورة الانعام : الآية ٣٤.
٢٧. سورة يونس : الآية ١٥.
٢٨. سورة النحل : الآية ٩٠.

﴿اللّيل﴾[١] وفى حم عسق: ﴿أو من وراءى حجاب﴾[٢].

وكتب ما فى القرآن من كل ذوات الواو بالألف مثل: ﴿دعا﴾[٣]، و﴿عفا﴾[٤]، و﴿تلا﴾[٥]، إلا ﴿دحيها﴾[٦]، و﴿تليها﴾[٧]، و﴿طحيها﴾[٨] و﴿سجى﴾[٩]، و﴿ما زكى﴾[١٠].

وذوات الياء يكتب بالياء مثل: ﴿هدى﴾[١١]، و﴿رمى﴾[١٢]، و﴿قضى﴾[١٣] إلا أحرفا هى: ﴿ومضا مثل الأولين﴾[١٤] ـ و﴿جنا[١٥] الجنّتين دان﴾[١٦] ـ و﴿طغا الماء﴾[١٧] ـ و﴿أقصا المدينة﴾[١٨] ـ و﴿أحيا الناس﴾[١٩].

وكل ياءين اجتمعتا فى كلمة مثل الدنيا والعليا، جعلت الأخيرة ألفا كراهة الجمع بين الياءين إلا فى قوله تعالى: ﴿يحيى﴾[٢٠] و﴿أمات وأحيى﴾[٢١] فى بعض المصاحف.

وكتبت: ﴿الزّكوة﴾[٢٢]، و﴿الحيوة﴾[٢٣]، و﴿منوة﴾[٢٤]، و﴿مشكوة﴾[٢٥]، و﴿بالغدوة﴾[٢٦] بالواو. والصلاة ﴿الصّلوة﴾[٢٧] بالواو إلا فى الأنعام: ﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾[٢٨] ـ و﴿صلاتى ونسكى﴾[٢٩] وفى الأنفال: ﴿وما كان صلاتهم﴾[٣٠]، وفى

---

١. سورة طه: الآية ١٣٠.
٢. سورة الشورى: الآية ٥١.
٣. سورة آل عمران: الآية ٣٨.
٤. سورة البقرة: الآية ١٨٧.
٥. سورة الشمس: الآية ٢.
٦. سورة النازعات: الآية ٣٠.
٧. سورة الشمس: الآية ٢.
٨. سورة الشمس: الآية ٦.
٩. سورة الضحى: الآية ٢.
١٠. سورة النور: الآية ٢١.
١١. سورة البقرة: الآية ١٤٣.
١٢. سورة الانفال: الآية ١٧.
١٣. سورة البقرة: الآية ١١٧.
١٤. سورة الزخرف: الآية ٨.
١٥. التحقيق انها بالياء لا بالألف.
١٦. سورة الرحمن: الآية ٥٤. والتحقيق أنّها بالياء لا بالالف.
١٧. سورة الحاقة: الآية ١١.
١٨. سورة القصص: الآية ٢٠.
١٩. سورة المائدة: الآية ٣٢.
٢٠. سورة البقرة: الآية ٧٣.
٢١. سورة النجم: الآية ٤٤.
٢٢. سورة البقرة: الآية ٤٣.
٢٣. سورة البقرة: الآية ٨٥.
٢٤. سورة النجم: الآية ٢٠.
٢٥. السورة النور: ٣٥.
٢٦. سورة الانعام: الآية ٥٢.
٢٧. سورة البقرة: الآية ٣.
٢٨. سورة الانعام الآية ٩٢.
٢٩. سورة الانعام: الآية ١٦٢.
٣٠. سورة الانفال: الآية ٣٥.

أول المؤمنين: ﴿في صلاتهم خاشعون﴾[١]، وفي المعارج: ﴿على صلاتهم دائمون﴾[٢] وفيها: ﴿على صلاتهم يحافظون﴾[٣]، وفي أرأيت: ﴿عن صلاتهم ساهون﴾[٤].

وكتب: ﴿فإذا لا يؤتون الناس نقيراً﴾[٥] - ﴿وليكوناً من الصّاغرين﴾[٦] - و﴿لنسفعاً بالنّاصية﴾[٧] بالألف والوقف عليها بالألف.

وكتب في البقرة: ﴿واخشوني ولاتمّ﴾[٨] بالياء، وفي المائدة: ﴿واخشون اليوم﴾[٩]، ﴿واخشون﴾[١٠] بغير ياء.

وكتب في يوسف: ﴿ومن اتبعني وسبحان الله﴾[١١] بالياء، وفي آل عمران ﴿ومن اتبعن وقل﴾[١٢] بغير ياء.

وكتب في سبحان الذي: ﴿لئن أخرتن﴾[١٣] بغير ياء، وفي المنافقون: ﴿لولا أخرتني﴾[١٤] بالياء.

وكتب في يوسف: ﴿ما نبغي﴾[١٥] بالياء وفي الكهف: ﴿ما كنّا نبغ﴾[١٦] بغير ياء، وفي هود: ﴿يوم يأت لاتكلّم﴾[١٧] بغير ياء. وفي النحل: ﴿يوم تأتي كل نفس﴾[١٨] بالياء، وفي الدخان: ﴿يوم تأتي السماء﴾[١٩] بالياء، وفي الأنعام: ﴿وقد هدان﴾[٢٠] بغير ياء، و ﴿إنّني هداني﴾[٢١] بالياء، وفي الأعراف: ﴿ثمّ كيدون﴾[٢٢] بغير ياء، وفي هود: ﴿فكيدوني جميعاً﴾[٢٣] بالياء، وفي هود: ﴿فلا تسئلن﴾[٢٤] بغير ياء، وفي الكهف: ﴿فلا تسألني﴾[٢٥]

---

١. سورة المؤمنون: الآية ٢.
٢. سورة المعارج: الآية ٢٣.
٣. سورة المعارج: الآية ٣٤.
٤. سورة الماعون: الآية ٥.
٥. سورة النساء: الآية ٥٣.
٦. سورة يوسف: الآية ٣٢.
٧. سورة العلق: الآية ١٥.
٨. سورة البقرة: الآية ١٥٠.
٩. سورة المائدة: الآية ٣.
١٠. سورة المائدة: الآية ٤٤.
١١. سورة يوسف: الآية ١٠٨.
١٢. سورة آل عمران: الآية ٢٠.
١٣. سورة الاسراء: الآية ٦٢.
١٤. سورة المنافقون: الآية ١٠.
١٥. سورة يوسف: الآية ٦٥.
١٦. سورة الكهف: الآية ٦٤.
١٧. سورة هود: الآية ١٠٥.
١٨. سورة النحل: الآية ١١١.
١٩. سورة الدخان: الآية ١٠.
٢٠. سورة الانعام: الآية ٨٠.
٢١. سورة الانعام: الآية ١٦١.
٢٢. سورة الاعراف: الآية ١٩٥.
٢٣. سورة هود: الآية ٥٥.
٢٤. سورة هود: الآية ٤٦.
٢٥. سورة الكهف: الآية ٧٠.

بالياء، وفى الكهف : ﴿أن يهدين ربّى﴾[١] بغير ياء ، وفى القصص : ﴿أن يهدينى سواء السّبيل﴾[٢] بالياء، وفى طه : ﴿فاتّبعونى وأطيعوا أمرى﴾[٣] بالياء، وفى الزخرف : ﴿واتبعون هذا﴾[٤] بغير ياء، وكذلك فى المؤمن، وفى الأعراف : ﴿فهو المهتدى﴾[٥] بالياء، وفى سبحان الذى وسورة الكهف : ﴿فهو المهتد﴾[٦] بغير ياء، وفى ابراهيم : ﴿قل لعبادى الّذين آمنوا﴾[٧] بالياء، وفى الزمر : ﴿وبشّر عباد الذين﴾[٨] بغير ياء.

وكتب : ﴿الذى﴾[٩] و﴿الذين﴾[١٠] بلام واحدة، و ﴿اللذان﴾[١١] و﴿اللذين﴾[١٢] بلامين. وكتب: ﴿جزءًا﴾[١٣] بغير واو،و: ﴿هزوا﴾[١٤] و﴿كفوا﴾[١٥] بالواو. وكتب: ﴿بين المرء﴾[١٦] ـ و﴿جزء مقسوم﴾[١٧] ـ و﴿يخرج الخب﴾[١٨]، و﴿مل الأرض﴾[١٩] و﴿دف﴾[٢٠] بإسقاط الهمزة.

ومن غرائب الهجاء ونوادره ما كتب فى الفرقان : ﴿وعتو عتوا كبيرا﴾[٢١] بغير ألف، وفى سبأ : ﴿والّذين سعو﴾[٢٢] بغير ألف، وفى الحشر : ﴿والذين تبوّؤ الدار﴾[٢٣] بواوين من غير ألف، وفى المعصرات : ﴿كنت تربا﴾[٢٤] بغير ألف، وفى القلم: ﴿بأيّيكم المفتون﴾[٢٥] بياءين، وفي آل عمران: ﴿أفاين مات﴾[٢٦] بالياء، وفى الأنبياء: ﴿أفاين مت﴾[٢٧] بغير ياء، وكتب: ﴿اثاقلتم﴾[٢٨] ونحوه بالألف.

---

١. سورة الكهف : الآية ٢٤.
٢. سورة القصص : الآية ٢٢.
٣. سورة طه : الآية ٩٠.
٤. سورة الزخرف : الآية ٦١.
٥. سورة الاعراف : الآية ١٧٨.
٦. سورة الاسراء : الآية ٩٧.
٧. سورة ابراهيم : الآية ٣١.
٨. سورة الزمر : الآية ١٧.
٩. سورة البقرة : الآية ٢٢.
١٠. سورة البقرة : الآية ٢.
١١. سورة النساء : الآية ١٦.
١٢. سورة فصلت : الآية ٢٩.
١٣. سورة البقرة : الآية ٢٦٠.
١٤. سورة البقرة : الآية ٦٧.
١٥. سورة النساء : الآية ٧٧.
١٦. سورة البقرة : الآية ١٠٢.
١٧. سورة الحجر : الآية ٤٤.
١٨. سورة النمل : الآية ٢٥.
١٩. سورة آل عمران : الآية ٩١.
٢٠. سورة النحل : الآية ٥.
٢١. سورة الفرقان : الآية ٢١.
٢٢. سورة سباء : الآية ٥.
٢٣. سورة الحشر : الآية ٩.
٢٤. سورة النباء : الآية ٤٠.
٢٥. سورة القلم : الآية ٦.
٢٦. سورة آل عمران : الآية ١٤٤.
٢٧. سورة الانبياء : الآية ٣٤.
٢٨. سورة التوبة : الآية ٣٨.

﴿فادّارءتم﴾[1] ليس بين الدال والراء، ولا بين الراء والتاء ألف في جميع المصاحف.

وكتب في الحاقة لبيان الحركة: ﴿كتابيه﴾[2]، و﴿حسابيه﴾[3]، و﴿ماليه﴾[4]، و﴿سلطانيه﴾[5]، وفي القارعة: ﴿ماهيه﴾[6] بإثبات الهاء.

واختلف في: ﴿لم يتسنه﴾[7]، و﴿فبهداهم اقتده﴾[8] أن الهاء فيها لبيان الحركة أو لغير ذلك.

وكتب في سورة النساء: ﴿فمال هؤلاء القوم﴾[9]، وفي الكهف: ﴿مال هذا الكتاب﴾[10]، وفي الفرقان: ﴿مال هذا الرَّسول﴾[11]، وفي المعارج: ﴿فمال الذين كفروا﴾[12] باللام مع ما مقطوعة عما بعدها.

واعلم أن هجاء المصحف كثير، وقد ذكرنا منها ما هو أنفع للقارىء وأكثر فائدة. وأما الحركات كلها فقد راعيناها إلا ما شاء الله في كتابة متن القرآن من هذا الكتاب، كما بلغنا عمن تقدمنا من السلف الصالحين، والعلماء المتقين، ورووا أنهم وجدوها في الإمام كذلك، وستراها في مواضعها إن شاء الله، وإنما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف بعض وفي الأصل واحدة، لأن الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم، فكتبوا بعضها على وجه، وبعضها على وجه آخر جمعا بين المذهبين، على أنهم كتبوا أكثرها على الأصل، وكل ما كتب في المصحف على أصل لا يقاس عليه غيره من الكلام، لأن القرآن يلزمه لكثرة الاستعمال ما لايلزم غيره، واتباع المصحف في هجائه واجب، ومن طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته، لأنه بالهجاء يتلى.

والفائدة للقارىء في معرفته؛ أن يكون على يقين أن الذي يقرأ هو القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ بلا خلل فيه من جهة من الجهات.

---

١. سورة البقرة: الآية ٧٢.
٢. سورة الحاقة: الآية ١٩.
٣. سورة الحاقة: الآية ٢٦.
٤. سورة الحاقة: الآية ٢٨.
٥. سورة الحاقة: الآية ٢٩.
٦. سورة القارعة: الآية ١٠.
٧. سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
٨. سورة الانعام: الآية ٩٠.
٩. سورة النساء: الآية ٧٨.
١٠. سورة الكهف: الآية ٤٩.
١١. سورة الفرقان: الآية ٧.
١٢. سورة المعارج: الآية ٣٦.

وقال جماعة من الأئمة: إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هـذا الرسم في خط المصحف، فإنه رسم زيد بن ثابت، وكان أمين رسول اللّـه ﷺ وكـاتب وحيه، وعلم من هذا العلم بدعوة النبي ﷺ ما لم يعلم غيره. فما كتب شيئا من ذلك إلا لعلة لطيفة وحكمة بليغة، وإن قصر عنها رأينا. ألا ترى أنـه لو كـتب: ﴿علـى صـلوتهم﴾[١]، و﴿إن صلوتك﴾[٢] بالألف بعد الواو أو بالألف من غير واو، لما دل ذلك إلا عـلى وجـه واحد وقراءة واحدة. وكذلك: ﴿وسيعلم الكفار لمـن عـقبى الدار﴾[٣] كـتب: ﴿وسـيعلم الكفر﴾ بغير ألف قبل الفاء ولا بعدها، ليدل على القراءتين. واللّه تعالى أعلم[٤].

١. سورة الانعام: الآية ٩٢.
٢. سورة التوبة: الآية ١٠٣.
٣. سورة الرعد: الآية ٤٢.
٤. غرائب القرآن ج ١ ص ٣٢ـ ٤٠.

ترتيب السور والآيات

قال القمي (ره) : «أما التقديم والتأخير : فإن آية عدة النساء الناسخة مقدمة على المنسوخة ، لأن في التأليف قد قدمت آية : عدة النساء أربعة أشهر وعشراً[1] على آية عدة سنة كاملة[2] ، وكان يجب أولاً أن تقرأ المنسوخة التي نزلت قبل ، ثم الناسخة التي نزلت بعدها ، وقوله : ﴿ أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ﴾[3] فقال الصادق عليه السلام : إنما نزل ـ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى ـ وقوله : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾[4] وإنما هو يحيي ويميت لأن الدهرية لم يقروا بالبعث بعد الموت ، وإنما قالوا : ـ نحيا ونموت ـ فقدموا حرفا على حرف ، وقوله : ﴿ يا مريم أقنتي لربك واسجدي وأركعي ﴾[5] أيضاً هو ـ أركعي واسجدي ـ وقوله : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾[6] ، وإنما هو ـ فلعلك باخع نفسك على آثارهم أسفاً إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ـ ومثله كثير .

---

١ . ﴿ الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهم أربعة أشهر وعشراً ﴾ ـ سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤ .

٢ . ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لإزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾ ـ سورة البقرة ، الآية : ٢٤٠ .

٣ . سورة هود ، الآية : ١٧ .

٤ . سورة الجاثية ، الآية : ٢٤ .

٥ . سورة آل عمران ، الآية : ٤٣ .

٦ . سورة الكهف ، الآية ٦ .

وأما المنقطع المعطوف، فهي آيات نزلت في خبر، ثم انقطعت قبل تمامها، وجاءت آيات غيرها، ثم عطف بعد ذلك على الخبر الأول، مثل قوله عز وجل: ﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا اللّه واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون اللّه أوثاناً وتخلقون افكاً إن الذين تعبدون من دون اللّه لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند اللّه الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾[1]، ثم انقطع خبر إبراهيم، ـ فقال مخاطبة لأمة محمد ـ: ﴿ وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين أو لم يروا كيف يبديء اللّه الخلق ثم يعيده إن ذلك على اللّه يسير ﴾[2] إلى قوله: ﴿أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم ﴾[3]، ثم عطف بعد هذه الآيات على قصة إبراهيم، فقال: ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أقتلوه أو حرقوه فأنجاه اللّه من النار ﴾[4]، ومثله في قصة لقمان قوله: ﴿ وإذ قال لقمان لإبنه وهو يعظه يا بني لا تشرك باللّه إن الشرك لظلم عظيم ﴾[5]، ثم انقطعت وصية لقمان لإبنه، فقال: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ـ إلى قوله ـ: فانبئكم بما كنتم تعملون ﴾[6]، ثم عطف على خبر لقمان، فقال: ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها ...﴾ إلخ[7]، ومثله كثير»[8].

قال القمي (ره): «وأما الآيات التي هي في سورة وتمامها في سورة أخرى، فقوله في سورة البقرة في قصة بني إسرائيل، حين عبر بهم موسى البحر، وأغرق اللّه فرعون وأصحابه، وأنزل موسى ببني إسرائيل، فأنزل اللّه عليهم المن والسلوى، فقالوا لموسى: ﴿ لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها﴾[9]، فقال لهم موسى: ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم﴾[10]، فقالوا له يا موسى: ﴿ إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى

١. سورة العنكبوت، الآيتان: ١٦ ـ ١٧.
٢. سورة العنكبوت، الآيتان: ١٨ ـ ١٩.
٣. سورة العنكبوت، الآية: ٢٣.
٤. سورة العنكبوت، الآية: ٢٤.
٥. سورة لقمان، الآية: ١٣.
٦. سورة لقمان، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.
٧. سورة لقمان، الآية: ١٦.
٨. تفسير القمي ج ١ ص ٢٠ ـ ٢١.
٩. سورة البقرة، الآية: ٦١.
١٠. سورة البقرة، الآية: ٦١.

يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾[1]، فنصف الآية في سورة البقرة ونصفها في سورة المائدة، وقوله: ﴿إكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾[2]، فردّ الله عليهم: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾[3]، فنصف الآية في سورة الفرقان ونصفها في سورة القصص والعنكبوت، ومثله كثير نذكره في مواضعه»[4].

قال ابن عطية: «قال القاضي أبو بكر بن الطيب: وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه، مع مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك. وقد ذكر ذلك مكي رحمه الله في تفسير سورة براءة. وذكر أن ترتيب الآيات في السور، ووضع البسملة في الأوائل، هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة، هذا أحد ما قيل في براءة، وذلك مستقصى في موضعه موفى إن شاء الله تعالى. وظاهر الآثار أن السبع الطوال، والحواميم، والمفصل كان مرتباً في زمن النبي ﷺ، وكان في السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب وقت الكَتْب»[5].

قال هود بن محكم: «قال بعض أهل العلم: حدّثونا أن السور لم تنزل كل سورة منها جملة، إلا اليسير منها. ولكن النبي ﷺ قد كان سمّى السوَرَ، فكلما نزل من القرآن شيء أمر أن يضعوه من السورة في المكان الذي يأمرهم به، حتى تمّت السور. وكان أمر أن يوضع في بعض السور المكية من المدني، وأن يُجعل في بعض السور المدنية من المكيّ.

كان جبريل يأتي النبيَّ ﷺ فيقول: إن الله يأمرك أن تضع كذا وكذا بين ظهراني كذا وكذا من السورة.

وقد نزل المكي قبل المدني. وإن هذا التأليف الذي أُلّف بين السور لم ينزل على هذا التأليف، ولكنه وُضع هكذا، لم يجعل المكي من السور على حدة يتبع بعضها بعضاً كلها في تأليف السور»[6].

قال ابن جزي: «فترتيب السور على ما هو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين

---

1. سورة المائدة، الآية: 22.
2. سورة الفرقان، الآية: 5.
3. سورة العنكبوت، الآية: 48.
4. تفسير القمي ج 1 ص 24.
5. المحرر الوجيز ج 1 ص 66.
6. تفسير كتاب الله العزيز ج 1 ص 69.

كتبوا معه المصحف.

وقد قيل: إنه من فعل رسول الله ﷺ وذلك ضعيف تردّه الآثار الواردة في ذلك»[١].

قال القرطبي: في ما جاء في ترتيب سُوَر القرآن وآياته:

قال ابن الطّيب: إن قال قائل: قد إختلف السلف في ترتيب سور القرآن، فمنهم من كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها، وقدّم المكيّ على المدني، ومنهم من جعل في أول مصحفه الحمد، ومنهم من جعل في أوّله: ﴿ اقْرَأْ بَاسْمِ رَبِّكَ ﴾[٢]، وهذا أوّل مصحف علي رضي الله عنه. وأما مصحف ابن مسعود فإن أوّله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[٣]، ثم البقرة ثم النساء، على ترتيب مختلف. مصحف أبي كان أوله: الحمدلله، ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة، ثم كذلك على اختلاف شديد. قال القاضي أبو بكر بن الطيب: فالجواب أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الإجتهاد من الصحابة. وذكر ذلك مكي رحمه الله في تفسير سورة «براءة»، وذكر أن ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولمّا لم يأمر بذلك في أوّل سورة «براءة» تُركت بلا بسملة، هذا أصح ماقيل في ذلك.

وذكر ابن وهب في جامعه قال: سمعت سليمان بن بلال يقول: سمعت ربيعة يُسأل: لم قُدّمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة، وإنمانزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قُدّمتا وألّف القرآن على علم ممن ألّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ننتهي إليه، ولا نسأل عنه. وقد ذكر سُنيد قال حدّثنا معتمر عن سلام بن مسكين عن قتادة، قال: قال ابن مسعود: من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلُّفاً، وأقومها هَدْياً، وأحسنها حالاً، اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهُدىٰ المستقيم. وقال قوم من أهل العلم: إن تأليف سُوَر القرآن على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ، وأما ما روي من اختلاف

---

١. التسهيل ج ١ ص ٤.
٢. سورة العلق: الآية ١.
٣. سورة الحمد: الآية ٤.

مصحف أُبي وعلي وعبدالله فإنما كان قبل العرض الأخير، وأن رسول الله ﷺ رتّب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك. روى يونس عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول: إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ. وذكر أبوبكر الأنباري في كتاب الرد: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فرّق على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر يسأل، يوقف جبريلُ رسولَ الله ﷺ على موضع السورة والآية، فاتّساق السور كاتّساق الآيات والحروف، فكلُّه عن محمد خاتم النبيين ﷺ، عن رب العالمين، فمن أخر سورة مقدّمة أو قدّم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات، وغيّر الحروف والكلمات، ولاحجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن رسول الله ﷺ أخِذ عنه هذا الترتيب، وهو كان يقول: «ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن». وكان جبريل ﷺ يقف على مكان الآيات.

حدّثنا حسن بن الحباب، حدّثنا أبوهشام، حدّثنا أبوبكر بن عيّاش عن أبي إسحاق عن البراء، قال: آخر مانزل من القرآن: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [1]. قال أبوبكر بن عياش: وأخطأ أبو إسحاق، لأن محمد بن السائب حدّثنا عن أبي السائب عن ابن عباس قال: آخر مانزل من القرآن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لايُظْلَمُونَ ﴾[2]. فقال جبريل للنبي ﷺ: يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة.

قال أبو الحسن بن بطّال: ومن قال بهذا القول، لا يقول: إن تلاوة القرآن في الصلاة والدرس يجب أن تكون مرتبة على حسب الترتيب الموقّف عليه في المصحف، بل إنما يجب تأليف سوره في الرسم والخط خاصة، ولايُعلم أن أحدا منهم قال: إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنه لايحل لأحد أن يتلقّن الكهف قبل البقرة ولا الحج قبل الكهف، ألا ترى قول عائشة رضي الله عنها للذي سألها: لايضرك أيّة قرأت قبلُ، وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير

---

١. سورة النساء: الآية ١٧٦.
٢. سورة البقرة: ٢٨١.

السورة التي تليها. وأما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر: أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسا، وقالا: ذلك منكوس القلب، فإنما عَنِيَا بذلك من يقرأ السورة منكوسة، ويبتديء من آخرها إلى أوّلها لأن ذلك حرام محظور، ومن الناس من يتعاطىٰ هذا في القرآن والشعر، ليذلّل لسانه بذلك ويقدر علىٰ الحفظ، وهذا حَظَرَهُ اللّه تعالى ومنعه في القرآن، لأنه إفساد لسوره ومخالفة لما قصد بها.

ومما يدل على أنه لايجب إثباته في المصاحف علىٰ تاريخ نزوله ما صح وثبت؛ أن الآيات كانت تنزل بالمدينةفتوضع في السورة المكية، ألا ترى قول عائشة: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ـ تعني بالمدينة ـ وقد قدّمتا في المصحف علىٰ ما نزل قبلهما من القرآن بمكة، ولو ألفوه على تاريخ النزول لوجب أن ينتقض ترتيب آيات السُّوَر.

قال أبوبكر الإنباري: حدّثنا إسماعيل بن اسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن مِنهال حدّثنا همام عن قتادة قال: نزل بالمدينة من القرآن البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة والرعد، والنحل والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، ويا أيّها النبي لم تُحَرّم -إلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر اللّه. هؤلاء السُّوَر نزلن بالمدينة، وسائر القرآن نزل بمكة.

قال أبو بكر: فمن عمل علىٰ ترك الأثر والإعراض عن الإجماع ونظم السُّوَر علىٰ منازلهابمكة والمدينة، لم يدر أين تقع الفاتحة، لإختلاف الناس في موضع نزولها، ويضطرّ إلى تأخير الآيةالتي فيرأس خمس وثلاثين ومائتين منالبقرة إلى رأس الأربعين، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به، وردّ على محمد ﷺ ماحكاه عن ربه تعالى. وقد قيل: إن علة تقديم المدني علىٰ المكي هو أن اللّه تعالى خاطب العرب بلغتها، وماتعرف من أفانين خطابها ومحاورتها، فلما كان فنٌ من كلامهم مبنيا علىٰ تقديم المؤخر وتأخير المقدّم خوطبوا بهذا المعنى في كتاب اللّه تعالى، الذي لو فقدوه من القرآن لقالوا: مابالُه عَرِي من هذا الباب الموجود في كلامنا المستحْلَى من نظامنا، قال عَبِيد بن الأبرص:

أن بُـدّلتْ مـنهمْ وحـوشاً … وغيّرتْ حالَها الخطوبُ
عـيناكَ دَمْـعُهما سَـرُوبُ … كأنّ شَأنَيْهما شَـعيب

أراد عيناك دمعهما سَروب لأن تبدّلت من أهلها وحوشاً، فقدّم المؤخر وأخر المقدّم، ومعنى سَروب: منصبّ علىٰ وجه الأرض. ومنه السارب، للذاهب علىٰ وجهه في الأرض، قال الشاعر: [1]

* أنّىٰ سَرَبتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ *

وقوله: شأنيهما، الشأن واحد الشئون، وهي مَوَاصِلُ قبائل الرأس وملتقاه، ومنها يجيء الدمع. شعيب: متفرّق»[2].

قال الآلوسي: «فاعلم أن ترتيب آيه وسوره بتوقيف من النبي ﷺ، أما ترتيب الآي فكونه توقيفيا مما لا شبهة فيه، حتى نقل جمع منهم الزركشي [3] وأبو جعفر [4] الإجماع عليه من غير خلاف بين المسلمين، والنصوص متظافرة على ذلك.

ومايدل بظاهره من الآثار علىٰ أنه إجتهادى معارض ساقط عن درجة الإعتبار، كالخبر الذي أخرجه ابن أبي داود بسنده عن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: أتىٰ الحرث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة، فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتهما، فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها من سورة علىٰ حدة فانظروا آخر سورة من القرآن فالحقوهما في آخرها ـ فإنه معارض بما لا يحصى ممايدل علىٰ خلافه، بل لابن أبي داود مخرجه خبر يعارضه أيضاً فقد أخرج أيضاً عن أبي؛ أنهم جمعوا القرآن فلما انتهوا إلى الآية التي في سورة براءة: ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون﴾ [5] ظنوا أن هذا آخر مانزل، فقال أبي: إن رسول الله ﷺ أقرأني

---

١. هو قيس بن الخطيم. وتمام البيت: * وتقرب الأحلام غير قريب
وفي اللسان مادة «سرب»: «قال ابن بري: رواه ابن دريد «سَربت» بباء موحدة لقوله: وكنت غير سروب، ومن رواه «سريت» بالياء باثنتين فمعناه: كيف سريت ليلا، وأنت لاتسريين نهاراً».
٢. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٩ ـ ٦٢.
٣. في البرهان اهـ منه.
٤. في المناسبات اهـ منه.
٥. سورة التوبة: الآية ١٢٧.

بعد هذا آيتين ﴿ لقد جاءكم رسول﴾ [١] إلى آخر السورة .

وأما ترتيب السور ففي كونه اجتهاديا أو توقيفيا خلاف ، والجمهور على الثاني [٢]، قال أبوبكر الأنباري: أنزل الله تعالى القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخبر، فيوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة ، فمن قدم أو أخر فقد أفسد [٣] نظم القرآن . وقال الكرماني : ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ وعليه كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وقال الطيبي مثله، وهو المروي عن جمع غفير، إلا أنه يشكل على هذا ما أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم، عن ابن عباس قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين [٤] فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ووضعتموها في السبع الطوال ؟، فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب ، فيقول : دعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ووضعتهما في السبع الطوال، فهذا يدل على أن الاجتهاد دخل في ترتيب السور ، ولهذا ذهب البيهقي إلى : أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال» [٥].

قال عبد القادر : «وضع السور والآيات توقيفي .

أما النطق بما تقدم وكتابته في غير القرآن فلا مانع منه ، وليعلم أن وضع الآيات في

١. سورة التوبة : الآية ١٢٨ و ١٢٩.

٢ . وهذا آخر قوليه اهـ منه.

٣. وبعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثا وستين سنة من قوله في سورة المنافقين: ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ فإنها رأس ثلاث وستين سورة ، وعقبها بالتغابن للإشارة إلى ظهور التغابن بعد فقده ﷺ اهـ منه .

٤ . المئين : ما تزيد على مائة آية أو تقاربها ، والمثاني هنا : ما ولي المئين اهـ منه .

٥ . روح المعاني ج ١ ص ٢٦ ـ ٢٧.

سورها ومحالها على النحو المرسوم في القرآن توقيفي ، لأنه بتعليم من حضرة الرسول وإعلام من الأمين جبريل إليه عند نزولها، وأشارته بأن يكتب هذه السورة بعد سورة كذا ، وهذه الآية بعد آية كذا من سورة كذا كما تقدم بلا خلاف، إذ رتبت سوره وآياته كلها وفق ما هو في اللوح المحفوظ ، وقد صح من حديث ابن عباس : أن النبي ﷺ كان يستعرض القرآن على جبرئيل في كل عام مرة في رمضان ، وفي العام الذي توفي فيه مرتين ، ويقال: إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة ، ولهذا كلفه أبوبكر وعمر نسخ المصحف أولا ، وأمر عثمان النساخ أن يتبعوه عند الإختلاف في شيء منه»[١].

قال ابن عاشور :

«وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي ﷺ حسب نزول الوحي ، ومن المعلوم أن القرآن نزل منجّما آيات ، فربما نزلت عدة آيات متتابعة أو سورة كاملة ، كما سيأتي قريبا ، وذلك الترتيب مما يدخل في وجوه إعجازه من بداعة أسلوبه كما سيأتي في المقدمة العاشرة ، فلذلك كان ترتيب آيات السورة الواحدة على ما بلغتنا عليه متعينا بحيث لو غُيِّر عنه إلى ترتيب آخر لنزل عن حد الإعجاز الذي امتاز به ، فلم تختلف قراءة النبي ﷺ في ترتيب آي السور على نحو ما هو في المصحف الذي بأيدي المسلمين اليوم ، وهو ما استقرت عليه رواية الحفاظ من الصحابة عن العَرْضات الأخيرة التي كان يقرأ بها النبي ﷺ في أواخر سني حياته الشريفة ، وحسبك أن زيد بن ثابت حين كتب المصحف لأبي بكر لم يخالف في ترتيب آي القرآن .

وعلى ترتيب قراءة النبي ﷺ في الصلوات الجهرية وفي عديد المناسبات حَفِظَ القرآن كلُّ من حفظه كلا أو بعضا ، وليس لهم معتمد في ذلك إلا ما عُرفوا به من قُوة الحوافظ ، ولم يكونوا يعتمدون على الكتابة ، وإنما كان كُتّاب الوحي يكتبون ما أنزل من القرآن بأمر النبي ﷺ ، وذلك بتوقيف إلهي ، ولعل حكمة الأمر بالكتابة ؛ أن يَرجع إليها المسلمون عندما يحدث لهم شك أو نسيان ولكن ذلك لم يقع .

ولما جُمع القرآن في عهد أبي بكر لم يُؤثَر عنهم أنهم ترددوا في ترتيب آيات من

---

١. بيان المعاني ج ١ ص ٣٢.

إحدى السور، ولا أثر عنهم إنكار أو اختلاف فيما جمع من القرآن فكان موافقا لما حفظته حوافظهم، قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ. وقال ابن الأنباري كانت الآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل ويُوقِف جبريلُ رسول الله ﷺ على موضع الآية.

واتساقُ الحروف واتساقُ الآيات واتساقُ السور كله عن رسول الله ﷺ.

فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض أو في الإنتقال منه، أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل، ومما يدل عليه وجود حروف العطف المفيدة الإتصال مثل: الفاء ولكن وبل[1]، ومثل: أدوات الإستثناء، على أن وجود ذلك لا يعيِّنُ اتصال ما بعده بما قبله في النزول، فإنه قد اتُّفِق على أن قوله تعالى: ﴿ غيرَ أولي الضَّرَر ﴾ نزل بعد نزول ماقبلَه وما بعده من قوله: ﴿ لايستوى القاعدون ﴾ إلى قوله: ﴿وأنفسِهم ﴾[2] قال بدر الدين الزركشي: «قال بعض مشائخنا المحققين: قد وهم من قال: لا تُطلَب للآي الكريمة مناسبةٌ والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيء عن كونها مكمِّلة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وَجْهُ مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم».

على أنه يندر أن يكون موقع الآية عقب التي قبلها لأجل نزولها عقب التي قبلها من سورة هي بصدد النزول، فيؤمَر النبي بأن يقرأها عقب التي قبلها، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وما نَتَنَزَّلُ إلاّ بأمرِ ربك ﴾[3]، عقب قوله: ﴿ تلك الجنَّةُ التي نُورِثُ من عبادنا مَنْ كان تَقِيّاً ﴾[4] في سورة مريم، فقد روى أن جبريل لبث أياماً لم ينزل على النبي ﷺ بوحي، فلما نزل بالآيات السابقة عاتبه النبي، فأمر الله جبريل أن يقول: ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾، فكانت وحيا نزل به جبريل، فقرئ مع الآية التي نزل بأثرها، وكذلك آية: ﴿ إن الله لايستحي أن يضرِبَ مثلاً مّا بعوضةً فما فَوْقَها ﴾[5]، عقب قوله تعالى: ﴿ وبشِّر الذين

١. دون الواو لأنها تعطف الجمل والقصص، وكذلك ثم لأنها قد تعطف الجمل.
٢. سورة النّساء: الآية ٩٥.
٣. سورة مريم: الآية ٦٤.
٤. سورة مريم: الآية ٦٣.
٥. سورة البقرة: الآية ٢٦.

آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات - إلى قوله - وهم فيها خالدون ﴾ [١] - في سورة البقرة - إذ كان رداً على المشركين في قولهم: أمَا يستحي محمدٌ أن يمثل بالذُّباب وبالعنكبوت؟ فلما ضَرَب لهم الأمثال بقوله ﴿ مَثَلُهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾[٢] تخلص إلى الرد عليهم فيما أنكروه من الأمثال. على أنه لايعدم مناسبة ما، وقد لا تكون له مناسبة، ولكنه اقتضاه سبب في ذلك المكان كقوله تعالى: ﴿ لاتُحَرِّكْ بِه لسانَك لتعْجَلَ به. إنَّ علينا جمعَه وقرآنَه. فإذا قَرَأناه فاتَّبِعْ قُرآنه ثم إنَّ عَلَينا بيانَه ﴾ [٣]، فهذه الآيات نزلت في سورة القيامة في خلال توبيخ المشركين على إنكارهم البعث ووصف يوم الحشر وأهواله، وليست لها مناسبة بذلك ولكنَّ سبب نزولها حصل في خلال ذلك. رَوَى البخاري عن ابن عباس قال: «كان رسول الله إذا نَزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه يريد أن يحفظَهُ فأنزل الله الآية التي في: ﴿لا أقسم بيوم القيامة ﴾[٤] اهـ، فذلك يفيد أن رسول الله ﷺ حرك شفتيه بالآيات التي نزلت في أول السورة.

على أنه قد لايكون في موقع الآية من التي قبلها ظهورُ مناسبة فلا يوجب ذلك حَيرةً للمفسر، لأنه قد يكون سببُ وضعِها في موضعِها أنها قد نزلت على سَبَبٍ وكان حدوثُ سببِ نزولها في مدةِ نزول السورة التي وُضِعَتْ فيها، فقُرِنت تلك الآيةُ عقبَ آخِر آيةٍ انتهَى إليها النزول، وهذا كقوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات - إلى قوله - ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [٥] بَيْنَ تشريعات أحكام كثيرة في شؤون الأزواج والأمهات، وقد ذكرنا ذلك عند هذه الآية في التفسير.

وقد تكون الآية ألحقت بالسورة بعد تمام نزولها بأنْ أمِرَ الرسول بوضعها عقب آية معينة، كما تقدم آنفا عن ابن عباس في آية: ﴿ واتَّقوا يوما تُرجعون فيه إلى الله ﴾ [٦] وكذلك مارُوي في صحيح مسلم عن ابن مسعود: أن أول سورة الحديد نزل بمكة، ولم يختلف المفسرون في أن قوله تعالى: ﴿ ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله ﴾ [٧] إلى آخر السورة نزل

---

١. سورة البقرة: الآية ٢٥.
٢. سورة البقرة: الآية ١٧.
٣. سورة القيامة: الآية ١٦-١٩.
٤. سورة البلد: الآية ١.
٥. سورة البقرة: الآية ٢٣٨ و ٢٣٩.
٦. سورة البقرة: الآية ٢٨١.
٧. سورة الحديد: الآية ١٠.

بالمدينة، فلا يكون ذلك إلا لمناسبة بينها وبين آي تلك السورة والتشابه في أسلوب النظم، وإنما تأخر نزول تلك الآية عن نزول أخواتها من سورتها لحكمة اقتضت تأخرها، تَرجع غالبا إلى حدوث سبب النزول، كما سيأتي قريبا.

ولما كان تعيين الآيات التي أمر النبي ﷺ بوضعها في موضع معين غير مروي إلا في عدد قليل، كان حقا على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلاً موصلاً، وإلا فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين.

إن الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها. فإصلاح كفارها بدعوتهم الى الإيمان ونبذ العبادة الضالة واتباع الإيمان والإسلام، واصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طرق النجاح وتزكية نفوسهم، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدة الدعوة، فكانت آيات القرآن مستقلاً بعضها عن بعض، لأن كل آية منه ترجع إلى غرض الإصلاح والإستدلال عليه، وتكميله وتخليصه من تسرب الضلالات إليه فلم يلزم أن تكون آياته متسلسلة، ولكن حال القرآن كحال الخطيب يتطرق إلى معالجة الأحوال الحاضرة على اختلافها وينتقل من حال إلى حال بالمناسبة، ولذلك تكثر في القرآن الجمل المعترضة لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك، فإن كل جملة تشتمل على حكمة وإرشاد أو تقويم معوج، كقوله: ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمِنُوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وَجْهَ النهار -إلى قوله- قل إن الهدى هدى الله أن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتيتم** ﴾ [١] فقوله: ﴿**قل إن الهدى هدى الله**﴾ جملة معترضة [٢].

قال ابن عاشور: «وأما ترتيب السور بعضها إثر بعض، فقال أبوبكر الباقلاني: يحتمل أن النبي ﷺ هو الذي أمر بترتيبها كذلك، ويحتمل أن يكون ذلك من اجتهاد الصحابة، وقال الداني: كان جبريل يوقف رسول الله على موضع الآية وعلى موضع السورة.

وفي المستدرك عن زيد بن ثابت أنه قال: «كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع» قال البيهقي: تأويله أنهم كانوا يؤلفون آيات السور. ونقل ابن عطية عن الباقلاني الجزم بأن ترتيب السور بعضها إثر بعض هو من وضع زيد بن ثابت بمشاركة عثمان، قال ابن عطية:

---

١. سورة آل عمران: الآية ٧٢ و ٧٣.

٢. التحرير والتنوير ج ١ ص ٧٩ - ٨١.

وظاهر الأثر أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كانت مرتبة فى زمن النبي ﷺ، وكان من السور ما لم يرتب فذلك هو الذي رتب وقت كتابة المصحف.

أقول: لا شك أنّ طوائف من سور القرآن كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم، الذي هو نسخة من المصحف الإمام، الذي جمع وكتب في خلافة أبي بكر الصديق، ووزعت على الأمصار نسخ منه في خلافة عثمان ذي النورين، فلا شك في أنّ سور المفصل كانت هي آخر القرآن، ولذلك كانت سنة قراءة السورة في الصلوات المفروضة؛ أن يكون في بعض الصلوات من طوال المفصل وفي بعضها من وسط المفصل وفي بعضها من قصار المفصل. وأن طائفة السور الطولى الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ أول القرآن. والإحتمالُ فيما عدا ذلك.

وأقول: لا شك فى أن زيد بن ثابت وعثمان بن عفان وهما من أكبر حفاظ القرآن من الصحابة، تَوَخّيَا ما استطاعا ترتيب قراءة النبي ﷺ للسور، وترتيب قراءة الحفاظ التي لا تخفى على رسول الله ﷺ، وكان زيد بن ثابت من أكبر حفاظ القرآن وقد لازم النبي ﷺ مدة حياته بالمدينة، ولم يتردد في ترتيب سور القرآن على نحو ما كان يقرؤها النبي ﷺ حين نسخ المصاحف فى زمن عثمان.

ذلك أن القرآن حين جمع في خلافة أبي بكر لم يجمع في مصحف مرتب، وإنما جعلوا لكل سورة صحيفة مفردة ولذلك عبروا عنها بالصحف، وفي موطأ ابن وهب عن مالك أن ابن عمر قال: «جمع أبو بكر القرآنَ في قراطيس». وكانت تلك الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصةَ بنتِ عمر أمّ المؤمنين، بسبب أنها كانت وَصِيَّةَ أبيها على تركته، فلما أراد عثمان جمع القرآن في مصحف واحد أرسل إلى حفصة فأرسلت بها إليه، ولما نُسختْ في مصحف واحد أرجع الصحف إليها، قال في فتح الباري: «وهذا وقع في رواية عمارة ابن غزية أن زيد بن ثابت قال: أمرني أبو بكر فكتبتُ في قطع الأديم والعسب فلما هلك أبو بكر وكان عمر، كتبتُ ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده» والأصح أن القرآن جمع في زمن أبو بكر في مصحف واحد.

وقد يُوجد في آي من القرآن ما يقتضي سَبْقَ سورة على أخرى مثل قوله في سورة

النحل: ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ﴾ [١] يُشير إلى قوله: ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾ [٢] الآيةَ من سورة الأنعام، فدلت على أن سورة الأنعام نزلت قبل سورة النحل، وكذلك هي مرتبة في المصحف، وقد ثبت أن آخر آية نزلت آيةٌ فى سورة البقرة أو في سورة النساء أو في براءة، وثلاثتُها في الترتيب مقدمة على سُوَر كثيرة.

فالمصاحف الأولى التي كتبها الصحابة لأنفسهم في حياة النبي ﷺ كانت مختلفة في ترتيب وضع السور. وممن كان له مصحف عبدالله بن مسعود وأُبيُّ بن كعب، وروى أن أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة. قال في الإتقان: إن من الصحابة من رتب مصحفه على ترتيب النزول ـ أي بحسب ما بلغ إليه علمه ـ وكذلك كان مصحف علي رضي اللّه عنه وكان أوله اقرأ باسم، ثم المدثر، ثم المزمل، ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي ثم المدني. ومنهم من رتب على حسب الطول والقصر وكذلك كان مصحف أُبيّ وابن مسعود فكانا ابتدأا بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران، وعلى هذه الطريقة أمر عثمان رضي اللّه عنه بترتيب المصحف المدعو بالإمام، أخرج الترمذي وأبو داود عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾، ووضعتموهما في السبع الطوال، فقال عثمان: «كان رسول اللّه مِمَّا يأتي عليه الزمانُ وهو تَنزل عليه السور ذواتُ العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقُبض رسول اللّه ولم يبيّن لنا أنها منها، فمن أَجْلِ ذلك قرنتُ بينهما ولم أكتب بينهما سطر ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ فوضعتهما في السبع الطوال». وهو صريح في أنهم جعلوا علامة الفصل بين السور كتابة البسملة، ولذلك لم يكتبوها بين سورة الأنفال وسورة براءة لأنهم لم يجزموا بأن براءة سورة مستقلة، ولكنه كان الراجح عندهم فلم يُقدموا على

١. سورة النّحل: الآية ١١٨.
٢. سورة الانعام: الآية ١٤٦.

الجزم بالفصل بينهما تحريا . وفي باب تأليف القرآن من صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود أنه ذَكَر النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأهن في كل ركعة ، فسُئل علقمةُ عنها فقال : عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود ، آخرها من الحواميم حَم الدخان وعمّ يتساءلون ، على أن الجمهور جزموا بأن كثيرا من السور كان مرتبا في زمن النبي ﷺ .

ثم اعلم أن ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري في باب تأليف القرآن أنها لا ترى القراءة على ترتيب المصحف أمرا لازماً ، فقد سألها رجل من العراق أن تُرِيهُ مصحفها ليؤلِّف عليه مصحفه فقالت : «وما يضرك أيّة آيةٍ قرأت قبلُ ، إنما نزل أولُ ما نزل منه سورةٌ فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام » وفي صحيح مسلم عن حذيفة أن النبي ﷺ صلى بالبقرة ثم بالنساء ثم بآل عمران في ركعة قال عياض في الإكمال « هو دليل لكون ترتيب السورة وقع باجتهاد الصحابة حين كتبوا المصحف ، وهو قول مالك رحمه الله وجمهور العلماء » وفي حديث صلاة الكسوف ؛ أن النبي قرأ فيها بسورتين طويلتين، ولما كانت جهرية فإن قراءته تينك السورتين لا تخفى على أحد ممن صلى معه ، ولذلك فالظاهر ؛ أن تقديم سورة آل عمران على سورة النساء في المصحف الإمام ما كان إلا اتباعا لقراءة النبي ﷺ ، وإنما قرأها النبي كذلك إما لأن سورة آل عمران سبقت في النزول سورةَ النساء التي هي من آخر ما أنزل ، أو لرعى المناسبة بين سورة البقرة وسورة آل عمران في الإفتتاح بكلمة الٓمٓ ، أو لأن النبي ﷺ وصفهما وصفا واحدا ، «ففي حديث أبي أمامة، أن النبي قال اقرأوا الزَّهْرَاوَين البقرةَ وآلَ عمران وذكر فضلهما يوم القيامة»، أو لما في صحيح مسلم أيضا عن حديث النوّاس ابن سِمْعان : أن النبي قال : «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تَقْدُمُه سورة البقرة وآل عمران ، وضرب لهما ثلاثة أمثال » الحديث . ووقع في تفسير شمس الدين محمود الأصفهاني الشافعي [1] ، في المقدمة الخامسة من أوائله : « لا خلاف في أن القرآن يجب أن

---

١ . هو محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني الشافعي المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، جمع في تفسيره الكشاف ، ومفاتيح الغيب ، وهو مخطوط بالمكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة بتونس .

يكون متواترا في أصله وأجزائه، وأما في محله ووضعه وترتيبه فعند المحققين من أهل السنة كذلك، إذ الدواعي تتوفر على نقله على وجه التواتر، وما قيل: التواتر شرط في ثبوته بحسب أصله وليس شرطا في محله ووضعه وترتيبه فضعيف، لأنه لو لم يشترط التواتر في المحل جاز أن لا يتواتر كثير من المكررات الواقعة في القرآن، وما لم يتواتر يجوز سقوطه » وهو يعنى بالقرآن ألفاظ آياته ومحلها دون ترتيب السور.

قال ابن بَطّال [1]: « لا نعلم أحدا قال بوجوب القراءة على ترتيب السور في المصحف، بل يجوز أن تقرأ الكهف قبل البقرة، وأما ما جاء عن السلف من النهى عن قراءة القرآن منكسا، فالمراد منه أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها ». قلت: أو يحمل النهي على الكراهة.

واعلم أن معنى الطولي والقصري في السور مراعى فيه عدد الآيات لا عدد الكلمات والحروف. وأن الإختلاف بينهم في تعيين المَكي والمدني من سور القرآن خلافٌ ليس بكثير. وأن ترتيب المصحف تخللت فيه السور المكية والمدنية. وأما ترتيب نزول السور المكية ونزول السور المدنية ففيه ثلاث روايات، إحداها ـ رواية مجاهد عن ابن عباس، والثانية رواية عطاء الخراساني عن ابن عباس، والثالثة لجابر بن زيد ولا تكون إلا عن ابن عباس، وهي التي اعتمدها الجعبري في منظومته التي سماها « تقريب المأمول في ترتيب النزول » وذكرها السيوطي في الإتقان، وهي التي جرينا عليها في تفسيرنا هذا» [2].

قال ابن عاشور: «أما ترتيب آيات السورة، فإن التنجيم في النزول من المعلوم كما تقدم آنفاً، وذلك في آياته وسوره فربما نزلت السورة جميعاً دفعة واحدة كما نزلت سورة الفاتحة وسورة المرسلات من السور القصيرة، وربما نزلت نزولا متتابعا كسورة الأنعام، وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة، وربما نزلت السورة مفرقة ونزلت السورتان مفرقتان في أوقات متداخلة، روى الترمذي عن ابن عباس عن عثمان بن عفان قال « كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العَدَد ـ أي في أوقات متقارنه ـ فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب

---

١. هو علي بن خلف بن بطال القرطبي ثم البلنسي المالكي المتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة. له شرح على صحيح البخاري.
٢. التحرير والتنوير ج ١ ص ٨٦ ـ ٩٠.

الوحي، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة كذا». ولذلك فقد تكون السورة بعضها مكياً وبعضها مدنياً. وكذلك تنهية كل سورة كان بتوقيف من النبي ﷺ، فكانت نهايات السور معلومة، كما يشير إليه حديث: «من قرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران» وقولُ زيد بن ثابت: «فقدت آخر سورة براءة». وقد توفي رسول الله والقرآنُ مسوَّر سُورا معينة، كما دل عليه حديث اختلاف عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم بن حزام في آيات من سورة الفرقان في حياة النبي ﷺ، كما تقدم في المقدمة الخامسة. وقال عبدالله بن مسعود في سُور: بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: «هُن من العِتاق الأُوَل وهُنَّ من تِلادي»[1].

قال النهاوندي (ره): في أنّ ترتيب سور القرآن وآياته كان بأمر الله ووحيه:-

لا ريب في أنّ لآيات الكتاب العزيز وسوره ترتيباً مرضيًا عندالله، ثابتاً في اللّوح المحفوظ، منزلا على النبي ﷺ بواسطة جبرئيل ﷺ، لأنّ حسن الترتيب والنظم مما له مدخل تام في حسن الكتاب، وفي القرآن المجيد الذي هو أحسن الكتب ومطالبه أحسن الحديث، والعلوم المنطوية فيه أشرف العلوم وأعلاها، وبيانه في الفصاحة والبلاغة فوق طوق البشر لابد من أن يكون ترتيبه على أحسن الوجوه، ونظمه أحسن النظام، بل قال بعض العلماء: إن حسن نظم آيات القرآن وسوره من وجوه إعجازه ومن بدايع إسلوبه، وعلى هذا لابُد أن يكون نظمه وترتيبه من قبل الله تعالى ولا يكون من البشر، ويؤيّد ذلك أنّ الله تعالى أضاف الكتاب الكريم إلى ذاته المقدسة، ومن الواضح أنّ الكتاب اسم لمجموع المطالب المرتبة المنظمة، فإذا ألَف أحد الأحاديث النّبويّة وبوّبها ورتبها في دفتر، أو جمع شخص خطب أمير المؤمنين ﷺ في ديوان منظماً ومرتباً، لا ينسب ذلك الدفتر والديوان إلى النبي وأميرالمؤمنين صلوات الله عليهما، بل يضاف إلى المؤلف والجامع، وعلى هذا يدل اطلاق كتاب الله في الآيات الكريمة والروايات المتواترة على هذه المجموعة المرتبة المنظمة، على أنّ عُلومها وعباراتها ونظمها وترتيبها وتأليفها من الله تعالى لا شريك له فيها من خلقه، ويدل على ذلك ما روى عن عثمان بن أبي العاص

١. التحرير والتنوير ج ١ ص ٩١ـ٩٢.

قال : « كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : أتاني جبرئيل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : ﴿أنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾[1] إلى آخرها وما روى من أنّ جبرئيل عليه السلام لما أتى بآية : ﴿ واتّقوا يَوماً تُرجَعُونَ فِيهِ إلىَ اللّهَ ﴾ [2] قال : « ضعها بين آيتي الرّبا والدّين » وفي رواية : « ضعها بعد مأتين وثمانين آية من سورة البقرة » .

وما روي عن النبي ﷺ : قال : «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وغير ذلك من الروايات» .

وممّا ذكرنا ظهر أنّه بعد ما ثبت أنّ جمع الكتاب الكريم كان في زمان النبي ﷺ وبأمره ، لابدّ من القول : بكون ترتيب جميع آياته وسوره مطابقاً للترتيب الذي أوحى الله به إلى نبيّه ، وموافقاً لما نزل به جبرئيل عليه السلام ، فكلما نزل من الآيات والسور كان يأمر النبي ﷺ كتاب الوحي بكتابته في موضعها الذي يأمر جبرئيل بوضعها في ذلك الموضع ، مع أنّ النبي ﷺ كما كان مأموراً بتبليغ أصل الآيات والسور إلى الأمة كان ماموراً بتبليغ نظمها وترتيبها إليهم، ولا يمكن منه التقصير في التبليغ وأداء وظيفة الرّسالة ، فكلّ من كان حافظاً للآيات والسور كان عالماً بترتيبها ونظمها ، وكلّ من جمع القرآن في عصره ﷺ كان جمعه على الترتيب المأمور به ، مع أنّ كثيراً من الصّحابة كانوا يعرضون على النبي ﷺ كلّما حفظوه من القرآن أو جمعوه ، فلو لم يكن على الترتيب المنزل لكان النبي ﷺ يغيّره.

فتحصل من جميع ذلك : أنّ كلّما كتبه كتاب الوحي وكلما جمعه الصحابة من القرآن في عصر النبي ﷺ لاجرم كان موافقاً في النظم والترتيب لما كان له من النظم في اللوح المحفوظ ، ويؤيّد ذلك ما روى عن ابن الزّبير قال : قلت لعثمان : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول ﴾ [3] قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها قال : يابن أخي لا أغيّر شيئاً منه من مكانه .

وما رواه مسلم عن عمر قال : ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر ممّا سألته عن كلالة ،

---

١. سورة النحل : الآية ٩٠.
٢. سورة البقرة : الآية ٢٨١ .
٣. سورة البقرة : الآية ٢٤٠ .

حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: «يكفيك آية الصَّيف التي في آخر سورة النساء».

وما روته عايشة: من أنّ النبي ﷺ كان يقرأ في الليل سورة البقرة وآل عمران والنساء.

وقال السيد المرتضى رضوان الله عليه: «إنّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان (أي عصر النبي ﷺ، إلى أن قال: وإنّ جماعة من الصّحابة مثل: عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدّة ختمات، وكلّ ذلك يدل بادنى تأمّل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوت».

أقول: كلّ ذلك يورث القطع بأنّ ترتيب الآيات والسّور لم يكن بأهواء الصّحابة وسلفهم، بل كان بوحي الله وأمر رسوله ﷺ[1]».

قال الطباطبائي (ره): «...ان ترتيب السور إنما هو من الصحابة في الجمع الأول والثاني، ومن الدليل عليه ما تقدم في الروايات من وضع عثمان الأنفال وبراءة بين الأعراف ويونس، وقد كانتا في الجمع الأول متأخرتين.

ومن الدليل عليه ما ورد من مغايرة ترتيب مصاحف سائر الصحابة للجمع الاول والثاني كليهما، كما روي ان مصحف علي عليه السلام كان مرتباً على ترتيب النزول، فكان اوله إقرأ ثم المدثّر ثم نون ثم المزّمّل ثم تبّت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني، نقله في الإتقان عن ابن فارس، وفي تاريخ اليعقوبي ترتيب آخر لمصحفه عليه السلام.

ونقل عن ابن أشتة في المصاحف بإسناده عن أبي جعفر الكوفي ترتيب مصحف أُبيّ وهو يغاير المصحف الدائر مغايرة شديدة، وكذا عنه فيه بإسناده عن جرير بن عبد الحميد ترتيب مصحف عبدالله بن مسعود آخذاً من الطوال ثم المئين ثم المثاني ثم المفصّل، وهو أيضاً مغاير للمصحف الدائر.

وقد ذهب كثير منهم إلى أن ترتيب السور توقيفي، وأن النبي ﷺ هو الذي أمر بهذا الترتيب بإشارة من جبريل بأمر من الله سبحانه، حتى أفرط بعضهم فادّعى ثبوت ذلك بالتواتر، وليت شعري أين هذا التواتر وقد تقدّمت عمدة روايات الباب ولا اثر فيها من هذا المعنى؟، وسيأتي استدلال بعضهم على ذلك بما ورد من نزول القرآن من اللوح

---

١. نفحات الرحمن ج ١ ص ١٢.

المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة، ثم منها على النبي ﷺ تدريجاً.

وثالثاً: أن وقوع بعض الآيات القرآنية التي نزلت متفرقة موقعها الذي هي فيه الآن لم يخل عن مداخلة من الصحابة بالاجتهاد، كما هو ظاهر روايات الجمع الأول وقد تقدمت.

وأما رواية عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ: «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من السورة: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ الآية فلا تدلّ على أزيد من فعله ﷺ في بعض الآيات في الجملة لا بالجملة، وعلى تقدير التسليم لا دلالة لما بأيدينا من الروايات المتقدمة على مطابقة ترتيب الصحابة ترتيبه ﷺ، ومجرّد حسن الظن بهم لا يسمح للروايات بدلالة تدلّ بها على ذلك، وإنما يفيد أنهم ما كانوا ليعمدوا إلى مخالفة ترتيبه ﷺ فيما علموه لا فيما جهلوه. وفي روايات الجمع الأول المتقدمة أوضح الشواهد على أنهم ما كانوا على علم بمواضع جميع الآيات ولا بنفسها.

ويدلُّ على ذلك الروايات المستفيضة التي وردت من طرق الشيعة وأهل السنة؛ أن النبي ﷺ والمؤمنين إنما كانوا يعلمون تمام السورة بنزول البسملة، كما رواه أبو داود والحاكم والبيهقي والبزّار من طريق سعيد بن جبير - على ما في الإتقان - عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم)، وزاد البزّار: فإذا نزلت عرف أن السورة قد ختمت و استقبلت أو ابتدأت سورة أُخرى.

وأيضاً عن الحاكم من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس قال: كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل (بسم الله الرحمن الرحيم) فإذا نزلت علموا أن السورة قد انقضت، إسناده على شرط الشيخين.

وأيضاً عنه من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس أن النبي ﷺ إذا جاءه جبريل فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) علم أنها سورة، إسناده صحيح.

أقول: وروي ما يقرب من ذلك في عدة روايات أُخر وروي ذلك من طرق الشيعة عن الباقر عليه السلام.

والروايات - كما ترى - صريحة في دلالتها على أن الآيات كانت مرتّبة عند النبي ﷺ بحسب ترتيب النزول، فكانت المكيّات في السورة المكيّة والمدنيّات في

سورة مدنيّة ، اللهم إلا أن يفرض سورة نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة ، ولا يتحقق هذا الفرض إلا في سورة واحدة .

ولازم ذلك أن يكون ما نشاهده من اختلاف مواضع الآيات مستنداً إلى اجتهاد من الصحابة .

توضيح ذلك : أن هناك ما لايحصى من روايات أسباب النزول يدل على كون آيات كثيرة في السور المدنية نازلة بمكة و بالعكس ، وعلى كون آيات من القرآن نازلة مثلاً في أواخر عهد النبي ﷺ وهي واقعة في سور نازلة في أوائل الهجرة ، وقد نزلت بين الوقتين سور اخرى كثيرة ، وذلك كسورة البقرة التي نزلت في السنة الاولى من الهجرة وفيها آيات الربا ، و قد وردت الروايات على أنها من آخر ما نزلت على النبي ﷺ حتى ورد عن عمر أنه قال : مات رسول الله ولم يبين لنا آيات الربا ، وفيها قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾[1] ، وقد ورد أنها آخر ما نزل من القرآن على النبي ﷺ .

فهذه الآيات النازلة مفرقة الموضوعة في سور لاتجانها في المكية والمدنية موضوعة في غير موضعها بحسب ترتيب النزول وليس إلا عن اجتهاد من الصحابة .

ويؤيد ذلك ما في الإتقان عن ابن حجر : وقد ورد عن علي ؛ أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ ، أخرجه ابن أبي داود وهو من مسلمات مداليل روايات الشيعة .

هذا ما يدل عليه ظاهر روايات الباب المتقدمة ، لكن الجمهور أصرّوا على أن ترتيب الآيات توقيفي ، فآيات المصحف الدائر اليوم وهو المصحف العثماني مرتبة على ما رتبها عليه النبي ﷺ بإشارة من جبريل ، و أوّلوا ظاهر الروايات بأن جمع الصحابة لم يكن جمع ترتيب ، وإنما كان جمعاً لما كانوا يعلمونه ويحفظونه عن النبي ﷺ من السور وآياتها المرتبة ، بين دفتين وفي مكان واحد .

وأنت خبير بأن كيفية الجمع الأول الذي تدلّ عليها الروايات تدفع هذه الدعوى دفعاً صريحاً .

---

١. سورة البقرة : الآية ٢٨١.

وربما استدل عليه بما ادّعاه بعضهم من الاجماع على ذلك، فقد نقل السيوطيّ في الاتقان عن الزركشي دعوى الإجماع عليه، و عن أبي جعفر بن الزبير: نفي الخلاف فيه بين المسلمين، وهو إجماع منقول لايعتمد عليه بعد وجود الخلاف في أصلى التحريف ودلالة ما تقدم من الروايات على خلافه.

وربما استدل عليه بالتواتر، ويوجد ذلك في كلام كثير منهم ادّعوا تواتر الترتيب الموجود عن النبي ﷺ، وهو عجيب، وقد نقل في الإتقان بعد نقله ما رواه البخاري وغيره بعدة طرق عن أنس أنه قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد، وفي رواية «أبي بن كعب» بدل أبي الدرداء وعن المازري أنه قال: وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولامتمسّك لهم فيه، فإنا لانسلم حمله على ظاهره، سلمناه و لكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك؟ سلمناه لكن لايلزم من كون كل من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لايكون حفظ مجموعه الجم الغفير، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه، بل إذا حفظ الكلّ الكل ولو على التوزيع كفى، انتهى.

أما دعواه أن ظاهر كلام أنس غير مراد، فهو مما لايصغى إليه في الأبحاث اللفظية المبنية على ظاهر اللفظ إلا بقرينة من نفس كلام المتكلم أو ما ينوب منابه، أما مجرد الدعوى والاستناد إلى قول آخرين فلا.

على أنه لو حمل كلام أنس على خلاف ظاهره، كان من الواجب أن يحمل على أن هؤلاء الأربعة إنما جمعوا في عهد النبي ﷺ معظم القرآن وأكثر سوره وآياته، لاعلى أنهم وغيرهم من الصحابة جمعوا جميع القرآن على ما في المصحف العثماني، وحفظوا ترتيب سوره وآياته وضبطوا موضع كل واحدة واحدة منها عن آخرها، فهذا زيد بن ثابت نفسه - وهو أحد الأربعة المذكورين في حديث أنس و المتصدي للجمع الأول والثاني كليهما - يصرّح في رواياته؛ أنه لم يحفظ جميع الآيات.

ونظيره ما في الاتقان عن ابن أشتة في المصاحف بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال: مات أبوبكر ولم يجمع القرآن، وقتل عمر ولم يجمع القرآن.

وأما قوله : سلمناه.ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك؟، فمقلوب على نفسه ، فمن أين لهذا القائل . أن الواقع في نفس الأمر كما يدعيه وقد عرفت الشواهد على خلاف ما يدّعيه ؟!

وأما قوله : إنه يكفي في تحقق التواتر أن يحفظ الكل كل القرآن على سبيل التوزيع ، فمغالطة واضحة ، لأنه إنما يفيد كون مجموع القرآن من حيث المجموع منقولاً بالتواتر ، وأما كون كل واحدة واحدة من الآيات القرآنية محفوظة من حيث محلها وموضعها بالتواتر فلا ، وهو ظاهر .

ونقل في الإتقان عن البغوي أنه قال في شرح السنة : الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أخروه أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذيهو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا .

فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لافي ترتيبه ، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرقاً عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة انتهى .

ونقل عن ابن الحصار أنه قال: ترتيب السور و وضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي ؛ كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا ، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من رسول الله ﷺ ، وإنما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف انتهى ، ونقل أيضاً ما يقرب من ذلك عن جماعة غيرهم كالبيهقي والطيبي وابن حجر.

أما قولهم : إن الصحابة إنما كتبوا المصحف على الترتيب الذي أخذوه عن النبي ﷺ من غير أن يخالفوه في شيء ، فمما لايدل عليه شيء من الروايات المتقدمة ، وإنما المسلم من دلالتها أنهم إنما أثبتوا ما قامت عليه البينة من متن الآيات ، و لاإشارة في

ذلك إلى كيفية ترتيب الآيات النازلة مفرقة، وهو ظاهر، نعم في رواية ابن عباس المتقدمة عن عثمان ما يشير إلى ذلك، غير أن الذي فيه؛ أنه كان ﷺ يأمر بعض كتاب الوحي بذلك وهو غير إعلامه جميع الصحابة ذلك، على أن الرواية معارضة بروايات الجمع الأول، وأخبار نزول بسم الله وغيرها.

وأما قولهم: إن النبي ﷺ لقن الصحابة هذا الترتيب الموجود في مصاحفنا بتوقيف من جبريل ووحي سماوي، فكأنه إشارة إلى حديث عثمان بن أبي العاص المتقدم في آية: «إن الله يأمر بالعدل والاحسان» وقد عرفت مما تقدم أنه حديث واحد في خصوص موضع آية واحدة، وأين ذلك من مواضع جميع الآيات المفرقة؟.

وأما قولهم: إن القرآن مكتوب على هذا الترتيب في اللوح المحفوظ أنزله الله إلى السماء الدنيا، ثم أنزله الله مفرقاً عند الحاجة الخ، فإشارة إلى ما روي مستفيضاً من طرق الشيعة وأهل السنة من نزول القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزوله منها نجوماً إلى النبي ﷺ، لكن الروايات ليس فيها أدنى دلالة على كون القرآن مكتوباً في اللوح المحفوظ منظماً في السماء الدنيا على الترتيب الموجود في المصحف الذي عندنا، وهو ظاهر.

على أنه سيأتي إن شاء الله الكلام في معنى كتابة القرآن في اللوح المحفوظ ونزوله إلى السماء الدنيا، في ذيل ما يناسب ذلك من الآيات، كأول سورتي الزخرف والدخان، وسورة القدر.

وأما قولهم: إنه قد حصل اليقين بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ بهذا الترتيب الموجود في المصاحف، فقد عرفت أنه دعوى خالية عن الدليل وأن هذا التواتر لاخبر عنه بالنسبة إلى كل آية آية، كيف وقد تكاثرت الروايات أن ابن مسعود لم يكتب في مصحفه المعوذتين؟ وكانَ يقول: إنهما ليستا من القرآن وإنما نزل بهما جبريل تعويذاً للحسنين، وكان يحكهما عن المصاحف، ولم ينقل عنه أنه رجع عن قوله، فكيف خفي عليه هذا التواتر طول حياته بعد الجمع الأولّ؟ (١).

---

١. الميزان ج ١٢ ص ١٢٦ ـ ١٣٢.

قال الزحيلي : «. . . ولا خلاف بين العلماء في أن ترتيب آيات السور توقيفي منقول ثابت عن النبي ﷺ ، كما أن ترتيب السور أيضاً توقيفي على الراجح . أما دليل ترتيب الآيات فقول عثمان بن العاص رضي الله عنه : «كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوَّبه ، ثم قال : « أتاني جبريل ، فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : ﴿ إنَّ اللّه يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاء ذي القربى ﴾ [1]

وأما دليل ترتيب السور فهو حضور بعض الصحابة كابن مسعود ممن حفظوا القرآن عن ظهر قلب ، مدارسة القرآن بين جبريل ﷺ والنبي ﷺ ، وشهدوا بأنها كانت على وفق هذا الترتيب المعهود في السور وفي الآيات .[2]

قال المدرس في ترتيب آيات القرآن وسوره :

« أما ترتيب آيات القرآن في كلّ سورة منه ، فقد انعقد الإجماع على أنه كان بتوقيف [3] من الرسول ﷺ ، وأنه لا مجال للرأي والإجتهاد فيه ، بل كان جبريل ينزل بالآيات عليه ﷺ ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها ، ثم يقرأها النبي ﷺ على أصحابه ، ويأمر كُتّابَ الوحي بكتابتها مُعَيِّناً لهم السورةَ التي تكون فيها الآية وموضعَ الآية من هذه السورة . وكان يتلوها عليهم مراراً وتكراراً في صلاته وعِظاتِه ، وفي حكمه وأحكامه .

وكان يعارض به جبريل في كل عام مرة . وعارضه به في العام الأخير مرتين . كل ذلك كان على الترتيب المعروف لنا في المصاحف . وكذلك كان كل من حفظ القرآن أو شيئاً منه من الصحابة حفظه مرتّب الآيات على هذا النمط . وشاع ذلك وذاع ومَلأ البقاع والأسماع ، يتدارسونه فيما بينهم ، ويقرأونه في صلاتهم ، ويأخذه بعضهم عن بعض ، ويَسْمَعهُ بعضهم عن بعض بالترتيب القائم الآن . فليس لواحد من الصحابة والخلفاء الراشدين يَدٌ ولا تصرف في ترتيب شيء من آيات القرن الكريم ، بل الجمع الذي كان على عهد أبي بكر لم يتجاوز نقل القرآن من العسب واللخاف وغيرها إلى صحف . والجمع الذي كان على عهد عثمان لم يتجاوز نقله من الصحف إلى مصاحف . وكلا هذين كان على وفق الترتيب

---

١. سورة النّحل : الآية ٩٠. ٢. المنير ج ١ ص ٢٣ ـ ٢٤ .

٣. ولما لم يأمر بذلك في اول سورة (براءة) تركت بلا بسملة . هذا أصح ما قيل في ذلك .

المحفوظ المستفيض عن النبي ﷺ عن الله تعالى، أجَلْ إنعقد الإجماع على ذلك تاماً لا ريب فيه. وممن حكى هذا الإجماع جماعة، منهم: الزركشي في البرهان، وأبو جعفر في المناسبات، إذ يقول ما نصه: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين.

وأما ترتيب السور ففيه ثلاثة أقوال:

الأول: إن ترتيب السور على ما هو عليه الآن لم يكن بتوقيف من النبي ﷺ إنما كان باجتهاد من الصحابة، وينسب هذا القول إلى جمهور العلماء.

القول الثاني: إن ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول ﷺ كترتيب الآيات، وإنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر منه ﷺ. واستدل أصحاب هذا الرأي بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد.

وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف، لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، لكنهم لم يتمسكوا بها، بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم، وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعاً، ثم ساقوا روايات لمذهبهم كأدلة يستند إليها الإجماع.

منها ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن حذيفة الثقفي، قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف، إلى أن جاء في هذه الرواية ما نصه: فقال لنا رسول الله ﷺ طرَأ عليَّ حزبٌ من القرآن فأردت ألاّ أخرج حتى أقضِيَهُ(أي:أقرأهُ بتمامه). فسألنا أصحابَ رسول الله قلنا: كيف تحزبون القرآنَ؟ قالوا: نُحزِّبه ثلاث سور. وخَمْسَ سُور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة. وحزب المفصَّل من (ق) حتى نختم. قالوا: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ.

واحتجوا لمذهبهم أيضاً بأن السور المتجانسة في القرآن لم يُلتزم فيها الترتيب والولاء. ولو كان الأمر بالإجتهاد لَلوحِظَ مكانُ هذا التجانس والتماثل دائماً. لكن ذلك لم يكن؛ بدليل أن سور المسبحات لم ترتب على التوالي بينما هي متماثلة في افتتاح كل منها

بتسبيح الله ، بل فصل بين سورها بسورة (قد سمع) و (الممتحنة) و (المنافقين) . وبدليل أن طسم الشعراء ، وطسمْ القصص لم يتعاقبا مع تماثلهما ، بل فصل بينهما بسورة أقصر منهما وهي (طس) .

وقد أيد هذا المذهب أبو جعفر النحاس ، فقال : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ ، لحديث واثلة : أُعْطيتُ مَكانَ التوراة السَّبعَ الطوال . وكذلك انتصر أبو بكر الأنباري لهذا المذهب فقال : أنزل الله القرآن إلى سماء الدنيا ، ثم فرَّقه في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر . ويقف جبريلُ النبيَّ ﷺ على موضع السورة والآيات والحروف ، كله من النبي ﷺ فمن قدّم سورة أو أخرّها أفسد نظم القرآن .

وأخرج ابن أشته في كتاب المصاحف من طريق ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، قال : سمعت ربيعة يسأل : لم قدمت البقرة وآل عمران وقد أنزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة ، وإنما أنزلتا بالمدينة ؟ فقال : قدّمتا وألّف القرآن على علم ممن ألفه به ، إلى أن قال : فهذا مما ينتهى إليه ولا يسأل عنه .

القول الثالث : إن ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة ، وقد ذهب إلى هذا الرأي فطاحلُ من العلماء ، ولعله أمثَلُ الآراء؛ لأنه وردت أحاديث تفيد ترتيب البعض كما مرّ بك من الرأي الثاني القائل بالتوقيف ، وخلا البعض الآخر مما يفيد التوقيف ، بل وردت آثار تصرح بأن الترتيب في البعض كان عن اجتهاد . بَيدَ أن المؤيدين لهذا المذهب اختلفوا في السور التي جاء ترتيبها عن توقيف والسور التي جاء ترتيبها عن اجتهاد ، فقال القاضي أبو محمد ابن عطية : إن كثيراً من السور قد علم ترتيبها في حياة النبي ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصّل، وأما ما سوى ذلك فيمكن أن يكون فرض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نصّ عليه ابن عطية ، ويبقى فيها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف كقوله ﷺ : «إقرأوا الزّهراوين : البقرة ، وآلَ عمران» ، رواه مسلم .

وكحديث سعيد بن خالد : قرأ رسول اللّه ﷺ بالسبع الطوال في ركعة ، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه . وفيه أنه ﷺ كان يجمع المفصل في ركعة .

وروى البخاري عن ابن مسعود أنه قال ﷺ : قال في بني اسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء : إنّهنّ مِنَ العِتاقِ الأولِ ، وهُنّ مِن تِلادي. المراد بالتلادِ : ما نَزَلَ أوّلاً . فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها .

وفي صحيح البخاري : أنه ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفّيه ثم نفث فيهما فقرأ : ﴿قل هو اللّه أحَد﴾ ، والمعوّذتين .

وقال السيوطي ما نصه : الذي يشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي ؛ وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا (براءة) و (الأنفال) . وحينئذ فلا يرد حديث قراءة النساء قبل آل عمران ، لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب . ولعله فعل ذلك لبيان الجواز .

والأمر على كل حال سهل حتى لقد حاول الزركشي في البرهان أن يجعل الخلاف من أساسه لفظياً. فقال : والخلاف بين الفريقين أي القائلين بأن الترتيب عن اجتهاد والقائلين بأنه عن توقيف لفظي، لأن القائل بالثاني، يقول : إنه رَمَزَ إليهم ذلك لعلمهم أسباب نزوله ومواقع كلماته . ولهذا قال مالك : إنما ألّفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ، مع قوله: بأن ترتيب السور كان باجتهاد منهم . فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي ، أو بمجرد إسناد فعلي بحيث يبقى لهم مجال للنظر . وسبقهم الا ذلك جعفر بن الزبير .

وسواء أكان ترتيب السور توقيفياً أم اجتهادياً ، فإنه ينبغي احترامه خصوصاً في كتابة المصاحف، لأنه عن إجماع الصحابة والإجماع حجة ، ولأن خلافه يجرّ إلى الفتنة ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب[1].

---

١. مواهب الرحمان ج ١ ص ٣٦ ـ ٤١.

تناسب السور والآيات

قال النهاوندي (ره) في أن ترتيب القرآن ليس بترتيب النزول ، بل لمناسبات لطيفة :

« لا شبهة في أن الترتيب المقرر عند الله المنزل على النبي ﷺ بين الآيات والسور لمناسبات لطيفة ، وروابط منيفة ، ونكت بديعة ، وحكم بليغة، لا يعلم جميعها إلا الله والراسخون في العلم ، ولا يدركها إلا من نوّر الله قلبه وخص بالإنقياد والطاعة ربّه ووهب له فهم القرآن وباشر روحه روح الإيمان .

قال بعض العلماء: « أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط » .

وقال آخر : « من تأمل في لطائف نظم السور وفي بدايع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحةالفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته»[1].

وقال آخر : « ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني ، علم عظيم » .

هذا ولعمري أن ما ذكرته بالنظر إلى حكمة الله البالغة وعدم امكان وضعه الشيء في غير موضعه ، وترجيحه امراً بلا مرجح ، من أوضح الواضحات وابين البينات ، غنى عن الإستدلال والتأييد بأقوال الرجال ، والعجب مع ذلك من بعض حيث قال :

« علم المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد

---

١ . مناهل العرفان ص ٧٣ .

مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه، إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لإسباب مختلفة، وما كان كذلك لايتأتى ربط بعضه ببعض» إنتهى.

فإن مثل هذا الكلام في ترتيب كلام الله لاينبغي صدوره من عاقل فضلاً عن فاضل، إذ من الواضح إن كل من ألّف كتاباً مشتملاً على مطالب متفرقة وقضايا متشتتة يلاحظ البّة[١] في ترتيبها مناسبة وارتباطاً، فكيف بالحكيم المتعال؟!.

فإن المناسبات بين القضايا المتفرقة والأحكام المختلفة كثيرة جداً، خصوصاً في نظر من كان عالماً بحقائق الأشياء وجهات الأمور، نعم فهم غير العلماء الراسخين الربانيين قاصر عن درك جميع المناسبات اللطيفة المنظورة للطيف الخبير، ولذا لم يحم حوله المفسرون، فلم يخض فيه المتبحرون، نعم تكلف قليل من علماء العامة لبيانها واجالوا الفكر في هذه العرصة مع عدم كونهم من فرسانها، وأين لهم التمكن في هذا القصر المشيد، وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد حيث إنهم ماثقفوا بحبل الله المتين وما أتخذوا سبيلاً مع الهداة الراسخين، وأنّي وإن سلكت في هذا الطريق الزليق وغصت في هذا البحر العميق وخضت كالذي خاضوا وافضت من حيث أفاضوا غير أني لمعرفتي بقصوري ما غصصت على ما نلت بضرس قاطع وما حكمت فيما قلت على أنه هو الحق الواقع، بل أبديت ما يليق بالظن والإحتمال لألايتوهم في ترتيب الكتاب العزيز ما توهمه هذا البعض من الأمر المحال.

قال الشيخ ولي الدين الملوي: «قد وهم من قال: «لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب، إنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتاصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين اسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم

---

١. كذا والصحيح: البتّة.

المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم ، وهكذا في السور يطلب وجه إتصالها لما قبلها وما سبقت له »[١].

قال بعض العلماء : « سورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والإلتجاء إليه في دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية .

وسورة البقرة تضمنت قواعدالدين وإقامة الدليل عليه، وآل عمران مكملة لمقصودها ، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى ، وفي البقرة ذكران الحج مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع، وأوجب الشروع فيه في آل عمران ،وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر ، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر ، لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها ، والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر ، كماكان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء فخوطب به جميع الناس ، والسور المدنية فيها خطاب مَن أقرَّ بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين ، فخوطبوا بيا أيها الذين آمنوا ويا أهل الكتاب ويا بني اسرائيل .

وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس وهي نوعان مخلوقة للّه ومقدورة لهم ، كالنسب والصهر ، ولذا افتتحت بقوله : ﴿ اتقوا رَبَّكُم الذَّي خَلَقكم مِنْ نَفسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوْجَها ﴾، ثم قال : ﴿ واتقوا اللّه الذّي تَساءَلوُنَ بِهِ وَالأرحام ﴾ [٢]، فأنْظُرْ هذه المناسبة العجيبة في الإفتتاح وبراعة الإستهلال ، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر السورة في أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالأرحام، فإن إبتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم خلق زوجته منه، ثم بث منهما رجالاً كثيراً ونساء كثيرة .

وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرايع ومكملات الدّين، والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة وبها تمّ الدِّين؛ فهي سورة التكميل، لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو تمام الإحرام ، وتحريم الخمر الذي هو تمام حفظ العقل والدِّين، وعقوبة

---

١ ـ مناهل العرفان ص ٧٣ ـ ٧٤ .
٢ ـ سورة النساء : الآية ١ .

المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ، كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل ذي دين، ولهذا أكثر فيها من ذكر الإكمال والإتمام، وذكر فيها إن من ارتد عوض الله بخير منه ولا يزال هذا الدين كاملاً، ولهذا ورد أنها آخر سورة نزلت وفيها من إشارات الختم والتمام، وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات أحسن الترتيب».

وقال بعض آخر: إذا اعتبرت إفتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء، كما قال تعالى: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالحقّ وَقيل الحَمْدُلِلّهِ رَبّ العَالَمين [١] ﴾ وكافتتاح سورة فاطر بالحمد، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿ وحيل بَيْنَهُم وَبَيْنَ ما يَشتَهوُن كما فُعِلَ بِأشْياعِهِم مِنْ قَبل ﴾ [٢]، كما قال تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْم الَّذينَ ظَلَمُوا وَالحَمدُلِلّهِ رَبِّ العالَمِيْن ﴾ [٣].

أقول: الغرض من نقل هذه العبائر والوجوه هو التأييد، وإن قلنا: إن المدعى لوضوحه غني عنه [٤].

قال ابن عربي في المناسبة بين آي القرآن:

«لابد من مناسبة بين آي القرآن من نسق بعضها إلى بعض، فيُعرَفُ الجامع بين الآيتين وإن كان بينهما بعد ظاهر، فذلك صحيح، ولكن لابد من وجه جامع بين الآيتين مناسب هو الذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات، لأنه نظم إلهي، وما رأينا أحدا ذهب إلى النظر في هذا إلا الرماني من النحويين، فإن له تفسيراً للقرآن، أخبرني من وقف عليه أنه نحا في القرآن هذا المنحى، ولذلك نقول إن كل آية في الهجيرات تؤخذ على إنفرادها كما سطرت، وعند أهل التحقيق هذا المأخذ وإن كان عالي الأوج، فإن مسمى الآية إذا لزمتها أمور من قبل أو بعد، يظهر من قوة الكلام أن الآية تطلب تلك اللوازم

١. سورة الزمّر: الآية ٧٥.
٢. سورة سبأ: الآية ٥٤.
٣. سورة الانعام: الآية ٤٥.
٤. نفحات الرحمن ج ١ ص ١٢ ـ ١٣.

فلا تكمل الآية إلا بها ، وهو نظر الكامل من الرجال ، فمن ينظر في كلام اللّه على هذا النمط، فإنه يفوز بعلم كبير وخير كثير . فإن الحق سبحانه لايعيّن لفظاً ولا يقيد أمراً إلا وقد أراد من عباده أن ينظروا فيه من حيث ما خصصه وأفرده لتلك الحالة، أو عيّنه بتلك العبارة، ومتى لم ينظر الناظر في هذه الأمور بهذه العين ، فقد غاب عن الصواب المطلوب »[١].

قال البقاعي : « علم المناسبات الأهم[٢] من مناسبات القرآن وغيره [علم ـ] تعرف منه علل الترتيب . موضوعه أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء[٣] بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الإرتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب[٤]،فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني[٥] لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة[٦] فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها . ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها ، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو . وطالعت على ذلك كتاب العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الأندلسي « المعلم بالبرهان في ترتيب سور القرآن »، وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط ، لايتعرض فيه للآيات ، وسأذكر في أول كل سورة ماقاله فيها بلفظه ، كما ستراه إن شاء اللّه تعالى ، ثم ظفرت بكتاب الإمام بدر الدين [محمد] بن عبداللّه الزركشي المصري الشافعي سماه « البرهان في علوم القرآن »، فرأيته ذكر فيه مايعرف بمقدار كتابي هذا ، فقال في النوع[٧] الثاني منه: ـ وهو في المناسبة ـ: قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين ، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط ، وقال القاضي أبو بكر بن العربي في « سراج المريدين » : ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكوّن[٨] كالكلمة الواحدة

١. رحمة من الرحمن ج ١ ص ١٣ ـ ١٤.
٢. في نسخة : الأعم.
٣. وفي نسخة : الجزا.
٤. في نسخة : كلمة ـ كذا مصحفا.
٥. في نسخة : المقال.
٦. في نسخة : الإجارة.
٧. في نسخة : تكون.
٨. تكون.

متسعة [١] المعاني منتظمة المباني ، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله عزوجل لنا فيه ، فلمّا لم نجد له حَمَلة [٢] ورأينا الخلق [٣] بأوصاف البطلة ختمنا [٤] عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورردناه إليه . ونقل الزركشي عن سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، أنه قال ماحاصله : المناسبة علم حسن ، لكن يشترط حسن [٥] ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد [٦] مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة ، وماكان كذلك لايتأتى ربط بعضه ببعض قال الزركشي : وقال بعض مشايخنا المحققين : قد وهم من قال : لايطلب للآي الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل [٧] الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ، مرتبة سوره [٨] كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، والذي ينبغي في كل آية [٩] أن يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة [١٠] لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم ـ إنتهى . قلت : والشيخ المشار إليه هو العارف ولي الله [١١] محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي ذكر ذلك [١٢] في كلام

---

١ . كذا في الأصل ، وفي نسخة : متسقة .
٢ . في نسخة : جملة .
٣ . في نسخة : الخلائق .
٤ . في نسخة : حتمنا ـ بالحاء المهملة .
٥ . في نسخة : أحسن .
٦ . في نسخة : متجه .
٧ . في تفسير القرآن المسمى بتبصير الرحمن للإمام الشيخ العلامة علي المهائمي : فأمكنني أن أبرزهن من خدورهن ليرى البرايا جمالهن صور الإعجاز من بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعد ماكان يعد من قبيل الإلغاز فيظهر به أنها جوامع الكلمات ولوامع الآيات لا مبدل لكلماته ولا معدل عن تحقيقاته فكل كلمة سلطان دارها وكل آية برهان جارها ، وإن ماتوهم فيها من التكرار فمن قصور الأنظار الحاجزة عن الإستخبار ، ولابد منه لتوليد الفوائد الجمة من العلوم المهمة وتقرير الأدلة القويمة وكشف الشبه المدلهمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها ولا تطويل في إضمار المقدمات ، ولا إبعاد في اعتبار المناسبات ـ إلخ .
٨ . في الأصل والنسخ كلها : سورة ـ كذا .
٩ . زيد في نسخة : في .
١٠ . وفي نسخة : مكملة .
١١ . وفي نسخة : الدين .
١٢ . في نسخة : ذكرته .

مفرد على قوله تعالى: ﴿ وهو الذي جعلكم خلئف الأرض ﴾ [١]، ﴿ ونُريد أن نمنّ على الذين استضعفوافي الأرض [٢] ﴾.

ونقل الإمام شمس الدين محمود الأصفهاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ آمن الرسول ﴾ [٣] عن الإمام الرازي أنه قال: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين [٤] قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين [٥] لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته
فالذنب [٦] للطرف لا للنجم في الصغر إنتهى.

وانتفعت في هذا الكتاب كثيرا بتفسير علىٰ وجه كلي للإمام الرباني أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحَرَالّي - بمهملتين مفتوحتين ومد وتشديد اللام - المغربى نزيل حماة من بلاد الشام، (سماه مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل) وكتاب العروة لهذا المفتاح يذكر فيه وجه إنزال الأحرف السبعة وماتحصل به قراءتها، وكتاب (التوشية والتوفية) في فصول تتعلق بذلك، وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابى [هذا -] معزوا إليه في مواضع تليق [به -] ثم بعد وصولى إلى سورة الأنفال ملكت جزءاً من تفسيره فيه من أوله إلى: ﴿ إن الله اصطفى ﴾ [٧] في آل عمران، فرأيته عديم النظير وقد ذكرت [٨] فيه المناسبات، وقد ذكرت ما أعجبني منها وعزوته إليه، يسّر الله الإطلاع على بقيته بحوله وقوته، وبعد أن وصلت إلى سورة الكهف ذكر لي أن تفسير ابن النقيب الحنفي وهو في نحو ستين مجلداً يذكر فيه المناسبات، و في خزانة جامع الحاكم كثير منه، فطلبت منه جزءاً فرأيت الأمر كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها، وإلى القصص لا جميع

---

١. سورة الانعام: الآية ١٦٥.
٢. سورة القصص: الآية ٥.
٣. سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
٤. في نسخة: الذي.
٥. في نسخة: منتهبين.
٦. في الأصل فقط: والذنب.
٧. سورة آل عمران: الآية ٣٣.
٨. في نسخة: ذكر.

آياتها، ومن نظر كتابي هذا مع غيره علم النسبة بينهما، والله الموفق. وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، [وذلك ـ] أنه يكشف أن للإعجاز طريقين؛ أحدهما: نظم كل جملة على حيالهابحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولا وأسهل ذوقاً، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتزّ لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة [١] بنشاط ورهبة مع انبساط لاتحصل [٢] عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تَلَتْه [٣] وماتلاها خفي عليه وجه ذلك ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ماكان حصل له بالسماع من الهز والبسط [٤]، ربما [٥] شككه ذلك [بكثير ـ ١] وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه، وربما وقف مكيس من أذكياء المخالفين عن الدخول في هذا الدين بعد ما وضحت لديه دلائله وبرزت له من حجالها دقائقه وجلائله، لحكمة أرادها منزله وأحكمها مجمله ومفصله، فإذا استعان بالله [٦] وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل وإظهار العجز والوثوق بأنه في الذروة من أحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى واللفظ، لكونه كلام من جل عن شوائب النقص وحاز صفات الكمال إيمانا بالغيب وتصديقا للرب، قائلا [ما ـ] قال الراسخون في العلم: ﴿ **ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾[٧] فانفتح له ذلك الباب ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار، رقص الفكر منه طربا وشكر والله استغرابا وعجبا، وشاط [٨] لعظمة ذلك جنانه فرسخ من غير مرية[٩] [إيمانه ـ] ، ورأى أن المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف بديعة الرصف [١٠] عالية [١١] الأمر عظيمة القدر، مباعدة لمعاني الكلام على

---

١. في نسخة: روحة.
٢. في نسخة: لايحصل.
٣. وقع في الأصل فقط: تلقه ـ محرفاً.
٤. في نسخة: النشاط.
٥. في نسخة: فربما، وفي الأصل: بما.
٦. في نسخة: الله ـ بدون حرف الجر.
٧. سورة آل عمرآن، آلاية ٨.
٨. أي احترق، وفي نسخة: طاش، أي ذهب.
٩. في نسخة: مريبة.
١٠. في النسخ كلها: الوصف، والصحيح: الرصف، أي ضم البعض إلى البعض.
١١. في نسخة: عليته.

أنها منها أخذت ، فسبحان [١] من أنزله وأحكمه وفصله وغطاه وجلاه ، وبينه غاية البيان وأخفاه ، وبذلك أيضاً يوقف على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون لتضييع [٢] هذا الباب من غير ارتياب ، منها [٣] قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ﴾[٤] ـ الآيتين ، ومنها قوله تعالى في سورة النساء : ﴿فضل اللّه المجٰهدين بأموالهم وأنفسهم على القٰعدين درجة ﴾[٥] مع قوله عقيبه : ﴿وفضل اللّه المجٰهدين على القٰعدين أجراً عظيما درجٰت ﴾[٦]، وقوله تعالى في آخر هود : ﴿ فلاتك في مرية ممايعبد هؤلاء ﴾[٧] الآية ـ إلى غير ذلك ، وقوله تعالى في سبحان : ﴿ ويسئلونك عن الروح ﴾[٨] الآية ، وقوله تعالى في السجدة : ﴿ قل يتوفّكم ملك الموت ﴾[٩] وقوله تعالى في يٰس : ﴿ أنهم إليهم لايرجعون﴾[١٠][١١] . مما تراه وينكشف لك غامض معناه ، وبه يتبين[١٢] لك أسرار القصص المكررات ، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنىٰ الذي سيقت [١٣] له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت [١٤] النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل، مع أنها[١٥] لايخالف [١٦] شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة ، وعلىٰ قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها . ولقد شفاني بعض فضلاء العجم وقد سألته عن شيء من ذلك فرآه مشكلا ، ثم قررت [١٧] إليه [١٨] وجه مناسبته، وسألته هل وضح له ؟ فقال : ياسيدي ! كلامك هذا يتسابق إلى الذهن . فلا تظنن أيها الناظر لكتابي هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرفع

---

١ . في نسخة : سبحان .
٢ . في نسخة : لتصييع ـ كذا .
٣ . في نسخة : منه .
٤ . سورة البقرة : الآية ١٣٣ .
٥ . سورة النساء : الآية ٩٥ .
٦ . سورة النساء : الآية الآية ٩٥ ـ ٩٦ .
٧ . سورة هود : الآية ١٠٩ .
٨ . سورة الإسراء : الآية ٨٥ .
٩ . سورة سجدة : الآية ١١ .
١٠ . سورة يٰس : الآية ٣١ .
١١ . في نسخة : إلى غير ذلك .
١٢ . في نسخة : تتبين .
١٣ . في نسخة : سبقت ـ بالباء الموحدة .
١٤ . في نسخة : تغير .
١٥ . في نسخة : إنه .
١٦ . في نسخة : تخالف .
١٧ . كذا ، والظاهر : قربت .
١٨ . في نسخة : له .

لستورها[١]، فرب آية أقمت[٢] في تأملها شهوراً، منها: ﴿ وإذ غدوت من أهلك ﴾[٣] في آل عمران، ومنها: ﴿ ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ﴾[٤] و ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلٰلة ﴾[٥]، ومن أراد تصديق ذلك فليتأمل شيئا من[٦] الآيات قبل أن ينظر ما قلته، ثم لينظره يظهر له مقدار ماتعبت وما حصل [إلى ـ[٧]] من قبل الله ومن العون، سواء كان ظهر له وجه لذلك عند تأمله أولا، وكذا إذا رأى ما ذكر غيري من مناسبات بعض الآيات. وبه أيضاً يتضح أنه لا وقف تام في كتاب الله ولا على آخر سورة: ﴿ قل أعوذ برب النّاس﴾[٨]،بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي[٩] أوله كاتصالها بماقبلها ،بل أشد إلا أن يحمل نفيهم لتعلقه على اللفظ مطلقا ولو خفيا[١٠]، و[١١]في الكافي[١٢]على اللفظ بقيد الجلاء، ولا تنكشف هذه[١٣] الأغراض أتم انكشاف إلا لمن خاض غمرة هذا الكتاب، وصار من أوله وآخره وأثنائه على ثقة وصواب، ومايذّكر إلا أُولوا الألباب.

وقد ذكر الزركشي نحو أربع ورقات من مناسبات بعض الآيات، وإذا تأملتها عظم عندك ما في هذا البحر الزاخر من نفائس الجواهر وبدائع السرائر، وقد أدرجت فيه مما ليس من بابه اليسير من غرائب التفسير مما لم أظفر به في كتاب مع أنه كالمثل يسير، والله أسأل أن يجعله موجبا لرضوانه والفوز الدائم في أعلى[١٤] جنانه »[١٥].

قال السعدي: « السياق يرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم إحتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته.

فانظر إلى قوله: ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾[١٦]، كيف تجد سياقه يدل على أنه

---

١. في نسخة: لسررها ـ كذا.
٢. في نسخة: أتت.
٣. سورة آل عمران: الآية ١٢١.
٤. سورة النساء: الآية ١٢٧.
٥. سورة النساء: الآية ١٧٦.
٦. زيد في نسخة: ذلك ـ كذا.
٧. في نسخة: إليّ.
٨. سورة الناس: الآية ١.
٩. في نسخة: من.
١٠. في نسخة: جفنا ـ كذا محرفا.
١١. في نسخة: للكافي.
١٢. في نسخة: للكافي.
١٣. في نسخة: هذا.
١٤. في نسخة: أملا.
١٥. نظم الدرر ج ١ ص ١٥ ـ ١٦.
١٦. سورة الدّخان: الآية ٤٩.

الذليل الحقير »[١].

قال سعيد حوّى : «... إعتماداً علىٰ حديث حسن سنراه اعتبرنا أن القرآن يتألف من أربعة أقسام : قسم الطوال ، وقسم المئين ، وقسم المثاني ، وقسم المفصَّل ، وبناءً على معانٍ سنراها اعتبرنا أن السبع الطوال تنتهي بإنتهاء سورة (براءة) ، وأن قسم المئين ينتهي بإنتهاء سورة (القصص) ، وأن قسم المثاني ينتهي بإنتهاء سورة (ق) ، وأن قسم المفصَّل ينتهي بإنتهاء القرآن ، وبناءً على تتبع المعاني رأينا أن كلاً من القسم الثاني والثالث والرابع يتألف من مجموعات متعددة من السور ، كل مجموعة تشكل وحدة في قسمها .

إن الخاصية الأولى لهذا التفسير : قد تكون ميزته الرئيسية أنه قدم لأول مرة ـ فيما أعلم ـ نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية ، وهو موضوع حاوله كثيرون وألّفوا فيه الكتب ووصلوا فيه إلى أشياء كثيرة، ولكن أكثر ما اشتغلوا فيه ، كان يدور إما حول مناسبة الآية في السورة الواحدة ، أو مناسبة آخر السورة السابقة لبداية السورة اللاحقة ، ولم يزيدوا على ذلك ـ فيما أعلم ـ هذا مع ملاحظة أن الموضوع الأول نادراً من استوعبه والتزم به في تفسير كامل للقرآن ، وإذا التزم به فلم يكن ذلك على ضوء نظرية شاملة تحتوي مفاتيح الوحدة القرآنية .

ولقد منَّ الله عليَّ منذ الصغر أنني كنت كثير التفكير في أسرار الصلة بين الآيات والسور ، ووقع في قلبي منذ الصغر مفتاح للصلة بين سورة البقرة والسور السبع التي جاءت بعدها ، وهي بمجموعها تشكل القسم الأول من أقسام القرآن كما سنرى ذلك في حديث حسن .

فقد لاحظت مثلا أن الآيات الأولى في سورة البقرة مبدوءة بقوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ ومنتهية بقوله تعالى: ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾[٢]، وأن سورة آل عمران مبدوءة بـ: ﴿ الٓمٓ ﴾ ومنتهية بقوله تعالى : ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ [٣]، فقلت في نفسي: هل سورة آل عمران تفصيل للآيات الأولى من سورة البقرة ؟

ثم لاحظت أنه بعد مقدمة سورة البقرة يأتي قوله تعالى :

---

١. تيسير الكريم ج ١ ص ٢٢.
٢. سورة البقرة : الآية ٥.
٣. سورة آل عمران : الآية ٢٠٠.

﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خَلَقَكُمْ والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[١]، وأن سورة النساء الآتية بعد سورة آل عمران مبدوءة بقوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم.. ﴾[٢].

فتساءلت عما إذا كانت سورة النساء تفصيلاً لآيات تقابلها من سورة البقرة. ثم لاحظت أنه بعد آيات من سورة البقرة يأتي قوله تعالى:

﴿ وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه.. ﴾[٣] وأن سورة المائدة الآتية بعد سورة النساء مبدوءة بقوله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾[٤].

فتساءلت عما إذا كانت سورة المائدة تفصيلاً لشيء يقابلها في سورة البقرة.

ثم لاحظت أنه بعد ذلك في سورة البقرة يأتي قوله تعالى:

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾[٥].

وأن سورة الأنعام تفصل هذا المعنى، ولذلك تتكرر فيها الآيات المبدوءة بقوله تعالى:

﴿ وهو ﴾. بل آخر آية فيها هي قوله تعالى:

﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض... ﴾[٦] وصلة ذلك بآية البقرة واضحة، فتساءلت عما إذا كانت سورة الأنعام تفصيلاً لآية أو لأكثر تقابلها في سورة البقرة؟ ثم لاحظت أنه بعد ذلك في سورة البقرة، تأتي قصة آدم وهي منتهية بقوله تعالى:

﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون... ﴾[٧].

وأن الآية الثانية في سورة الأعراف هي قوله تعالى: ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾. وأن قصة آدم معروضة فيها منذ بدايتها، فهل لسورة الأعراف صلة بآيات تقابلها في سورة البقرة؟

ثم بعد ذلك بآيات كثيرة في سورة البقرة، تأتي الآية التي يفرض بها القتال ﴿كتب

---

١. سورة البقرة: الآية ٢١.
٢. سورة النساء: الآية ١.
٣. سورة البقرة: الآية ٢٦ و ٢٧.
٤. سورة المائدة: الآية ١.
٥. سورة البقرة: الآية ٢٩.
٦. سورة الانعام: الآية ١٦٥.
٧. سورة البقرة: الآية ٣٨.

عليكم القتال . . . ﴾ (١) وبعدها مباشرة آية فيها سؤال عن قضية لها صلة بالقتال **﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . . . ﴾** (٢) . وأن سورة الأنفال وبراءة ـ وهما في موضوع واحد : وهو القتال ـ قد بدئتا بقوله تعالى : **﴿يسألونك ﴾** فكأنهما تفصيل لقضايا متعلقة بالقتال .

وهكذا وجدنا أن السور السبع التي جاءت بعد البقرة ، وهي التي تشكل مع سورة البقرة القسم الأول من أقسام القرآن كما سنرى ، هذه السور التي جاءت بعد المعاني في سورة البقرة ، وأن لكل سورة منها محوراً موجوداً في سورة البقرة .

هذه الملاحظة وقعت في قلبي منذ الصغر وسجلتها في كتاب (الرسول) ﷺ في فصل المعجزة القرآنية ، ورأيتني بعد استعراضات كثيرة لكتاب الله قد عثرت فعلاً على مفتاح من مفاتيح الوحدة القرآنية ، وتفتحت لدي من آفاق الفهم معانٍ كثيرة بخصوص السياق العام للقرآن والسياق الخاص داخل السورة الواحدة . وكلما سرت في عرض القرآن الكريم تبين لي من الأدلة على سلامة سيري الكثير الكثير . وليست هذه المقدمة هي محل عرض هذا الإتجاه في موضوع فهم الوحدة القرآنية ، ولكنها نموذج على عملي في التفسير أكملت فيه بناءً أو حققت فيه أملا ، فلقد دندن علماؤنا حول هذا الموضوع ولم يستوعبوه ، واستوعبته بفضل الله ، وأشاروا إليه ولم يفصلوا فيه ، ولقد فصلت فيه تفصيلاً استوعب الآيات في السورة الواحدة والسور في القرآن كله على ضوء نظرية شاملة أثبت البحث صحتها ، وهي تعطي الجواب على كثير من الأمور مما له صلة بوحدة السورة ، ووحدة المجموعة القرآنية ، ووحدة القسم القرآني ، ثم في الوحدة القرانية كلها . وبدون هذه النظرية فإن كثيراً من الصلات التي تحدث عنها المتحدثون ، إنما تتحقق بنوع من الإستكراه . ولئن توسعت في هذا الشأن بما لم يتوسع به أحد ، فلأنه كما ذكرت احتياج عصر وضرورته ، أما الماضون فلم يكونوا يستشعرون ضرورته، فاكتفوا بالتلميح إليه مع اعتقادهم أنه موجود . قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره لسورة البقرة ما نصه :

« ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز

---

١ . سورة البقرة : الآية ٢١٦ .
٢ . سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته. ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأسرار. وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل: والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر »ا. هـ

وقال الشيخ ولي الدين الملوي: « وقد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سُوَرُه كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جمٌّ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له.. اهـ.»

هذان النقلان نقلهما صاحب مناهل العرفان في الصفحة ٧٣ ـ ٧٤ من كتابه في طبعته الثانية.

من هذين النقلين ندرك أن علماءنا قد دندنوا حول ضرورة البحث عن الصلة والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، بل كان البقاعي الذي يطبع تفسيره الآن ولم أطلع عليه، يلوم علماء بغداد لإهمالهم الكلام في هذا الشأن. وكما دندنوا حول المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، بحثوا عن الصلة والمناسبة بين سور القرآن عامة. وهذه قضايا بمجموعها نادراً ما تجد تفسيراً قد خلا عن طرف منها، ونادراً ما تجد مفسراً إلا وقد عرج عليها ما بين مكثر ومُقِل. ويبدو أن بعض الصحابة قد عرج عليها فقد ذكر ابن كثير: « قال الأعمش عن أبي وائل: استخلف علي عبدالله بن عباس على الموسم، فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية سورة النور، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا »، ترى ما هو هذا التفسير الذي فسره ابن عباس حتى لو سمعه هؤلاء لأسلموا إلا أن يكون من جملته ذكر معان دقيقة زائدة على ما يفهم الرجل العادي

من مجرد النظرة البادهة لسورة البقرة؟! ، ولا شك أن هذا احتمال ولكنه احتمال له حظه من النظر .

ولكن لئن عرج بعض المفسرين على هذا الموضوع ، فإن أحداً منهم لم يستوعب القرآن كله بذكر الربط والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، وبين سور القرآن بعضها مع بعض على ضوء نظرية شاملة ، وقد بذل حتى الآن الجهد الأكبر في الربط بين الآيات في السورة الواحدة ، ولكن النقطة الثانية لم يبذل فيها جهد إلا ضمن حدود ضيقة ، وكلا الجهدين فاتته إلى حد كبير بعض أسرار الوحدة الشاملة . ولقد حاولت في هذا التفسير أن أسُدَّ هذه الثغرة مع اعتقادي أن أسرار الوحدة القرآنية لا يحاط بها ، ولكن وإذ أصبح الكلام عن هذا الموضوع مطلباً خاصاً وعاماً ، حتى جعلها بعض المستشرقين مدخلاً يلج من خلاله إلى تشكيك المسلمين أو اتهام القرآن أو اتهام علماء المسلمين بالقصور ، إذ أصبح الأمر كذلك فقد أصبحت على يقين من أن هذا الموضوع لابد من تغطيته ، وسيرى قارىء هذا التفسير أنني بفضل الله غطيت هذا الموضوع تغطية تامة ، وسيرى قارىء هذا التفسير صحة سيرنا في هذه التغطية كلما قرأ صفحة جديدة من صفحات هذا التفسير .

هذه التغطية لهذا الموضوع كما أنها تلبي مطلباً من مطالب عصرنا ، فإنها تروي ظمأ طلاب المعرفة والباحثين عن دقائق أسرار هذا القرآن ، كما أنها تضع لبنة في صرح الحديث عن إعجاز القرآن ومعجزاته ، كما أنها تجيب على تساؤلات كثيرة من جملتها موضوع فواتح السور، سواء منها المصدرة بالأحرف الهجائية أو المصدرة بما سوى ذلك ، ومن خلالها يزداد ترجيح بعض الجوانب التي وقع فيها خلاف كقضية : إن ترتيب سور القرآن توقيفي وليس اجتهادياً . فمع أن جماهير الأمة ذهبت إلى هذا ، فإن هذا التفسير سيبرهن على هذا الموضوع بشكل عملي ، كما أنه بإبرازنا الوحدة القرآنية ، بإبراز الصلة بين سور القرآن والصلة بين الآيات في السورة الواحدة ، سنأخذ الجواب على السؤال : لماذا لم تكن المعاني ذات المضمون الواحد موجودة بجانب بعضها ؟ وسنجد لذلك

حِكَماً كثيرة ، وسيرى القارىء لهذا التفسير أن هذا الترتيب ما بين سور القرآن على هذه الشاكلة التي رتبها الله عز وجل في كتابه ، شيء به وحده تقوم الحجة على كل من يتصور أن هذا القرآن يمكن أن يكون بشرى المصدر . وذلك من جانب ترتيبه فقط ، فكيف بما سوى ذلك من عشرات الظواهر التي في كل واحدة منها الدليل من خلال عشرات الأمثلة ، على أن هذا القرآن يستحيل أن يكون بشري المصدر . ثم إنه بعملنا هذا نكون قد زدنا بعض حجج الكاتبين عن القرآن وضوحاً . فمثلاً ذكر صاحب مناهل العرفان في باب حكم نزول القرآن مُنجّماً هذه الحكمة التي هي الحكمة الرابعة في عرضه فقال :

« الإرشاد إلى مصدر القرآن وأنه كلام الله وحده وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه » .

وبيان ذلك : أن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد ، دقيق السبك ، متين الأسلوب قوي الإتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله ، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه ، كأنه سبيكة واحدة ، وعقد فريد يأخذ بالأبصار ، نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته ، وجاء آخره مساوقاً لأوله وبدا أوله مواتياً لآخره .

وهنا نتساءل : كيف اتسق للقرآن هذا التأليف المعجز ؟ وكيف استقام هذا التناسق المدهش على حين أنه لم يتنزل جملة واحدة ، بل تنزل آحاداً مفرقة تفرق الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عاماً ؟

الجواب : أننا نلمح هنا سراً جديداً من أسرار الإعجاز .. ونقرأ دليلاً ساطعاً على مصدر القرآن وأنه كلام الواحد الديان : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً** ﴾ [1] .. وإلا فحدثني بربك كيف تستطيع أنت أم كيف يستطيع الخلق جميعاً أن يأتوا بكتاب محكم الإتصال والترابط ، متين النسج والسرد ، متآلف البدايات والنهايات ، مع خضوعه في التأليف لعوامل خارجة عن مقدور البشر ، وهي وقائع الزمن وأحداثه ، التي يجيء كل

---

١ . سورة النساء : الآية ٨٢ .

جزء من أجزاء هذا الكتاب تبعاً لها ومتحدثاً عنها سبباً بعد سبب، وداعية إثر داعية، مع اختلاف ما بين هذه الدواعي، وتغاير ما بين تلك الأسباب، ومع تراخي زمان هذا التأليف وتطاول آماد هذه النجوم إلى أكثر من عشرين عاماً؟!.

لا ريب أن هذا الإنفصال الزماني وذاك الإختلاف الملحوظ بين هاتيك الدواعي، يستلزمان في مجرى العادة التفكك والإنحلال، ولا يدعان مجالاً للإرتباط والإتصال بين نجوم هذا الكلام. أما القرآن الكريم فقد خرق العادة في هذه الناحية أيضاً: نزل مفرقاً منجماً، ولكنه تم مترابطاً محكماً، وتفرقت نجومه تفرق الأسباب، ولكن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب، ولم يتكامل نزوله إلا بعد أكثر من عشرين عاماً ولكن تكامل انسجامه بداية وختاماً.

أليس ذلك برهاناً ساطعاً على أنه كلام خالق القُوى والقُدَر، ومالك الأسباب والمسببات، ومدبّر الخلق والكائنات، وقيُّوم الأرض والسمٰوات، العليم بما كان وما سيكون، الخبير بالزمان وما يحدث فيه من شؤون.

لاحظ فوق ما أسلفنا: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية أو آيات قال: «ضعوها في مكان كذا من سورة كذا» وهو بشر لا يدري ـ طبعاً ـ ما ستجيء به الأيام ولا يعلم ما سيكون في مستقبل الزمان، ولا يدرك ما سيحدث من الدواعي والأحداث، فضلاً عما سينزل من الله فيها، وهكذا يمضي العمر الطويل والرسول ﷺ على هذا العهد، يأتيه الوحي بالقرآن نجماً بعد نجم، وإذا القرآن كله بعد هذا العمر الطويل يكمل ويتم وينتظم ويتآخى ويأتلف ويلتئم، ولا يؤخذ عليه أدنى تخاذل ولا تفاوت، بل يعجز الخلق طراً بما فيه من انسجام ووحدة وترابط: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1]. وإنه ليستبين لك سر هذا الإعجاز، إذا ما علمت أن محاولة مثل هذا الإتساق والإنسجام لا يمكن أن تأتي على مثل هذا النمط الذي نزل به القرآن، ولا على قريب من هذا النمط لا في كلام الرسول ﷺ ولا كلام غيره من البلغاء، خذ مثلاً حديث النبي ﷺ

١. سورة هود: الآية ١.

وهو ما هو في روعته وبلاغته وطهره وسموه : لقد قال الرسول ﷺ في مناسبات مختلفة لدواع متباينة في أزمان متطاولة ، فهل في مُكْنَتِك وَمُكنَةِ البشر معك أن ينظموا مثله ، أو يزيدوا عليه أو يتصرفوا فيه ؟ ذلك ما لن يكون ولا يمكن أن يكون . . .

إذن فالقرآن الكريم ينطق نزوله منجماً بأنه كلام اللّه وحده . وتلك حكمة جليلة الشأن تدل الخلق على الحق في مصدر القرآن : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السرّ في السمٰوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ [1] .

إن هذه الحكمة التي ذكرها المؤلف تتضح أبعادها بشكل أقوى وأكثر بياناً عندما يقرأ الإنسان تفسيرنا هذا ، ليجد من عجائب الصلة بين الآيات والسور ما لا يمكن أن يخطر ببال بشر ، بحيث يجد أنواعاً من الوحدة الشاملة التي تضم معاني القرآن وآياته وسوره بما يحير الألباب ويدهش الأبصار والبصائر . ولا يستعجلن القارىء علينا وهو يرى هذا الكلام قبل أن يقرأ هذا التفسير . فإن وجد الأمر كما ذكرنا فليدع لنا بحسن الخاتمة وبالمغفرة . وإذا لم يجد ما نقلناه هنا فإني أسامحه في كل ما يقول .

ولقد سئلت أكثر من مرة مِنْ بعض مَنْ عرضت عليه وجهة نظري في فهمي للصلة بين الآيات والسور عن فائدة هذا الموضوع ، وكنت أجيبه بمثل ما ذكرته فيما مضى من هذه المقدمة ، في أن الإجابة على هذا الموضوع تخدم رد شبهة ؛ أن هذا القرآن لا يجمع آياته في السورة الواحدة جامع ولا يجمع بين سوره رابط ، وذلك لا يليق في كلام البشر فكيف بكلام رب العالمين ، إنها لشبهة فظيعة جداً أن يحاول محاول إشعار المسلم بأن كتاب اللّه ينزل عن كتب البشر في هذا الشأن . ولقد استطعت بتوفيق اللّه أن أبرهن على أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة ، وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوره وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلاً ولا يمكن أن تخطر على قلب بشر . لقد استطعت خلال هذا أن أرد السهم إلى كبد راميه من أعداء اللّه في هذه النقطة بالذات .

على أن الإجابة على هذا الموضوع كما قلنا تخدم قضايا أخرى : منها قضية تأكيد إعجاز

---

١ . سورة الفرقان : الآية ٦ .

القرآن ، ومنها قضية دحض شبهة أن هناك افتراقاً بين القرآن المكي والمدني ، ومنها أنها تخدم في معرفة بعض أسرار القرآن ، ومنها أنها تخدم قضية الفهم للكثير من المعاني التي يدل عليها السياق .

إن هذه النقطة التي هي في بعض جوانبها تميز هذا التفسير عن غيره لا تخدم فقط فيما ذكرناه ، بل تخدم في رؤية كثير من المعاني ، ومحل هذه المعاني في البرهان على كثير من القضايا . كما أنها ترينا أن هذا القرآن من خلال سياق الآية في السورة ، ومن خلال سياق الآيات بالنسبة لمجموع القرآن ، ومن خلال صلات السور بعضها ببعض ، ومن خلال نواح أخرى ، يعطينا معاني لا نهاية لها ولا يمكن الإحاطة بها ، وهو موضوع سنراه كثيراً في هذا التفسير .

وكأثر من آثار هذه النظرة الشاملة التي على ضوئها فهمت الوحدة القرآنية تكشفت لي إحدى الحِكَم في كون بعض السور مفتتحة ببعض الحروف ، فكانت ملاحظة جديدة تضاف إلى ملاحظات كثيرة ، سجلها علماء المسلمين خلال العصور حول أسرار هذه الأحرف .

لقد أقمت على هذا الإتجاه الذي اتجهته في موضوع الوحدة القرآنية من الحجج الكثير ، بحيث لا يرتاب عالم منصف بعد الإطلاع عليها بأن اتجاهي في ذلك كان صحيحاً . ولكني تعمدت ألا أذكر حججي كلها في مكان واحد بل وزعتها في الكتاب كله عندما تأتي مناسبتها ، ولو لا ذلك لاقتضى إبراز كل الحجج مجلداً كاملاً من مجلدات هذا التفسير ، ثم هي في هذه الحالة لا تستوعب كما لو جاءت في مناسبتها . وهذا جوابي على من يقول : إنه كان بالإمكان أن أكتفي بإبراز كل هذه القضية من خلال كتاب مستقل بدلاً من كتابة تفسير كامل . إنه لم يكن بالإمكان أن أعرض لهذا الموضوع منفصلاً عن تفسير آيات القرآن على اعتبار أن هذا الإتجاه له صلة بفهم القرآن كله ، فلو أنني ذكرته منفصلاً لكان عملي ناقصاً ، ولذلك جعلت هذا الموضوع جزءاً من تفسير ، فلكي تتجلى الوحدة القرآنية بشكل واضح لا بد أن يكون النص القرآني مفسراً وواضحاً ، ثم إن الهدف من إصدار هذه

السلسلة متعدد أصلاً كما رأينا »[١].

قال المدرسي في التدبر والسياق القرآني :

« وللسياق دور كبير في بيان الواقع العلمي للقرآن ، والسبب أن القرآن يلاحظ ارتباط آية بأخرى ملاحظة دقيقة . ولا تتلاحق الآيات ولا الكلمات داخل آية واحدة إلا بأحدى علاقتين : علاقة علمية أو تربوية .

١ ـ العلاقة العلمية :

القران يعكس واقع ارتباط حقيقة باخرى فيذكرهما مع بعض ، فمثلاً : يقول اللّه سبحانه :

﴿ فاعلم أنّه لا إله إلا اللّه واستغفر لذنبك ﴾[٢].

إن علاقة الإستغفار من الذنب بتوحيد اللّه علاقة واقعية تفرضها حقيقة الربانية من جهة ، والعبودية من جهة ثانية : إذ أن العقيدة بأحدية اللّه توجب العقيدة بعبودية الله . وواضح أن العبد يجب أن يخضع للّه .

وتماماً مثل هذه العلاقة موجودة في قوله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[٣].

فعلاقة عبادة اللّه بتوحيده ، أمر واقعي من جهة أن على العبد مسؤولية العبادة للّه الواحد .

وكذلك علاقة آيتين ببعضهما في مثل قوله سبحانه :

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد اللّه على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل واللّه لايحب الفساد ﴾[٤].

فعلاقة الآية الأولى بالثانية ناشئة من وجود ارتباط بين صفات المنافقين . فهم من جهة

---

١. الأساس في التفسير ج ١ ص ٢١ ـ ٢٨.

٢. سورة محمّد : الآية ١٩.

٣. سورة الانبياء : الآية ٢٥.

٤. سورة البقرة : الآية ٢٠٤ و ٢٠٥.

ينمقون كلامهم وهم من جهة ثانية يفسدون في الأرض.

إن القرآن يتحدث إلينا عن نموذج من الناس. لذلك يذكر كل صفاتهم ولا تنمو صفة فيهم دون وجود أخرى.

إن هذه العلاقة نجدها في أواخر الآيات التي تنتهي في كثير من الأحيان بذكر صفة أو صفتين لله سبحانه. ترتبط بنوع المضمون المذكور في الآية، فمثلاً نجد في هذه الآيات الكريمة مدى ارتباط آخر الآية بمضمونها: (ارتباطاً واقعياً)، يقول الله سبحانه:

﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾ (١).

فالولي الذي يحب عباده ينزل عليهم الغيث، والحميد ينشر عليهم رحمته، فهناك علاقة وثيقة بين الولاية ونزول الغيث والحمد ونشر الرحمة.

وكانت العرب ترى وجود هذه العلاقة وتستنبط منها أشياء وأشياء.

فمرة سمع اعرابي رجلاً يتلو آية هكذا:

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم ﴾

فقال له: أخطأت! قال: وكيف؟ قال: إن المغفرة والرحمة لا تناسبان قطع يد السارق! فتذكر الرجل الآية وقال:

﴿ والله عزيز حكيم ﴾ (٢)

فقال الأعرابي: نعم، بعزته أخذها وبحكمته قطعها.

إنه عرف كيف يجب أن تكون نهاية الآية متناسبة مع بدايتها، من ناحية العلاقة الواقعية.

٢ ـ العلاقة التربوية:

بما أن القرآن كتاب تربية، وبما أن صفات النفس ترتبط ببعضها، فإن القرآن المجيد يلاحق النفس البشرية بما يصلحها من التوجيهات إن طغت ـ افراطاً ـ صفة عليها عالجها بحكمة. فإن طغت ـ تفريطاً ـ عالجها بحكمة أخرى، ولا يزال يعد لها حتى تتحول إلى نفس سوية.

---

١. سورة الشورى: الآية ٢٨. ٢. سورة المائده: الآية ٣٨.

ونستفيد من دراسة علاقة الآيات التربوية ببعضها، نستفيد علماً بخبيئة النفوس، ومعرفة بالقوانين التربوية التي تتحكم فيها.

وكمثل لهذه العلاقة نذكر قوله سبحانه:

﴿وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [1].

إن جمل هذه الآية ثلاث: الأولى في الإنفاق. والثانية في النهي عن إلقاء النفس في التهلكة. والثالثة في الإحسان. فما هي علاقتها ببعضها؟

أول ما أمر الله بالإنفاق توجهت النفوس إليه، فكانت مخافة التقصير في الإنفاق.

فجاءت الجملة الثانية تنهى عن التهلكة التي تتم إذا ترك الإنفاق، وحيث أن النفوس مفطورة على البخل كان من الضروري ترجيح كفة الإنفاق، لمقابلة الشح الطبيعي عند البشر فجاءت الجملة الثالثة؛ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين.

وربما نستنبط من سياق الآية المباركة: إن هناك درجتين في الإنفاق، الإنفاق الذي لولاه يهلك الإنسان ويكون بمثابة الإنفاق على الدواء، وقد أمر به الجزء الأول من الآية، والإنفاق الإضافي الذي يقوم به المحسنون، وقد أمر به الجزء الثاني من الآية» [2].

١. سورة البقرة: الآية ١٩٥.
٢. من هدى القرآن ج ١ ص ٦٢ ـ ٦٥.

سلامة القرآن

- كلام القمي في ...
- كلام هود بن محكّم في ...
- كلام الطوسي في ...
- كلام الطبرسي في ...
- كلام القرطبي في ...
- كلام الفيض الكاشاني في ...
- كلام الجنابذي في ...
- كلام الآلوسي في ...
- كلام البلاغي في ...
- كلام عبدالقادر في ...
- كلام النهاوندي في ...
- كلام الطباطبائي في ...
- كلام الصادقي في ...
- كلام الخولي في ...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سلامة القرآن

قال القمي (ره): «وأما ما هو كان على خلاف ما أنزل الله، فهو قوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[1]، فقال أبو عبدالله عليه السلام لقارىء هذه الآية: ﴿خير أمة﴾ يقتلون أميرالمؤمنين والحسن والحسين بن علي عليهم السلام؟» فقيل له: وكيف نزلت يا ابن رسول الله؟ فقال: «إنما نزلت: كنتم خير أئمة أخرجت للناس» ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾». ومثله آية قرئت على أبي عبدالله عليه السلام: ﴿الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾[2]، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «لقد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين إماماً»، فقيل له: يا ابن رسول الله كيف نزلت؟ فقال: «إنما نزلت: الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إماماً». وقوله: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾[3]، فقال أبو عبدالله: «كيف يحفظ الشيء من أمر الله، وكيف يكون المعقب من بين يديه»؟! فقيل له: «وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ فقال: «إنما نزلت: له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله»، ومثله كثير.

---

١. سورة آل عمران: الآية ١١٠.
٢. سورة الفرقان: الآية ٧٤.
٣. سورة الرعد: الآية ١١.

وأما ما هو محرف منه، فهو قوله: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك ـ في علي ـ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾[١]، وقوله: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ـ في علي ـ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[٢]، وقوله: ﴿إن الذين كفروا وظلموا ـ آل محمد حقهم ـ لم يكن الله ليغفر لهم﴾[٣]، وقوله: ﴿وسيعلم الذين ظلموا ـ آل محمد حقهم ـ أي منقلب ينقلبون﴾[٤]، وقوله: ﴿ولو ترى الذين ظلموا ـ آل محمد حقَّهم ـ في غمرات الموت﴾[٥] ومثله كثير نذكره في مواضعه»[٦].

قال هود بن محكم: «ذكروا أن في مصحف أُبي المعوّذتين، وليستا في مصحف عبدالله بن مسعود، قال [بعضهم][٧]: وجاء بهما جبريل. أي بالمعوّذتين، للنبي بعد أن سحرته اليهود.

ذكر عقبة بن عامر الجهني قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالمعوّذتين. وكان ذلك في سفر.

وذكروا عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ المعوّذتين فإنك لن تقرأ في القرآن مثلهما»[٨].

ذكروا عن رجل من التابعين؛ أنه لما كتب المصحف جاء رجلان فشهدا على الآية أنهما سمعاها من النبي ﷺ فكتبت في المصحف. فجاء رجل[٩] بهذه الآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١٠]، فطلبوا معه رجلاً

---

١. سورة النساء: الآية: ١٦٦. ٢. سورة المائدة: الآية: ٦٧.

٣. سورة النساء: الآية: ١٦٨. ٤. سورة الشعراء: الآية: ٢٢٧.

٥. الآية الموجودة في المصحف هكذا: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ سورة الأنعام: الآية: ٩٣.

٦. تفسير القمي ج ١ ص ٢٢ـ٢٣. ٧. زيادة لابد منها ليستقيم المعنى، لأن السند محذوف.

٨. حديث صحيح أخرجه الطبراني وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده ج ٣ ص ١٦ (رقم ٨١٠) وزاد عقبة في آخر الحديث: وقد قال قوم: إنهما ليستا من القرآن فقد كذبوا وأثموا. وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوّذتين (٨١٤) عن عقبة بن عامر. ولفظه: ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط؟: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

٩. قيل هو خزيمة بن ثابت الخطمي الأنصاري، كان يدعى ذا الشهادتين لأن رسول الله ﷺ أجاز شهادته بشهادة رجلين. انظر ابن عبدالبر، الاستيعاب ج ٢ ص ٤٤٨، وانظر الذهبي سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٤٦ـ٣٤٧.

١٠. سورة التوبة: الآية ١٢٨.

آخر فلم يجدوه، فقال عمر بن الخطاب: أنا أشهد أن رسول الله كان هكذا، فاكتبوها بشهادته وشهادتي، فكُتِبت بشهادتها.

ذكروا أن ميمون بن مهران أو غيره قال: مصحفنا هذا ثلاث عشرة ومائة سورة[١]، ومصحف أُبي خمس عشرة ومائة سورة، وفيه هاتان السورتان: اللَّهُمَّ إنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ[٢]. وفي مصحف ابن مسعود، إحدى عشرة ومائة سورة ليس فيها المعوّذتان، ولا سور أبي.

ذكروا عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: كيف جعلتم براءة، وهي من الطُّول، مع الأنفال، وهي من المئين[٣]، ولم تكتبوا بينهما سطر: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾؟، فقال: إن رسول الله ﷺ كانت تنزل عليه الثلاث الآيات، والأربع الآيات، والخمس الآيات جميعاً، أو أقل من ذلك أو أكثر، فيقول: اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا في موضع كذا وكذا، واجعلوا آية كذا وكذا في موضع كذا وكذا في سورة كذا وكذا. وإنه قبض ولم يقل لنا في براءة شيئاً. ونظرنا قصتهما متشابهة[٤] فجعلناها معها، ولم نكتب بينهما سطر: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

ذكر أبو حمزة: أن إبراهيم النخعي رأى في مصحفه فاتحة كذا وكذا، فاتحة كذا وكذا فقال لي: امحه، فإن عبدالله بن مسعود قال: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه.

ذكروا: أن رسول الله ﷺ قال: «اخلصوا القرآن وامحضوه»[٥].

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يكره نقط المصاحف. غير واحد من السلف أنه كره نقط المصاحف.

---

١. هذا العد يجعل سورتي الأنفال والتوبة سورة واحدة.

٢. تُسَمَّيان سورتي الحفد والخلع. وقد أوردهما السيوطي في الإتقان ج ١ ص ١٨٥.

٣. كذا في نسخة: «وهي من المئين»، والصحيح أن الأنفال من المثاني باتفاق، واختلف في براءة هل هي من الطول أو من المئين. فبعضهم جعلها مع الأنفال سورة واحدة وعدّها مكمّلة للسبع الطول، وبعضهم جعل يونس بدلاً عنها، وجعل براءة من المئين. انظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٢، والسيوطي، الإتقان ج ١ ص ١٧٢.

٤. كذا في نسخة: «وكانت قصتهما متشابهة». وفي تفسير الطبري ١:١٠٢: «وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها ... فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتها في السبع الطول».

٥. لم أجده فيما بين يدى من المصادر حديثاً مرفوعاً.

قال [بعضهم]: وإنه نزل بمكة بعض ما أمر به لما يكون بالمدينة، ويعملون به إذا قدموا المدينة. وقد فسّرنا هذه الوجوه في مواضعها من التفسير(١).

ذكروا عن أبي الدرداء أنه قال: إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فعليكم الدبار(٢).

ذكروا: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً: أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: الملائكة في السماء، فما لهم لا يؤمنون؟ ثم قال: أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: النبيون. قال: النبيون ينزل عليهم الوحي، فما لهم لا يؤمنون؟ فقال: أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: أصحابك. قال: أصحابي يرونني ويسمعون كلامي. فما لهم لا يؤمنون؟ ثم قال: أعجب الخلق إيماناً قوم يأتون بعدكم، يجدون كتاباً في رقٍّ فيؤمنون به»(٣)، (٤).

قال الطوسي (ره): «وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به ايضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها. والنقصان منه، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى (ره)، وهو الظاهر في الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة، من جهة الخاصة والعامة، بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع الى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأولى الاعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنه يمكن تأويلها. ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين، فان ذلك معلوم صحته، لا يعترضه احد من الأمة ولا يدفعه.

وروايا تنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف

---

١. هذه الجملة تدل على أن المؤلف كتب المقدمة بعد أن أنهى تفسيره. وانظر السيوطي. الإتقان ج ١ ص ١٠٤.

٢. هذا نص حديث أخرجه أبو عبدالحكيم الترمذي في نوادر الأصول مرفوعاً، كما ذكر ذلك القرطبي في تفسيره ج ١٢ ص ٢٦٧ من حديث أبي الدرداء. وأورده الشوكاني في نيل الأوطار ج ٢ ص ٥٥ موقوفاً على أبي الدرداء كما ورد هنا. وذكره ابن منظور في اللسان: (دبر) فقال: «وفي حديث أبي هريرة (كذا) إذا زوقتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار عليكم». ويؤيد ما جاء في هذا الحديث حديث رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب بناء المساجد (٤٤٨): «عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ما أمرت بتشييد المساجد. وقال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى».

٣. أخرجه أبو داود الطيالسي البصري في مسنده عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر بألفاظ قريبة مما وردت عليه هنا. وفيه: «أي الخلق أفضل إيماناً؟».

٤. تفسير كتاب الله العزيز ج ١ ص ٦٦ ـ ٦٨.

الأخبار في الفروع اليه. وقد روي عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها احد، انه قال: «اني مخلف فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». وهذا يدل على انه موجود في كل عصر، لأنه لا يجوز ان يأمر بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به. كما أن اهل البيت، ومن يجب اتباع قوله، حاصل في كل وقت. واذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته، فينبغي ان نتشاغل بتفسيره، وبيان معانيه ونترك ما سواه»[1].

قال الطبرسي (ره): «ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فإنه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه: فمجمع على بطلانه وأما النقصان منه؛ فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة: إن في القرآن تغييراً او نقصاناً والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى ـ قدس الله روحه ـ واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية. وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد، وقال أيضاً ـ قدس الله روحه ـ: ان العلم بتفسير القرآن وابعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ـ ضرورة ـ من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما، حتى لو ان مدخلاً ادخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب لعرف وميّز، وعلم انه ملحق وليس من اصل الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني. ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء، وذكر أيضاً ـ رضوان الله عليه ـ: أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه

١. التبيان ج ١ ص ٣.

الآن ، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وان كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه ، وان جماعة من الصحابة مثل : عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ، ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات ، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على انه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث ، وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من إصحاب الحديث نقلوا اخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته»[1].

قال القرطبى فى ما جاء من الحجة فى الرد على من طعن فى القرآن وخالف مصحف عثمان بالزيادة والنقصان:

«لا خلاف بين الأمة ولا بين الأئمة أهل السنة، أن القرآن اسم لكلام الله تعالى الذى جاء به محمد ﷺ معجزة له ـ على نحو ما تقدم ـ وأنه محفوظ فى الصدور، مقروءٌ بالألسنة، مكتوب فى المصاحف؛ معلومة على الاضطرار سوره وآياته، مبراةٌ من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته؛ فلا يحتاج فى تعريفه بحدٍّ، ولا فى حصره بعد، فمن ادعى زيادة عليه أو نقصانا منه، فقد أبطل الإجماع، وبهت الناس، ورد ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن المنزل عليه، ورد قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]، وأبطل آية رسوله ﷺ، لأنه إذ ذاك يصير القرآن مقدورا عليه، حين شيب بالباطل، ولما قدر عليه لم يكن حجة ولا آية، وخرج عن أن يكون معجزا.

فالقائل بأن القرآن فيه زيادة ونقصان؛ راد لكتاب الله ولما جاء به الرسول، وكان كمن قال: الصلوات المفروضات خمسون صلاة، وتزوج تسع من النساء حلال، وفرض الله أياما مع شهر رمضان، إلى غير ذلك مما لم يثبت فى الدين، فإذا رد هذا بالإجماع، كان الإجماع على القرآن أثبت وآكد وألزم وأوجب.

قال الإمام أبوبكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنبارى: ولم يزل أهل الفضل

---

١. مجمع البيان ج ١ ص ٨٣ ـ ٨٤.
٢. سورة الإسراء: الآية ٨٨.

والعقل يعرفون من شرف القرآن وعلو منزلته، ما يوجبه الحق والإنصاف والديانة، وينفون عنه قول المبطلين، وتمويه الملحدين وتحريف الزائغين، حتى نبع فى زماننا هذا زائغ زاغ عن الملة، وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة التى لا يزال الله يؤيدها، ويثبت أسها، وينمى فرعها، ويحرسها من معايب أولى الحنف والحور، ومكايد أهل العداوة والكفر.

فزعم أن المصحف الذى جمعه عثمان رضى الله عنه -باتفاق أصحاب رسول الله ﷺ على تصويبه فيما فعل- لا يشتمل على جميع القرآن، إذ كان قد سقط منه خمسمائة حرف، قد قرأت ببعضها وسأقرأ ببقيتها، فمنها: «والعصر ونوائب الدهر» فقد سقط من القرآن على جماعة المسلمين «ونوائب الدهر». ومنها: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها». فادعى هذا الإنسان أنه سقط على أهل الإسلام من القرآن: «وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها»، وذكر مما يدعى حروفا كثيرة.

وادّعى أن عثمان والصحابة رضى الله عنهم زادوا فى القرآن ما ليس فيه، فقرأ فى صلاة الفرض، والناس يسمعون: «الله الواحد الصمد» فأسقط من القرآن «قل هو» وغيّر لفظ «أحد» وادعى أن هذا هو الصواب والذى عليه الناس هو الباطل والمحال، وقرأ فى صلاة الفرض: «قل للذين كفروا لا أعبد ما تعبدون» وطعن فى قراءة المسلمين.

وادعى أن المصحف الذى فى أيدينا اشتمل على تصحيف حروف مفسدة مغيرة، منها: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]؛ فادعى أن الحكمة والعزة لا يشاكلان المغفرة، وأن الصواب: «وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم». وترامى به الغى فى هذا وأشكله حتى ادعى أن المسلمين يصحفون: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[2] والصواب الذى لم يغير عنده: «وكان عبدًا لله وجيها»، وحتى قرأ فى صلاة مفترضة على ما أخبرنا جماعة سمعوه وشهدوه: «لا تحرك به لسانك إن علينا جمعه وقراءته فإذا قرأناه فاتبع قراءته ثم إن علينا نبأه به». وحكى لنا آخرون عن آخرين أنهم

---

١. سورة المائدة: الآية ١١٨.
٢. سورة الاحزاب: الآية ٦٩.

سمعوه يقرأ: «ولقد نصركم الله ببدر بسيف علي وأنتم أذلة». وروى هؤلاء أيضا لنا عنه قال: «هذا صراط علي مستقيم». وأخبرونا أنه أدخل في آية من القرآن ما لا يضاهي فصاحة رسول الله ﷺ، ولا يدخل في لسان قومه الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[1] فقرأ: «أليس قلت للناس» في موضع: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾[2] وهذا لا يعرف في نحو المعربين، ولا يحمل على مذاهب النحويين؛ لأن العرب لم تقل: ليس قمت، فأما: لست قمت، بالتاء فشاذ قبيح خبيث رديء؛ لأن ليس؛ لا تجحد الفعل الماضي، ولم يوجد مثل هذا إلا في قولهم: أليس قد خلق الله مثلهم؛ وهو لغة شاذة لا يحمل كتاب الله عليها.

وادعى أن عثمان رضي الله عنه لما أسند جمع القرآن إلى زيد بن ثابت لم يصب؛ لأن عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب كانا أولى بذلك من زيد لقول النبي ﷺ «أقرأ أمتي أبي بن كعب» ولقوله ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد». وقال هذا القائل: لي أن أخالف مصحف عثمان كما خالفه أبو عمرو بن العلاء، فقرأ: «إن[3] هذين»، «فأصدق وأكون»، «وبشر عبادي الذين» بفتح الياء، «فما أتاني الله» بفتح الياء. والذي في المصحف: ﴿إِنَّ هَذَانِ[4]﴾ بالألف، ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ﴾[5] بغير واو، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[6]، ﴿فَمَا آتَانِ اللَّهُ﴾[7] بغير ياءين في الموضعين. وكما خالف ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي مصحف عثمان فقرأوا: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[8] بإثبات نونين، يفتح الثانية بعضهم ويسكنها بعضهم، وفي المصحف نون[9] واحدة؛ وكما خالف حمزة المصحف فقرأ: «أَتُمِدُّونِ بمال» بنون واحدة ووقف على الياء، وفي المصحف نونان ولا ياء بعدهما؛ وكما خالف حمزة أيضا المصحف فقرأ: «ألا إنَّ ثمودَا كفروا ربهم» بغير تنوين، وإثبات الألف يوجب التنوين؛ وكل هذا الذي شنع به على القرّاء ما يلزمهم به،

١. سورة ابراهيم: الآية ٤.
٢. سورة المائدة: الآية ١١٦.
٣. بتشديد النون، قراءة نافع.
٤. بتشديد النون، قراءة نافع سورة طه: الآية ٦٣.
٥. سورة المنافقون: الآية ١٠.
٦. سورة الزّمر: الآية ١٧.
٧. سورة النّمل: الآية ٣٦.
٨. سورة يونس: الآية ١٠٣.
٩. يلاحظ أن الذي في المصحف نونان.

خلاف للمصحف.

قلت: قد أشرنا إلى العد فيما تقدم مما اختلف فيه المصاحف، وسيأتي بيان هذه المواضع في مواضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

قال أبوبكر: وذكر هذا الإنسان: أن أبي بن كعب هو الذى قرأ: «كأن لم تغن بالأمس وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها» وذلك باطل؛ لأن عبدالله بن كثير قرأ على مجاهد، ومجاهد قرأ على ابن عباس، وابن عباس قرأ القرآن على أبي بن كعب: ﴿حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾[١]، في رواية وقرأ أبى القرآن على رسول الله ﷺ؛ وهذا الإسناد متصل بالرسول ﷺ نقله أهل العدالة والصيانة، وإذا صح عن رسول الله ﷺ أمر لم يؤخذ بحديث يخالفه. وقال يحيى بن المبارك اليزيدى: قرأت القرآن على أبى عمرو بن العلاء، وقرأ أبو عمرو على مجاهد، وقرأ مجاهد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب، وقرأ أبى على النبى ﷺ، وليس فيها «وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها» فمن جحد أن هذه الزيادة أنزلها الله تعالى على نبيه ﷺ فليس بكافر ولا آثم.

حدثنى أبى نبأنا نصر بن داود الصاغاني نبأنا أبو عبيد قال: ما يروى من الحروف التى تخالف المصحف الذى عليه الإجماع من الحروف التى يعرف أسانيدها الخاصة دون العامة فيما نقلوا فيه عن أبى: «وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها»؛ وعن ابن عباس: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج»، ومما يحكون عن عمر بن الخطاب أنه قرأ: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين» مع نظائر لهذه الحروف كثيرة، لم ينقلها أهل العلم على أن الصلاة بها تحل، ولا على أنها معارض بها مصحف عثمان؛ لأنها حروف لو جحدها جاحد أنها من القرآن لم يكن كافرا؛ والقرآن الذى جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافرا، حكمه حكم المرتد يُستتاب؛ فإن تاب وإلا ضُربت عنقه. وقال أبو عبيد: لم يزل صنيع عثمان رضى الله عنه فى جمعه القرآن يعتد له بأنه من مناقبه العظام؛ وقد طعن عليه فيه بعض أهل الزيغ فانكشف عواره، ووضحت فضائحه. قال أبو عبيد: وقد حدثت عن يزيد بن زريع عن عمران بن جرير عن أبى مجلز

---

١. سورة يونس: الآية ٢٤.

قال: طعن قوم على عثمان رحمه الله ـ بحُمقِهم ـ جمع القرآن، ثـم قـرأوا بـما نسـخ. قـال أبو عبيد: يذهب أبو مجلز إلى أن عثمان أسقط الذى أسقط بعلم، كـما أثـبت الذى أثـبت بعلم. قال أبوبكر: وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] دلالة على كفر هذا الإنسان؛ لأن الله عز وجل قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان؛ فإذا قرأ قارىء: «تبَّت يَدَا أبي لهب وقد تَبَّ ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب ومُرَيَّته حمالة الحطب فى جيدها حبل من ليف» فقد كذب على الله جـل وعـلا، وقَـوَّله ما لم يقل، وبدل كتابه وحرفه، وحاول ما قد حفظه منه ومنع من اختلاطه به؛ وفى هذا الذى أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد، ليدخلوا فى القرآن ما يحلّون به عُرىٰ الإسلام، وينسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالأباطيل عليهم. وفـيه إبـطال الإجـماع الذى بـه يحرس الإسلام، وبثباته تقام الصلوات، وتؤدّىٰ الزكوات وتتحرى المتعبدات. وفى قول الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[2] دلالة على بدعة هذا الإنسان وخروجه إلى الكفر، لأن معنى «أحكمت آياته»: منع الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها، أو ينقصوا منها أو يعارضوها بمثلها، وقد وجدنا هذا الإنسان زاد فيها: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وكان الله قويا عزيزا. فقال فى القرآن هجراً، وذكر عليا فى مكان لو سمعه يذكره فيه لأمضى عليه الحد، وحكم عليه بالقتل. وأسقط من كلام الله «قل هـو» وغـيّر «أحـد» فـقرأ: الله الواحـد الصمد. وإسقاط ما أسقطه نفى له وكفر، ومن كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله وأبطل معنى الآية؛ لأن أهل التفسير قالوا: نزلت الآية جوابا لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله ﷺ: صف لنا ربك، أمن ذهب أم مـن نـحاس أم مـن صُـفر؟ فـقال الله جـل وعـز ردا عـليهم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[3] ففى «هو» دلالة على موضع الرد ومكان الجواب؛ فاذا سقط بطل معنى الآية، ووضح الافتراء على الله عز وجل، والتكذيب لرسول الله ﷺ.

ويقال لهذا الإنسان ومن ينتحل نصرته: أخبرونا عن القرآن الذى تقرأونـه ولا نـعرف نحن ولا مَنْ كان قبلنا من اسلافنا سواه؛ هل هو مشتمل على جميع القـرآن مـن أوله إلى

١. سورة الحجر: الآية ٩.
٢. سورة هود: الآية ١.
٣. سورة الاخلاص: الآية ١.

آخره، صحيح الألفاظ والمعانى عارٍ عن الفساد والخلل؟ أم هو واقع على بعض القرآن والبعض الآخر غائب عنا كما غاب عن أسلافنا والمتقدمين من أهل ملتنا؟ فان أجابوا بأن القرآن الذى معنا مشتمل على جميع القرآن لا يسقط منه شىء، صحيح اللفظ والمعانى، سليمها من كل زلل وخلل؛ فقد قضوا على أنفسهم بالكفر حين زادوا فيه «فليس له اليوم هاهنا حميم وليس له شراب إلا من غسلين من عين تجرى من تحت الجحيم» فأى زيادة فى القرآن أوضح من هذه، وكيف تخلط بالقرآن وقد حرسه الله منها، ومنع كل مفتر ومبطل من أن يلحق به مثلها، وإذا تؤملت وبحث عن معناها وجدت فاسدة غير صحيحة، لا تشاكل كلام البارىء تعالى ولا تخلط به، ولا توافق معناه، وذلك أن بعدها ﴿لاَ يَأْكُلُهُ إلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾[1] فكيف يؤكل الشراب، والذى أتى به قبلها: فليس له اليوم هاهنا حميم وليس له شراب إلا من غسلين من عين تجرى من تحت الجحيم لا يأكله إلا الخاطئون. فهذا متناقض يفسد بعضه بعضا، لأن الشراب لا يؤكل، ولا تقول العرب: أكلت الماء؛ لكنهم يقولون. شربته وذقته وطعمته؛ ومعناه فيما أنزل الله تبارك وتعالى على الصحة فى القرآن الذى من خالف حرفا منه كفر. ﴿وَلاَ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾[2] لا يأكل الغسلين إلا الخاطئون، أو لا يأكل الطعام إلا الخاطئون. والغسلين: ما يخرج من أجوافهم من الشحم وما يتعلق به من الصديد وغيره؛ فهذا طعام يؤكل عند البلية والنقمة، والشراب محال أن يؤكل. فان ادعى هذا الإنسان أن هذا الباطل الذى زاده من قوله «من عين تجرى من تحت الجحيم» ليس بعدها ﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾[3] ونفى هذه الآية من القرآن لتصح له زيادته، فقد كفر لما جحد آية من القرآن. وحسبك بهذا كله ردا لقوله، وخزيا لمقاله. وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرأوا بكذا وكذا إنما ذلك على جهة البيان والتفسير، لا أن ذلك قرآن يتلى، وكذلك ما نسخ لفظه وحكمه أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن؛ على ما يأتى بيانه عند قوله تعالى: ﴿ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾[4] إن شاء الله تعالى»[5].

قال الفيض الكاشانى في نبذ مما جاء في جمع القرآن وتحريفه وزيادته ونقصه وتأويل

---

١. سورة الحاقّة: الآية ٣٧.
٢. سورة الحاقة: الآية ٣٦.
٣. سورة الحاقّة: الآية ٣٧.
٤. سورة البقرة: الآية ١٠٦.
٥. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٨٠ ـ ٨٦.

ذلك:

«روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «يا علي إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة». فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته وقال: «لا أرتدي حتى أجمعه». قال: كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه.

وفي الكافي عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم فقال: «لا اقرأوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم».

أقول: يعني به صاحب الأمر عليه السلام.

وبإسناده عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبدالله عليه السلام وأنا استمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس. فقال أبو عبدالله عليه السلام: «كف عن هذه القراءة واقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم عليه السلام، فإذا قام قرأ كتاب الله تعالى على حدّه، واخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام»، وقال: أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: «هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله، وقد جمعته بين اللوحين» فقالوا: هوذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال: «أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه».

وبإسناده عن البزنطي قال: دفع أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال: «لا تنظر فيه» ففتحته وقرأت فيه لم يكن الذين كفروا، فوجدت فيه اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم. قال: فبعث إلي إبعث إلي بالمصحف.

وفي تفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لولا إنه زيد في كتاب الله ونقص ما خفي حقنا على ذي حجى، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن».

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين».

وفيه عنه عليه السلام : «ان في القرآن ما مضى وما يحدث وما هو كائن ، كانت فيه أسماء[1] الرجال فألقيت ، وإنما الاسم الواحد منه في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة ».

وفيه عنه عليه السلام : «إن القرآن قد طرح منه آي كثيرة ، ولم يزد فيه إلا حروف قد أخطأت به الكتبة وتوهمتها الرجال ».

وروى الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي ـ طاب ثراه ـ في كتاب الاحتجاج، في جملة احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على جماعة من المهاجرين والأنصار : أن طلحة قال له عليه السلام في جملة مسائله عنه : « يا أبا الحسن شيء أريد أن أسألك عنه رأيتك خرجت بثوب مختوم فقلت : « أيها الناس إني لم أزل مشتغلاً برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله وكفنه ودفنه ، ثم اشتغلت بكتاب الله حتى جمعته ، فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط عني حرف واحد » . ولم أر ذلك الذي كتبت وألفت ، وقد رأيت عمر بعث إليك : « أن ابعث به إلي» فأبيت أن تفعل ، فدعا عمر الناس فاذا شهد رجلان على آية كتبها وإن لم يشهد عليها غير رجل واحد أرجأها فلم يكتب ، فقال عمر: « وأنا أسمع إنه قد قتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرأون قرآناً لا يقرؤه غيرهم » . فقد ذهب وقد جاءت شاة إلى صحيفة وكتاب يكتبون فأكلتها وذهب ما فيها ، والكاتب يومئذ عثمان ، وسمعت عمر وأصحابه الذين ألفوا ما كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عثمان يقولون : « ان الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة وان النور نيف ومائة آية ، والحجر تسعون ومائة آية » ، فما هذا وما يمنعك يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى الناس وقد عمد عثمان حين أخذ ما ألف عمر فجمع له الكتاب وحمل الناس على قراءة واحدة ، فمزق مصحف أُبي بن كعب وابن مسعود وأحرقهما بالنار » . فقال له علي: « يا طلحة إن كل آية أنزلها الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله ، وكل حلال وحرام أو حد أو حكم ، أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي حتى أرش

---

١ . لعل المراد بأسماء الرجال الملقية أعلامهم ، وبالاسم الواحد ما كني به تارة عنهم وتارة عن غيرهم من الألفاظ التي لها معان متعددة ، وذلك كالذكر فإنه قد يراد به رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد يراد به أميرالمؤمنين عليه السلام وقد يراد به القرآن. وكالشيطان فإنه قد يراد به الثاني، وقد يراد به إبليس، وقد يراد به غيرهما ، أراد عليه السلام : أن الرجال كانوا مذكورين في القرآن تارة بأعلامهم فألقيت ، وأخرى بكنايات فألقيت ، فهم اليوم مذكورون بالكنايات بألفاظ لها معان أخر يعرف ذلك الأوصياء. «منه قدس سره».

الخدش ». قال طلحة : « كل شيء من صغير أو كبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب؟». قال: «نعم، وسوى ذلك إن رسول الله ﷺ أسر إلي في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب، ولو أن الأمة منذ قبض رسول الله ﷺ اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم»، وساق الحديث إلى أن قال: ثم قال طلحة: « لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عما سألتك عنه من أمر القرآن، ألا تظهره للناس ».

قال: « يا طلحة عمداً كففت عن جوابك، فأخبرني عما كتب عمر وعثمان أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟!» قال طلحة:« بل قرآن كله ». قال : « إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة، فان فيه حجتنا وبيان حقنا وفرض طاعتنا ». قال طلحة: « حسبي أما إذا كان قرآناً فحسبي». ثم قال طلحة: « فأخبرني عما في يديك من القرآن وتأويله وعلم الحلال والحرام إلى من تدفعه، ومن صاحبه بعدك؟ » قال ؑ: « إن الذي أمرني رسول الله ﷺ أن أدفعه إليه وصيي وأولى الناس من بعدي بالناس إبني الحسن، ثم يدفعه إبني الحسن إلى إبني الحسين ؑ، ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين ؑ حتى يرد آخرهم على رسول الله ﷺ حوضه، هم مع القرآن لا يفارقونه والقرآن معهم لا يفارقهم، إلا أن معاوية وابنه سيليانها بعد عثمان، ثم يليها سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص واحد بعد واحد تكملة إثني عشر إمام ضلالة، وهم الذي رأى رسول الله ﷺ على منبره يردون الأمة على أدبارهم القهقرى، عشرة منهم من بني أمية ورجلان أسسا ذلك لهم، وعليهما مثل جميع أوزار هذه الأمة إلى يوم القيامة».

قال: وفي رواية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : أنه لما توفي رسول الله ﷺ جمع علي ؑ القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم، لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ، فلما فتحه أبوبكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر فقال: « يا علي أردده فلا حاجة لنا فيه»، فأخذه علي ؑ وانصرف، ثم احضر زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن فقال له عمر : «إن علياً ؑ جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد أردنا أن تؤلف لنا القرآن، وتسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار ». فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: « فان أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما قد عملتم؟!» . ثم قال عمر: « فما الحيلة؟ » قال

زيد: «أنتم أعلم بالحيلة». فقال عمر: «ما الحيلة دون أن نقتله ونستريح منه». فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك، وقد مضى شرح ذلك[١]، فلما استخلف عمر سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم. فقال: «يا أبا الحسن إن كنت جئت به إلى أبي بكر فأت به إلينا حتى نجتمع عليه». فقال علي عليه السلام: «هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا ـ يوم القيامة ـ: إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئتنا به، إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي» فقال عمر: «فهل وقت لأظهاره معلوم؟» قال علي عليه السلام: «نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه، فتجري السنة به».

وقال في احتجاجه عليه السلام على الزنديق الذي جاء إليه مستدلاً بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل، وكان من سؤاله: «إني أجد الله قد شهر هفوات أنبيائه بقوله ﴿وَعَصَى آدم ربه فغوى﴾[٢]، وبتكذيبه نوحاً عليه السلام لما قال: ﴿إن ابني من أهلي﴾، بقوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾[٣]، وبوصفه إبراهيم عليه السلام بأنه عبد كوكباً مرة ومرة قمراً ومرة شمساً، وبقوله في يوسف عليه السلام: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾[٤]، وبتهجينه موسى عليه السلام حيث قال: ﴿رب أرني أنظر إليك. قال: لن تراني﴾[٥] الآية. وببعثه إلى داود وجبرائيل وميكائيل حيث تسوروا المحراب، إلى آخر القصة، وبحبسه يونس في بطن الحوت حيث ذهب مغاضباً مذنباً، وإظهار خطأ الأنبياء وزللهم، ثم روى أسماء من اغتر وفتن خلقه وضل وأضل وكنى عن أسمائهم في قوله عليه السلام: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتىٰ ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جائني﴾[٦]، فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء؟». ثم قال: «وأجده قد بين فضل نبيه على سائر الأنبياء، ثم خاطبه في أضعاف ما أثنى عليه في الكتاب من الإزراء عليه وانخفاض محلّه، وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب به أحداً من الأنبياء مثل قوله: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾[٧]، وقوله:

---

١. قوله: وقد مضى شرح ذلك، كأنه من كلام صاحب الإحتجاج «منه قدس سره».
٢. سورة طه: الآية ١٢١.
٣. سورة هود: الآية ٤٥ـ٤٦.
٤. سورة يوسف: الآية ٢٤.
٥. سورة الاعراف: الآية ١٤٣.
٦. سورة الفرقان: الآية ٢٧ـ٢٩.
٧. سورة الانعام: الآية ٣٥.

﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدتّ تركن إليهم شيئاً قليلا إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾(١)، وقوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه والله أحق أن تخشاه﴾(٢)، وقوله: ﴿ما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾(٣)، وهو يقول: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾(٤) ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾(٥)، فإذا كانت الأشياء تحصى في الإمام وهو وصي النبي ﷺ، فالنبي ﷺ أولى أن يكون بعيداً من الصفة التي قال فيها: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾. وقال في جملة سؤاله: « وأجده يقول: ﴿فان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾(٦)، وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء ولا كل النساء أيتام فما معنى ذلك؟ ».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

« وأما هفوات الانبياء وما بينه الله في كتابه ووقوع الكناية عن أسماء من اجترم أعظم مما اجترمته الأنبياء ممن شهد الكتاب بظلمهم، فان ذلك من أدل الدلائل على حكمة الله الباهرة وقدرته القاهرة وعزته الظاهرة، لأنه علم أن براهين انبيائه تكبر في صدور أممهم، وأن منهم من يتخذ بعضهم إلهاً، كالذى كان من النصارى في ابن مريم، فذكرها دلالة على تخلفهم من الكمال الذي تفرد به عز جل. ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى عليه السلام حيث قال فيه وفي أمه: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾(٧)، يعني أن من أكل الطعام كان له ثقل ومن كان له ثقل فهو بعيد مما ادعته النصارى لابن مريم، ولم يكن عن أسماء الأنبياء تجبراً وتعززاً، بل تعريفاً لأهل الاستبصار؛ أن الكناية(٨) عن اسماء ذوي الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى، وأنها من فعل المغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن

---

١. سورة الإسراء: الآية ٧٤ ـ ٧٥.
٢. سورة الاحزاب: الآية ٣٧.
٣. سورة الاحقاف: الآية ٩.
٤. سورة الانعام: الآية ٣٨.
٥. سورة يس: الآية ١٢.
٦. سورة النّساء: الآية ٣.
٧. سورة المائدة: الآية ٧٥.
٨. قوله: ان الكناية مفعول للتعريف. أراد عليه السلام أن الله سبحانه صرح في كتابه بأسماء المنافقين كما صرح باسماء الأنبياء، وإنما بدلها المبدلون. وإنما لم يكن من أسماء الأنبياء في مقام ذكر هفواتهم. بل صرح بها تجبراً وتعززاً لئلا يتخذوا من دونه آلهة، وليعرف أهل الاستبصار أن التكنية عن أسماء المنافقين ليست من فعله، بل هي من فعل المغيرين. وذلك لعلمه بأنهم سيبدلونها ويبقى أسماء الأنبياء مصرحاً بها. فلفظة بل ليست للإضراب بل للترقي. منه قدس سره.

عـضين، واعـتاضوا الدنـيا مـن الديـن، وقـد بـين الله تـعالى قـصص المـغيرين بـقوله: ﴿الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾[١]. وبقوله: ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألـسـنتهم بـالكتاب﴾[٢]، وبـقوله: ﴿إذ يـبيتون مـا لا يـرضى مـن القول﴾[٣]. بعد فقد الرسول ما يقيمون به أود باطلهم حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى من تغيير التوراة والانجيل، وتحريف الكلم عن مـواضـعه، وبـقوله: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره﴾[٤] يعني أنـهم أثـبتوا فـي الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة، فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دل على ما أحدثوه فيه وحرفوه منه، وبين عن إفكهم وتلبيسهم وكتمان ما علموه منه، ولذلك قال لهم: لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق، وضرب مثلهم بقوله: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فـي الأرض﴾[٥]، فأمـا الزبـد فـي هـذا المـوضع؛ كـلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن فهو يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التـحصيل، والذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع؛ هي محل العلم وقراره، وليس يسوغ مـع عـموم التـقية التصريح بأسماء المبدلين، ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر والملل المنحرفة عن قبلتنا، وابطال هذا العلم الظاهر الذي قد استكان له الموافق والمخالف بوقوع الاصطلاح على الايتمار لهم والرضا بهم، ولأن أهل الباطل في القديم والحديث أكثر عدداً من أهل الحق، ولأن الصبر على ولاة الأمر مفروض لقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾[٦]، وايجابه مثل ذلك على أوليائه وأهل طاعته بـقوله: ﴿لقد كـان لكـم فـي رسـول الله أسـوة حسنة﴾[٧]. فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمعت فـان شـريعة التـقية تـحظر التصريح بأكثر منه » ثم قال ﷺ: « وأما ما ذكرته من الخطاب الدال على تهجين النبي ﷺ والإزراء به والتأنيب له مع ما أظهره الله تبارك وتعالى في كتابه من تفضيله إياه على سائر

١. سورة البقرة: الآية ٧٩.
٢. سورة آل عمران: الآية ٧٨.
٣. سورة النساء: الآية ١٠٨.
٤. سورة المائدة: الآية ٣٢.
٥. سورة الرّعد: الآية ١٧.
٦. سورة الاحقاف: الآية ٣٥.
٧. سورة الاحزاب: الآية ٢١.

أنبيائه، فان الله عز وجل جعل لكل نبي عدواً من المشركين ، كما قال في كتابه وبحسب جلالة منزلة نبينا ﷺ عند ربه ، كذلك عظم محنته بعدوه الذي عاد منه إليه في حال شقاقه ونفاقه كل أذى ومشقة لدفع نبوته وتكذيبه إياه، وسعيه في مكارهه وقصده لنقض كل ما أبرمه ، واجتهاده ومن مالاه على كفره وعناده ونفاقه والحاده في ابطال دعواه وتغيير ملته ومخالفة سنته، ولم ير شيئاً أبلغ في تمام كيده من تنفيرهم عن موالاة وصيه وايحاشهم منه وصدهم عنه، وإغرائهم بعداوته والقصد لتغيير الكتاب الذي جاء به، واسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل وكفر ذوي الكفر منه وممن وافقه على ظلمه وبغيه وشركه، ولقد علم الله ذلك منهم فقال : **﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾**[١]، وقال: **﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾**[٢]، ولقد احضروا الكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ لم يسقط منه حرف الف ولا لام، فلما وقفوا على ما بينه الله من أسماء أهل الحق والباطل وان ذلك إن ظهر نقض ما عقدوه، قالوا: لا حاجة لنا فيه نحن مستغنون عنه بما عندنا، ولذلك قال: **﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا بآياتي ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾**[٣]، ثم دفعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم عما لا يعلمون تأويله إلى جمعه وتأليفه وتضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فصرح مناديهم من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به ، ووكلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم إلى معاداة أولياء الله فألفه على اختيارهم وما يدل للتأمل على اختلال تمييزهم وافترائهم،وتركوا منه ما قدروا أنه لهم وهو عليهم ، وزادوا فيه ما ظهر تناكره وتنافره ، وعلم الله أن ذلك يظهر ويبين، فقال: ذلك مبلغهم من العلم ، وانكشف لأهل الاستبصار عوارهم وافتراؤهم، والذي بدا في الكتاب من الازراء على النبي ﷺ من فرية الملحدين، ولذلك قال: يقولون منكراً من القول وزوراً. ويذكر جل ذكره لنبيه ﷺ ما يحدثه عدوه في كتابه من بعده بقوله: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾**[٤]، يعني أنّه ما من نبي تمنى مفارقة ما يعانيه من نفاق قومه وعقوقهم والانتقال عنهم إلى دار الاقامة، الا ألقى الشيطان المعرض بعداوته عند

---

١. سورة فصّلت: الآية ٤٠.
٢. سورة الفتح: الآية ١٥.
٣. سورة آل عمران: الآية ١٨٧.
٤. سورة الحج: الآية ٥٢.

فقده في الكتاب الذي أنزل عليه ذمه والقدح فيه والطعن عليه، فيفسخ الله ذلك في قلوب المؤمنين، فلا يقبله ولا يصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين، ويحكم الله آياته بأن يحمي أولياءه من الضلال والعدوان، ومشايعة أهل الكفر والطغيان الذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتى قال: ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾[١] فافهم هذا واعمل به.

وقال عليه السلام في هذا الحديث بعد أن بين تأويل بعض المتشابهات: و «إنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه، لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدّلون من اسقاط اسماء حججه منه وتلبيسهم ذلك على الامة ليعينوهم على باطلهم، فأثبت فيه الرموز وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه، وجعل أهل الكتاب المقيمين به والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت، وجعل أعداءها أهل[٢] الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو علم المنافقون ـ لعنهم الله ـ ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها لأسقطوها مع ما اسقطوا منه، ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجة على خلقه كما قال الله سبحانه: ﴿فلله الحجة البالغة﴾[٣]، أغشى أبصارهم وجعل على قلوبهم أكنة عن تأمل ذلك، فتركوه بحاله وحجبوا عن تأكيد الملتبس بابطاله، فالسعداء يتنبهون عليه والأشقياء يعمون عنه: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[٤]، ثم إن الله جل ذكره بسعة رحمته ورأفته بخلقه، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه قسم كلامه ثلاثة أقسام؛ فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلا الله وامناؤه الراسخون في العلم، وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الإضطرار إلى الايتمار لمن ولاّه[٥] أمرهم، فاستكبروا عن طاعته تعززاً وافتراء على الله عز وجل، واغتراراً بكثرة من ظاهرهم

---

١. سورة الفرقان: الآية ٤٤.
٢. في نسخة: أصل.
٣. سورة الانعام: الآية ١٤٩.
٤. سورة النّور: الآية ٤٠.
٥. في نسخة: والاه.

وعاونهم وعاند الله عز وجل اسمه ورسوله، فاما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله ﷺ من كتاب الله فهو قول الله سبحانه: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[١]، وقوله: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[٢]، ولهذه الآية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله: صلّوا عليه، والباطن قوله: وسلموا تسليماً، أي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم وفضّله، وما عهد به إليه تسليماً، وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله الا من لطف حسه وصفا ذهنه وصح تمييزه، وكذلك قوله: سلام على آل ياسين، لأن الله سمى النبي ﷺ بهذا الاسم حيث قال: ﴿يسٓ والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾[٣]، لعلمه بأنهم يسقطون قول سلام على آل محمد ﷺ كما أسقطوا غيره، وما زال رسول الله ﷺ يتألفهم ويقربهم ويجلسهم عن يمينه وشماله حتى اذن الله عز وجل في ابعادهم: بقوله: و (اهجرهم هجراً جميلاً)، وبقوله: ﴿فمالِ الّذينِ كفروا قبلك مهطعين[٤] عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾[٥]. قال: واما ظهورك على تناكر قوله: ﴿فان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[٦]. وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء ولاكل النساء أيتام؛ فهو مما قدمت ذكره في إسقاط المنافقين من القرآن، وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، وهذا وما أشبهه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمل، ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة للاسلام مساغاً إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل مما يجري هذا المجرى لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء.

أقول: المستفاد من جميع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام إن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد ﷺ، بل منه ما هو

---

١. سورة النساء: الآية ٨٠. ٢. سورة الاحزاب: الآية ٥٦.

٣. سورة يس: الآية ١ ـ ٣.

٤. قوله: مهطعين: أي مسرعين عزين: أي فرق شتى. كان المشركون يحلقون حول رسول الله ﷺ حلقاً حلقاً «منه قدس سره».

٥. سورة المعارج: الآية ٣٦ ـ ٣٩.

٦. سورة النساء: الآية ٣.

خلاف ما أنزل الله ومنه ما هو مغير محرّف، وإنه قد حذف عنه أشياء كثيرة؛ منها اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله.

وبه قال علي بن إبراهيم قال في تفسيره: وأما ما كان خلاف ما أنزل الله ...[١].

.... قال: وأما التقديم والتأخير؛ فإن آية عدة النساء الناسخة[٢] التي هي أربعة أشهر وعشر قدمت على المنسوخة التي هي سنة، وكان يجب أن تقرأ المنسوخة التي نزلت قبل ثم الناسخة التي نزلت بعد. وقوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾[٣]، وإنما هو ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى، وقوله: ﴿وما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾[٤] وإنما هو نحيىٰ ونموت، لأن الدهرية لم يقروا بالبعث بعد الموت وإنما قالوا: نحيىٰ ونموت، فقدّموا حرفاً على حرف، ومثله كثير.

قال: وأما الآيات التي هي في سورة وتمامها في سورة أُخرى، فقول موسى: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم﴾[٥] و﴿قالوا: يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾[٦]، نصف الآية في سورة البقرة ونصفها في سورة المائدة. وقوله: ﴿أكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾[٧]، فرد الله عليهم: ﴿وما كنتَ تتلوا من قبله من كتاب ولا تَخُطُّهُ بيمينكَ إذاً لارتابَ المبطلون﴾[٨]، فنصف الآية في سورة الفرقان، ونصفها في سورة العنكبوت، ومثله كثير انتهى كلامه.

أقول: ويرد على هذا كله إشكال وهو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن، اذ على هذا يحتمل كل آيه منه أن يكون محرفاً ومغيراً ويكون على خلاف

١. تقدم في ص ٤٨٥ من الكتاب الحاضر.

٢. الآيتان متقاربتان في سورة البقرة وأما الناسخة المتقدمة فهي قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾. وأما المنسوخة المتأخرة فهي قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير اخراج﴾. (منه قدس سره).

٣. سورة هود: الآية ١٧.

٤. سورة الجاثية: الآية ٢٤.

٥. سورة البقرة: الآية ٦١.

٦. سورة المائدة: الآية ٢٢.

٧. سورة الفرقان: الآية ٥.

٨. سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

ما أنزل الله، فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلاً، فتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به الى غير ذلك، وايضاً قال الله عز وجل: ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾[1]، وقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[2]، فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير؟!، وايضاً قد استفاض عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله لتعلم صحته بموافقته له وفساده بمخالفته، فاذا كان القرآن الذي بأيدينا محرفاً فما فائدة العرض مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله؟.

ويخطر بالبال في دفع هذا الاشكال ـ والعلم عند الله ـ أن يقال: إن صحت هذه الأخبار فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال، كحذف اسم علي وآل محمد صلى الله عليهم، وحذف أسماء المنافقين عليهم لعائن الله، فإن الإنتفاع بعموم اللفظ باق، وكحذف بعض الآيات وكتمانه، فان الانتفاع بالباقي باق مع أن الأوصياء كانوا يتداركون ما فاتنا منه من هذا القبيل، ويدل على هذا قوله عليه السلام في حديث طلحة: «إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة، فإن فيه حجتنا وبيان حقنا وفرض طاعتنا».

ولا يبعد أيضاً أن يقال: إن بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان ولم يكن من أجزاء القرآن، فيكون التبديل من حيث المعنى؛ أي حرفوه وغيروه في تفسيره وتأويله، أعني حملوه على خلاف ما هو به، فمعنى قولهم عليهم السلام: «كذا نزلت»، أن المراد به ذلك لا أنها نزلت مع هذه الزيادة في لفظها فحذف منها ذلك اللفظ.

ومما يدل على هذا ما رواه في الكافي باسناده عن أبي جعفر عليه السلام: أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير: «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية». الحديث.

وما رواه العامة: أن علياً عليه السلام كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، ومعلوم أن الحكم بالنسخ لا يكون إلا من قبيل التفسير والبيان ولا يكون جزء من القرآن، فيحتمل أن يكون بعض المحذوفات أيضاً كذلك، هذا ما عندي من التقصي عن الاشكال والله يعلم حقيقة

١. سورة فصّلت: الآية ٤٢.
٢. سورة الحجر: الآية ٩.

الحال.

واما اعتقاد مشايخنا «ره» في ذلك، فالظاهر من ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني ـ طاب ثراه ـ أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض لقدح فيها، مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك استاذه علي بن إبراهيم القمي (ره) فان تفسيره مملو منه وله غلو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي ـ رضي الله عنه ـ فانه أيضاً نسج على منوالهما في كتاب الاحتجاج. واما الشيخ أبو علي الطبرسي، فانه قال في مجمع البيان: اما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه [1]...

أقول: لقائل أن يقول: كما ان الدواعي كانت متوفرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كذلك كانت متوفرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصية المغيرين للخلافة، لتضمنه ما يضاد رأيهم وهواهم، والتغيير ـ في إن وقع ـ فانما وقع قبل انتشاره في البلدان واستقراره على ما هو عليه الآن. والضبط الشديد إنما كان بعد ذلك فلا تنافي بينهما، بل لقائل أن يقول: إنه ما تغير في نفسه وإنما التغيير في كتاباتهم إياه وتلفظهم به، فانهم ما حرفوا إلا عند نسخهم من الأصل وبقي الأصل على ما هو عليه عند أهله وهم العلماء به، فما هو عند العلماء به ليس بمحرف، وإنما المحرف ما أظهروه لأتباعهم، وأما كونه مجموعاً في عهد النبي ﷺ على ما هو عليه الآن فلم يثبت، وكيف كان مجموعاً وإنما كان ينزل نجوماً وكان لا يتم الا بتمام عمره؟.

واما درسه وختمه فانما كانوا يدرسون ويختمون ما كان عندهم منه لا إتمامه.

وقال شيخنا الصدوق رئيس المحدثين محمد بن علي بن بابويه القمي ـ طيب الله ثراه ـ في اعتقاداته: اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين وما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، قال: ومن نسب إلينا: إنا نقول: إنه أكثر من ذلك فهو كاذب.

وقال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي ـ رضي الله عنه ـ في تبيانه:

وأما الكلام في زيادته ونقصانه [2]...

أقول: يكفي في وجوده في كل عصر وجوده جميعاً كما أنزله الله محفوظاً عند أهله

١. تقدم في ص ٤٨٩ من الكتاب الحاضر.
٢. تقدم في ص ٤٨٨ من الكتاب الحاضر.

ووجود ما احتجنا إليه منه عندنا وإن لم نقدر على الباقي، كما أن الامام عليه السلام كذلك، فان الثقلين سيان في ذلك.

ولعل هذا هو المراد من كلام الشيخ. واما قوله: من يجب اتباع قوله، فالمراد به البصير بكلامه، فانه في زمان غيبتهم قائم مقامهم لقولهم عليهم السلام : «انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فاجعلوه بينكم حاكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً» ، الحديث»[1].

قال الجنابذى فى وقوع التحريف والتغيير فى القرآن:

«اعلم انه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه، بحيث لايكاد يقع شك فى صدور بعضها منهم، وتأويل الجميع؛ بان الزيادة والنقيصة والتغيير انما هى فى مدركاتهم من القرآن لا فى لفظ القرآن كلفة، ولا يليق بالكاملين فى مخاطباتهم العامة، لأن الكامل يخاطب بما فيه حظ العوام والخواص وصرف للفظ من ظاهره من غير صارف.

وما توهموه صارفاً من كونه مجموعاً عندهم فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وكانوا يحفظونه ويدرسونه، وكانت الأصحاب مهتمين بحفظه عن التغيير والتبديل، حتى انهم ضبطوا قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم.

فالجواب عنه: ان كونه مجموعاً غير مسلم فان القرآن نزل فى مدة رسالته الى اخر عمره نجوماً، وقد استفاضت الاخبار بنزول بعض السور وبعض الايات فى العام الآخر، وما ورد من انهم جمعوه بعد رحلته، وان علياً جلس فى بيته مشتغلاً بجمع القرآن اكثر من ان يمكن انكاره، وكونهم يحفظونه ويدرسونه مسلّم، لكن كان الحفظ والدرس فيما كان بايديهم واهتمام الاصحاب بحفظه وحفظ قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم كان بعد جمعه وترتيبه، وكما كانت الدواعى متوفرة فى حفظه كذلك كانت متوفرة من المنافقين فى تغييره.

وما قيل: إنه لم يبق لنا حينئذ اعتماد عليه والحال انا مأمورون بالاعتماد عليه واتباع احكامه والتدبر فى آياته وامتثال اوامره ونواهيه واقامة حدوده وعرض الاخبار عليه، لا يعتمد عليه فى طرف مثل هذه الاخبار الكثيرة الدالة على التغيير والتحريف عن

---

١. الصافى ج ١ ص ٤٠ ـ ٥٥.

ظواهرها، لأن الاعتماد على هذا المكتوب ووجوب اتباعه وامتثال اوامره ونواهيه واقامة حدوده واحكامه انما هى للاخبار الكثيرة الدالة على ما ذكر، لا للقطع بان ما بين الدفتين هو الكتاب المنزل على محمد ﷺ من غير نقيصة وزيادة وتحريف فيه، ويستفاد من هذه الاخبار؛ أن الزيادة والنقيصة والتغيير ان وقعت فى القرآن لم تكن مخلة بمقصود الباقى منه، بل نقول: كان المقصود الاهم من الكتاب الدلالة على العترة والتوسل بهم، وفى الباقى منه حجتهم اهل البيت وبعد التوسل باهل البيت ان امروا باتباعه كان حجة قطعية لنا، ولو كان مغيرا تغييراً مخلا بمقصوده ـ وان لم نتوسل بهم ـ او لم يأمروا باتباعه وكان التوسل به واتباع احكامه واستنباط اوامره ونواهيه وحدوده واحكامه من قبل انفسنا، كان من قبيل التفسير بالرأى الذى منعوا منه ولو لم يكن مغيراً، وقد استقصى الفيض (ره) فى مقدمات تفسيره الصافى الاخبار والاقوال فى هذا الباب، من اراد فليرجع اليه، وقد ذكر اخباراً كثيرة متفرقة فى مطاوى تفسيره للايات فى بيان التغييرات الواقعة فيها»[1].

قال الآلوسى: «... ويشكل عليه ما مر آنفا من قول زيد: «ففقدت آية من الاحزاب» الخ فانه بظاهره يستدعى ان فى المصاحف العثمانية زيادة لم تكن فى هاتيك الصحف، والأمر فى ذلك هين إذ مثل هذه الزيادة اليسيرة لا توجب مغايرة يعبأ بها ولعلها تشبه مسألة التضاريس، ولو كان هناك غيرها لذكر وليس فليس، ولا تقدح أيضا فى الجمع السابق إذ يحتمل أن يكون سقوطها منه من باب الغفلة وكثيرا ما تعترى السارحين فى رياض حظائر قدس كلام رب العالمين فيذكرهم سبحانه بما غفلوا فيتداركون ما أغفلوا. وزيد هذا كان فى الجمعين ولعله الفرد المعول عليه فى البين، لكن عراه فى أولهما ما عراه. وفى ثانيهما ذكره من تكفل بحفظ الذكر فتدارك ما نساه.

وبعد انتشار هذه المصاحف بين هذه الأمة المحفوظة، لاسيما الصدر الاول الذى حوى من الاكابر ما حوى وتصدر فيه للخلافة الراشدة عليّ المرتضى، وهو باب مدينة العلم لكل عالم والاسد الاشد الذى لا تأخذه في الله لومة لائم، لا يبقى فى ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء بعد من القرآن وإلا لوقع الشك فى كثير من ضروريات هذا الدين الواضح البرهان، وزعمت الشيعة أن عثمان بل أبابكر وعمر أيضا حرفوه وأسقطوا كثيرا

١. بيان السعادة ج ١ ص ١٩ ـ ٢٠.

من آياته وسوره، فقد روى الكليني منهم عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله : « أن القرآن الذى جاء به جبريل إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية»[1] .

وروى محمد بن نصر عنه أنه قال : «كان (فى لم يكن) اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم» .

وروي عن سالم بن سليمة، قال : قرأ رجل على أبى عبدالله ـ وأنا أسمعه ـ حروفا من القرآن ليس ما يقرأها الناس، فقال أبو عبدالله : « مه عن هذه القراآت واقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فاذا قام القائم فاقرأ كتاب الله على حده » .

وروى عن محمد بن جهم الهلالى وغيره، عن أبى عبدالله : (أن أمة هى أربى من أمة) ليس كلام الله، بل محرف عن موضعه، والمنزل ـ أئمة هى أزكى من أئمتكم .

وذكر ابن شهر آشوب المازندرانى فى كتاب المثالب له : أن سورة الولاية أسقطت بتمامها، وكذا اكثر سورة الاحزاب فانها كانت مثل سورة الأنعام فأسقطوا منها فضائل أهل البيت، وكذا أسقطوا لفظ ـ ويلك من قبل لا تحزن إن الله معنا، وعن ولاية على من بعد، وقفوهم إنهم مسئولون، وبعلى بن أبى طالب من بعد وكفى الله المؤمنين القتال، وآل محمد من بعد وسيعلم الذين ظلموا ـ إلى غير ذلك ـ فالقرآن الذى بأيدى المسلمين اليوم شرقا وغربا ـ وهو لكرة الاسلام ودائرة الاحكام مركزاً و قطبا ـ أشد تحريفاً عند هؤلاء من التوراة والانجيل وأضعف تأليفا منهما وأجمع للأباطيل، وأنت تعلم أن هذا القول أوهى من بيت العنكبوت وأنه لأوهن البيوت ـ ولا أراك فى مرية من حماقة مدعيه وسفاهة مفتريه، ولما تفطن بعض علمائهم لما به جعله قولا لبعض أصحابه قال الطبرسى فى مجمع البيان : « أما الزيادة فيه أى القرآن فمجمع على بطلانها، وأما النقصان [2]... ذكران من خالف ذلك من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فان الخلاف فى ذلك مضاف إلى قوم من اصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته » انتهى. وهو كلام دعاه اليه ظهور فساد مذهب أصحابه حتى للاطفال ـ والحمدلله على ان ظهر الحق وكفى الله المؤمنين القتال ـ إلا أن الرجل قدّس فى الشهد سمّاً وأدخل

---

١. والمشهور عندنا أنه ستة الاف وستمائة وستة عشرة آية اهمنه.

٢. تقدم فى ص ٤٨٩ من الكتاب الحاضر .

الباطل فى حمى الحق الأحمى.

أما أولا ـ فلان نسبة ذلك إلى قوم من حشوية العامة الذين يعني بهم أهل السنة والجماعة فهو كذب أو سوء، فهم لأنهم أجمعوا على عدم وقوع النقص فيما تواتر قرآنا كما هو موجود بين الدفتين اليوم، نعم أسقط زمن الصديق ما لم يتواتر وما نسخت تلاوته وكان يقرأه من لم يبلغه النسخ وما لم يكن فى العرضة الأخيرة، ولم يأل جهدا رضى الله تعالى عنه في تحقيق ذلك إلا أنه لم ينتشر نوره فى الآفاق إلا زمن ذى النورين، فلهذا نسب اليه كما روى عن حميدة بنت يونس أن فى مصحف عائشة رضى الله عنها ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[1] ـ وعلى الذين يصلون الصفوف الأول ـ وأن ذلك قبل أن يغير عثمان المصاحف، فما أخرج أحمد عن أبى قال: قال: لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الله أمرنى أن اقرأ عليك فقرأ علي: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾[2] ـ إن الدين عندالله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل ذلك فلن يكفره».

وفى رواية: «(ومن يعمل صالحا فلن يكفره، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) ـ إنَّ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية، ماكان الناس إلا أمة واحدة أولئك عندالله خير مبشرين ومنذرين، يأمرون الناس ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده، ثم أرسل الله النبيين الى البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه».

وفى رواية الحاكم: «فقرأ فيها: ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه يسأل ثانيا، ولوسأل ثانيافأعطيه يسأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

وما روي عنه أيضا أنه كتب فى مصحفه سورتى الخلع والحفد ـ اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثنى عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك

١. سورة الاحزاب: الآية ٥٦.

٢. سورة البيّنة: الآية ١ ـ ٤.

نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق، فهو من ذلك القبيل ومثله كثير، وعليه يحمل ما رواه أبو عبيد عن ابن عمر قال: «لا يقولنّ أحدكم: قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ماكله قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر»، والروايات في هذا الباب اكثر من ان تحصى إلا انها محمولة على ما ذكرناه، وأين ذلك مما يقوله الشيعي الجسور: ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور﴾[١].

وأما ثانيا ـ فلأن قوله: «إن القرآن كان على عهد رسول الله صلى تعالى عليه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن» الخ.

إن أراد به أنه مرتب الآي والسور كما هو اليوم، وأنه يقرأه من حفظه في الصدر من الأصحاب كذلك لكنه كان مفرقا في العسب واللخاف، فمسلم إلا أنه خلاف الظاهر من سياق كلامه وسباقه.

وإن أراد أنه كان في العهد النبوي مقروءاً كما هو الآن لا غير، وكان مرتبا ومجموعا في مصحف واحد غير متفرق في العسب واللخاف، فممنوع والدليل الذى استدل به لا يدل عليه كما لا يخفى، وبالله العجب! كيف ذكر في هذا المعرض ختمات ابن مسعود وأبي على النبي ﷺ وجعل ذلك من أدلة مدعاه؟، مع ان مروى كل منهما يخالف مروى الآخر، وكلاهما يخالفان ما في المصحف العثماني، فالسور مثلا في مصحفنا مائة وأربع عشرة باجماع من يعتدّ به، وقيل: ثلاث عشرة، يجعل الانفال وبراءة سورة واحدة، وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة، لأنه لم يكتب المعوّذتين[٢]، بل صح عنه[٣] أنه كان يحكّها من المصاحف، ويقول: ليستا من كتاب الله تعالى وإنما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتعوذ بهما؛ ولهذا عوذب بهما الحسن والحسين، ولم يتابعه أحد من الصحابة على ذلك، وقد صح أنه ﷺ قرأهما في الصلاة، فالظاهر أنهما غير متواترتين قرآنا عنده، والقول: بأنه إنما أنكر الكتابة، وأراد بالكتاب المصحف ليتم التأويل، مستبعد جداً،

---

١. سورة النّور: الآية ٤٠.

٢. لم يكتب الفاتحة ايضا لكن لا لاعتقاد انها ليست من القرآن معاذ الله ولكن للاكتفاء بحفظها لوجوب قراءتها في الصلاة فلا يخشى ضياعها اهمنه.

٣. كما أخرجه عبدالرحمن بن احمد والطبراني عن النخعي اهمنه.

بل لا يصح كما لا يخفى.

وفي مصحف أبي خمس عشرة، لأنه كتب في آخره بعد (العصر) سورتي الخلع والحفد، وجعل سورة (الفيل وقريش) فيه سورة واحدة، وترتيب كل أيضاً متغاير ومغاير لترتيب مصحفنا مغايرة لا سترة عليها، فسورة (ن) في مصحف ابن مسعود بعد (الذاريات) و(لا أقسم بيوم القيامة) بعد (عم) و(النازعات) بعد (الطلاق) و(الفجر) بعد (التحريم) إلى غير ذلك، وسورة (بني اسرائيل) في مصحف أبي بعد (الكهف) و(الحجرات) بعد (ن) و(تبارك) بعد (الحجرات) و(النازعات) بعد (الواقعة) و (ألم نشرح) بعد (قل هو الله أحد)، مع اختلاف كثير يظهر لمن رجع إلى الكتب المتقنة في هذا الباب، وكأن ران البغض غطى على قلب هذاالبعض، فقال ما قال ولم يتفكر في حقيقة الحال، ولم يبال بوقع النبال، قاصداً ان يستر بمنخل مختل كذبه نور ذي النورين الساطع عليه من برج شمس الكونين ومن بدر صحبه، مع أن نسبة هذا الجمع اليهما من أوضح الأمور، بل أشهر من المشهور، وهو شائع أيضا عند الشيعة وليس لهم إلى إنكاره ذريعة، ولكن مركب التعصب عثور ومذهب التعسف محذور، .... فهذا يدل على ان الاجتهاد دخل في ترتيب السور، ولهذا ذهب البيهقي الى ان جميع السور ترتيبها توقيفي الا براءة والأنفال.

وله انشرح صدر الامام السيوطي لما ضاق ذرعا عن الجواب، والذي ينشرح له صدر هذا الفقير هو ما انشرحت له صدور الجمع الغفير، من أن ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح من القرآن، وحاشا أن يهمل صلى الله تعالى عليه وسلم أمر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته، فلابد إما من التصريح بمواضع الآي والسور وإما من الرمز اليهم بذلك، وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب؛ وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الاساليب، وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل، ولا يصدهم عن اتباع الحق لوم لائم ولا قول قائل، أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما، ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما، وعثمان رضي الله تعالى عنه وإن لم يقف على ما يفيده القطع في براءة والأنفال وفعل ما فعل بناء على ظنه إلا أن غيره وقف، وقبل ما فعله ولم يتوقف، وكم لعمر موافقات لربه أدى اليها ظنه، فليكن لعثمان هذا الموافقة التي ظفر غيره بتحقيقها من النصوص أو

الرموز فسكت، على أن ذلك كان قبل ما فعل عثمان عند التحقيق، ولكن لما رفعت الاقلام وجفت الصحف واجتمعت الكلمة فى أيامه، واقتدت المسلمون فى سائر الآفاق بامامه، نسب ذلك اليه، وقصر من دونهم عليه، والسؤال منه وجوابه ليسا قطعيين فى الدلالة على الاستقلال لجواز أن يكون السؤال للاستخبار عن سر عدم المخالفة، والجواب لابدائه على ما خطر فى البال: وبالجملة بعد إجماع الامة على هذا المصحف لا ينبغى أن يصاخ إلى آحاد الاخبار ولا يشر أبّ الى تطلع غرائب الآثار، فافهم ذاك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك»[١].

قال البلاغي قدس سره في بعض ما الصق بكرامة القرآن الكريم:

«في الجزء الخامس من مسند احمد عن أُبي بن كعب قال: ان رسول الله ﷺ قال: «ان الله أمرني ان اقرأ عليك القرآن» قال فقرأ: ﴿لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب﴾[٢] فقرأ فيها: «لو ان ابن آدم سأل وادياً من مال فاعطيه لسأل ثانيا فلو سأل ثانيا، فاعطيه لسأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، وان ذلك الدين القيم عندالله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يعمل خيراً فلن يكفره». وفي رواية الحاكم في المستدرك ورواية غيره ايضا: «ان ذات الدين عندالله الحنيفية لا المشركة»، وفي رواية «غير المشركة» الى آخره، وعن جامع الأصول لابن الأثير الجرزي: «ان الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية».

وذكر في المسند ايضا بعد هذه الرواية عن أُبي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ان الله أمرني أن اقرأ عليك، فقرأ علي: «لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جائتهم البينة إن الدين عندالله الحنيفية لا المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره» قال شعبة ثم قرأ آيات بعدها، ثم قرأ: «لو ان لابن آدم واديين من مال لسأل واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب». قال: ثم ختمها بما بقي منها انتهى.

وهذه الروايات رواها ايضا ابو داود الطيالسي وسعيد بن منصور في سننه والحاكم في

---

١. روح المعانى ج ١ ص ٢٣ ـ ٢٥.
٢. سورة البيّنه: الآية ١.

مستدركه، كما في كنزالعمال. وذكر في المسند ايضا عن ابي واقد الليثي قال: كنا نأتي النبي ﷺ إذا انزل عليه فيحدثنا، فقال لنا ذات يوم: ان الله عز وجل قال: «إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب» انتهى.

هب ان المعرفة والصدق لا يطالبان المحدثين «ولا نقول القصاص» ولا يسألانهم عن هذا الاضطراب الفاحش فيما يزعمون انه من القرآن، ولا يسألانهم عن التمييز بين بلاغة القرآن وعلو شأنه فيها وبين انحطاط هذه الفقرات. ولكن أليس للمعرفة أن تسألهم عن الغلط في قولهم: «لا المشركة» فهل يوصف الدين بأنه مشركة؟!. وفي قولهم: «الحنيفية المسلمة» وهل يوصف الدين او الحنيفية بأنه مسلمة؟! وقولهم: «ان ذات الدين»، وفي قولهم: «إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة» ما معنى انزال المال. وما معنى كونه لإقام الصلاة؟!.

هذا واستمع لما يأتي؛ ففي الجزء السادس من مسند احمد مسندا عن مسروق قال: قلت: «لعائشة هل كان رسول الله يقول شيئا إذا دخل البيت» قالت: «كان إذا دخل البيت تمثل لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ فمه الا التراب وما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ويتوب الله على من تاب». وفي الجزء السادس في اسناده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو ان لابن آدم واديا من مال لتمنى واديين ولو ان له واديين لتمنى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب». وباسناده ايضا قال سئل جابر هل قال رسول الله: «لو كان لابن آدم واد من نخل تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»؟. انتهى.

وهل تجد من الغريب او الممتنع في العادة ان يكون لابن آدم واد من مال أو من نخل؟. او ليس في بني آدم في كل زمان من ملك واديا من ذلك، بل واديين؟. اذن فكيف يصح في الكلام المستقيم أن يقال: لو كان لابن آدم. لو ان لابن آدم. او ليست لو للامتناع؟!. يا للعجب من الرواة لهذه الروايات، الم يكونوا عربا أو لهم المام باللغة العربية؟. نعم يرتفع هذا الاعتراض بما رواه أحمد في مسند ابن عباس: لو كان لابن آدم واديان من ذهب، وكذا ما يأتي من رواية الترمذي عن انس. وايضا إن تمنى الوادي والواديين والثلاث ليس بذنب يحتاج إلى التوبة، إذن فما هو وجه المناسبة بتعقيب ذلك بجملة «ويتوب الله على من

تاب»؟! وإن شئت ان تستزيد مما في هذه الرواية من التدافع والاضطراب فاستمع إلى ما رواه الحاكم في المستدرك: ان ابا موسى الأشعري قال كنا نقرأ سورة نشبهها بالطول والشدة ببراءة، فأنسيتها غير اني حفظت منها؛ لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. وذكر في الدر المنثور انه أخرجه جماعة عن ابي موسى. وأضف إلى ذلك في التدافع والتناقض ما اسنده في الاتقان عن ابي موسى ايضا، قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: ان الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين لتمنى إلى آخره. واسند الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب ان يكون له ثان، ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب. وها انت ترى روايات عائشة وجابر وانس وابن عباس تجعل حديث الوادي والواديين من قول رسول الله وتمثله. فهي بسوقها تنفي كونه من القرآن الكريم. ومع ذلك فقد نسبت إلى كلام الرسول ﷺ ما يأتي فيه بعض من الاعتراضات المتقدمة، مما يجب ان ينزّه عنه، ودع عنك الاضطراب الذي يدع الرواية مهزلة.

الأمر الثالث ـ ومما الصقوه بكرامة القرآن المجيد قولهم ـ في الرواية ـ عن زيد بن ثابت: كنا نقرأ آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»، وفي الرواية عن ذر عن أبي: أن سورة الأحزاب كانت تضاهي سورة البقرة او هي أطول منها، وأن فيها أو في أواخرها آية الرجم وهي: «الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم» وفي رواية السياري من الشيعة، عن ابي عبدالله بزيادة قوله: بما قضيا من الشهوة. وفي رواية الموطأ والمستدرك ومسدد وابن سعد عن عمر كما سيأتي: «الشيخ والشيخة فارجموهما البتة» وفي رواية ابي امامة ابن سهل؛ ان خالته قالت: لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم «الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة»، ونحو ذلك رواية سعد بن عبدالله وسليمان بن خالد من الشيعة، عن أبي عبدالله عليه السلام. ويا للعجب كيف رضي هؤلاء المحدثون لمجد القرآن وكرامته ان يلقى هذا الحكم الشديد على الشيخ والشيخة بدون ان يذكر السبب؛ وهو زناهما اقلاً، فضلا عن شرط الإحصان؟!. وأن قضاء الشهوة أعم من الجماع والجماع اعم من الزنا والزنا يكون كثيراً مع عدم الاحصان؟. سامحنا من يزعم ان قضاء الشهوة كناية عن الزنا، بل زد عليه كونه مع الاحصان، ولكنا نقول: ما وجه دخول

الفاء في قوله: «فارجموهما» وليس هناك ما يصحح دخولها من شرط أو نحوه، لا ظاهر ولا على وجه يصح تقديره؟، وإنما دخلت الفاء على الخبر في قوله تعالى في سورة النور: «والزانية والزاني فاجلدوا»؛ لأن كلمة اجلدوا بمنزلة الجزاء لصفة الزنا في المبتدأ. والزنا بمنزلة الشرط. وليس الرجم جزاءً للشيخوخة ولا الشيخوخة سببا له. نعم الوجه في دخول الفاء هو الدلالة على كذب الرواية. ولعل في رواية سليمان بن خالد سقطا بأن تكون صورة سؤاله؛ هل يقولون في القرآن رجم. وكيف يرضى لمجده وكرامته ـ في هذا الحكم الشديد ـ أن يقيد الأمر بالشيخ والشيخة مع اجماع الأمة على عمومه لكل زان محصن بالغ الرشد من ذكر أو أنثى؟. وان يطلق الحكم بالرجم مع اجماع الأمة على اشتراط الاحصان فيه؟. وفوق ذلك يؤكد الاطلاق ويجعله كالنص على العموم بواسطة التعليل بقضاء اللذة والشهوة الذي يشترك فيه المحصن وغير المحصن؟. فتبصر بما سمعته من التدافع والتهافت والخلل في رواية هذه المهزلة. واضف إلى ذلك ما رواه في الموطأ والمستدرك ومسدد وابن سعد من ان عمر قال قبل موته بأقل من عشرين يوما فيما يزعمونه من آية الرجم: لولا ان يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبتها «الشيخ والشيخة فارجموهما البتة»، واخرج الحاكم وابن جرير وصححه ايضا ان عمر قال: لما نزلت اتيت رسول الله ﷺ فقلت: «اكتبها» وفي نسخة كنزالعمال اكتبنيها» فكأنه كره ذلك. وقال عمر الا ترى ان الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد، وان الشاب إذا زنا وقد احصن رجم. فالمحدثون يروون: أن عمر يذكر ان رسول الله كره ان تكتب آية منزلة، وعمر يذكر وجوه الخلل فيها.

فيا للعجب منهما. وفي الاتقان أخرج النسائي، ان مروان قال لزيد بن ثابت: ألا تكتبها في المصحف؟، قال: ألا ترى ان الشابين الثيبين يرجمان، وقد ذكرنا ذلك لعمر فقال: أنا اكفيكم، فقال: يا رسول الله اكتب لي آية الرجم، قال: «لا تستطيع» انتهى. فزيد بن ثابت يعترض عليها. ولما رأوا التدافع بين قول عمر: اكتبها لي، وبين قول النبي: لا تستطيع، قالوا: أراد عمر بقوله ذلك إئذن لي بكتابتها!، وكأنهم لا يعلمون ان عمر عربي لا يعبر عن قوله إئذن لي بكتابتها بقوله: اكتبها لي، ومع ذلك لم يستطيعوا ان يذكروا وجها مقبولا لقوله ﷺ: لا تستطيع!.

وفي رواية في كنزالعمال عن ابن الضريس عن عمر، قلت لرسول الله : اكتبها يا رسول الله، قال : لا استطيع. واخرج ابن الضريس عن زيد بن اسلم: أن عمر خطب الناس فقال : لا تشكوا في الرجم فانه حق، ولقد هممت ان اكتبه في المصحف، فسألت أبي بن كعب فقال : أليس اتيتني وانا استقرئها رسول الله فدفعت في صدري، وقلت : كيف يستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر؟! انتهى. فهذه الرواية تقول : ان عمر لم يرض بانزال شيء في الرجم. وليت المحدثون يفسرون حاصل الجواب من أبي لعمر، وحاصل منع عمر لأبي عن استقرائها.

واخرج الترمذي عن سعد بن المسيب عن عمر، قال : رجم رسول الله ﷺ ورجم ابوبكر ورجمت، ولولا اني اكره ان ازيد في كتاب الله لكتبته في المصحف. نعم يقول : إن كتابة الرجم في المصحف زيادة في كتاب الله وهو يكرهها ـ فقابل هذه الروايات الأربع احداهن بالأخرى واعرف ما جناه المولعون بكثرة الرواية من المحدثين. وإذا نظرت إلى الجزء الثالث من كنزالعمال صحيفة: ٩٠و ٩١ فإنك تزداد بصيرة في الاضطراب والخلل.

هذا ومما يصادم هذه الروايات ويكافحها ما روي من؛ أن علياً عليه السلام لما جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، قال : « اجلدها بكتاب الله وراجمها بسنة رسوله » كما رواه احمد والبخاري والنسائي وعبدالرزاق في الجامع والطحاوي والحاكم في مستدركه وغيرهم. ورواه الشيعة عن علي عليه السلام مرسلاً فعلي عليه السلام يشهد بأن الرجم من السنة لا من الكتاب.

الأمر الرابع مما الصقوه بكرامة القرآن المجيد ما رواه في الاتقان والدر المنثور: انه اخرج الطبراني والبيهقي وابن الضريس ؛ ان من القرآن سورتين ـ وقد سماهما الراغب في المحاضرات سورتي القنوت ـ ونسبوهما الى تعليم علي عليه السلام، وقنوت عمر، ومصحفي ابن عباس وزيد بن ثابت، وقراءة أُبي وأبي موسى، والأولى منهما ؛ بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك انتهى.

لا نقول لهذا الراوي: إن هذا الكلام لا يشبه بلاغة القرآن ولا سوقه فانا نسامحه في معرفة ذلك، ولكنا نقول له: كيف يصح قوله: يفجرك وكيف تتعدى كلمة يفجر؟! وايضا ان

الخلع يناسب الأوثان، إذن فماذا يكون المعنى وبماذا يرتفع الغلط؟!.

والثانية منهما؛ بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد ان عذابك بالكافرين ملحق انتهى.

ولنسامح الراوي ايضا فيما سامحناه فيه في الرواية الأولى، ولكنا نقول له: ما معنى الجد هنا؟ أهو العظمة او الغنى او ضد الهزل، او هو حاجة السجع؟!، نعم في رواية عبيد: نخشى نقمتك، وفي رواية عبدالله: نخشى عذابك، وما هي النكتة في التعبير بقوله ملحق؟!. وما هو وجه المناسبة وصحة التعليل لخوف المؤمن من عذاب الله بأن عذاب الله بالكافرين ملحق، بل ان هذه العبارة تناسب التعليل لأن لا يخاف المؤمن من عذاب الله لأن عذابه بالكافرين ملحق؟!.

الأمر الخامس ومما الصقوه بالقرآن المجيد ما نقله في فصل الخطاب عن كتاب دبستان المذاهب: أنه نسب الى الشيعة؛ انهم يقولون: ان احراق المصاحف سبب اتلاف سور من القرآن نزلت في فضل علي عليه السلام واهل بيته عليهم السلام.

«منها» هذه السورة، وذكر كلاما يضاهي خمسا وعشرين آية في الفواصل قد لفق من فقرات القرآن الكريم على اسلوب آياته. فاسمع ما في ذلك من الغلط فضلا عن ركاكة اسلوبه الملفق، فمن الغلط؛ «واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولَئك في خلقه»، ماذا اصطفى من الملائكة، وماذا جعل من المؤمنين وما معنى أولَئك في خلقه؟!. ومنه؛ «مثل الذين يوفون بعهدك اني جزيتهم جنات النعيم»، ليت شعرى ما هو مثلهم؟!. ومنه؛ «ولقد ارسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل»، ما معنى هذه الدمدمة، وما معنى بما استخلف، وما معنى فبغوا هارون، ولمن يعود الضمير في بغوا، ولمن الأمر بالصبر الجميل؟؟!. ومن ذلك؛ «ولقد آتينا بك الحكم كالذي من قبلك من المرسلين وجعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون»، ما معنى آتينا بك الحكم، ولمن يرجع الضمير الذي في منهم ولعلهم، هل المرجع للضمير هو في قلب الشاعر، وما هو وجه المناسبة في لعلهم يرجعون؟؟!. ومن ذلك؛ «وان عليا قانت في الليل ساجد يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون»، قل: ما محل قوله: هل يستوي الذين ظلموا، وما هي المناسبة له في قوله: وهم بعذابي يعلمون؟؟!. ولعل هذا

الملفق تختلج في ذهنه الآيتان الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة الزمر، وفي آخرها: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[١]، فأراد الملفق أن يلفق منهما شيئا بعدم معرفته، فقال في آخر ما لفق: هل يستوي الذين ظلموا، ولم يفهم انه جيء بالاستفهام الانكاري في الآيتين، لأنه ذكر فيهما الذي جعل لله انداداً ليضل عن سبيله والقانت آناء الليل يرجو رحمة ربه، فهما لا يستويان، ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. هذا بعض الكلام في هذه المهزلة.

وان صاحب (فصل الخطاب) من المحدثين المكثرين المجدين في التتبع للشواذ وانه ليعد امثال هذا المنقول في (دبستان المذاهب) ضالته المنشودة ومع ذلك قال: «انه لم يجد لهذا المنقول أثر في كتب الشيعة».

فيا للعجب من صاحب (دبستان المذاهب) من اين جاء بنسبة هذه الدعوة إلى الشيعة؟!. وفي أي كتاب لهم وجدها؟ أفهكذا يكون النقل في الكتب؟ ولكن لا عجب(شنشنة أعرفها من أخزم) فكم نقلوا عن الشيعة مثل هذا النقل الكاذب، كما في كتاب الملل للشهرستاني، ومقدمة ابن خلدون؟، وغير ذلك مما كتبه بعض الناس في هذه السنين والله المستعان.

قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن:

ولا يخفى ان شيخ المحدثين والمعروف بالاعتناء بما يروى وهو الصدوق ـ طاب ثراه ـ قال في كتاب الاعتقاد: «اعتقادنا، ان القرآن الذي انزله الله على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك، ومن نسب الينا انا نقول: انه اكثر من ذلك فهو كاذب» انتهى.

وحمل الروايات الواردة في النقصان على وجوه أخر.

وفي أواخر (فصل الخطاب) من كتاب المقالات للشيخ المفيد ـ قدس سره ـ إنه قال جماعة من أهل الإمامة: انه (أي القرآن) لم ينقص من كلمه ولا من آيه ولا من سوره ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف اميرالمؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله. وعن السيد المرتضى ـ قدس سره ـ قوله: بعدم النقيصة، وان من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من اصحاب

---

١. سورة الزّمر: الآية ٩.

الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها. وفي اول التبيان للشيخ الطوسي (قده): «أما الكلام في زيادته ونقصه فمما لا يليق به أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها. والنقصان فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات غير انه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع الى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علما ولا عملا، والأولى الاعراض عنها» انتهى.

وتبعه على ذلك في مجمع البيان وفي كشف الغطاء في كتاب القرآن: «المبحث الثامن في نقصه؛ لا ريب انه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن واجماع العلماء في كل زمان ولا عبرة بالنادر، وما ورد من اخبار النقص تمنع البديهة من العمل بظاهرها، إلى ان قال: فلابد من تأويلها بأحد وجوه».

وعن السيد القاضي نور الله في كتابه مصائب النواصب ما نسب إلى الشيعة الإمامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية، إنما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم.

وعن الشيخ البهائي: «وايضا اختلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه، والصحيح ان القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أو نقصانا، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وانا له لحافظون﴾[1]، وما اشتهر بين الناس من اسقاط اسم اميرالمؤمنين عليه السلام منه في بعض المواضع، مثل قوله تعالى: «يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك في عليّ» وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء».

وعن المقدس البغدادي في شرح الوافية: «وانما الكلام في النقيصة، والمعروف بين اصحابنا حتى حكي عليه الاجماع عدم النقيصة ايضا».

وعنه ايضا عن الشيخ علي بن عبدالعالي، انه صنف في نفي النقيصة رسالة مستقلة، وذكر كلام الصدوق المتقدم، ثم اعترض بما يدل على النقيصة من الأحاديث، وأجاب: بأن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة أو الاجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه ..

---

١. سورة الحجر: الآية ٩.

هذا وان المحدث المعاصر جهد في كتاب فصل الخطاب في جميع الروايات التي استدل بها على النقيصة، وكثر أعداد مسانيدها باعداد المراسيل على الأئمة عليهم السلام في الكتب، كمراسيل العياشي وفرات وغيرها، مع ان المتتبع المحقق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد. وفي جملة ما اورده من الروايات ما لا يتيسر احتمال صدقها. ومنها ما هو مختلف باختلاف يؤول به إلى التنافي والتعارض، وهذا المختصر لا يسع بيان النحوين الأخيرين. هذا مع ان القسم الوافر من الروايات ترجع اسانيده إلى بضعة أنفار، وقد وصف علماء الرجال كلاً منهم اما بأنه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفو الرواية، واما بأنه مضطرب الحديث والمذهب، يعرف حديثه وينكر ويروي عن الضعفاء، واما بأنه كذاب متهم لا أستحل ان اروي من تفسيره حديثا واحدا، وانه معروف بالوقف، وأشد الناس عداوة للرضا عليه السلام، وأما بأنه كان غاليا كذابا. واما بأنه ضعيف لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ومن الكذابين، واما بأنه فاسد الرواية يرمى بالغلو. ومن الواضح ان امثال هؤلاء لا تجدي كثرتهم شيئا. ولو تسامحنا بالاعتناء برواياتهم في مثل هذا المقام الكبير، لوجب من دلالة الروايات المتعددة ان ننزلها على ان مضامينها تفسير للآيات أو تأويل او بيان لما يعلم يقينا شمول عموماتها له، لأنه أظهر الافراد وأحقها بحكم العام. أو ما كان مراداً بخصوصه وبالنص عليه في ضمن العموم عند التنزيل. أو ما كان هو المورد للنزول. او ما كان هو المراد من اللفظ المبهم. وعلى احد الوجوه الثلاثة الأخيرة يحمل ما ورد فيها؛ « انه تنزيل » و « انه نزل به جبريل » كما يشهد به نفس الجمع بين الروايات. كما يحمل التحريف فيها على تحريف المعنى، ويشهد لذلك مكاتبة ابي جعفر عليه السلام لسعد الخير -كما في روضة الكافي- ففيها: وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده. وكما يحمل ما فيها من انه كان في مصحف اميرالمؤمنين عليه السلام، او ابن مسعود وينزل على انه كان فيه بعنوان التفسير والتأويل. ومما يشهد لذلك قول اميرالمؤمنين عليه السلام للزنديق، كما في نهج البلاغة وغيره: ولقد جئتهم بالكتاب كملاً مشتملاً على التنزيل والتأويل. ومما أشرنا اليه من الروايات؛ ان المحدث المعاصر أورد في روايات سورة المعارج، اربع روايات، ذكرت: ان كلمة (بولاية علي) مثبتة في مصحف فاطمة، وهكذا هي في مصحف فاطمة عليها السلام، ولا يخفى ان مصحفها عليها السلام انما هو كتاب تحديث بأسرار العلم، كما يعرف

ذلك من عدة روايات في اصول الكافي في باب الصحيفة والمصحف والجامعة، وفيها قول الصادق عليه السلام: ما فيه من قرآنكم حرف واحد. وما ازعم ان فيه قرآنا، كما في الصحيح والحسن.

ومنها؛ ما في الكافي في باب ان الأئمة عليهم السلام شهداء على الناس، في صحيحة بريد عن ابي جعفر عليه السلام، وروايته عن أبي عبدالله عليه السلام من قولهما عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وجعلناكم امة وسطا﴾[1] نحن الأمة الوسطى. وفي شرحه عن اميرالمؤمنين عليه السلام ونحن الذين قال الله: ﴿وجعلنا كم امة وسطا﴾. إذن فما روي مرسلا في تفسيري النعمان وسعد من ان الأئمة: «أئمة وسطاً» لا بد من حمله على التفسير، وان التحريف إنما هو للمعنى.

ومنها ـ كما رواه في الكافي ـ في باب ان الأئمة هم الهداة، عن الفضل سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ولكل قوم هاد﴾[2] فقال: «كل إمام هو هاد للقرن الذي هو فيهم».

ورواية بريد عن ابي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إنما انت منذر ولكل قوم هاد﴾[3]، فقال: «رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر، ولكل زمان منا هاد يهديهم ـ إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ـ والهداة من بعده علي عليه السلام، ثم الأوصياء واحداً بعد واحد». ونحوها رواية ابي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام، ورواية عبدالرحيم القصير عن ابي جعفر عليه السلام: «ان رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وعلي الهادي» وبمضمونها جاءت روايات الجمهور مسندة عن طريق ابي هريرة وابي برزة وابن عباس، وطريق اميرالمؤمنين عليه السلام، وصححه الحاكم في مستدركه.

وإذا احطت خبرا بهذا، فهل يروق لك التجاء (فصل الخطاب) في تلفيقه وتكثيره إلى النقل عن بعض التفاسير المتأخرة، وعن الداماد في حاشية القبسات من قوله: ان الأحاديث من طرقنا وطرقهم متضافرة بأنه كان التنزيل: «انما أنت منذر العباد وعلي لكل قوم هاد» انتهى. هذا الشعر الذي ينشده المداحون ولا يرضى العارف باللغة العربية ان ينسب اليه نظمه، ولا اظنك تجد من طرقنا وطرق اهل السنة غير ما سمعته اولا، وهو غير ما نقله فاعتبر ومنها: رواية الكافي عن ابي حمزة عن ابي جعفر عليه السلام قال: قوله عز وجل:

١. سورة البقرة: الآية ١٤٣.
٢. سورة الرّعد: الآية ٧.
٣. سورة الرّعد: الآية ٧.

﴿ربنا ماكنا مشركين﴾[1] يعنون بولاية علي عليه السلام، وهذا صريح في كونه تفسيرا، فهي حاكمة ببيانها على ضعيفتي ابي بصير في ظهورهما بأن لفظ «بولاية علي» محذوف من الآية، ويسري البيان من رواية ابي حمزة إلى أمثال ذلك ومنها رواية عمر بن حنظلة عن ابي عبدالله عليه السلام، في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ متاعا إلى الحول غير اخراج ﴾. مخرجات. ولا اظن إلا انك تقول ان الحاق الإمام عليه السلام لكلمة مخرجات انما هو تفسير للمراد من كلمة. اخراج. لا بيان للنقيصة من القرآن الكريم، ولكن (فصل الخطاب) اورده بعنوان البيان للنقيصة فاعتبر.

ومنها: صحيحة محمد بن مسلم عن ابي عبدالله عليه السلام -كما في الكافي -في اول باب منع الزكاة، وفيها ثم قال عليه السلام: هو قول الله عز وجل: ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾[2] يعني ما بخلوا به من الزكاة، فالرواية كالصريحة بأن لفظ «من الزكاة» إنما هو تفسير من الإمام لا من القرآن، فهي حاكمة ببيانها على مرسلة ابن ابي عمير عمن ذكره عن ابي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿سيطوقون ما بخلوا به﴾، من الزكاة يوم القيامة، وصارفة لها عن كونها بيانا للنقيصة.

ومنها: صحيحة ابي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام -كما في الكافي -في باب نص الله ورسوله على الأئمة واحداً بعد واحد.

وفيها: فقلت له: ان الناس يقولون فماله لم يسم علياً عليه السلام وأهل بيته في كتاب الله؟ قال: فقولوا لهم: «إن رسول الله نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا اربعا حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر لهم ذلك.

وكذا قال عليه السلام في الزكاة والحج. ومقتضى الرواية تصديق الإمام عليه السلام لقول الناس: ان الله لم يسم عليا في القرآن، وإن التسمية كانت من تفسير رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث من كنت مولاه وحديث الثقلين.

ويشهد لك ما رواه في الكافي ايضا في هذا الباب بعد ذلك بيسير في صحيحة الفضلاء، عن ابي جعفر عليه السلام، ورواية ابي الجارود عنه عليه السلام ايضا، ورواية ابي الديلم عن ابي عبدالله عليه السلام، انهما تلوا في مقام الاحتجاج وعدم التقية قوله تعالى: ﴿يا ايها الرسول بلغ ما

---

١. سورة الانعام: الآية ٢٣.
٢. سورة آل عمران: الآية ١٨٠.

انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[١]، ولم يذكرا في تلاوة الآية كلمة «في علي»، وهذا يدل على ان ما روي في ذكر اسم علي عليه السلام في هذا المقام، بل وفي غيره إنما هو تفسير وبيان للمراد في وحي القرآن ويكون التفسير والبيان جاء به جبرائيل من عندالله بعنوان الوحي المطلق لا القرآن، وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى، ومنها ـ رواية الفضيل عن ابي الحسن الماضي عليه السلام في باب النكت من التنزيل في الولاية من الكافي، قال: قلت: «هذا الذي كنتم به تكذبون» قال: يعني اميرالمؤمنين عليه السلام، قلت: تنزيل قال عليه السلام: «نعم فإنه عليه السلام ذكر اميرالمؤمنين عليه السلام بقوله» يعني بعنوان التفسير وبيان المراد والمشار اليه في قوله تعالى هذا، فقوله في الجواب: «نعم»، دليل على ان ما كان مراداً بعينه في وحي القرآن يسمونه عليهم السلام تنزيلا. فتكون هذه الرواية وأمثالها قاطعة لتشبثات فصل الخطاب بما حشده من الروايات التي عرفت حالها اجمالاً، وإلى ما ذكرناه وغيره يشير ما نقلناه من كلمات العلماء الأعلام قدست اسرارهم.

فإن قيل: ان هذه الرواية ضعيفة وكذا جملة من الروايات المتقدمة.

قلنا: ان جل ما حشده فصل الخطاب من الروايات هو مثل هذه الرواية واشد منها ضعفا، كما أشرنا اليه في وصف رواتها، على ان ما ذكرناه من الصحاح فيه كفاية لأولي الألباب»[٢].

قال عبدالقادر: «على هذه الصورة حفظ الله كتابه المصون تحقيقاً لوعده فيه، ومن ثم حرق ما سوى المصاحف الستة أو السبعة على القول الأخير بعد تمام النسخ والتوزيع سنة ٢٦ من الهجرة، ولم يزد او ينقص أو يبدل أو يغير أو يحرف حرف واحد مما أنزله الله، وبقي محفوظاً مصوناً إلى الآن، وسيبقى إن شاء الله إلى أن يرفعه، مجازاً لوعده هذا. ومن قال: انه أهمل شيء منه لا برهان له به، وقد كذب وافترى وخالف الإجماع بلا مراء، كيف وهو نور النبوة وبرهان الشريعة، لا سيما وقد تصدر للخلافة بعد نشر هذه المصاحف وحرق ما سواها الإمام الحازم علي عليه السلام باب مدينة العلم وعالم الأرض بعد ابن عمه، وهو ذلك الأسد الشديد الرشيد، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فلو كان يوجد شيء من ذلك، لدونه واثبته فيه حين نسخه ولم يعط مجالاً لذلك البتة، وعليه فلا يجوز أن يبقى في ذهن

---

١. سورة المائدة: الآية ٦٧.
٢. آلاء الرحمن ج ١ ص ١٩ ـ ٢٩.

مؤمن سقوط شيء من القرآن، وكل ما نقل أو ورد من الأخبار والآثار والأحاديث بأن شيئاً من القرآن لم يدون في المصحف لا صحة له ولا حجة به لقائله، ولا برهان له عليه سواء كانت أخبار آحاد أو جماعات، لأنها كلها مكذوبة ومختلفة ومتناقلة إفكاً فلا يتمسك بها إلا زنديق مارق مفارق للجماعة، منكر لصراحة القرآن الذي صرح بحفظه من كل شيء منزله بقوله جل قوله: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[١]، راجع تفسيرها، والآية السابقة من سورة الحجر تجد ما يتعلق في هذا مفصلاً، واعلم بأن الذي يحفظه الله لا يقدر أن يضيعه البشر، وعليه فإن القرآن الموجود الآن بين الدفّتين هو تمام كلام الله الذي أنزله على محمد ﷺ، لم يبدل ولم يغير، ولم ينقص منه أو يزد فيه حرف واحد البتة، بإجماع صحابة رسول الله، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا منافق كافر لا حظ له في الإسلام، والموفق من طهر قلبه من ذلك»[٢].

قال النهاوندي (ره) في ان الكتاب الذى بايدينا هو الكتاب المنزل المجموع بامر النبى بلا تحريف وتغيير وزيادة ونقصان:

«الحق ان الكتاب العزيز الذى بايدينا هو ذلك الكتاب المنزل المجموع المرتب بامر النبى ﷺ فى عصره بلا تحريف وتغيير وزيادة ونقصان، لتواتره بين المسلمين كلاً وابعاضا وترتيباً وقراءةً، ونهاية اهتمام المسلمين كافة خصوصاً ـ علماءهم وقراءهم، فى حفظه وتلاوته والبحث عنه، لانه اساس الاسلام واعظم معجزات سيد الانام عليه وعلى آله الصلوة والسلام، ومأخذ الأحكام، ومنشور الله الى خلقه، ونوره المبين فى أرضه. عن السيد المرتضى على ما حكى عنه فى جواب المسائل الطرابلسيات[٣] ... ولعمرى انه ـ رضوان الله عليه ـ ابان الحق واجاد واتي بما فوق المراد، وان قال الفيض رحمه الله بعد نقله : «لقائل ان يقول : كما ان الدواعى كانت متوفرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كذلك كانت متوفرة على تغييره من المنافقين، المبدّلين للوصية المغيرين للخلافة، لتضمنه ما يضار رأيهم وهواهم.

اقول : نعم ، ولكن كان توفر دواعيهم على التغيير كتوفر دواعيهم على اطفاء نور

---

١. سورة فصلت : الآية ٤٢.
٢. بيان المعانى ج ١ ص ٣٢ـ٣٣.
٣. تقدم في ص ٤٨٩ من الكتاب الحاضر.

النبي ﷺ وابطال أمره، فكما لم ينالوا بمقصودهم فى امر النبوة لحفظ الله وتأييده وقوّة المسلمين وكثرتهم، بحيث صار المنافقون بينهم كالشامة السوداء فى الثور الابيض، لم ينالوا من القرآن ماكان فى قلوبهم من الغرض بل كان دون نيلهم اليه خرط القتاد» ثم قال الفيض رحمه الله: «والتغيير فيه ـ ان وقع ـ فانما وقع قبل انتشاره فى البلدان واستقراره على ما هو عليه الان، والضبط الشديد انما كان بعد ذلك فلا تنافي بينهما».

اقول: قد ثبت ان القرآن كان مجموعا فى زمان النبى ﷺ، وكانت شدة اهتمام المسلمين فى حفظ ذلك المجموع بعد النبي ﷺ، وفي زمان احتمل بعض وقوع التحريف فيه، كاهتمامهم في حفظ انفسهم واعراضهم، ومن الواضح انه لم ينتشر الاسلام في بقاع الارض واقطارها الا بانتشار الكتاب المجيد فيها، حيث ان اعجاز القرآن دعا الناس الى الاسلام والايمان بخاتم النبيين ﷺ، بل كان نشر الكتاب وشيوعه بين الناس اكثر من نشر الاسلام، إذ الكفار المعاندون للدين بشدة اعجابهم بآيات الله وسور القرآن كانوا يحفظونها ويتلونها اكثر من حفظهم وقراءتهم من قصائد شعراء العرب؛ كامرء القيس واضرابه وخطب الفصحاء، مع شيوع قوة الحافظة فى اهل ذلك العصر بحيث كان كثير منهم يحفظون الخطب الطوال بسماعها مرة واحدة، ولذا كانت العادة مقتضية لأن يكون كل آيه وسوره فى حفظ جمع كثير كان عددهم فوق حد التواتر، مع انه كان حفظ القرآن وتلاوته من اعظم عبادات المسلمين، فالعادة تقتضى ان يكون جمع كثير منهم حافظين لجميع القرآن، ومن الواضح انه كان اهتمامهم بحفظ القرآن من التغيير وصيانتهم له من التحريف، كاهتمامهم بحفظ الاسلام وحفظ النبى ﷺ من ان تصيبه آفة وجراحة، حيث انهم كانوا يفدون انفسهم واولادهم واعراضهم واموالهم دون نفسه الشريفة.

ومن الغرائب قوله رحمه الله: «بل لقائل ان يقول: انه انما لا يتغير فى نفسه وانما التغيير فى كتابتهم اياه وتلفظهم به، فانهم ما حرفوا الإ عند نسخهم من الاصل وبقى الاصل على ما هو عليه عند اهله وهم العلماء به، فما هو عند العلماء به ليس بمحرف وانما المحرف ما اظهروه لاتباعهم» انتهى.

فان هذا الاحتمال مبنى على فرض كون القرآن الموجود فى عصر النبي ﷺ وبعده نسخة واحدة او نسختين عند واحد من الصحابة او اثنين، ثم استنسخه جماعة من

المنافقين مع عدم اطلاع اكثر المسلمين به وبآياته، ثم خفى الاصل عن الانظار وانتشر المحرف فى الاقطار، وهذا الاحتمال مما لا ينبغى انقداحه فى ذهن احد، حيث ان القرآن كان بآياته وسوره اظهر من الشمس عند المسلمين، ولم يكن بينهم علم غير علم القرآن، فكيف يمكن عدم اطلاع اغلبهم بآياته وسوره ومحل آياته وكيفية قراءته؟!.

وقال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى رضوان الله عليه: «واما الكلام فى زيادته ونقصانه فمما لا يليق به، لان الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر ايضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الاليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذى نصره المرتضى، وهو الظاهر فى الروايات غير انه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آى القرآن، ونقل شىء منه من موضع، الى موضع طريقها الاحاد التي لا توجب علماً، فالاولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها لانه يمكن تأويلها».

وقال شيخنا الصدوق رحمه الله فى اعتقاداته: «ان اعتقادنا ان القرآن الذى انزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين وما فى ايدى الناس ليس باكثر من ذلك، ومن نسب الينا انا نقول: انه اكثر من ذلك فهو كاذب علينا» انتهى.

والعجب ـ مع هذا الكلام من الصدوق ـ انه نسب الى الكلينى رضوان الله عليه الذى هو من مجددى المذهب الجعفرى القول بتحريف القرآن، مستنداً الى نقله بعض الروايات التى وردت فى هذا المعنى وعدم تعرضه للقدح فيها، مع ذكره فى اول الكافي انه كان يثق بما رواه فيه، فانه لا دلالة لنقل الروايات والوثوق بصدورها على اعتقاد الناقل بمضمونها او افتائه به، لامكان حملها على محامل كالتقية او غيرها، او رد الناقل علمها الى الراسخين فى العلم، مع ان الصدوق ره كان اعرف بمذهب الكلينى ره من غيره، وكيف يمكن تكذيبه نسبة التحريف الى الامامية مع قول شيخه به؟! والظاهر ان الصدوق رحمه الله لعلمه باجماع الامامية ودلالة روايات كثيرة، بل الكتاب المجيد على عدم تحريفه، وملاحظة لزوم الوهن من القول به فى اساس الاسلام وتواتر الكتاب، اعرض عن الروايات الكثيرة الدالة على وقوع التحريف فيه، مع ـ انه لغاية ـ وتعبده بظواهر الاخبار ذهب الى القول بجواز السهو على النبى ﷺ.

نعم نسب السيد المرتضى رحمه الله الخلاف فى ذلك الى قوم من اصحاب الحديث

من الامامية، مع تخطئة لهم قال: «ان من خالف فى ذلك من الامامية والحشوية لايعتد بخلافهم، فان الخلاف فى ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن العلم المقطوع على صحته». ولعل فى قوله: «مضاف الى قوم» دلالة على عدم ثبوت النسبة عنده، والمراد من اصحاب الحديث على بن ابراهيم القمى رحمه الله ومن حذى حذوه، قال القمى (ره) فى تفسيره: واما ما كان خلاف[1]...

أقول: الى هذه الاخبار الضعاف اشار الشيخ (قدس سره) بقوله: «انه وردت اخبار كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آى القرآن، ونقل شيء منه من موضع الى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علما، فالأولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها، لانه يمكن تأويلها الى ان قال ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءتها والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الاخبار فى الفروع اليه وعرضها عليه، فما وافقه عمل عليه وما خالفه يجتنب ولم يلتفت اليه».

أقول: اخبار العرض على الكتاب متظافرة، بل متواترة معنىً او اجمالاً، واخبار وقوع التحريف والتغيير مخالفة للكتاب العزيز، فيشملها قولهم ﷺ: ما خالف كتاب الله فهو زخرف او باطل، او فاضربه على الجدار، او لم نقله، فان قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2] دالّ على تشريف القرآن وتفضيله على سائر الكتب السماوية، بضمانه تعالى بحفظه من الاندراس والانطماس، وتعهده على صيانته من التحريف والتغيير الى يوم القيمة، فكما ان ذهاب جميع القرآن ومحوه من بين الناس وجَعْلَ كتاب آخر فيهم ينافى ضمانه تعالى لحفظه، كذلك اسقاط آية وسورة او تغيير كلمة منه او هيئته المنزلة ينافى ضمانه تعالى لحفظه، لان كل آية منه قرآن، ومحو شيء منه مادة وكيفية محو للقرآن.

وتقريبه ببيان اوضح: ان الله تعالى فضل دين الاسلام على سائر الاديان بوعده بظهوره على الدين كله، ومن الواضح ان ظهور هذا الدين المبين بظهور القرآن المبين، وهو ببقائه

---

١. تقدم فى ص ٤٨٥ من الكتاب الحاضر.
٢. سورة الحجر: الآية ٩.

بين الناس محفوظاً من التغيير والتحريف والاندراس والانطماس، فلذا تعهد سبحانه وتعالى بحفظه من جميع ذلك، وفضله على سائر الكتب السماوية بضمان صيانته من كيد المعاندين ودس الملحدين، ولم يكن منه تعالى هذا التعهد والضمان في سائر الكتب، ولذا وقع فيها التحريف والتغيير وسقطت عن الحجية والاعتبار كسائر الاديان، فلو قلنا بوقوع التحريف في القرآن ولو من جهة الترتيب لنافى الضمان منه تعالى، وارتفعت مزيّته على الكتابين وفضيلته بهذه الجهة من البين.

و إن قيل: حفظه تعالى النسخة التي جمعها وكتبها اميرالمؤمنين عليه السلام واودعها عند اوصيائه المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين وبقائها عند خاتمهم الى الآن والى آخر الزمان، كاف في الوفاء بالعهد واداء الضمان.

قلنا: ليست هذه الدرجة من الحفظ مزية وفضيلة له لكونها مشتركة بين القرآن وسائر الكتب السماوية، حيث ان من المقطوع انه كانت نسخة واحدة غير محرفة من سائر الكتب محفوظة عند الانبياء والاوصياء، ولعلها من مواريثهم الموجودة الآن عند خاتم الوصيين ووارث علوم الانبياء والمرسلين ـ عجل الله فرجه ـ، فلا يكون وجود هذه النسخة الصحيحة غير المحرفة منها الذي يكون كوجودها في اللوح المحفوظ مزية وفضيلة للكتاب الكريم.

قال في كشف الغطاء، في كتاب القرآن المبحث الثامن، في نقصه: «لا ريب انه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن واجماع العلماء في كل زمان، ولا عبرة بالنادر، وما ورد من اخبار النقص تمنع البديهة من العمل بظاهرها، الى ان قال: فلابد من تأويلها باحد وجوه».

وعن الشيخ البهائي رحمه الله في تغيير القرآن.

قال: «والصحيح ان القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان او نقصاناً، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وانا له لحافظون﴾[1]، وما اشتهر بين الناس من اسقاط اسم

١. سورة الحجر: الآية ٩.

اميرالمؤمنين عليه السلام منه فى بعض المواضع، مثل قوله تعالى: ﴿يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك﴾ [١] فى على وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء».

وعن الشيخ علي بن عبدالعال (ره)؛ انه صنف فى نفى النقيصة فى القرآن رسالة مستقلة، وذكر كلام الصدوق المتقدم، ثم اعترض بما يدل على النقيصة من الاحاديث، فاجاب عنها: بان الحديث اذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة او الاجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه.

وبالجملة؛ اخبار التحريف مع مخالفتها للكتاب الكريم ووهن سند كثير منها واعراض اعيان الاصحاب عنها ومخالفتها لحكم العقل والعادة والاعتبار، غير قابل لان يعتد بها عاقل فضلاً عن فاضل، بل نقل كثير من الاصحاب الاجماع على خلافها، كما ظهر من كاشف الغطاء والشيخ البهائي وغيرهما (قدس الله اسرارهم).

وعن القاضى نور الله (ره) فى كتاب مصائب النواصب: «ما نسب الى الشيعة الامامية من وقوع التغيير فى القرآن ليس مما قال به جمهور الامامية، انما قال به شر ذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم».

وعن المفيد (قدس سره) انه قال: «قال جماعة من اهل الامامة انه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان شيئا فى مصحف اميرالمؤمنين عليه السلام من تأويله، وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله».

وعن المقدس البغدادى (قدس الله روحه) فى شرح الوافية: «وانما الكلام فى النقيصة، والمعروف بين اصحابنا حق حكى عليه الاجماع عدم النقيصة ايضاً» انتهى.

مع ان ما ذكر فى الروايات من الساقطات؛ كآية رجم الشيخ والشيخة وامثالها، وكلمة من خلفه ورقيب من قوله: له معقبات من بين يديه وغير ذلك، بعيد من فصاحة الكتاب العزيز واسلوبه، بل تدفعها السنة المتواترة من خبر الثقلين.

قال الشيخ رحمه الله: «وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وآله رواية لا يدفعها احد انه قال: «انى

---

١. سورة المائدة: الآية ٦٧.

مخلف فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن يضلوا[1] كتاب الله وعترتي اهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». قال: «وهذا يدل على انه موجود في كل عصر، لانه لا يجوز ان يأمرنا بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به، كما ان اهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت». واذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته فينبغي ان يتشاغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه، وحمل كلامه رحمه الله على وجوده جميعاً عند اهله، كما صدر عن الفيض (ره) خلاف نصه، فان القرآن الذى فيه جميع الأحكام حتى ارش الخدش غير مقدور التمسك به ولا ينتقض بعدم امكان التمسك بالعترة في زمان الغيبة، فان المراد بالتمسك بهم تولّيهم والأخذ باقوالهم، وهذا ممكن لكل احد في كل عصر لوجود رواياتهم وان لم يمكن التشرف بحضرتهم واكتساب الفيوضات الخاصة من زيارتهم، واقتباس الانوار ببركة صحبتهم، فتبيّن من جميع ما فصلناه عدم المجال لاحتمال وقوع التحريف في القرآن الشريف بوجه من الوجوه فضلا عن القول به من كل وجه»[2].

قال الطباطبائي (ره) في أن القرآن مصون عن التحريف في فصول:

الفصل ـ ١

«من ضروريات التاريخ أن النبي العربي محمداً ﷺ جاء قبل اربعة عشر قرناً ـ تقريباً ـ وادعى النبوة وانتهض للدعوة وآمن به أمة من العرب وغيرهم، وانه جاء بكتاب يسميه القرآن وينسبه إلى ربه، متضمن لجمل المعارف وكليات الشريعة التي كان يدعو إليها، وكان يتحدى به ويعده آية لنبوته، وان القرآن الموجود اليوم بأيدينا هو القرآن الذي جاء به وقرأه على الناس المعاصرين له في الجملة، بمعنى أنه لم يضع من أصله بأن يفقد كله ثم يوضع كتاب آخر يشابهه في نظمه او لا يشابهه وينسب اليه، ويشتهر بين الناس بأنه القرآن النازل على النبي ﷺ.

فهذه امور لا يرتاب في شيء منها إلا مصاب في فهمه، ولا احتمل بعض ذلك أحد من

---

١. الصحيح: لن تضلّوا.

٢. نفحات الرحمن ج ١ ص ١٤ ـ ١٧.

الباحثين في مسألة التحريف من المخالفين والمؤالفين.

وإنما احتمل بعض من قال به من المخالف او المؤالف زيادة شيء يسير، كالجملة او الآية[١]، او النقص او التغيير في جملة او آية في كلماتها او إعرابها، وأما جل الكتاب الإلهي فهو على ما هو في عهد النبي ﷺ لم يضع ولم يفقد.

ثم إنا نجد القرآن يتحدى بأوصاف ترجع إلى عامة آياته، ونجد ما بأيدينا من القرآن أعني؛ ما بين الدفتين واجداً لما وصف به من أوصاف تحدى بها من غير ان يتغير في شيء منها او يفوته ويفقد.

فنجده يتحدى بالبلاغة والفصاحة، ونجد ما بأيدينا مشتملاً على ذلك النظم العجيب البديع، لا يعدله ولا يشابهه شيء من كلام البلغاء والفصحاء المحفوظ منهم والمروي عنهم من شعر او نثر او خطبة او رسالة او محاورة او غير ذلك، وهذا النظم موجود في جميع الآيات سواء كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه الجلود والقلوب.

ونجده يتحدى بقوله: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٢]، بعدم وجود اختلاف فيه، ونجد ما بأيدينا من القرآن يفي بذلك أحسن الوفاء وأوفاه، فما من إبهام او خلل يتراءى في آية إلا وترفعه آية اخرى، وما من خلاف او مناقضة يتوهم بادىء الرأي من شطر إلا وهناك ما يدفعه ويفسره.

ونجده يتحدى بغير ذلك مما لا يختص فهمه بأهل اللغة العربية، كما في قوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[٣]، وقوله: ﴿إنه لقول فصل وما هو بالهزل﴾[٤]، ثم نجد ما بأيدينا من القرآن يستوفي البيان في صريح الحق الذي لا مرية فيه، ويهدي إلى آخر ما يهتدي اليه العقل من اصول المعارف الحقيقية وكليات الشرائع الفطرية وتفاصيل الفضائل الخلقية، من غير ان نعثر فيها على شيء من النقيصة والخلل او نحصل على شيء من التناقض

١. كقول بعض من غير المنتحلين بالاسلام أن قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ من وضع أبي بكر وضعه حين سمع عمر وهو شاهر سيفه يهدد بالقتل من قال: إن النبي مات فقرأها على عمر فصرفه.
٢. سورة النّساء: الآية ٨٢.
٣. سورة الإسراء: الآية ٨٨.
٤. سورة الطّارق: الآية ١٤.

والزلل، بل نجد جميع المعارف ـ على سعتها وكثرتها ـ حية بحياة واحدة مدبرة بروح واحد، هو مبدأ جميع المعارف القرآنية والأصل الذي اليه ينتهي الجميع ويرجع وهو التوحيد، فإليه ينتهي الجميع بالتحليل وهو يعود إلى كل منها بالتركيب.

ونجده يغوص في أخبار الماضين من الأنبياء وأممهم ونجد ما عندنا من كلام الله ورد قصصهم، ويفصل القول فيها على ما يليق بطهارة الدين ويناسب نزاهة ساحة النبوة وخلوصها للعبودية والطاعة، وكلما طبقنا قصة من القصص القرآنية على ما يماثلها مما ورد في العهدين انجلى ذلك أحسن الانجلاء.

ونجده يورد آيات في الملاحم ويخبر عن الحوادث الآتية في آيات كثيرة بالتصريح او بالتلويح، ثم نجدها فيما هو بأيدينا من القرآن على تلك الشريطة صادقة مصدقة.

ونجده يصف نفسه بأوصاف زاكية جميلة، كما يصف نفسه بأنه نور وأنه هاد يهدي الى صراط مستقيم وإلى الملة التي هي أقوم، ونجد ما بأيدينا من القرآن لا يفقد شيئاً من ذلك ولا يهمل من أمر الهداية والدلالة ولا دقيقة.

ومن أجمع الأوصاف التي يذكرها القرآن لنفسه أنه ذكر لله، فإنه يذكر به تعالى بما انه آية دالة عليه حيّة خالد ، وبما انه يصفه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويصف سنته في الصنع والإيجاد، ويصف ملائكته وكتبه ورسله، ويصف شرائعه وأحكامه، ويصف ما ينتهي اليه أمر الخلقة وهو المعاد ورجوع الكل اليه سبحانه، وتفاصيل ما يؤول اليه أمر الناس من السعادة والشقاء، والجنة والنار.

ففي جميع ذلك ذكر الله، وهو الذي يرومه القرآن بإطلاق القول؛ بأنه ذكر، ونجد ما بأيدينا من القرآن لا يفقد شيئاً من معنى الذكر.

ولكون الذكر من أجمع الصفات في الدلالة على شؤون القرآن عبر عنه بالذكر في الآيات التي أخبر فيها عن حفظه القرآن عن البطلان والتغيير والتحريف، كقوله تعالى: ﴿إنَّ الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير، إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب

﴿عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[١]، فذكر تعالى أن القرآن من حيث هو ذكر لا يغلبه باطل ولا يدخل فيه حالاً ولا في مستقبل الزمان، لا بإبطال ولا بنسخ ولا بتغيير أو تحريف يوجب زوال ذِكريته عنه.

وكقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٢]، فقد أطلق الذكر وأطلق الحفظ، فالقرآن محفوظ بحفظ الله عن كل زيادة ونقيصة وتغيير في اللفظ أو في الترتيب يزيله عن الذكرية، ويبطل كونه ذكراً لله سبحانه بوجه.

ومن سخيف القول؛ إرجاع ضمير «له» إلى النبي ﷺ فإنه مدفوع بالسياق، وإنما كان المشركون يستهزئون بالنبي لأجل القرآن الذي كان يدعي نزوله عليه، كما يشير اليه بقوله سابقاً: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزّل عليه الذكر إنك لمجنون﴾[٣] وقد مرّ تفسير الآية.

فقد تبين مما فصلناه؛ أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ ووصفه بأنه ذكر محفوظ على ما أنزل، مصون بصيانة إلهية عن الزيادة والنقيصة والتغيير كما وعد الله نبيه فيه.

وخلاصة الحجة؛ أن القرآن أنزله الله على نبيه ووصفه في آيات كثيرة بأوصاف خاصة، لو كان تغير في شيء من هذه الأوصاف بزيادة أو نقيصة أو تغيير في لفظ أو ترتيب مؤثر، فقد آثار تلك الصفة قطعاً، لكنا نجد القرآن الذي بأيدينا واجداً لآثار تلك الصفات المعدودة على أتم ما يمكن وأحسن ما يكون، فلم يقع فيه تحريف يسلبه شيئاً من صفاته، فالذي بأيدينا منه هو القرآن المنزل على النبي ﷺ بعينه، فلو فرض سقوط شيء منه او تغير في إعراب او حرف او ترتيب وجب أن يكون في أمر لا يؤثر في شيء من أوصافه؛ كالإعجاز وارتفاع الاختلاف والهداية والنورية والذكرية والهيمنة على سائر الكتب السماوية إلى غير ذلك، وذلك كآية مكررة ساقطة او اختلاف في نقطة او إعراب ونحوها.

الفصل ـ ٢

ويدل على عدم وقوع التحريف الأخبار الكثيرة المروية عن النبي ﷺ من طرق الفريقين، الآمرة بالرجوع إلى القرآن عند الفتن وفي حل عقد المشكلات.

---

١. سورة فصّلت: الآية ٤٢.
٢. سورة الحجر: الآية ٩.
٣. سورة الحجر: الآية ٦.

وكذا حديث الثقلين المتواتر من طرق الفريقين: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» الحديث، فلا معنى للأمر بالتمسك بكتاب محرف ونفي الضلال أبداً ممن تمسك به.

وكذا الأخبار الكثيرة الواردة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام الآمرة بعرض الأخبار على الكتاب، وما ذكره بعضهم؛ أن ذلك في الأخبار الفقهية ومن الجائز أن نلتزم بعدم وقوع التحريف في خصوص آيات الأحكام ولا ينفع ذلك سائر الآيات، مدفوع بأن أخبار العرض مطلقة فتخصيصها بذلك تخصيص من غير مخصص.

على أن لسان أخبار العرض كالصريح او هو صريح في أن الأمر بالعرض إنما هو لتمييز الصدق من الكذب والحق من الباطل، ومن المعلوم أن الدس والوضع غير مقصورين في أخبار الفقه، بل الدواعي إلى الدس والوضع في المعارف الاعتقادية وقصص الأنبياء والامم الماضين وأوصاف المبدأ والمعاد أكثر وأوفر، ويؤيد ذلك ما بأيدينا من الاسرائيليات وما يحذو حذوها مما أمر الجعل فيها أوضح وأبين.

وكذا الأخبار التي تتضمن تمسك أئمة أهل البيت عليهم السلام بمختلف الآيات القرآنية في كل باب على ما يوافق القرآن الموجود عندنا، حتى في الموارد التي فيها آحاد من الروايات بالتحريف، وهذا أحسن شاهد على أن المراد في كثير من روايات التحريف من قولهم عليهم السلام: كذا نزل؛ هو التفسير بحسب التنزيل في مقابل البطن والتأويل.

وكذا الروايات الواردة عن أميرالمؤمنين وسائر الأئمة من ذريته عليهم السلام في أن ما بأيدي الناس قرآن نازل من عندالله سبحانه، وإن كان غير ما ألفه علي عليه السلام من المصحف ولم يشركوه عليه السلام في التأليف في زمن أبي بكر ولا في زمن عثمان، ومن هذا الباب قولهم عليهم السلام لشيعتهم: «اقرأوا كما قرأ الناس».

ومقتضى هذه الروايات أن لو كان القرآن الدائر بين الناس مخالفاً لما ألفه علي عليه السلام في شيء، فإنما يخالفه في ترتيب السور أو في ترتيب بعض الآيات التي لا يؤثر اختلال ترتيبها في مدلولها شيئاً، ولا في الأوصاف التي وصف الله سبحانه بها القرآن النازل من عنده ما تختلّ به آثارها.

فمجموع هذه الروايات على اختلاف أصنافها يدل دلالة قاطعة على أن الذي بأيدينا من القرآن هو القرآن النازل على النبي ﷺ، من غير أن يفقد شيئاً من أوصافه الكريمة وآثارها وبركاتها.

الفصل ـ ٣

ذهب جماعة من محدثي الشيعة والحشوية وجماعة من محدثي أهل السنة، إلى وقوع التحريف بمعنى النقص والتغيير في اللفظ أو الترتيب دون الزيادة فلم يذهب اليها أحد من المسلمين كما قيل.

واحتجوا على نفي الزيادة بالإجماع وعلى وقوع النقص والتغيير بوجوه كثيرة.

أحدها: الأخبار الكثيرة المروية من طرق الشيعة وأهل السنة الدالة على سقوط بعض السور والآيات وكذا الجمل وأجزاء الجمل والكلمات والحروف، في الجمع الأول الذي ألف فيه القرآن في زمن أبي بكر، وكذا في الجمع الثاني الذي كان في زمن عثمان، وكذا التغيير، وهذه روايات كثيرة روتها الشيعة في جوامعها المعتبرة وغيرها، وقد ادعى بعضهم أنها تبلغ ألفي حديث، ورووتها أهل السنة في صحاحهم كصحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والنسائي وأحمد وسائر الجوامع وكتب التفاسير وغيرها، وقد ذكر الآلوسي في تفسيره أنها فوق حد الإحصاء.

وهذا غير ما يخالف فيه مصحف عبدالله بن مسعود المصحف المعروف مما ينيف على ستين موضعاً، وما يخالف فيه مصحف أبي بن كعب المصحف العثماني وهو في بضع وثلاثين موضعاً، وما يختلف فيه المصاحف العثمانية التي اكتتبها وأرسلها إلى الآفاق؛ وهي خمسة أو سبعة أرسلها إلى مكة وإلى الشام وإلى البصرة وإلى الكوفة وإلى اليمن وإلى البحرين، وحبس واحداً بالمدينة، والاختلاف الذي فيما بينها يبلغ خمسة وأربعين حرفاً، وقيل: بضعة وخمسون حرفاً[1].

وغير الاختلاف في الترتيب بين المصاحف العثمانية والجمع الأول في زمن أبي بكر، فقد كانت سورة الأنفال في التأليف الأول في المثاني وسورة براءة في المئين، وهما في

---

١. ذكره ابن طاوس في سعد السعود.

الجمع الثاني موضوعتان في الطوال على ما ستجيء روايته.

وغير الاختلاف في ترتيب السور الموجود بين مصحفي عبدالله بن مسعود وأُبي ابن كعب ـ على ما وردت به الرواية ـ وبين المصاحف العثمانية، وغير الاختلافات القرائية الشاذة التي رويت عن الصحابة والتابعين، فربما بلغ عدد المجموع الألف أو زاد عليه.

الوجه الثاني: أن العقل يحكم بأنه إذا كان القرآن متفرقاً متشتتاً منتشراً عند الناس وتصدى لجمعه غير المعصوم، يمتنع عادة أن يكون جمعه كاملاً موافقاً للواقع.

الوجه الثالث: ما روته العامة والخاصة: أن علياً عليه السلام اعتزل الناس بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرتد إلا للصلاة حتى جمع القرآن، ثم حمله إلى الناس وأعلمهم أنه القرآن الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وقد جمعه، فردوه واستغنوا عنه بما جمعه لهم زيد بن ثابت، ولو لم يكن بعض ما فيه مخالفاً لبعض ما في مصحف زيد لم يكن لحمله اليهم وإعلامهم ودعوتهم اليه وجه، وقد كان عليه السلام أعلم الناس بكتاب الله بعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أرجع الناس اليه في حديث الثقلين المتواتر، وقال في الحديث المتفق عليه: «علي مع الحق والحق مع علي».

الوجه الرابع: ما ورد من الروايات أنه يقع في هذه الأمة ما وقع في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وقد حرفت بنو اسرائيل كتاب نبيهم على ما يصرح به القرآن الكريم والروايات المأثورة، فلابد أن يقع نظيره في هذه الامة فيحرفوا كتاب ربهم وهو القرآن الكريم.

ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموه، قلنا: يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟

والرواية مستفيضة مروية في جوامع الحديث عن عدة من الصحابة، كأبي سعيد الخدري ـ كما مر ـ وأبي هريرة وعبدالله بن عمر، وابن عباس وحذيفة وعبدالله بن مسعود وسهل بن سعد وعمر بن عوف وعمرو بن العاص وشداد بن أوس والمستورد بن شداد في ألفاظ متقاربة.

وهي مروية مستفيضة من طرق الشيعة عن عدة من أئمة اهل البيت عليهم السلام عن

النبي ﷺ، كما في تفسير القمي عنه ﷺ : «لتركبن سبيل من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة لا تخطئون طريقهم، ولا تخطىء شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه» قالوا: اليهود والنصارى تعني يا رسول الله؟ قال: «فمن أعني؟ لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة، فيكون اول ما تنقضون من دينكم الأمانة وآخره الصلاة».

والجواب عن استدلالهم بإجماع الامة على نفي تحريف القرآن بالزيادة، بأنها حجة مدخولة لكونها دورية.

بيان ذلك: أن الإجماع ليس في نفسه حجة عقلية يقينية، بل هو عند القائلين باعتباره حجة شرعية لو أفاد شيئاً من الاعتقاد فإنما يفيد الظن، سواء في ذلك محصله ومنقوله، على خلاف ما يزعمه كثير منهم؛ أن الإجماع المحصل مفيد للقطع، وذلك أن الذي يفيده الإجماع من الاعتقاد لا يزيد على مجموع الاعتقادات التي تفيدها آحاد الأقوال، والواحد من الأقوال المتوافقة لا يفيد إلا الظن بإصابة الواقع، وانضمام القول الثاني الذي يوافقه اليه إنما يفيد قوة الظن دون القطع، لأن القطع؛ اعتقاد خاص بسيط مغاير للظن وليس بالمركب من عدة ظنون.

وهكذا كلما انضم قول الى قول وتراكمت الأقوال المتوافقة زاد الظن قوة، وتراكمت الظنون واقتربت من القطع من غير أن تنقلب اليه كما تقدم، هذا في المحصّل من الإجمال وهو الذي نحصله بتتبع جميع الأقوال والحصول على كل قول قول، وأما المنقول منه الذي ينقله الواحد والاثنان من اهل العلم والبحث، فالأمر فيه اوضح فهو كآحاد الروايات لا يفيد إلا الظن إن أفاد شيئاً من الاعتقاد.

فالاجماع حجة ظنية شرعية دليل اعتبارها عند اهل السنة مثلاً قوله ﷺ : «لا تجتمع أمتي على خطأ او ضلال» وعند الشيعة دخول قول المعصوم في أقوال المجمعين، او كشف أقوالهم عن قوله بوجه.

فحجية الاجماع بالجملة متوقفة على صحة النبوة وذلك ظاهر، وصحة النبوة اليوم متوقفة على سلامة القرآن من التحريف المستوجب لزوال صفات القرآن الكريمة عنه،

كالهداية وفصل القول، وخاصة الإعجاز، فإنه لا دليل حياً خالداً على خصوص نبوة النبي ﷺ غير القرآن الكريم بكونه آية معجزة، ومع احتمال التحريف بزيادة او نقيصة او أي تغيير آخر لا وثوق بشيء من آياته ومحتوياته أنه كلام الله محضاً، وبذلك تسقط الحجة وتفسد الآية، ومع سقوط كتاب الله عن الحجية يسقط الإجماع عن الحجية.

ولا ينفع في المقام ما قدمناه في أول الكلام أن وجود القرآن المنزل على النبي ﷺ فيما بأيدينا من القرآن في الجملة من ضروريات التاريخ.

وذلك لأن مجرد اشتمال ما بأيدينا منه على القرآن الواقعي لا يدفع احتمال زيادة أو نقيصة أو أي تغيير آخر في كل آية أو جملة أريد التمسك بها لإثبات مطلوب.

والجواب عن الوجه الأول الذي أقيم لوقوع التحريف بالنقص والتغيير، وهو الذي تمسك فيه بالأخبار:

أما أولاً: فبأن التمسك بالأخبار بما أنها حجة شرعية يشتمل من الدور على ما يشتمل عليه التمسك بالإجماع بنظير البيان الذي تقدم آنفاً.

فلا يبقى للمستدل بها إلا أن يتمسك بها بما أنها أسناد ومصادر تاريخية، وليس فيها حديث متواتر ولا محفوف بقرائن قطعية تضطر العقل إلى قبوله، بل هي آحاد متفرقة متشتتة مختلفة، منها صحاح ومنها ضعاف في أسنادها، ومنها قاصرة في دلالتها فما أشذ منها ما هو صحيح في سنده تام في دلالته.

وهذا النوع على شذوذه وندرته غير مأمون فيه الوضع والدس، فإن انسراب الإسرائيليات وما يلحق بها من الموضوعات والمدسوسات بين روايتنا لا سبيل إلى إنكاره، ولا حجية في خبر لا يؤمن فيه الدس والوضع.

ومع الغض عن ذلك فهي تذكر من الآيات والسور ما لا يشبه النظم القرآني بوجه، ومع الغض عن جميع ذلك فإنها مخالفة للكتاب مردودة:

أما ما ذكرنا أن أكثرها ضعيفة الأسناد فيعلم ذلك بالرجوع إلى أسانيدها، فهي مراسيل او مقطوعة الأسناد او ضعيفتها، والسالم منها من هذه العلل أقل قليل.

وأما ما ذكرنا؛ أن منها ما هو قاصر في دلالتها، فإن كثيراً مما وقع فيها من الآيات

المحكية من قبيل التفسير وذكر معنى الآيات لا من حكاية متن الآيـة المـحرفة ، وذلك كما في روضة الكافي عن أبي الحسن عليه السلام الأول في قول الله: «اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء وسبق لهم العذاب وقـل لهـم فـي أنفسهم قولاً بليغاً».

وما في الكافي عن الصادق عليه السلام في قـوله تـعالى: ﴿وإن تـلووا أو تـعرضوا﴾[1] قـال: «إن تلووا الأمر وتعرضوا عما أمرتم به فإن الله كان بما تعملون خبيراً»، إلى غير ذلك مـن روايات التفسير المعدودة من أخبار التحريف.

ويلحق بهذا الباب ما لا يحصى من الروايات المشيرة إلى سبب النزول المعدودة من أخبار التحريف، كالروايات التي تذكر هذه الآية هكذا: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك في علي» والآية نازلة في حقه عليه السلام، وما روي أن وفد بني تميم كانوا إذا قدموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقفوا على باب الحجرة ونادوه؛ أن اخرج الينا، فـذكرت الآيـة فـيها هكـذا: «إن الذيـن ينادونك من وراء الحجرات بنو تميم أكثرهم لا يعقلون» فظن أن في الآية سقطاً.

ويلحق بهذا الباب أيضاً ما لا يحصى من الأخبار الواردة في جري القرآن وانـطباقه ، كما ورد في قوله: «وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم»، وما ورد من قوله: «ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي والأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً» وهي كثيرة جداً.

ويلحق بها أيضاً ما أتبع فيه القراءة بشيء من الذكر والدعاء، فتوهم أنه من سقط القرآن، كما في الكافي عن عبدالعزيز بن المهتدي قال: سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال: «كل من قرأ قل هو الله أحد وآمن بها فقد عرف التوحيد»، قـال: [قـلت ظ] كـيف نـقرؤها؟ قـال: «كما يقرؤها الناس ، وزاد فيه كذلك الله ربي كذلك الله ربي» .

ومن قبيل قصور الدلالة ؛ ما نجد في كثير من الآيات المعدودة من المحرفة اختلاف الروايات في لفظ الآية، كالتي وردت في قوله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾[2]، ففي بعضها أن الآية هكذا: «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء» وفي بعضها: «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم قليل».

---

١. سورة النساء: الآية ١٣٥.
٢. سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

وهذا الاختلاف ربما كان قرينة على أن المراد هو التفسير بالمعنى كما في الآية المذكورة، ويؤيده ما ورد في بعضها من قوله ﷺ: لا يجوز وصفهم بأنهم أذلة وفيهم رسول الله ﷺ.

وربما لم يكن إلا من التعارض والتنافي بين الروايات القاضي بسقوطها؛ كآية الرجم على ما ورد في روايات الخاصة والعامة، وهي في بعضها: «اذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة». وفي بعضها: «الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة فانهما قضيا الشهوة»، وفي بعضها «بما قضيا من اللذة» وفي بعضها آخرها: «نكالاً من الله والله عليم حكيم» وفي بعضها: «نكالاً من الله والله عزيز حكيم».

وكآية الكرسي على التنزيل التي وردت فيها روايات فهي في بعضها هكذا: « الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً من ذا الذي يشفع عنده ـ الى قوله ـ وهو العلى العظيم والحمد لله رب العالمين » .

وفي بعضها ـ الى قوله ـ هم فيها خالدون والحمد لله رب العالمين، وفي بعضها هكذا: «له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمان الرحيم» الخ. وفي بعضها: «عالم الغيب والشهادة الرحمان الرحيم بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام رب العرش العظيم» وفي بعضها: «عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم».

وما ذكره بعض المحدثين : أن اختلاف هذه الروايات فى الآيات المنقولة غير ضائر لاتفاقها في أصل التحريف. مردود بأن ذلك لا يصلح ضعف الدلالة ودفع بعضها لبعض.

وأما ما ذكرنا: من شيوع الدس والوضع في الروايات فلا يرتاب فيه من راجع الروايات المنقولة في الصنع والايجاد، وقصص الأنبياء والامم والأخبار الواردة في تفاسير الآيات والحوادث الواقعة في صدر الإسلام، وأعظم ما يهم أمره لأعداء الدين ولا يألون جهداً في إطفاء نوره وإخماد ناره وإعفاء أثره؛ هو القرآن الكريم الذي هو الكهف المنيع والركن الشديد الذي يؤوىٰ اليه، وتتحصّن به المعارف الدينية، والسند الحي الخالد لمنشور النبوة

ومواد الدعوة لعلمهم بأنه لو بطلت حجة القرآن لفسد بذلك أمر النبوة واختل نظام الدين، ولم يستقر من بُنيته حجر على حجر.

والعجب من هؤلاء المحتجين بروايات منسوبة الى الصحابة او الى أئمة اهل البيت ﷺ على تحريف كتاب الله سبحانه وإبطال حجيته، وببطلان حجة القرآن تذهب النبوة سدى والمعارف الدينية لغى لا أثر لها، وماذا يغني قولنا: إن رجلاً في تاريخ كذا ادعى النبوة وأتى بالقرآن معجزة أما هو فقد مات وأما قرآنه فقد حرّف، ولم يبق بأيدينا مما يؤيد أمره إلا أن المؤمنين به أجمعوا على صدقه في دعواه، وأن القرآن الذي جاء به كان معجزاً دالاً على نبوته، والإجماع حجة لأن النبي المذكور اعتبر حجيته، او لأنه يكشف مثلاً عن قول أئمة اهل بيته؟

وبالجملة احتمال الدس ـ وهو قريب جداً مؤيد بالشواهد والقرائن ـ يدفع حجية هذه الروايات ويفسد اعتبارها، فلا تبقى معه لها لا حجية شرعية ولا حجية عقلائية، حتى ما كان منها صحيح الاسناد فان صحة السند وعدالة رجال الطريق إنما يدفع تعمدهم الكذب دون دس غيرهم في اصولهم وجوامعهم ما لم يرووه.

وأما ما ذكرناه أن روايات التحريف تذكر آيات وسوراً لا يشبه نظمها النظم القرآني بوجه، فهو ظاهر لمن راجعها، فإنها يعثر فيها بشيء كثير من ذلك كسورتي الخلع والحفد اللتين رويتا بعدة من طرق اهل السنة، فسورة الخلع هي: «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك»، وسورة الحفد هي: «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى نقمتك إن عذابك بالكافرين ملحق».

وكذا ما أورده بعض الروايات من سورة الولاية وغيرها أقاويل مختلفة رام واضعها أن يقلد النظم القرآني، فخرج الكلام عن الاسلوب العربي المألوف ولم يبلغ النظم الإلهي المعجز، فعاد يستبشعه الطبع وينكره الذوق، ولك أن تراجعها حتى تشاهد صدق ما ادعيناه، وتقضي أن أكثر المعتنين بهذه السور والآيات المختلفة المجعولة إنما دعاهم إلى ذلك التعبد الشديد بالروايات، والإهمال في عرضها على الكتاب، ولولا ذلك لكفتهم

للحكم بأنها ليست بكلام إلهي نظرة.

وأما ما ذكرنا: أن روايات التحريف على تقدير صحة أسنادها مخالفة للكتاب، فليس المراد به مجرد مخالفتها لظاهر قوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[١]، وقوله: ﴿**وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[٢] الآيتان، حتى تكون مخالفة ظنية لكون ظهور الألفاظ من الأدلة الظنية، بل المراد مخالفتها للدلالة القطعية من مجموع القرآن الذي بأيدينا حسب ما قررناه في الحجة الاولى التي أقمناها لنفي التحريف.

كيف لا؟ والقرآن الذي بأيدينا متشابه الأجزاء في نظمه البديع المعجز كاف في رفع الاختلافات المتراءاة بين آياته وأبعاضه، غير ناقص ولا قاصر في إعطاء معارفه الحقيقة وعلومه الإلهية الكلية والجزئية المرتبطة بعضها ببعض، المترتبة فروعها على أصولها المنعطفة أطرافها على أوساطها، إلى غير ذلك من خواص النظم القرآني الذي وصفه الله بها.

والجواب عن الوجه الثاني: أن دعوى الامتناع العادي مجازفة بيّنة، نعم يجوز العقل عدم موافقة التأليف في نفسه للواقع إلا أن تقوم قرائن تدل على ذلك وهي قائمة كما قدمنا، وأما أن يحكم العقل بوجوب مخالفتها للواقع كما هو مقتضى الامتناع العادي فلا.

والجواب عن الوجه الثالث: أن جمعه ﷺ القرآن وحمله إليهم وعرضه عليهم لا يدل على مخالفة ما جمعه لما جمعوه في شيء من الحقائق الدينية الأصلية أو الفرعية، إلا أن يكون في شيء من ترتيب السور أو الآيات من السور التي نزلت نجوماً بحيث لا يرجع إلى مخالفة في بعض الحقائق الدينية.

ولو كان كذلك لعارضهم بالاحتجاج ودافع فيه ولم يقنع بمجرد إعراضهم عما جمعه واستغنائهم عنه كما روي عنه ﷺ في موارد شتى، ولم ينقل عنه ﷺ فيما روي من احتجاجاته أنه قرأ في أمر ولايته ولا غيرها آية أو سورة تدل على ذلك، وجبههم على إسقاطها أو تحريفها.

وهل كان ذلك حفظاً لوحدة المسلمين وتحرزاً عن شق العصا؟! فإنما كان يتصور ذلك

---

١. سورة الحجر: الآية ٩. ٢. سورة فصّلت: الآية ٤٢.

بعد استقرار الأمر واجتماع الناس على ما جمع لهم لا حين الجمع وقبل أن يقع في الأيدي ويسير في البلاد.

وليت شعري هل يسعنا أن ندعي أن ذاك الجم الغفير من الآيات التي يرون سقوطها وربما ادعوا أنها تبلغ الالوف، كانت جميعاً في الولاية أو كانت خفية مستورة عن عامة المسلمين لا يعرفها إلا النزر القليل منهم، مع توفر دواعيهم وكثرة رغباتهم على أخذ القرآن كلما نزل وتعلمه، وبلوغ اجتهاد النبي ﷺ في تبليغه وإرساله إلى الآفاق وتعليمه وبيانه، وقد نص على ذلك القرآن قال تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[1]، وقال: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[2] فكيف ضاع؟ وأين ذهب؟ ما يشير إليه بعض المراسيل أنه سقط في آية من أول سورة النساء بين قوله: ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ وقوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[3] أكثر من ثلث القرآن أي أكثر من ألفي آية، وما ورد من طرق أهل السنة أن سورة براءة كانت مبسملة تعدل سورة البقرة، وأن الأحزاب كانت أعظم من البقرة وقد سقطت منها مائتا آية إلى غير ذلك!

أو أن هذه الآيات ـ وقد دلت هذه الروايات على بلوغها في الكثرة ـ كانت منسوخة التلاوة، كما ذكره جمع من المفسرين من أهل السنة حفظاً لما ورد في بعض رواياتهم أن من القرآن ما أنساه الله ونسخ تلاوته.

فما معنى إنساء الآية ونسخ تلاوتها؟ أكان ذلك لنسخ العمل بها فما هي هذه الآيات المنسوخة الواقعة في القرآن كآية الصدقة وآية نكاح الزانية والزاني وآية العدة وغيرها؟ وهم مع ذلك يقسمون منسوخ التلاوة إلى منسوخ التلاوة والعمل معاً، ومنسوخ التلاوة دون العمل كآية الرجم.

أم كان ذلك لكونها غير واجدة لبعض صفات كلام الله حتى أبطلها الله بإمحاء ذكرها وإذهاب أثرها فلم يكن من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا منزهاً من الاختلاف، ولا قولاً فصلاً ولا هادياً إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ولا معجزاً

---

١. سورة الجمعة: الآية ٢. ٢. سورة النّحل: الآية ٤٤.
٣. سورة النساء: الآية ٣.

يتحدى به ولا، ولا، فما معنى الآيات الكثيرة التي تصف القرآن بأنه في لوح محفوظ، وأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه قول فصل، وأنه هدى، وأنه نور، وأنه فرقان بين الحق والباطل، وأنه آية معجزة، وأنه، وأنه؟.

فهل يسعنا أن نقول: إن هذه الآيات على كثرتها وإباء سياقها عن التقييد مقيدة بالبعض، فبعض الكتاب فقط وهو غير المنسي ومنسوخ التلاوة لا يأتيه الباطل وقول فصل وهدى ونور وفرقان ومعجزة خالدة؟

وهل جعل الكلام منسوخ التلاوة ونسياً منسياً غير إبطاله وإماتته؟ وهل صيرورة القول النافع بحيث لا ينفع للأبد ولا يصلح شأناً مما فسد غير إلغائه وطرحه وإهماله؟ وكيف يجامع ذلك كون القرآن ذكراً؟

فالحق؛ أن روايات التحريف المروية من طرق الفريقين وكذا الروايات المروية في نسخ تلاوة بعض الآيات القرآنية مخالفة للكتاب مخالفة قطعية.

والجواب عن الوجه الرابع: أن أصل الأخبار القاضية بمماثلة الحوادث الواقعة في هذه الامة لما وقع في بني إسرائيل مما لا ريب فيه، وهي متظافرة او متواترة، لكن هذه الروايات لا تدل على المماثلة من جميع الجهات، وهو ظاهر بل الضرورة تدفعه.

فالمراد بالمماثلة هي المماثلة في الجملة من حيث النتائج والآثار، وحينئذ فمن الجائز أن تكون مماثلة هذه الامة لبني إسرائيل في مسألة تحريف الكتاب إنما هي في حدوث الاختلاف والتفرق بين الامة بانشعابها إلى مذاهب شتى يكفر بعضهم بعضاً، وافتراقها إلى ثلاث وسبعين فرقة كما افترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين، واليهود إلى واحدة وسبعين، وقد ورد هذا المعنى في كثير من هذه الروايات حتى ادعى بعضهم كونها متواترة.

ومن المعلوم أن الجميع مستندون فيما اختاروه إلى كتاب الله، وليس ذلك إلا من جهة تحريف الكلم عن مواضعه، وتفسير القرآن الكريم بالرأي، والاعتماد على الأخبار الواردة في تفسير الآيات من غير العرض على الكتاب وتمييز الصحيح منها من السقيم.

وبالجملة أصل الروايات الدالة على المماثلة بين الامتين لا يدل على شيء من

التحريف الذي يدعونه، نعم وقع في بعضها ذكر التحريف بالتغيير والإسقاط، وهذه الطائفة على ما بها من السقم مخالفة للكتاب كما تقدم.

الفصل - ٦[1]

الروايات الموضوعة في الفصلين السابقين هي اشهر الروايات الواردة في باب جمع القرآن وتأليفه بين صحيحة وسقيمة، وهي تدل على أن الجمع الأول كان جمعاً لشتات السور المكتوبة في العسب واللخاف والأكتاف والجلود والرقاع وإلحاق الآيات النازلة متفرقة إلى سور تناسبها.

وان الجمع الثاني -وهو الجمع العثماني- كان رد المصاحف المنتشرة عن الجمع الأول بعد عروض تعارض النسخ واختلاف القراءات عليها إلى مصحف واحد مجمع عليه، عدا ما كان من قول زيد انه ألحق قوله: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[2] الآية، في سورة الأحزاب في المصحف، فقد كانت المصاحف تتلى خمس عشرة سنة وليست فيها الآية.

وقد روى البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾[3] قد نسختها الآية الاخرى فلم تكتبها او تدعها، قال: يابن اخي لا أغير شيئاً منه من مكانه.

والذي يعطيه النظر الحر في أمر هذه الروايات ودلالتها -وهي عمدة ما في هذا الباب- انها آحاد غير متواترة لكنها محفوفة بقرائن قطعية، فقد كان النبي ﷺ يبلغ الناس ما نزل اليه من ربه من غير أن يكتم منه شيئاً، وكان يعلمهم ويبين لهم ما نزل اليهم من ربهم على ما نص عليه القرآن، ولم يزل جماعة منهم يعلمون ويتعلمون القرآن تعلم تلاوة وبيان، وهم القراء الذين قتل جم غفير منهم في غزوة اليمامة.

وكان الناس على رغبة شديدة في اخذ القرآن وتعاطيه ولم يترك هذا الشأن ولا ارتفع القرآن من بينهم ولا يوماً او بعض يوم، حتى جمع القرآن في مصحف واحد ثم أجمع

---

١. انظر فصل ٤ و ٥ في جمع القرآن من الكتاب الحاضر ص ٣٧٨.
٢. سورة الاحزاب: الآية ٢٣.
٣. سورة البقرة: الآية ٢٣٤.

عليه، فلم يبتل القرآن بما ابتليت به التوراة والإنجيل وكتب سائر الأنبياء.

أضف إلى ذلك روايات لا تحصى كثرة وردت من طرق الشيعة وأهل السنة في قراءاته ﷺ كثيراً من السور القرآنية في الفرائض اليومية وغيرها بمسمع من ملأ الناس، وقد سمى في هذه الروايات جم غفير من السور القرآنية مكيتها ومدنيتها.

أضف إلى ذلك ما تقدم في رواية عثمان بن أبي العاص في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[1] من قوله ﷺ أن جبريل أتاني بهذه الآية وأمرني أن أضعها في موضعها من السورة، ونظير الرواية في الدلالة ما دل على قراءته ﷺ لبعض السور النازلة نجوماً كآل عمران والنساء وغيرها، فيدل على أنه ﷺ كان يأمر كتاب الوحي بإلحاق بعض الآيات في موضعها.

وأعظم الشواهد القاطعة ما تقدم في اول هذه الأبحاث؛ أن القرآن الموجود بأيدينا واجد لما وصفه الله تعالى من الأوصاف الكريمة.

وبالجملة؛ الذي تدل عليه هذه الروايات هو:

أولاً: أن الموجود فيما بين الدفتين من القرآن هو كلام الله تعالى فلم يزد فيه شيء ولم يتغير منه شيء، وأما النقص؛ فإنها لا تفي بنفيه نفياً قطعياً كما روي بعدة طرق: أن عمر كان يذكر كثيراً آية الرجم ولم تكتب عنه، وأما حملهم الرواية وسائر ما ورد في التحريف - وقد ذكر الآلوسي في تفسيره أنها فوق حد الإحصاء - على منسوخ التلاوة، فقد عرفت فساده وتحققت أن إثبات منسوخ التلاوة أشنع من إثبات أصل التحريف.

على أن من كان له مصحف غير ما جمعه زيد اولاً بأمر من أبي بكر وثانياً بأمر من عثمان، كعلي عليه السلام وأبي بن كعب وعبدالله بن مسعود، لم ينكر شيئاً مما حواه المصحف الدائر، غير ما نقل عن ابن مسعود أنه لم يكتب في مصحفه المعوّذتين، وكان يقول: إنهما عوذتان نزل بهما جبريل على رسول الله ﷺ ليعوذ بهما الحسنين عليهما السلام، وقد رده سائر الصحابة وتواترت النصوص من أئمة اهل البيت عليهم السلام على أنهما سورتان من القرآن.

وبالجملة الروايات السابقة - كما ترى - آحاد محفوفة بالقرائن القطعية نافية للتحريف

---

١. سورة النحل: الآية ٩٠.

بالزيادة والتغيير قطعاً دون النقص إلا ظناً، ودعوى بعضهم التواتر من حيث الجهات الثلاث لا مستند لها.

والتعويل في ذلك على ما قدمناه من الحجة في اول هذه الأبحاث؛ ان القرآن الذي بأيدينا واجد للصفات الكريمة التي وصف الله سبحانه بها القرآن الواقعي الذي أنزله على رسوله ﷺ، ككونه قولاً فصلاً ورافعاً للاختلاف وذكراً وهادياً ونوراً ومبيناً للمعارف الحقيقية والشرائع الفطرية وآية معجزة، إلى غير ذلك من صفاته الكريمة.

ومن الحري أن نعوّل على هذا الوجه، فإن حجة القرآن على كونه كلام الله المنزل على رسوله ﷺ هي نفسه المتصفة بهاتيك الصفات الكريمة من غير ان يتوقف في ذلك على امر آخر وراء نفسه كائناً ماكان، فحجته معه أينما تحقق وبيد من كان ومن أي طريق وصل.

وبعبارة أخرى، لا يتوقف القرآن النازل من عندالله إلى النبي ﷺ في كونه متصفاً بصفاته الكريمة على ثبوت استناده اليه ﷺ، بنقل متواتر او متظافر ـ وإن كان واجداً لذلك ـ بل الأمر بالعكس، فاتصافه بصفاته الكريمة هو الحجة على الاستناد، فليس كالكتب والرسائل المنسوبة إلى المصنفين والكتاب، والأقاويل المأثورة عن العلماء وأصحاب الأنظار المتوقفة صحة استنادها إلى نقل قطعي وبلوغ متواتر او مستفيض مثلاً، بل نفس ذاته هي الحجة على ثبوته[1].

الفصل ـ ٧

يتعلق بالبحث السابق البحث في روايات الإنساء ـ وقد مرت إشارة إجمالية اليها ـ وهي علة روايات وردت من طرق أهل السنة في نسخ القرآن وإنسائه، حملوا عليها ما ورد من روايات التحريف سقوطاً وتغييراً.

فمنها؛ ما في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وابن عدي وابن عساكر عن ابن عباس قال: كان مما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل وينساه بالنهار، فأنزل الله: «ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها».

وفيه عن أبي داود في ناسخه والبيهقي في الدلائل عن أبي أمامة: أن رهطاً من الأنصار

١. انظر (ثانياً) في ترتيب السور والآيات ص ٤٥١.

من أصحاب النبي ﷺ أخبروه أن رجلاً قام من جوف الليل يريد أن يفتتح سورة كان قد وعاها فلم يقدر منها على شيء إلا بسم الله الرحمن الرحيم، ووقع ذلك لناس من أصحابه، فأصبحوا فسألوا رسول الله ﷺ عن السورة فسكت ساعة لم يرجع اليهم شيئاً، ثم قال: «نسخت البارحة فنسخت من صدورهم ومن كل شيء كانت فيه».

أقول: والقصة مروية بعدة طرق في ألفاظ متقاربة مضموناً.

وفيه عن عبدالرزاق وسعيد بن منصور وأبي داود في ناسخه وابنه في المصاحف والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن سعد بن أبي وقاص أنه قرأ: «ما ننسخ من آية أو ننسأها» فقيل له: إن سعيد بن المسيب يقرأ «ننسها» فقال سعد: إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا آل المسيب، قال الله: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾[1]، ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾[2].

أقول: يريد بالتمسك بالآيتين؛ أن الله رفع النسيان عن النبي ﷺ فيتعين أن يقرأ «ننسأها» من النسيء بمعنى الترك والتأخير فيكون المراد بقوله: «ما ننسخ من آية» إزالة الآية عن العمل دون التلاوة كآية صدقة النجوى، وبقوله: «أو ننسأها» ترك الآية ورفعها من عندهم بالمرة وإزالتها عن العمل والتلاوة، كما روي تفسيرها بذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيره.

وفيه أخرج ابن الأنباري عن أبي ظبيان قال: قال لنا ابن عباس: أي القراءتين تعدون أول؟ قلنا: قراءة عبدالله، وقراءتنا هي الأخيرة. فقال: رسول الله ﷺ كان يعرض عليه جبريل القرآن كل سنة مرة في شهر رمضان، وإنه عرضه عليه في آخر سنة مرتين فشهد منه عبدالله ما نسخ وما بَدّل.

أقول: وهذا المعنى مروي بطرق اخرى عن ابن عباس وعبدالله بن مسعود نفسه وغيرهما من الصحابة والتابعين، وهناك روايات أخر في الإنساء.

ومحصل ما استفيد منها أن النسخ قد يكون في الحكم كالآيات المنسوخة المثبتة في المصحف، وقد يكون في التلاوة مع نسخ حكمها او من غير نسخ حكمها، وقد تقدم في

---

١. سورة الاعلى: الآية ٦.
٢. سورة الكهف: الآية ٢٤.

تفسير قوله: ﴿ما ننسخ من آية﴾[١] وسيأتي في قوله: ﴿وإذا بدّلنا آية مكان آية﴾[٢] أن الآيتين أجنبيتان عن الإنساء بمعنى نسخ التلاوة، وتقدم أيضاً في الفصول السابقة أن هذه الروايات مخالفة لصريح الكتاب، فالوجه عطفها على روايات التحريف وطرح القبيلين جميعاً»[٣].

قال الطباطبائي (ره) في ذيل الآيتين ٢٧ ـ ٢٨ من سورة الجن: ...

«... وثالثاً: أن قوله: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه﴾ إلى آخر الايتين يدل على أن الوحي الإلهي محفوظ من لدن صدوره من مصدر الوحي إلى بلوغه الناس، مصون في طريق نزوله إلى أن يصل إلى من قصد نزوله عليه.

أما مصونيته من حين صدوره من مصدره الى أن ينتهي الى الرسول فيكفي في الدلالة عليه قوله ﴿من خلفه﴾[٤]، وأما مصونيته حين أخذ الرسول إياه وتلقيه من ملك الوحي بحيث يعرفه ولا يغلط في أخذه، ومصونيته في حفظه بحيث يعيه كما اوحي إليه من غير أن ينساه أو يغيره أو يبدله، ومصونيته في تبليغه الى الناس من تصرف الشيطان فيه، فالدليل عليه قوله: ﴿ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم﴾، حيث يدل على أن الغرض الإلهي من سلوك الرصد ان يعلم ابلاغهم رسالات ربهم، اي ان يتحقق في الخارج ابلاغ الوحي الى الناس، ولازمه بلوغه اياهم، ولولا مصونية الرسول في الجهات الثلاث المذكورة جميعاً لم يتم الغرض الإلهي وهو ظاهر، وحيث لم يذكر تعالى ـ للحصول على هذا الغرض ـ طريقاً غير سلوك الرصد دل ذلك على ان الوحي محروس بالملائكة وهو عند الرسول ، كما انه محروس بهم في طريقه الى الرسول حتى ينتهي اليه، ويؤكده قوله بعد: ﴿واحاط بما لديهم﴾.

واما مصونيته في مسيره من الرسول حتى ينتهي الى الناس، فيكفي فيه قوله: «من بين يديه» على ما تقدم من معناه.

---

١. سورة البقرة: الآية ١٠٦.
٢. سورة النحل: الآية ١٠١.
٣. الميزان ج ١٢ ص ١٠٤ ـ ١٣٣.
٤. هذا بناء على رجوع الضمير الى الرسول واما بناء على احتمال رجوع الضمير إلى الغيب فالدال عليه مجموع ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ لكنه ضعيف كما تقدم.

اضف الى ذلك دلالة قوله: ﴿ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم﴾ بما تقدم من تقريب دلالته.

ويتفرع على هذا البيان؛ أن الرسول مؤيد بالعصمة في أخذ الوحي من ربه وفي حفظه وفي تبليغه إلى الناس، مصون من الخطأ في الجهات الثلاث جميعاً. لما مر من دلالة الآية على أن ما نزّله الله من دينه على الناس من طريق الرسالة بالوحي مصون في جميع مراحله إلى أن ينتهي إلى الناس، ومن مراحله مرحلة أخذ الرسول للوحي وحفظه له وتبليغه إلى الناس.

والتبليغ يعم القول والفعل فإن في الفعل تبليغاً كما في القول، فالرسول معصوم من المعصية باقتراف المحرمات وترك الواجبات الدينية لأن في ذلك تبليغاً لما يناقض الدين، فهو معصوم من فعل المعصية كما أنه معصوم من الخطأ في أخذ الوحي وحفظه وتبليغه قولاً.

وقد تقدمت الإشارة إلى أن النبوة كالرسالة في دورانها مدار الوحي، فالنبي كالرسول في خاصة العصمة، ويتحصّل بذلك أن أصحاب الوحي ـ سواء كانوا رسلاً أو أنبياء ـ معصومون في أخذ الوحي وفي حفظ ما أوحي إليهم وفي تبليغه إلى الناس قولاً وفعلاً»[١].

قال الصادقي: «مما تدل عليه آيات العرض واحاديثه ان هذا القرآن المعروض عليه هو النازل على النبي ﷺ كلمات وآيات وترتيبات دون نقائص او مزيدات، وإلا فكيف يحتل المركز الأصيل الوحيد المعروض عليه للاحاديث كل الاحاديث. اذاً فكل ما ورد في تحريف القرآن بزيادة او نقصان هي مما اختلقته ايدي الزور والبهتان فانها مخالفة للقرآن، وان كان الخلاف في نقطة او اعراب او ترتيب او تركيب تخالف القرآن المتواجد عند المسلمين، المتواتر مر الزمن، ومن لطيف الأمر ان الاحاديث الحاملة لكلمات او آيات يدعى انها محرفة بزيادة او نقصان، هي بذواتها تشهد انها اكاذيب زور اختلقتها

١. الميزان ج ٢٠ ص ٥٦ ـ ٥٨.

ايادي أثيمة اسرائيلية او مسيحية ، وتسربت الى جهال يحسبونهم علماء![1].

والقرآن جملة وتفصيلاً دليل على براءته من زيادة او نقصان، فما هي هذه الزيادة التي اختلطت بآي القرآن وما تميزت حتى الآن عند الخبراء باللسان؟، ونرى كلام الرسول وعلي عليه السلام ـ وهما أبلغ البلغاء ـ لا يخلطان بالقرآن، إلا وهو لائح حتى عند السوقيين العرب وغيرهم.

وكيف يجرؤ أحد ان ينال من القرآن بزيادة او نقصان حتى في حرف منه او إعراب وقد ضمن الله حفظه: ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾[2] ﴿..وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[3].

ان مدعي التحريف انما يهرف بما لا يعرف جهلاً، او ما يعرف تجاهلاً، ولا نجد لهم حجة إلا عليهم، وسوف يمر عليكم قول فصل حول صيانة القرآن عن التحريف على ضوء آية الحفظ والعزة واضرابهما والله من وراء القصد»[4].

قال الصادقي في صيانة القرآن عن التحريف:

«لو لم تكن شنشنة اعرفها من جاهل او متجاهلين، الذين يخرفون فيهرفون بما لا يعرفون عن القرآن، هرفاً في التحريف، لما كتبت عنه شيئاً، لأن القرآن فوق هذه الأقاويل الزور، والتي تسربت إلى أحاديث الإسلام فترسبت عند من غرب عقله، فلذلك اجمل البحث عنه كما اجمله شيخ الطائفة واضرابه.

وجملة القول ممن تقول في هذا المضمار: « أن القرآن محرف بنقصان فقط وفي التأليف، واما الزيادة فمجمع على بطلانها»، ولا ريب أن الآيات الموجودة كلها قرآن.

ومنها ما تصرح بعدم التحريف أيا كان، فمقولة التحريف إذاً تناقض القرآن: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾[5] والذكر هنا هو القرآن، فانه منزَّل، وليس الرسول وهو الذكر

---

١. لقد جمع الميرزا حسين النوري في فصل خطابه ستة عشر موضعاً ـ بعد كدّ مديد ـ مما يحتج به على وجود التحريف بالنقيصة، اكثرها تنحو نحو حذف اسم الامام علي عليه السلام وهو هو المحذوف لم يشر ابداً الى هذا الحذف! المظلوم اليتيم!.

٢. سورة الحجر: الآية ٩.

٣. سورة فصّلت: الآية ٤٢.

٤. الفرقان ج ١ ص ٢٦ ـ ٢٧.

٥. سورة الحجر: الآية ٩.

المُنْزَل: ﴿فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات ..﴾[١] فالرسالة دفعية مُنْزلة، وليست تدريجية منزلة، ثم الذكر قبل آيته هو القرآن: ﴿وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾[٢] وحفظ قرآنه حفظاً لبرهانه الرسالي الخالد يخفف عنه وطأة تهمة الجنون، فليس إلا حفظاً له ككل وفي أيَّة ناحية كقرآن، طوال الرسالة الإسلامية، وبمتناول ايدي الناس، لا حفظاً في صدره هو وصدور المعصومين من خلفائه ـ فحسب، فانه لا يحافظ على كيان الرسالة إلاّ عند أهليها، والآية في مقام الامتنان، وماذا يجديه حفظه عنده إذاكان ضايعاً عند الامة؟، فهل نزل هذا الذكر الا للأمة؟: ﴿أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾[٣].

ولا نجد آية كآية الحفظ ـ في أية مهمة إسلامية ـ فيها هذه التأكيدات العديدة: ١ ـ إنّ. ٢ ـ نا. ٣ ـ نحن. ٤ ـ نا. ٥ ـ إنّ. ٦ ـ نا. ٧ ـ له. ٨ ـ ل ٩ ـ حافظون».

فهل نسي الله أم عجز أو بخل عن حفظه وصيانته في تأليفه؟ أو عن زيادته أو نقصانه إذ غلب على أمره؟ والله غالب على أمرا وهو القائل العزيز: ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[٤]، لا يأتيه الباطل من اي تهريف او تحريف، رغم ما يأتيه المبطلون ـ لا يأتيه من بين يديه من وحي سابق يكذبه ويبطله، او لاحق او معاصر كذلك، فضلاً عن غير الوحي من دس المبطلين، لانه ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾!: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾[٥].

انه محفوظ جملة وتفصيلاً، نزولاً وتنزيلاً، تأليفاً وترتيباً، حتى في حروفه ونقطه وإعرابه، فضلاً عن جمله وآياته، وكما يشهد بذلك القرآن نفسه: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٦] وقد يروى عن الرسول ﷺ عدد كلمات القرآن وحروفه.

ثم، وحديث الثقلين، وآيات العرض وأحاديثه، شهود صدق على صيانته عن التحريف، فكيف يكون القرآن المحرف معروضاً عليه لكل حادث وحديث؟ او يكون

---

١. سورة الطّلاق: الآية ١٠ ـ ١١.
٢. سورة الحجر: الآية ٦.
٣. سورة العنكبوت: الآية ٥١.
٤. سورة فصّلت: الآية ٤٢.
٥. سورة البروج: الآية ٢١ ـ ٢٢.
٦. سورة النساء: الآية ٨٢.

الثقل الأكبر بعد الرسول ﷺ مع أصغره حتى يردا عليه الحوض؟.

وما خرافة تحريف القرآن إلاّ اختلاقاً اسرائيلياً وجد له سبيلاً الى غفلة جاهلين، او طائفتين من سنة وشيعة، كل يصدق اختلاقاً حول التحريف ليثبت مذهبه تغافلاً عن كيان القرآن وهو أساس الإسلام.

فالسني يهرف بنقصان آية الرجم: «الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة» ما يعرفه كل سوقي عربي انه لا يشبه الوحي القرآني.

والشيعي يخرف بنقصان إسم الامام علي وآله في مواضع هي غاية الكد والكدح في باطله من أخبار آحاد(١).

---

١. كما فعله ميرزا حسين النوري في «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الارباب» كالتالي:

١ ـ فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولاً غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزاً من السماء»! ـ والذين ظلموا هنا هم جماعة من اليهود حيث ظلموا انفسهم ونبيهم فبدلوا قول الحق «حطة» بقولهم «حنطة»، استهزاءً، فاين ظلمهم بآل محمد او محمد ﷺ نفسه في حنطتهم؟

٢ ـ «بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله في علي» وهم انما كفروا بما عرفوه من النبوة المحمدية ولما يصل الأمر بعد إلى علي!

٣ ـ «ولتكن منكم أئمة ـ كنتم خير أئمة» والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يختصان بالأئمة، وانما هما واجب الامة على شروطهما.

٤ ـ «يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي وان تكفروا بولايته فان له ما في السماوات والارض» وكأنما الرسول جاء بالحق فقط في ولاية علي قبل ان تثبت ولايته ﷺ ام ماذا؟.

٥ ـ «يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما انزلنا في علي نوراً مبيناً»، والآية ﴿بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل ان نطمس وجوهاً فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولاً﴾ سورة النساء: الآية ٤٧.

والكتابي المنكر للرسالة الاسلامية ـ وهي الاصل ـ كيف يوجه الى فرعها وهو ولاية علي عليه السلام؟ ثم لا أدري كيف يتصل قوله: «نوراً مبيناً». بـ«مصدقاً لما معكم ...»؟

٦ ـ «اوفوا بالعقود التي عقدت عليكم لامير المؤمنين علي بن أبي طالب»، ويا ليت شعري ما هي المناسبة بين عقد الولاية وبعدها: «احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم» اللهم الا ان مختلق هذا الحديث هو من بهيمة الانعام!.

٧ ـ «بلغ ما انزل اليك في علي» وقد وردت في روايات ان «في علي» تفسير لمورد الآية وليست من الآية.

٨ ـ «والله ربنا ما كنا مشركين بولاية علي بن أبي طالب» وناكر الولاية وحتى النبوة لا يسمى مشركاً، وانما هو المشرك بالله، ثم وهذه مقالة اصحاب الجحيم وناكر ولاية علي عليه السلام لا يستحق بذلك النار.

٩ ـ «إنما انت منذر وعلي لكل قوم هاد» وليس علي هادياً للاقوام السابقين كما محمد لم يكن، وانما هو هاد منذ خلافته، كما محمد منذر منذ رسالته.

١٠ ـ «ربّ اغفر لي ولولدي اسماعيل واسحاق ـ او ـ اسحاق ويعقوب ـ او ـ الحسن والحسين»، وليت شعري كيف اقحم إسحاق مع اسماعيل ولما يولد، فضلاً عن: اسحاق ويعقوب، واخيراً: الحسن والحسين! وأبوهما وجدهما ←

ولكنما القرآن يقول كله تلميحاً، وتقول بعض آياته تصريحاً، انه لم يحرف ولن، ولكنما الحرفة الطائفية ليست لتسمح الرجوع في ذلك الى القرآن نفسه، لحد يستدل قائله بآية مشوهة حيث لم يجد فرصة للرجوع الى القرآن، اذ كان يسبر أغوار الأحاديث من عشرات وعشرات مؤلفات تضمها(١).

⇐ احرى بالدعاء لو أن ابراهيم يريد الدعاء لمن يأتي.

١١ ـ «ان هذا صراط علي مستقيم» وهنا غفل المفتري عن ان «مستقيم» وصفاً لـ «صراط» المعرف بالاضافة الى علي ـ كما زعم ـ يجب تعريفه «المستقيم».

١٢ ـ «ان تكون ائمة هي ازكى من ائمتكم»!...

١٣ ـ «ولقد عهدنا الى آدم من قبل في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم» ولم يكن العهد المعني الا الطاعة المطلقة لله وعدم طاعة الشيطان، واما في محمد وآله ﷺ فالآيات تلمح والروايات تصرح انه كان عارفاً بهم مؤمناً.

١٤ ـ «يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً ولياً».

١٥ ـ «يا محمد يا علي القيا في جهنم كل كفار عنيد» وليسا هما من الزبانية!

١٦ ـ «واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» والموؤدة لا تقتل وانما الموؤدة هي التي كانت تقتل!

١٧ ـ «واتبعوا ما تتلوا الشياطين بولاية الشياطين على ملك سليمان» وهنا يبدو الاختلاق الاسرائيلي واضحاً حيث يفترى على سليمان ـ وفقاً لما في التوراة ـ ان ملكه كان بولاية الشياطين ـ وقد غفل المفترى عن ذيل الآية: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ ومن هؤلاء الشياطين مختلقو هذه الفرية على سليمان في التوراة وفي الآية المزعومة القرآنية!.

١٨ ـ «متاعاً الى الحول غير اخراج مخرجات» وليته يشعر ماذا تفيده «مخرجات» الا تناقضاً في الحكم ـ حيث المعنى: متعوا المتوفى عنهن ازواجهن الى الحول دون اخراج لهن حالكونهن مخرجات!

١٩ ـ «لقد جاءكم رسول من انفسنا عزيز عليه ما عنتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم» ومعلوم ان «كم» هم المرسل إليهم و«نا» هو المرسل. فهل هناك جمع من الآلهة بعثوا واحداً منهم رسولاً الى الناس؟ او ان الله عبر عن نفسه بصيغة الجمع عناية الى جمعية الصفات، ثم الرسول هو من ذاته تعالى!

هذه زبانيتهم التسعة عشر التي اضرموها ليحرقوا بها القرآن ولكنهم مفضو حون! واكثرها من هرطقات بعض المتظاهرين انهم شيعة، وليسوا إلا شنيعة، يروون او يصدقون روايات اسرائيلية تنوه كأنما القرآن نزل ـ فقط ـ ليثبت فضل آل محمد، واما محمد فليس إلا رسولاً ليبلغ الى الناس هامة الولاية لآله فقط!

ان المحاولة الاسرائيلية المسيحية وجدت بين جهال من المسلمين من يستجيب لهم، كخدمات مذهبية: شيعية او سنية، ليشوهوا سمعة القرآن كما كانت كتبهم ولكن: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾، ﴿وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.

١. ينقل المحدث حسين النوري آية الذكر في كتابه المخطوط بيده: «انا انزلنا الذكر وانا له حافظون» ثم يقول: الإنزال لا يدل على أنه الكتاب بل استعمل الإنزال للرسول في قوله:

«انزلنا اليكم ذكراً رسولاً» هذا! رغم ان آية الحفظ تقول «نزلنا» وهو ينقلها «انزلنا اليكم» فلم ينظر الى آية الذكر حتى يعرف انه ذكر منزَّل وليس منزلاً، ولا الى ما قبلها ليعرف أنه القرآن! فيا له مراماً ما أبعده وذكراً ما أغفله!

وقد يعني [البعض من احاديث التحريف ـ غير الصريحة في نقص او زيادة لفظية ـ تعني] تحريف المعنى، إمالة لمعاني آيات الى غير معانيها، وهذا مما نعانيه منذ نزول القرآن: ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه ـ عن مواضعه ..﴾[1] وكما تشهد له رسالة الإمام الباقر عليه السلام الى سعد الخير: «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية»[2] كما وان التأويل المصطلح للآيات ـ وهو تفسيرها بخلاف ظواهرها المستقرة ـ هو ايضاً تحريف وتفسير بالرأي.

فالتحريف لغوياً هو الإمالة للشيء عن وجهه الى غير وجهه، فيشمل وجه اللفظ الى لفظ آخر، ووجه المعنى ـ وهو ظاهره ـ الى معنى آخر، ووجه التركيب الى تركيب آخر وما الى ذلك من وجوه التحريف في الآيات، ونحن لا نصدق إلاّ واقع التحريف في وجوه المعاني الصريحة او الظاهرة الى غيرها، المندد به في القرآن والحديث، دون غيره حيث يكذبه القرآن والحديث.

ثم، وفي صيانة القرآن عن التحريف صيانة للسنة المحمدية عن التجديف وصيانة لسائر كتب السماء عما تدخل فيها من وحي الأرض، حيث يهيمن على ما قبله من كتاب، وعلى حد ما يروى عن رسول القرآن واهل بيته الكرام صلى الله عليه وآله فانه الثقل الاكبر بعد الرسول، حيث يستمر به الثقل الأصغر، إذ تعرض رواياتهم عليه فيعرض الخائن المفترى من الأمين والغث من السمين.

وفي تحريف القرآن ـ وهو كتاب الزمن ـ ضياع لكافة الرسالات الإلٓهية ولرسالة القرآن، وزوال للحجة البالغة الإلٓهية عن العالمين.

﴿وما انزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[3]، ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل

١. سورة المائدة: الآية ٤١، سورة النساء: الآية ٤٦. ٢. اصول الكافي.
٣. سورة النّحل: الآية ٦٤.

السلام﴾[١].

وهذا القرآن فيه من التواتر العام طوال القرون الإسلامية لحد أصبح كالشمس في رابعة النهار، وما تهريف التحريف الاكذباب أو ذباب تحاول كسف الشمس بجناحها وذبها.

فكل أمر يرجع الى القرآن لفظاً ومعنى وترتيباً وقراءة، إذ لا نصدق أية قراءة لا توافقها المتواترة المتداولة، المخطوطة والمطبوعة، فذة او في التفاسير، ولا سيما القراءات التي تغير المعاني.

وسوف ترى في هذا التفسير أن وصمة التحريف تهريف هراءٌ من بعض الجهال او المعاندين، وتجديف في أحاديثنا من إسرائيليات ومسيحيات تعني تشويه القرآن كما شوهت سائر كتابات السماء، وأن القرآن بنفسه يذود عن نفسه هذه الوصمة الجاهلة، بالفاظه ومعانيه، كما هو يثبت كونه وكيانه أنه إلّهي واصب كالشمس في رابعة النهار، فهو هو دليل لكل دليل ومدلول، ولا يحتاج بنفسه إلى دليل، اللهم إلاّ لمن لم يعش القرآن قلبه، او يعشو قلبه عن نوره المبين وتبيانه المتين، فلينبه لذكراه، ليهتدي إلى هداه.

ومن آياته أن اتسمت جملاته بالآيات، حيث اتسمت بانها دالات بكونها بذواتها إلّهيات، فكما أن معجزات الرسالات آيات، كذلك القرآن كله آيات ولكنها خالدات.

التفسير المأثور:

نجد الكثير من احاديث التفسير لا تعني تفسير المفاهيم، وانما المصاديق الجلية او الخفية او المختلف فيها، دون أن تحصر الآيات بنفسها إذ لا تتحملها.

فتفسير النبأ العظيم والصراط المستقيم بعلي امير المؤمنين عليه السلام هو من قبيل الجري والتطبيق، وبيان مصداق مختلف فيه، ولو كان هو ـ فقط ـ الصراط المستقيم لأصبح النبي طالباً في صلواته ليل نهار صراط علي كأنه عليه السلام أعلى منه صلى الله عليه وآله وسلم!.

وتفسير الرزق في: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾[٢] بـ(مما علمناهم يبثون): بيان لمصداق خفي من مفهوم الرزق ـ الواسع، وأحرى ان يشمل علم الدين الذي هو رزق الروح.

فهذه تنبيهات ممن نزل في بيوتهم القرآن، أن الاقتصار على المفاهيم المحدودة عند

١. سورة المائدة: الآية ١٥ـ١٦.
٢. سورة البقرة: الآية ٣.

الناس خلاف ما يعنيه القرآن وهذه المحدودية الفكرية تجعل آيات متشابهات، ولكن كلما اتسع الفهم زال على مداه تشابه الآيات، ولنكرر قول الامام الرضا ﷺ في معنى المتشابه: «المتشابه ما اشتبه علمه على جاهله»[١].

قال الخوئي قدس سره في صيانة القرآن من التحريف:

«يحسن بنا ـ قبل الخوض في صميم الموضوع ـ أن نقدم امام البحث اموراً، لها صلة بالمقصود، لا يستغنى عنها في تحقيق الحال وتوضيحها.

١ ـ معنى التحريف:

يطلق لفظ التحريف ويراد منه عدة معان على سبيل الاشتراك، فبعض منها واقع في القرآن باتفاق من المسلمين، وبعض منها لم يقع فيه باتفاق منهم أيضاً، وبعض منها وقع الخلاف بينهم. واليك تفصيل ذلك:[٢].

الأول: «نقل الشيء عن موضعه وتحويله الى غيره» ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِيْنَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[٣].

ولا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله، فان كل من فسر القرآن بغير حقيقته وحمله على غير معناه فقد حرفه. وترى كثيراً من أهل البدع، والمذاهب الفاسدة قد حرفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم وأهوائهم.

وقد ورد المنع عن التحريف بهذا المعنى، وذم فاعله في عدة من الروايات. منها: رواية الكافي باسناده عن الباقر ﷺ انه كتب في رسالته الى سعد الخير:

«وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية ...»[٤].

الثاني: «النقص أو الزيادة في الحروف أو في الحركات، مع حفظ القرآن وعدم ضياعه، وإن لم يكن متميزاً في الخارج عن غيره».

والتحريف بهذا المعنى واقع في القرآن قطعاً، فقد أثبتنا لك فيما تقدم عدم تواتر القراءات، ومعنى هذا أن القرآن المنزل إنما هو مطابق لإحدى القراءات، وأما غيرها فهو إما

---

١. الفرقان ج ١ ص ٤٢ ـ ٥٠.

٢. انظر التعليقة رقم (٦) في البيان ص ٥٠٧.

٣. سورة النساء: الآية ٤٦.

٤. الوافي آخر كتاب الصلاة ٥ ص ٢٧٤.

زيادة في القرآن وإما نقيصة فيه.

الثالث: «النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين، مع التحفظ على نفس القرآن المنزل».

والتحريف بهذا المعنى قد وقع فى صدر الإسلام، وفي زمان الصحابة قطعاً، ويدلنا على ذلك اجماع المسلمين على أن عثمان أحرق جملة من المصاحف وأمر ولاته بحرق كل مصحف غير ما جمعه، وهذا يدل على أن هذه المصاحف كانت مخالفة لما جمعه، وإلا لم يكن هناك سبب موجب لإحراقها، وقد ضبط جماعة من العلماء موارد الاختلاف بين المصاحف، منهم عبدالله بن أبي داود السجستاني، وقد سمى كتابه هذا بكتاب المصاحف. وعلى ذلك فالتحريف واقع لا محالة إما من عثمان أو من كتاب تلك المصاحف، ولكنا سنبين بعد هذا إن شاءالله تعالى أن ما جمعه عثمان كان هو القرآن المعروف بين المسلمين، الذي تداولوه عن النبي ﷺ يداً بيد. فالتحريف بالزيادة والنقيصة إنما وقع فى تلك المصاحف التي انقطعت بعد عهد عثمان، وأما القرآن الموجود فليس فيه زيادة ولا نقيصة.

وجملة القول: إنّ من يقول بعدم تواتر تلك المصاحف ـ كما هو الصحيح ـ فالتحريف بهذا المعنى وإن كان قد وقع عنده في الصدر الأول إلا أنه قد انقطع في زمان عثمان، وانحصر المحصف بما ثبت تواتره من النبي ﷺ وأما القائل بتواتر المصاحف بأجمعها، فلابد له من الالتزام بوقوع التحريف بالمعنى المتنازع فيه فى القرآن المنزل، وبضياع شيء منه. وقد مر عليك تصريح الطبري، وجماعة آخرين بالغاء عثمان للحروف الستة التي نزل بها القرآن، واقتصاره على حرف واحد[1].

الرابع: «التحريف بالزيادة والنقيصة في الآية والسورة مع التحفظ على القرآن المنزل، والتسالم على قراءة النبي ﷺ إياها».

والتحريف بهذا المعنى أيضاً واقع في القرآن قطعاً. فالبسملة ـ مثلا ـ مما تسالم المسلمون على أن النبي ﷺ قرأها قبل كل سورة غير سورة التوبة. وقد وقع الخلاف في كونها من القرآن بين علماء السنة. فاختار جمع منهم أنها ليست من القرآن، بل ذهبت المالكية الى كراهة الإتيان بها قبل قراءة الفاتحة فى الصلاة المفروضة، إلا إذا نوى به المصلي الخروج من الخلاف، وذهبت جماعة أخرى الى أن البسملة من القرآن.

---

١. في موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف.

وأما الشيعة فهم متسالمون على جزئية البسملة من كل سورة غير سورة التوبة، واختار هذا القول جماعة من علماء السنة أيضاً. » وستعرف تفصيل ذلك عند تفسيرنا سورة الفاتحة». واذن فالقرآن المنزل من السماء قد وقع فيه التحريف يقيناً، بالزيادة أو بالنقيصة.

الخامس: «التحريف بالزيادة بمعنى أن بعض المصحف الذي بأيدينا ليس من الكلام المنزل».

والتحريف بهذا المعنى باطل باجماع المسلمين، بل هو مما علم بطلانه بالضرورة.

السادس: «التحريف بالنقيصة، بمعنى أن المصحف الذي بأيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء، فقد ضاع بعضه على الناس».

والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف فاثبته قوم ونفاه آخرون.

٢ ـ رأي المسلمين في التحريف :

المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم ﷺ ، وقد صرح بذلك كثير من الأعلام.

منهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه، وقد عدّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية.

ومنهم شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وصرح بذلك في أول تفسيره «التبيان» ونقل القول بذلك أيضاً عن شيخه علم الهدى السيد المرتضى، واستدلاله على ذلك بأتم دليل.

ومنهم المفسر الشهير الطبرسي في مقدمة تفسيره «مجمع البيان».

ومنهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر في بحث القرآن من كتابه «كشف الغطاء» وادعى الإجماع على ذلك.

ومنهم العلامة الجليل الشهشهاني في بحث القرآن من كتابه «العروة الوثقى» ونسب القول بعدم التحريف الى جمهور المجتهدين.

ومنهم المحدث الشهير المولى محسن القاساني في كتابيه[١].

ومنهم بطل العلم المجاهد الشيخ محمد الجواد البلاغي في مقدمة تفسيره

١. الوافي ج ٥ ص ٢٧٤، وعلم اليقين ص ١٣٠.

«آلاء الرحمن».

وقد نسب جماعة القول بعدم التحريف الى كثير من الأعاظم. منهم شيخ المشايخ المفيد، والمتبحر الجامع الشيخ البهائي، والمحقق القاضي نور الله، وأضرابهم. وممن يظهر منه القول بعدم التحريف: كل من كتب في الإمامة من علماء الشيعة وذكر فيه المثالب ولم يتعرض للتحريف، فلو كان هؤلاء قائلين بالتحريف لكان ذلك أولى بالذكر من احراق المصحف وغيره.

وجملة القول: إن المشهور بين علماء الشيعة ومحققيهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف. نعم ذهب جماعة من المحدثين من الشيعة، وجمع من علماء أهل السنة الى وقوع التحريف. قال الرافعي: فذهب جماعة من أهل الكلام ممن لا صناعة لهم إلا الظن والتأويل، واستخراج الأساليب الجدلية من كل حكم وكل قول الى جواز أن يكون قد سقط عنهم من القرآن شيء، حملا على ما وصفوا من كيفية جمعه[١]، وقد نسب الطبرسي في «مجمع البيان» هذا القول الى الحشوية من العامة.

أقول: سيظهر لك ـ بعيد هذا ـ أن القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف، وعليه فاشتهار القول بوقوع النسخ في التلاوة ـ عند علماء أهل السنة ـ يستلزم اشتهار القول بالتحريف.

٣ ـ نسخ التلاوة :

ذكر أكثر علماء أهل السنة: أن بعض القرآن قد نسخت تلاوته، وحملوا على ذلك ما ورد في الروايات أنه كان قرآناً على عهد رسول الله ﷺ، فيحسن بنا أن نذكر جملة من هذه الروايات، ليتبين أن الالتزام بصحة هذه الروايات التزام بوقوع التحريف في القرآن:

١ ـ روى ابن عباس أن عمر قال فيما قال، وهو على المنبر:

«إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما انزل الله آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها. فلذا رجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة انزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال ... ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ،

---

١. اعجاز القرآن للخوئي رحمة الله عليه ص ٤١.

من كتاب الله: أنْ لا تَرْغَبُوا عَن آبائِكم فانَّهُ كُفرٌ بِكُم أنْ تَرْغَبُوا عَن آبائِكُمْ، أو: إنَّ كُفْرًا بِكُمْ أنْ تَرْغَبُوا عَن آبائِكُم ...»[١].

وذكر السيوطي: أخرج ابن اشتة في المصاحف عن الليث بن سعد. قال: «أول من جمع القرآن أبوبكر، وكتبه زيد ... وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها، لأنه كان وحده»[٢].

أقول: وآية الرجم التي ادعى عمر أنها من القرآن، ولم تقبل منه رويت بوجوه: منها: «إذا زَنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم» ومنها: «الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة»، ومنها: «إن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة»، وكيف كان فليس في القرآن الموجود ما يستفاد منه حكم الرجم. فلو صحت الرواية فقد سقطت آية من القرآن لا محالة.

٢ـ وأخرج الطبراني بسند موثق عن عمر بن الخطاب مرفوعاً:

«القرآن الف الف وسبعة وعشرون الف حرف»[٣] بينما ان القرآن الذي بين أيدينا لا يبلغ ثلث هذا المقدار، وعليه فقد سقط من القرآن أكثر من ثلثيه.

٣ـ وروى ابن عباس عن عمر أنه قال:

«إن الله عز وجل بعث محمداً بالحق، وأنزل معه الكتاب، فكان مما أنزل اليه آية الرجم، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، ثم قال: كنا نقرأ: «وَلا تَرغَبوا عَن آبائِكم فانَّه كُفرٌ بِكم»، أو: «إنَّ كُفراً بِكم أنْ تَرْغَبوا عَنْ آبائِكم»[٤].

٤ـ وروى نافع أن ابن عمر قال:

«ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر»[٥].

٥ـ وروى عروة بن الزبير عن عائشة قالت:

«كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي ﷺ مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن»[٦].

---

١. صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١١٦ بلا زيادة ثم إنا.
٢. الاتقان ج ١ ص ١٠١.
٣. الاتقان ج ١ ص ١٢١.
٤. مسند أحمد ج ١ ص ٤٧.
٥. الاتقان ج ٢ ص ٤٠، ٤١.
٦. نفس المصدر ج ٢ ص ٤٠، ٤١.

٦ـ وروت حميدة بنت أبي يونس. قالت:

«قرأ على أبي ـ وهو ابن ثمانين سنة ـ في مصحف عائشة: إن الله وملائكته يُصلّوْنَ على النّبي يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وسَلِّمُوا تَسْليمًا، وَعَلى الّذينَ يُصلّونَ الصُفُوفَ الأوّل. قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف»[١].

٧ـ وروى أبو حرب ابن أبي الأسود عن أبيه. قال:

«بعث أبو موسى الأشعري الى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل. قد قرأوا القرآن. فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه ولا يطولن عليكمْ الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدّة ببراءة فانسيتها، غير أني قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها، غير أني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فَتُكتَبُ شهادةٌ في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة»[٢].

٨ـ وروى زرّ. قال: قال أبي بن كعب يا زرّ:

«كأيّن تقرأ سورة الأحزاب قلت: ثلاث وسبعين آية. قال: إن كانت، لتضاهي سورة البقرة، أو هي أطول من سورة البقرة ...»[٣].

٩ـ وروى ابن أبي داود وابن الانباري عن ابن شهاب. قال:

«بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا قد وعوه، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب ...»[٤].

١٠ـ وروى عمرة عن عائشة أنها قالت:

«كان فيما انزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرّمن ثم نسخن بـ: خمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن»[٥].

١١ـ وروى المسور بن مخرمة. قال:

---

١. الاتقان ج ٢ ص ٤٠، ٤١.
٢. صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٠.
٣. منتخب كنزالعمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣.
٤. منتخب كنزالعمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٥٠.
٥. صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٧.

«قال عمر لعبد الرحمن بن عوف ألم تجد فيما انزل علينا. أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة. فانا لا نجدها. قال: اسقطت فيما اسقط من القرآن»[١].

١٢ - وروى ابو سفيان الكلاعي: أن مسلمة بن مخلد الأنصاري. قال لهم ذات يوم: «أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف، فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك، فقال ابن مسلمة: إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم اولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون»[٢].

وقد نقل بطرق عديدة عن ثبوت سورتي الخلع والحفد في مصحف ابن عباس وأبي بن كعب: «اللهم إنا نستعنيك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرينَ ملحق». وغير ذلك مما لا يهمنا استقصاؤه[٣].

وغير خفي أن القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف والاسقاط

وبيان ذلك: أن نسخ التلاوة هذا إما ان يكون قد وقع من رسول الله ﷺ وإما أن يكون ممن تصدى للزعامة من بعده، فان أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله ﷺ فهو أمر يحتاج الى الاثبات، وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، وقد صرح بذلك جماعة في كتب الاصول وغيرها[٤]، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة، واليه ذهب أحمد بن حنبل في احدى الروايتين عنه، بل إن جماعة ممن قال بامكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منع وقوعه[٥]، وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ الى النبي ﷺ باخبار هؤلاء الرواة؟ مع ان نسبة النسخ الى النبي ﷺ تنافي جملة من الروايات التي تضمنت ان الاسقاط قد وقع بعده. وإن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدوا للزعامة بعد النبي ﷺ فهو عين القول بالتحريف. وعلى ذلك فيمكن أن يدعى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل

١. الاتقان ج ٢ ص ٤٢.
٢. الاتقان ج ٢ ص ٤٢.
٣. الاتقان ج ١ ص ١١٢ـ١١٣.
٤. الموافقات لأبي اسحاق الشاطبي ج ٣ ص ١٠٦ طبعة المطبعة الرحمانية بمصر.
٥. الإحكام في اصول الأحكام للآمدي ج ٣ ص ٢١٧.

السنة، لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة. سواء أنسخ الحكم أم لم ينسخ، بل تردد الاصوليون منهم فى جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته، وفي جواز أن يمسه المحدث. واختار بعضهم عدم الجواز. نعم ذهبت طائفة من المعتزلة الى عدم جواز نسخ التلاوة[١].

ومن العجيب أن جماعة من علماء أهل السنة أنكروا نسبة القول بالتحريف الى أحد من علمائهم حتى أن الالوسي كذّب الطبرسي فى نسبة القول بالتحريف الى الحشوية، وقال: «إن أحداً من علماء أهل السنة لم يذهب الى ذلك»، واعجب من ذلك أنه ذكر أن قول الطبرسي بعدم التحريف نشأ من ظهور فساد قول أصحابه بالتحريف، فالتجأ هو الى إنكاره[٢] مع انك قد عرفت أن القول بعدم التحريف هو المشهور، بل المتسالم عليه بين علماء الشيعة ومحققيهم، حتى أن الطبرسي قد نقل كلام السيد المرتضى بطوله، واستدلاله على بطلان القول بالتحريف بأتم بيان وأقوى حجة[٣].

التحريف والكتاب:

والحق بعد هذا كله ان التحريف «بالمعنى الذي وقع النزاع فيه» غير واقع في القرآن أصلاً بالأدلة التالية:

الدليل الأول ـ قوله تعالى:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٤].

فان فى هذه الآية دلالة على حفظ القرآن من التحريف، وأن الأيدي الجائرة لن تتمكن من التلاعب فيه.

والقائلون بالتحريف قد أولوا هذه الآية الشريفة، وذكروا في تأويلها وجوها:

الأول: «أن الذكر هو الرسول» فقد ورد استعمال الذكر فيه في قوله تعالى:

﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولاً يتلوا عليكم آيات الله﴾[٥].

وهذا الوجه بيّن الفساد: لأن المراد بالذكر هو القرآن فى كلتا الآيتين بقرينة التعبير «بالتنزيل والانزال»، ولو كان المراد هو الرسول لكان المناسب أن يأتي بلفظ «الارسال» أو

---

١. الإحكام فى اصول الاحكام للآمدي ج ٣ ص ٢٠١ ـ ٢٠٣.
٢. روح المعاني ج ١ ص ٢٤.
٣. مجمع البيان ج ١، ص ٨٣.
٤. سورة الحجر: الآية ٩.
٥. سورة الطلاق: الآية ١٠ ـ ١١.

بما يقاربه في المعنى. على ان هذا الاحتمال إذا تم في الآية الثانية فلا يتم في آية الحفظ، فانها مسبوقة بقوله تعالى:

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾[1].

ولا شبهة فى أن المراد بالذكر في هذه الآية هو القرآن، فتكون قرينة على أن المراد من الذكر في آية الحفظ هو القرآن أيضاً.

الثاني: «أن يراد من حفظ القرآن صيانته عن القدح فيه، وعن إبطال ما يتضمنه من المعاني العالية، والتعاليم الجليلة».

وهذا الاحتمال أبين فساداً من الأول: لأن صيانته عن القدح إن أُريد بها حفظه من قدح الكفار والمعاندين فلا ريب في بطلان ذلك، لأن قدح هؤلاء فى القرآن فوق حد الاحصاء. وان اريد أن القرآن رصين المعاني، قوى الاستدلال. مستقيم الطريقة، وأنه لهذه الجهات ونحوها ارفع مقاماً من أن يصل اليه قدح القادحين، وريب المرتابين فهو صحيح، ولكن هذا ليس من الحفظ بعد التنزيل كما تقوله الآية، لأن القرآن بما له من الميزات حافظ لنفسه، وليس محتاجاً الى حافظ آخر، وهو غير مفاد الآية الكريمة، لأنها تضمنت حفظه بعد التنزيل.

الثالث: «أن الآية دلت على حفظ القرآن فى الجملة، ولم تدل على حفظ كل فرد من أفراد القرآن، فان هذا غير مراد من الآية بالضرورة وإذا كان المراد حفظه فى الجملة، كفى في ذلك حفظه عند الامام الغائب عليه السلام».

وهذا الاحتمال أوهن الاحتمالات: لأن حفظ القرآن يجب أن يكون عند من انزل اليهم وهم عامة البشر، أما حفظه عند الامام عليه السلام فهو نظير حفظه فى اللوح المحفوظ، أو عند ملك من الملائكة، وهو معنى تافه يشبه قول القائل: إني أرسلت اليك بهدية وأنا حافظ لها عندي أو عند بعض خاصتي.

ومن الغريب قول هذا القائل: إن المراد في الآية حفظ القرآن فى الجملة، لا حفظ كل فرد من أفراده، فكأنه توهم أن المراد بالذكر هو القرآن المكتوب، أو الملفوظ لتكون له أفراد كثيرة. ومن الواضح أن المراد ليس ذلك، لأن القرآن المكتوب أو الملفوظ لا دوام له

---

١. سورة الحجر: الآية ٦.

خارجاً، فلا يمكن أن يراد من آية الحفظ، وإنما المراد بالذكر هو المحكي بهذا القرآن الملفوظ أو المكتوب، وهو المنزل على رسول الله ﷺ والمراد بحفظه صيانته عن التلاعب، وعن الضياع، فيمكن للبشر عامة أن يصلوا اليه. وهو نظير قولنا: القصيدة الفلانية محفوظة، فانا نريد من حفظها صيانتها، وعدم ضياعها بحيث يمكن الحصول عليها.

نعم هنا شبهة أخرى ترد على الاستدلال بالآية الكريمة على عدم التحريف. وحاصل هذه الشبهة أن مدعي التحريف في القرآن يحتمل وجود التحريف في هذه الآية نفسها، لأنها بعض آيات القرآن، فلا يكون الاستدلال بها صحيحاً حتى يثبت عدم التحريف، فلو أردنا أن نثبت عدم التحريف بها كان ذلك من الدور الباطل.

وهذه شبهة ترد على من عزل العترة الطاهرة عن الخلافة الإلهية، ولم يعتمد على أقوالهم وأفعالهم، فانه لا يسعه دفع هذه الشبهة، وأما من يرى أنهم حجج الله على خلقه، وأنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك، فلا ترد عليه هذه الشبهة، لأن استدلال العترة بالكتاب، وتقرير أصحابهم عليه يكشف عن حجية الكتاب الموجود، وإن قيل بتحريفه، غاية الأمر أن حجية الكتاب على القول بالتحريف تكون متوقفة على إمضائهم.

الدليل الثاني ـ قوله تعالى:

﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾(١).

فقد دلت هذه الآية الكريمة على نفي الباطل بجميع أقسامه عن الكتاب، فان النفي إذا ورد على الطبيعة أفاد العموم، ولا شبهة في أن التحريف من أفراد الباطل، فيجب أن لا يتطرق الى الكتاب العزيز.

وقد اجيب عن هذا الدليل:

بأن المراد من الآية صيانة الكتاب من التناقض في احكامه، ونفي الكذب عن اخباره، واستشهد لذلك برواية علي بن ابراهيم القمي، في تفسيره عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لا يأتيه الباطل من قبل التوراة، ولا من قبل الأنجيل، والزبور، ولا من خلفه أي لا يأتيه من بعده كتاب يبطله». ورواية (مجمع البيان) عن الصادقين عليهما السلام أنه: «ليس في اخباره عما مضى باطل، ولا في اخباره عما يكون في المستقبل باطل».

١ـ سورة فصّلت: الآية ٤١ـ٤٢.

ويرد هذا الجواب:

أن الرواية لا تدل على حصر الباطل في ذلك، لتكون منافية لدلالة الآية على العموم، وخصوصاً إذا لاحظنا الروايات التي دلت على أن معاني القرآن لا تختص بموارد خاصة، وقد تقدم بعض هذه الروايات في مبحث «فضل القرآن» فالآية دالة على تنزيه القرآن في جميع الأعصار عن الباطل بجميع أقسامه، والتحريف من أظهر أفراد الباطل فيجب أن يكون مصوناً عنه. ويشهد لدخول التحريف في الباطل، الذي نفته الآية عن الكتاب أن الآية وصفت الكتاب بالعزة، وعزة الشيء تقتضي المحافظة عليه من التغيير والضياع. أما إرادة خصوص التناقض والكذب من لفظ الباطل في الآية الكريمة، فلا يناسبها توصيف الكتاب بالعزة.

التحريف والسنة :

الدليل الثالث ـ أخبار الثقلين اللذين خلفهما النبي ﷺ في أمته وأخبر أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وأمر الأمة بالتمسك بهما، وهما الكتاب والعترة. وهذه الأخبار متظافرة من طرق الفريقين والاستدلال بها على عدم التحريف في الكتاب يكون من ناحيتين:

الناحية الاولى: أن القول بالتحريف يستلزم عدم وجوب التمسك بالكتاب المنزل لضياعه على الأمة بسبب وقوع التحريف، ولكن وجوب التمسك بالكتاب باق الى يوم القيامة، لصريح أخبار الثقلين، فيكون القول بالتحريف باطلاً جزماً.

وتوضيح ذلك:

أن هذه الروايات دلت على اقتران العترة بالكتاب، وعلى أنهما باقيان في الناس الى يوم القيامة، فلابد من وجود شخص يكون قريناً للكتاب ولابد من وجود الكتاب ليكون قريناً للعترة، حتى يردا على النبي الحوض ، وليكون التمسك بهما حافظاً للأمة عن الضلال، كما يقول النبي ﷺ في هذا الحديث. ومن الضروري أن التمسك بالعترة إنما يكون بموالاتهم، واتباع أوامرهم ونواهيهم، والسير على هداهم. وهذا شيء لا يتوقف على الاتصال بالإمام، والمخاطبة معه شفاهاً، فان الوصول الى الامام والمخاطبة معه لا يتيسر لجميع المكلفين في زمان الحضور، فضلاً عن أزمنة الغيبة. واشتراط امكان الوصول الى

الامام ﷺ لبعض الناس دعوى بلا برهان ولا سبب يوجب ذلك، فالشيعة في أيام الغيبة متمسكون بامامهم يوالونه ويتبعون أوامره، ومن هذه الأوامر الرجوع الى رواة أحاديثهم في الحوادث الواقعة. أما التمسك بالقرآن فهو أمر لا يمكن إلا بالوصول اليه، فلابد من كونه موجوداً بين الأمة، ليمكنها أن تتمسك به، لئلا تقع في الضلال، وهذا البيان يرشدنا الى فساد المناقشة بأن القرآن محفوظ وموجود عند الإمام الغائب، فان وجوده الواقعي لا يكفي لتمسك الأمة به.

وقد اشكل على هذا الدليل:

بأن أخبار الثقلين إنما تدل على نفي التحريف فى آيات الأحكام من القرآن، لأنها هي التي أمر الناس بالتمسك بها، فلا تنفي وقوع التحريف فى الآيات الأخرى منه.

وجوابه: أن القرآن بجميع آياته مما أنزله الله لهداية البشر، وارشادهم الى كمالهم الممكن من جميع الجهات، ولا فرق في ذلك بين آيات الأحكام وغيرها، وقد قدمنا في بيان فضل القرآن؛ أن ظاهر القرآن قصة وباطنه عظة. على أن عمدة القائلين بالتحريف يدّعون وقوع التحريف في الآيات التي ترجع الى الولاية وما يشبهها. ومن البيّن أنها لو ثبت كونها من القرآن، لوجب التمسك بها على الأمة.

الناحية الثانية: أن القول بالتحريف يقتضي سقوط الكتاب عن الحجية، فلا يتمسك بظواهره، فلابد للقائلين بالتحريف من الرجوع الى إمضاء الأئمة الطاهرين لهذا الكتاب الموجود بأيدينا. واقرار الناس على الرجوع اليه بعد ثبوت تحريفه. ومعنى هذا أن حجية الكتاب الموجود متوقفة على امضاء الأئمة للإستدلال به، وظاهر تلك الأخبار المتواترة أن القرآن أحد المرجعين للأمة، واولى الحجتين المستقلتين اللتين يجب التمسك بهما، بل هو الثقل الأكبر، فلا تكون حجيته فرعاً على حجية الثقل الأصغر. والوجه فى سقوط الكتاب عن الحجية ـ على القول بالتحريف ـ هو احتمال اقتران ظواهره بما يكون قرينة على خلافها. أما الاعتماد فى ذلك على اصالة عدم القرينة فهو ساقط، فان الدليل على هذا الأصل هو بناء العقلاء على اتباع الظهور، وعدم اعتنائهم باحتمال القرينة على خلافه. وقد أوضحنا فى مباحث الاصول أن القدر الثابت من البناء العقلائي؛ هو عدم اعتناء العقلاء باحتمال وجود القرينة المنفصلة، ولا باحتمال القرينة المتصلة إذا كان سببه احتمال غفلة

المتكلم عن البيان، أو غفلة السامع عن الاستفادة.

أما احتمال وجود القرينة المتصلة من غير هذين السببين، فان العقلاء يتوقفون عن اتباع الظهور معه، ومثال ذلك: ما إذا ورد على انسان كتاب ممن يجب عليه طاعته يأمره فيه بشراء دار، ووجد بعض الكتاب تالفاً، واحتمل أن يكون في هذا البعض التالف بيان لخصوصيات في الدار التي امر بشرائها من حيث السعة والضيق، أو من حيث القيمة أو المحل، فان العقلاء لا يتمسكون باطلاق الكلام الموجود، اعتماداً على اصالة عدم القرينة المتصلة ولا يشترون أية دار امتثالاً لأمر هذا الآمر، ولا يعدون من يعمل مثل ذلك ممتثلاً لأمر سيده.

ولعل القاريء يذهب به وهمه بعيداً، فيقول: إن هذا التقريب يهدم اساس الفقه، واستنباط الأحكام الشرعية. لأن العمدة في أدلتها هي الأخبار المروية عن المعصومين عليهم السلام ومن المحتمل أن تكون كلماتهم مقرونة بقرائن متصلة، ولم تنقل الينا.

ولو تأمل قليلاً لم يستقر في ذهنه هذا التوهم، فان المنبع في مقام الأخبار، هو ظهور كلام الراوي في عدم وجود القرينة المتصلة، فان اللازم عليه البيان لو كان كلام المعصوم متصلاً بقرينة، واحتمال غفلته عنها مدفوع بالأصل.

نعم إن القول بالتحريف يلزمه عدم جواز التمسك بظواهر القرآن، ولا يحتاج في اثبات هذه النتيجة الى دعوى العلم الاجمالي باختلال الظواهر في بعض الآيات، حتى يجاب عنه بأن وقوع التحريف في القرآن لا يلزمه العلم الاجمالي المذكور، وبان هذا العلم الاجمالي لا ينجز، لأن بعض أطرافه ليس من آيات الأحكام، فلا يكون له أثر في العمل. والعلم الاجمالي إنما ينجز إذا كان له أثر عملي في كل طرف من أطرافه.

وقد يدعي القائل بالتحريف: أن ارشاد الأئمة المعصومين عليهم السلام الى الاستدلال بظواهر الكتاب، وتقرير أصحابهم عليه قد أثبت الحجية للظواهر، وان سقطت قبل ذلك بسبب التحريف.

ولكن هذه الدعوى فاسدة، فان هذا الارشاد من الأئمة المعصومين عليهم السلام، وهذا التقرير منهم لاصحابهم على التمسك بظواهر القرآن، إنما هو من جهة كون القرآن في نفسه حجة مستقلة، لا أنهم يريدون اثبات الحجية له بذلك ابتداءً.

ترخيص قراءة السور في الصلاة:

الدليل الرابع ـ انه قد أمر الأئمة من اهل البيت عليهم السلام بقراءة سورة تامة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين من الفريضة، وحكموا بجواز تقسيم سورة تامة أو أكثر في صلاة الآيات، على تفصيل مذكور في موضعه.

ومن البين أن هذه الأحكام إنما ثبتت في أصل الشريعة بتشريع الصلاة، وليس للتقية فيها أثر. وعلى ذلك فاللازم على القائلين بالتحريف أن لا يأتوا بما يحتمل فيه التحريف من السور، لأن الاشتغال اليقيني يقتضي البراءة اليقينية. وقد يدعى القائل بالتحريف أنه غير متمكن من احراز السورة التامة، فلا تجب عليه، لأن الاحكام إنما تتوجه الى المتمكنين. وهذه الدعوى إنما تكون مسلمة إذا احتمل وقوع التحريف في جميع السور.

أما إذا كان هناك سورة لا يحتمل فيها ذلك كسورة التوحيد، فاللازم عليه أن لا يقرأ غيرها. ولا يمكن للخصم أن يجعل ترخيص الأئمة عليهم السلام للمصلي بقراءة أية سورة شاء دليلاً على الاكتفاء بما يختاره من السور، وإن لم يجز الاكتفاء بها قبل هذا الترخيص بسبب التحريف، فان هذا الترخيص من الأئمة عليهم السلام بنفسه دليل على عدم وقوع التحريف في القرآن وإلا لكان مستلزماً لتفويت الصلاة الواجبة على المكلف بدون سبب موجب. فان من البين أن الالزام بقراءة السور، التي لم يقع فيها تحريف ليس فيه مخالفة للتقية، ونرى انهم عليهم السلام أمرونا بقراءة سورة «القدر والتوحيد» في كل صلاة استحباباً، فأي مانع من الالزام بهما، أو بغيرهما مما لا يحتمل وقوع التحريف فيه.

اللهم إلا أن يدعى نسخ وجوب قراءة السورة التامة الى وجوب قراءة سورة تامة من القرآن الموجود، ولا أظن القائل بالتحريف يلتزم بذلك، لأن النسخ لم يقع بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطعاً، وان كان في إمكانه وامتناعه كلام بين العلماء، وهذا خارج عما نحن بصدده.

وجملة القول: انه لا ريب في أمر أهل البيت عليهم السلام بقراءة سورة من القرآن الذي بين أيدينا في الصلاة، وهذا الحكم الثابت من دون ريب ولا شائبة تقية إما ان يكون هو نفس الحكم الثابت في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإما أن يكون غيره، وهذا الأخير باطل لأنه من النسخ الذي لا ريب في عدم وقوعه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان أمراً ممكناً في نفسه، فلابد وأن يكون ذلك هو الحكم الثابت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى ذلك عدم التحريف.

وهذا الاستدلال يجري في كل حكم شرعي، رتبه أهل البيت عليهم السلام على قراءة سورة كاملة، أو آية تامة.

دعوى وقوع التحريف من الخلفاء :

الدليل الخامس ـ أن القائل بالتحريف إما أن يدعي وقوعه من الشيخين، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإما من عثمان بعد انتهاء الأمر اليه، وإما من شخص آخر بعد انتهاء الدور الأول من الخلافة، وجميع هذه الدعاوى باطلة. أما دعوى وقوع التحريف من أبي بكر وعمر، فيبطلها انهما في هذا التحريف إما أن يكونا غير عامدين، وإنما صدر عنهما من جهة عدم وصول القرآن اليهما بتمامه، لأنه لم يكن مجموعاً قبل ذلك، وإما أن يكونا متعمدين في هذا التحريف، وإذا كانا عامدين فاما أن يكون التحريف الذي وقع منهما في آيات تمس بزعامتهما، وإما أن يكون في آيات ليس لها تعلق بذلك، فالاحتمالات المتصورة ثلاثة:

أما احتمال عدم وصول القرآن اليهما بتمامه فهو ساقط قطعاً، فان اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر القرآن بحفظه، وقراءته، وترتيل آياته، واهتمام الصحابة بذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته يورث القطع بكون القرآن محفوظاً عندهم، جمعاً أو متفرقاً، حفظاً في الصدور، أو تدويناً في القراطيس. وقد اهتموا بحفظ أشعار الجاهلية وخطبها، فكيف لا يهتمون بأمر الكتاب العزيز، الذي عرضوا انفسهم للقتل في دعوته، وإعلان أحكامه، وهجروا في سبيله أوطانهم، وبذلوا أموالهم، وأعرضوا عن نسائهم وأطفالهم، ووقفوا المواقف التي بيضوا بها وجه التاريخ. وهل يحتمل عاقل مع ذلك كله عدم اعتنائهم بالقرآن؟ حتى يضيع بين الناس، وحتى يحتاج في إثباته الى شهادة شاهدين وهل هذا إلا كاحتمال الزيادة في القرآن، بل كاحتمال عدم بقاء شيء من القرآن المنزل؟. على أن روايات الثقلين المتظافرة «المتقدمة» دالة على بطلان هذا الاحتمال، فان قوله صلى الله عليه وآله وسلم «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» لا يصح إذا كان بعض القرآن ضائعاً في عصره، فان المتروك حينئذ يكون بعض الكتاب لا جميعه، بل وفي هذه الروايات دلالة صريحة على تدوين القرآن، وجمعه في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن الكتاب لا يصدق على مجموع المتفرقات، ولا على المحفوظ في الصدور. «وستتعرض للكلام فيمن جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »، وإذا سلم عدم اهتمام المسلمين بجمع القرآن على عهده صلى الله عليه وآله وسلم

فلماذا لم يهتم بذلك النبي ﷺ بنفسه مع اهتمامه الشديد بأمر القرآن، فهل كان غافلا عن نتائج هذا الاغفال، أو كان غير متمكن من الجمع، لعدم تهيؤ الوسائل عنده؟! ومن الواضح بطلان جميع ذلك.

وأما احتمال تحريف الشيخين للقرآن ـ عمداً ـ في الآيات التي لا تمس بزعامتهما، وزعامة أصحابهما فهو بعيد في نفسه، إذ لا غرض لهما في ذلك على أن ذلك مقطوع بعدمه، وكيف يمكن وقوع التحريف منهما مع أن الخلافة كانت مبتنية على السياسة، واظهار الاهتمام بأمر الدين وهلا احتج بذلك أحد الممتنعين عن بيعتهما، والمعترضين على أبي بكر في أمر الخلافة كسعد بن عبادة وأصحابه، وهلا ذكر ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية المعروفة، أو في غيرها من كلماته التي اعترض بها على من تقدمه. ولا يمكن دعوى اعتراض المسلمين عليهما بذلك، واختفاء ذلك عنا، فان هذه الدعوى واضحة البطلان.

وأما احتمال وقوع التحريف من الشيخين عمداً، في آيات تمس بزعامتهما فهو أيضاً مقطوع بعدمه، فان أميرالمؤمنين عليه السلام وزوجته الصديقة الطاهرة عليها السلام وجماعة من أصحابه قد عارضوا الشيخين في أمر الخلافة، واحتجوا عليهما بما سمعوا من النبي ﷺ واستشهدوا على ذلك من شهد من المهاجرين والأنصار، واحتجوا عليه بحديث الغدير وغيره. وقد ذكر في كتاب الاحتجاج: احتجاج اثنى عشر رجلاً على أبي بكر في الخلافة، وذكروا له النص فيها. وقد عقد العلامة المجلسي باباً لاحتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام في أمر الخلافة[١]، ولو كان في القرآن شيء يمس زعامتهم لكان أحق بالذكر في مقام الاحتجاج، وأحرى بالاستشهاد عليه من جميع المسلمين، ولا سيما أن أمر الخلافة كان قبل جمع القرآن على زعمهم بكثير، ففي ترك الصحابة ذكر ذلك في أول أمر الخلافة وبعد انتهائها الى علي عليه السلام دلالة قطعية على عدم التحريف المذكور.

وأما احتمال وقوع التحريف من عثمان فهو أبعد من الدعوى الأولى:

١ ـ لان الاسلام قد انتشر في زمان عثمان على نحو ليس في إمكان عثمان أن ينقص من القرآن شيئاً، ولا في إمكان من هو أكبر شأناً من عثمان.

---

١. بحار الأنوار ج ٨ ص ٧٩.

٢ ـ ولان تحريفه إن كان للآيات التي لا ترجع الى الولاية، ولا تمس زعامة سلفه بشيء، فهو بغير سبب موجب، وإن كان للآيات التي ترجع الى شيء من ذلك فهو مقطوع بعدمه، لأن القرآن لو اشتمل على شيء من ذلك وانتشر بين الناس لما وصلت الخلافة الى عثمان.

٣ ـ ولانه لو كان محرفاً للقرآن، لكان في ذلك أوضح حجة، وأكبر عذر لقتلة عثمان في قتله علناً، ولما احتاجوا في الاحتجاج على ذلك الى مخالفته لسيرة الشيخين في بيت مال المسلمين، والى ما سوى ذلك من الحجج.

٤ ـ ولكان من الواجب على علي عليه السلام بعد عثمان أن يرد القرآن الى أصله، الذي كان يقرأ به في زمان النبي صلى الله عليه وآله وزمان الشيخين ولم يكن عليه في ذلك شيء ينتقد به، بل ولكان ذلك أبلغ أثراً في مقصوده وأظهر لحجته على الثائرين بدم عثمان، ولا سيما أنه عليه السلام قد أمر بارجاع القطائع التي أقطعها عثمان. وقال في خطبة له:

«والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان في العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»[1].

هذا أمر علي في الأموال، فكيف يكون أمره في القرآن لو كان محرفاً، فيكون امضاؤه عليه السلام للقرآن الموجود في عصره، دليلاً على عدم وقوع التحريف فيه.

وأما دعوى وقوع التحريف بعد زمان الخلفاء فلم يدعها أحد فيما نعلم، غير أنها نسبت الى بعض القائلين بالتحريف، فادعى أن الحجاج لما قام بنصرة بني أمية أسقط من القرآن آيات كثيرة كانت قد نزلت فيهم، وزاد فيه ما لم يكن منه، وكتب مصاحف وبعثها الى مصر، والشام، والحرمين، والبصرة والكوفة، وإن القرآن الموجود اليوم مطابق لتلك المصاحف. وأما المصاحف الأخرى فقد جمعها ولم يبق منها شيئاً ولا نسخة واحدة[2].

وهذه الدعوى تشبه هذيان المحمومين، وخرافات المجانين والأطفال، فان الحجاج واحد من ولاة بني أمية، وهو أقصر باعاً، وأصغر قدراً من أن ينال القرآن بشيء، بل وهو أعجز من أن يغير شيئاً من الفروع الاسلامية، فكيف يغير ما هو أساس الدين، وقوام الشريعة، ومن أين له القدرة والنفوذ في جميع ممالك الاسلام وغيرها مع انتشار القرآن

---

١. نهج البلاغة: فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان.

٢. مناهل العرفان ص ٢٥٧.

فيها؟ وكيف لم يذكر هذا الخطب العظيم مؤرخ في تاريخه، ولا ناقد في نقده مع ما فيه من الأهمية، وكثرة الدواعي الى نقله، وكيف لم يتعرض لنقله واحد من المسلمين في وقته، وكيف أغضى المسلمون عن هذا العمل بعد انقضاء عهد الحجاج، وانتهاء سلطته؟.

وهب انه تمكن من جمع نسخ المصاحف جميعا. ولم تشذ عن قدرته نسخة واحدة من أقطار المسلمين المتباعدة، فهل تمكن من ازالته عن صدور المسلمين وقلوب حفظة القرآن؟ وعددهم في ذلك الوقت لا يحصيه إلا الله، على أن القرآن لو كان في بعض آياته شيء يمس بني أمية، لاهتمّ معاوية باسقاطه قبل زمان الحجاج وهو أشد منه قدرة، وأعظم نفوذاً، ولاستدل به أصحاب علي عليه السلام على معاوية، كما احتجوا عليه بما حفظه التاريخ، وكتب الحديث، والكلام. وبما قدمناه للقارىء يتضح له أن من يدعي التحريف يخالف بداهة العقل. وقد قيل في المثل: حدث الرجل بما لا يليق فان صدق فهو ليس بعاقل.

شبهات القائلين بالتحريف :

وهنا شبهات يتشبث بها القائلون بالتحريف لابد لنا من التعرض لها ودفعها واحدة واحدة.

الشبهة الاولى:

أن التحريف قد وقع في التوراة والانجيل، وقد ورد في الروايات المتواترة من طريقي الشيعة والسنة: أن كل ما وقع في الأمم السابقة لابد وأن يقع مثله في هذه الامة. فمنها ما رواه الصدوق في «الاكمال» عن غياث بن ابراهيم، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ما كان في الأمم السالفة، فانه يكون في هذه الامة مثله حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة»[1].

ونتيجة ذلك: أن التحريف لابد من وقوعه في القرآن، وإلا لم يصح معنى هذه الأحاديث.

والجواب عن ذلك:

اولا: أن الروايات المشار اليها اخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملا، ودعوى التواتر فيها جزافية لا دليل عليها، ولم يذكر من هذه الروايات شيء في الكتب الأربعة، ولذلك

---

١. البحار باب افتراق الامة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ثلاث وسبعين فرقة ج ٨ ص ٤.

فلا ملازمة بين وقوع التحريف في التوراة و وقوعه في القرآن.

ثانياً: أن هذا الدليل لو تم لكان دالاً على وقوع الزيادة في القرآن أيضاً، كما وقعت في التوراة والانجيل. ومن الواضح بطلان ذلك.

ثالثاً: أن كثيراً من الوقائع التي حدثت في الامم السابقة لم يصدر مثلها في هذه الأمة، كعبادة العجل، وتيه بني اسرائيل اربعين سنة، وغرق فرعون واصحابه، وملك سليمان للانس والجن، ورفع عيسى الى السماء، وموت هارون وهو وصي موسى قبل موت موسى نفسه، واتيان موسى بتسع آيات بينات، وولادة عيسى من غير أب، ومسخ كثير من السابقين قردة وخنازير، وغير ذلك مما لا يسعنا احصاؤه. وهذا أدل دليل على عدم ارادة الظاهر من تلك الروايات، فلابد من ارادة المشابهة في بعض الوجوه.

وعلى ذلك فيكفي في وقوع التحريف في هذه الأمة عدم اتباعهم لحدود القرآن، وإن اقاموا حروفه كما في الرواية التي تقدمت في صدر البحث. ويؤكد ذلك ما رواه أبو واقد الليثي: «أن رسول الله ﷺ لما خرج الى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم. فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ «سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»[1] فان هذه الرواية صريحة في أن الذي يقع في هذه الأمة، شبيه بما وقع في تلك الأمم من بعض الوجوه.

رابعاً: لو سلّم تواتر هذه الروايات في السند، وصحتها في الدلالة، لما ثبت بها أن التحريف قد وقع فيما مضى من الزمن، فلعله يقع في المستقبل زيادة ونقيصة، والذي يظهر من رواية البخاري تحديده بقيام الساعة، فكيف يستدل بذلك على وقوع التحريف في صدر الإسلام، وفي زمان الخلفاء.

الشبهة الثانية:

أن علياً عليه السلام كان له مصحف غير المصحف الموجود، وقد أتى به الى القوم فلم يقبلوا منه، وأن مصحفه عليه السلام كان مشتملا على أبعاض ليست موجودة في القرآن الذي بأيدينا. ويترتب على ذلك نقص القرآن الموجود عن مصحف أميرالمؤمنين علي عليه السلام وهذا هو

---

١. صحيح الترمذي، باب ما جاء لتركبن سنن من قبلكم ج ٩ ص ٢٦.

التحريف الذي وقع الكلام فيه. والروايات الدالة على ذلك كثيرة.

منها ما في رواية احتجاج علي عليه السلام على جماعة من المهاجرين والأنصار أنه قال:

«يا طلحة إن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله عندي باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وكل حلال، أو حرام، أو حدّ، أو حكم، أو شيء تحتاج اليه الأمة الى يوم القيامة، فهو عندي مكتوب باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي، حتى أرش الخدش ..»[1].

ومنها ما في احتجاجه عليه السلام على الزنديق من أنه:

«أتى بالكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا لام فلم يقبلوا ذلك»[2].

ومنها ما رواه في الكافي، باسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله، ظاهره وباطنه غير الأوصياء»[3].

وباسناده عن جابر. قال:

«سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما انزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عليهم السلام»[4].

والجواب عن ذلك:

أن وجود مصحف لأمير المؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه، وتسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لاثباته، كما أن اشتمال قرآنه عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود، وإن كان صحيحاً إلا أنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن، وقد أسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أن تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل، وما يؤول اليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد.

---

١. مقدمة تفسير البرهان ص ٢٧. وفي هذه الرواية تصريح بأن ما في القرآن الموجود كله قرآن.

٢. تفسير الصافي المقدمة السادسة ص ١١.

٣. الوافي ج ٢ كتاب الحجة باب ٧٦ ص ١٣٠.

٤. الوافي ج ٢ كتاب الحجة باب ٧٦ ص ١٣٠.

وأن هذه الشبهة مبتنية على أن يراد من لفظي التأويل والتنزيل ما اصطلح عليه المتأخرون من اطلاق لفظ التنزيل على ما نزل قرآناً، وإطلاق لفظ التأويل على بيان المراد من اللفظ حملاً له على خلاف ظاهره، إلا أن هذين الاطلاقين من الاصطلاحات المحدثة، وليس لهما في اللغة عين ولا أثر ليحمل عليهما هذان اللفظان «التنزيل والتأويل» متى وردا في الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام.

وإنما التأويل في اللغة مصدر مزيد فيه، وأصله «الأول ـ بمعنى الرجوع». ومنه قولهم: «أول الحكم الى أهله أي رده اليهم». وقد يستعمل التأويل ويراد منه العاقبة، وما يؤول اليه الأمر. وعلى ذلك جرت الآيات الكريمة.

﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾(١)، **﴿نبئنا بتأويله﴾**(٢)، **﴿هذا تأويل رؤياي﴾**(٣)، **﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾**(٤).

وغير ذلك من موارد استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم. وعلى ذلك فالمراد بتأويل القرآن؛ ما يرجع اليه الكلام، وما هو عاقبته، سواء أكان ذلك ظاهراً يفهمه العارف باللغة العربية، أم كان خفياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم.

وأما التنزيل فهو أيضاً مصدر مزيد فيه، وأصله النزول، وقد يستعمل ويراد به ما نزل. ومن هذا القبيل إطلاقه على القرآن في آيات كثيرة. منها قوله تعالى:

﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾(٥).

وعلى ما ذكرناه فليس كل ما نزل من الله وحياً يلزم أن يكون من القرآن، فالذي يستفاد من الروايات في هذا المقام أن مصحف علي عليه السلام كان مشتملاً على زيادات تنزيلاً أو تأويلاً. ولا دلالة في شيء من هذه الروايات على أن تلك الزيادات هي من القرآن. وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء المنافقين في مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام فان ذكر أسمائهم لابد وأن يكون بعنوان التفسير.

ويدل على ذلك ما تقدم من الأدلة القاطعة على عدم سقوط شيء من القرآن، أضف الى

---

١. سورة يوسف: الآية ٦.
٢. سورة يوسف: الآية ٣٦.
٣. سورة يوسف: الآية ١٠٠.
٤. سورة الكهف: الآية ٨٢.
٥. سورة الواقعة: الآية ٧٧ ـ ٨٠.

ذلك أن سيرة النبي ﷺ مع المنافقين تأبى ذلك فان دأبه تأليف قلوبهم، والاسرار بما يعلمه من نفاقهم، وهذا واضح لمن له أدنى اطلاع على سيرة النبي ﷺ وحسن أخلاقه، فكيف يمكن أن يذكر أسماءهم في القرآن، ويأمرهم بلعن أنفسهم، ويأمر سائر المسلمين بذلك ويحثهم عليه ليلاً ونهاراً؟!، وهل يحتمل ذلك حتى ينظر في صحته وفساده أو يتمسك في إثباته بما في بعض الروايات من وجود أسماء جملة من المنافقين في مصحف علي عليه السلام، وهل يقاس ذلك بذكر أبي لهب المعلن بشركه، ومعاداته للنبي ﷺ مع علم النبي بأنه يموت على شركه؟؟!. نعم لا بعد في ذكر النبي ﷺ أسماء المنافقين لبعض خواصه كأمير المؤمنين عليه السلام وغيره في مجالسه الخاصة.

وحاصل ما تقدم: أن وجود الزيادات في مصحف علي عليه السلام وإن كان صحيحاً، إلا أن هذه الزيادات ليست من القرآن، ومما امر رسول الله ﷺ بتبليغه الى الامة، فان الالتزام بزيادة مصحفه بهذا النوع من الزيادة قول بلا دليل، مضافاً الى أنه باطل قطعاً. ويدل على بطلانه جميع ما تقدم من الأدلة القاطعة على عدم التحريف في القرآن.

الشبهة الثالثة :

أن الروايات المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام قد دلت على تحريف القرآن فلابد من القول به:

والجواب:

أن هذه الروايات لا دلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن بالمعنى المتنازع فيه، وتوضيح ذلك: أن كثيراً من الروايات، وإن كانت ضعيفة السند، فان جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمد السياري، الذي اتفق علماء الرجال على فساد مذهبه، وأنه يقول بالتناسخ، ومن علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنه كذاب، وأنه فاسد المذهب، إلا أن كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام ولا أقل من الاطمئنان بذلك، وفيها ما روي بطريق معتبر فلا حاجة بنا الى التكلم في سند كل رواية بخصوصها.

عرض روايات التحريف:

علينا أن نبحث عن مداليل هذه الروايات، وايضاح أنها ليست متحدة في المفاد، وأنها على طوائف. فلابد لنا من شرح ذلك والكلام على كل طائفة بخصوصها.

الطائفة الأولى: هي الروايات التي دلت على التحريف بعنوانه، وانها تبلغ عشرين رواية، نذكر جملة منها ونترك ما هو بمضمونها. وهي:

١ ـ ما عن علي بن ابراهيم القمي، باسناده عن أبي ذر. قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[1]. قال رسول الله ﷺ: «ترد امتي علي يوم القيامة على خمس رايات». ثم ذكر أن رسول الله ﷺ يسأل الرايات عما فعلوا بالثقلين. فتقول الراية الأولى: أما الاكبر فحرفناه، ونبذناه وراء ظهورنا، وأما الأصغر فعاديناه، وأبغضناه، وظلمناه. وتقول الراية الثانية: أما الأكبر فحرفناه، ومزقناه، وخالفناه، وأما الأصغر فعاديناه وقاتلناه ...

٢ ـ ما عن ابن طاووس، والسيد المحدث الجزائري، باسنادهما عن الحسن بن الحسن السامري في حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال لحذيفة فيما قاله في من يهتك الحرم: «إنه يضل الناس عن سبيل الله، ويحرف كتابه، ويغير سنتي».

٣ ـ ما عن سعد بن عبدالله القمي، باسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «دعا رسول الله ﷺ بمنى. فقال: أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين ـ أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي ـ والكعبة البيت الحرام ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما كتاب الله فحرفوا، وأما الكعبة فهدموا، وأما العترة فقتلوا، وكل ودائع الله قد نبذوا ومنها قد تبرأوا».

٤ ـ ما عن الصدوق في الخصال باسناده عن جابر عن النبي قال:

«يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف، والمسجد، والعترة. يقول المصحف: يا رب حرفوني ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب عطّلوني وضيّعوني، وتقول العترة: يا رب قتلونا، وطردونا، وشردونا ..».

٥ ـ ما عن الكافي والصدوق، باسنادهما عن علي بن سويد. قال:

كتبت الى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتاباً الى أن ذكر جوابه عليه السلام بتمامه، وفيه قوله عليه السلام: «اؤتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه».

٦ ـ ما عن ابن شهر اشوب، باسناده عن عبدالله في خطبة أبي عبدالله الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، وفيها:

«إنما أنتم من طواغيت الامة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة

---

١. سورة آل عمران: الآية ١٠٦.

الآثام، ومحرفي الكتاب».

٧ـ ما عن كامل الزيارات، باسناده عن الحسن بن عطية، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إذا دخلت الحائر فقل: اللهم العن الذين كذبوا رسلك، وهدموا كعبتك، وحرفوا كتابك ...».

٨ـ ما عن الحجال عن قطبة بن ميمون عن عبدالأعلى. قال:

قال أبو عبدالله عليه السلام: «أصحاب العربية يحرفون كلام الله عز وجل عن مواضعه».

المفهوم الحقيقي للروايات:

والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة: أن الظاهر من الرواية الأخيرة تفسير التحريف باختلاف القراء، وإعمال اجتهاداتهم في القراءات. ومرجع ذلك الى الاختلاف في كيفية القراءة مع التحفظ على جوهر القرآن وأصله، وقد أوضحنا للقاريء في صدر المبحث؛ أن التحريف بهذا المعنى مما لا ريب في وقوعه، بناءً على ما هو الحق من عدم تواتر القراءات السبع، بل ولا ريب في وقوع هذا التحريف، بناءً على تواتر القراءات السبع أيضاً. فان القراءات كثيرة، وهي مبتنية على اجتهادات ظنية توجب تغيير كيفية القراءة. فهذه الرواية لا مساس لها بمراد المستدل.

وأما بقية الروايات، فهي ظاهرة في الدلالة على أن المراد بالتحريف حمل الآيات على غير معانيها، الذي يلازم انكار فضل أهل البيت عليهم السلام ونصب العداوة لهم وقتالهم. ويشهد لذلك ـ صريحاً ـ نسبة التحريف الى مقاتلي أبي عبدالله عليه السلام في الخطبة المتقدمة.

ورواية الكافي التي تقدمت في صدر البحث، فان الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها:

«وكان من نبذهم الكتاب أنهم أقاموا حروفه، وحرفوا حدوده».

وقد ذكرنا: أن التحريف بهذا المعنى واقع قطعاً، وهو خارج عن محل النزاع، ولولا هذا التحريف لم تزل حقوق العترة محفوظة، وحرمة النبي فيهم مرعية، ولما انتهى الأمر الى ما انتهى اليه من اهتضام حقوقهم وإيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم.

الطائفة الثانية: هي الروايات التي دلت على أن بعض الآيات المنزلة من القرآن قد ذكرت فيها أسماء الأئمة عليهم السلام وهي كثيرة:

منها: ما ورد من ذكر أسماء الأئمة عليهم السلام في القرآن، كرواية الكافي باسناده عن محمد بن

الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام قال:

«ولاية علي بن أبي طالب مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد و«ولاية» وصيه. صلى الله عليهما وآلهما».

ومنها: رواية العياشي باسناده عن الصادق عليه السلام :

«لو قرىء القرآن ـ كما انزل ـ لالفينا مسمين».

ومنها: رواية الكافي، وتفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام وكنز الفوائد باسانيد عديدة عن ابن عباس ، وتفسير فرات بن ابراهيم الكوفي باسانيد متعددة أيضاً ، عن الأصبغ بن نباتة:

قالوا: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: القرآن نزل على أربعة أرباع، ربع فينا، وربع فى عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن».

ومنها: رواية الكافي أيضاً باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«نزل جبرئيل بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله هكذا: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ـ في علي ـ فأتوا بسورة من مثله».

والجواب: عن الاستدلال بهذه الطائفة:

انا قد أوضحنا فيما تقدم: أن بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه، فلابد من حمل هذه الروايات على أن ذكر أسماء الأئمة عليهم السلام فى التنزيل من هذا القبيل، وإذا لم يتم هذا الحمل فلابد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب، والسنة، والأدلة المتقدمة على نفي التحريف. وقد دلت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنة وأن ما خالف الكتاب منها يجب طرحه، وضربه على الجدار.

ومما يدل على أن اسم أميرالمؤمنين عليه السلام لم يذكر صريحاً في القرآن حديث الغدير، فانه صريح فى أن النبي صلى الله عليه وآله إنما نصب علياً بأمر الله، وبعد أن ورد عليه التأكيد فى ذلك، وبعد أنْ وعده الله بالعصمة من الناس، ولو كان اسم «علي» مذكوراً في القرآن لم يحتج الى ذلك النصب، ولا الى تهيئة ذلك الاجتماع الحافل بالمسلمين، ولما خشي رسول الله صلى الله عليه وآله من إظهار ذلك، ليحتاج إلى التأكيد في أمر التبليغ.

وعلى الجملة: فصِحّة حديث الغدير توجب الحكم بكذب هذه الروايات التي تقول: إن أسماء الأئمة مذكورة فى القرآن، ولا سيما أن حديث الغدير كان في حجة الوداع التي وقعت في أواخر حياة النبي ﷺ ونزول عامة القرآن، وشيوعه بين المسلمين، على ان الرواية الأخيرة المروية في الكافي مما لا يحتمل صدقه في نفسه، فان ذكر اسم علي عليه السلام في مقام إثبات النبوة والتحدي على الاتيان بمثل القرآن لا يناسب مقتضى الحال. ويعارض جميع هذه الروايات صحيحة أبي بصير المروية فى الكافي. قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1].

«قال: فقال: «نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام، فقلت له: ان الناس يقولون فما له لم يسم علياً وأهل بيته في كتاب الله؟. قال ﷺ فقولوا لهم: إن رسول الله ﷺ نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً، ولا أربعاً، حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسر لهم ذلك ...»[2].

فتكون هذه الصحيحة حاكمة على جميع تلك الروايات، وموضحة للمراد منها، وأن ذكر اسم أميرالمؤمنين ﷺ في تلك الروايات قد كان بعنوان التفسير، أو بعنوان التنزيل، مع عدم الأمر بالتبليغ. ويضاف الى ذلك أن المتخلفين عن بيعة أبي بكر لم يحتجوا بذكر اسم علي في القرآن، ولو كان له ذكر في الكتاب لكان ذلك أبلغ في الحجة، ولا سيما أن جمع القرآن ـ بزعم المستدل ـ كان بعد تمامية أمر الخلافة بزمان غير يسير، فهذا من الأدلة الواضحة على عدم ذكره في الآيات.

الطائفة الثالثة: هي الروايات التي دلت على وقوع التحريف في القرآن بالزيادة والنقصان، وان الأمة بعد النبي ﷺ غيرت بعض الكلمات وجعلت مكانها كلمات أخرى.

فمنها: ما رواه علي بن ابراهيم القمي، باسناده عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام: «صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين».

ومنها: ما عن العياشي، عن هشام بن سالم. قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله تعالى:

---

١. سورة النساء: الآية ٥٩.

٢. الوافي ج ٢ باب ٣٠ ما نص الله ورسوله عليهم ص ٦٣.

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران﴾[١].

قال: هو آل ابراهيم وآل محمد على العالمين، فوضعوا اسماً مكان اسم. أي انهم غيروا فجعلوا مكان آل محمد آل عمران.

والجواب:

عن الاستدلال بهذه الطائفة ـ بعد الاغضاء عما في سندها من الضعف : ـ أنها مخالفة للكتاب، والسنة، ولاجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن ولا حرفاً واحداً حتى من القائلين بالتحريف. وقد ادعى الاجماع جماعة كثيرون على عدم الزيادة في القرآن، وأن مجموع ما بين الدفتين كله من القرآن. وممن ادعى الاجماع الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشيخ البهائي، وغيرهم من الأعاظم قدس الله أسرارهم. وقد تقدمت رواية الاحتجاج الدالة على عدم الزيادة في القرآن.

الطائفة الرابعة: هي الروايات التي دلت على التحريف في القرآن بالنقيصة فقط.

والجواب: عن الاستدلال بهذه الطائفة:

أنه لابد من حملها على ما تقدم في معنى الزيادات في مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام، وإن لم يمكن ذلك الحمل في جملة منها فلابد من طرحها لأنها مخالفة للكتاب والسنة، وقد ذكرنا لها في مجلس بحثنا توجيهاً آخر أعرضنا عن ذكره هنا حذراً من الاطالة، ولعله أقرب المحامل، ونشير اليه في محل آخر إن شاء الله تعالى.

على أن أكثر هذه الروايات بل كثيرها ضعيفة السند. وبعضها لا يحتمل صدقه في نفسه. وقد صرح جماعة من الأعلام بلزوم تأويل هذه الروايات أو لزوم طرحها.

وممن صرح بذلك المحقق الكلباسي حيث قال على ما حكي عنه: «أن الروايات الدالة على التحريف مخالفة لاجماع الأمة إلا من لا اعتداد به ... وقال: إن نقصان الكتاب مما لا أصل له وإلا لاشتهر وتواتر، نظراً الى العادة في الحوادث العظيمة. وهذا منها، بل أعظمها».

وعن المحقق البغدادي شارح الوافية التصريح بذلك، ونقله عن المحقق الكركي الذي صنف في ذلك رسالة مستقلة، وذكر فيها: «أن ما دل من الروايات على النقيصة لابد من

١. سورة آل عمران: الآية ٣٣.

تأويلها أو طرحها، فان الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب، والسنة المتواترة، والإجماع، ولم يمكن تأويله، ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه».

أقول: أشار المحقق الكركي بكلامه هذا الى ما أشرنا اليه ـ سابقاً ـ من ان الروايات المتواترة قد دلت على أن الروايات إذا خالفت القرآن لابد من طرحها. فمن تلك الروايات:

ما رواه الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بسنده الصحيح عن الصادق عليه السلام:

«الوقوف عند الشبهة خير من الإقتحام في الهلكة، ان على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه ..»[1].

وما رواه الشيخ الجليل سعيد بن هبة الله «القطب الراوندي» بسنده الصحيح الى الصادق عليه السلام:

«إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه ...»[2].

وأما الشبهة الرابعة:

فتتلخص في كيفية جمع القرآن، واستلزامها وقوع التحريف فيه. وقد انعقد البحث الآتي: «فكرة عن جمع القرآن»، لتصفية هذه الشبهة وتفنيدها[3] [4].

الى هنا انتهى المجلد الاول من كتاب علوم القرآن عند المفسرين وفيه ابحاث كليات حول القرآن ونزول القرآن وجمع القرآن وسلامة القرآن وستأتى انشاء الله فى المجلد الثانى ابحاث القراءات وحديث الاحرف السبعة والتلاوة واعجاز القرآن والناسخ والمنسوخ . والحمدلله اولاً وآخراً وصلى الله على محمّد سيد المرسلين واهل بيته الطاهرين المكرمين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين .

مركز الثقافة والمعارف القرآنية

١. الوسائل ج ٣ كتاب القضاء، باب وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة، وكيفية العمل بها ص ٣٨٠.
٢. الوسائل ج ٣ كتاب القضاء، باب وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة، وكيفية العمل بها ص ٣٨٠.
٣. البيان ج ١ ص ٢١٥ ـ ٢٥٤.
٤. انظر جمع القرآن في ص ٣٨٣ من الكتاب الحاضر.

المصادر والفهارس

المصادر

ت	أسماء التفاسير	أسماء المؤلفين	م ـ ت
١	آلاء الرحمن في تفسير القرآن	محمد جواد بن الحسن البلاغي النجفي	١٢٨٢ـ١٣٥٢
٢	الأساس في التفسير	سعيد حوي	
٣	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	محمد أمين المختار الجكني الشنقيطي	١٣٠٥ـ١٣٩٣
٤	الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل	ناصر مكارم الشيرازي	١٣٠٥ـ
٥	البحر المحيط في تفسير القرآن	محمد بن يوسف بن علي بن أبي حيان الاندلسي	٦٥٤ ـ ٧٥٤
٦	البرهان في تفسير القرآن	السيد هاشم البحراني	ـ١١٠٧
٧	البيان في تفسير القرآن	السيد أبو القاسم الخوئي	ـ١٤١٣
٨	بيان السعادة في مقامات العبادة	السلطان محمد الجنابذي السلطان عليشاه	١٢١٥ ـ ١٣٢٧
٩	بيان المعاني على حسب ترتيب النزول	السيد عبد القادر ملا حويش آل غازي	ـ١٣٨٨
١٠	التبيان في تفسير القرآن	محمد بن الحسن بن علي الطوسي	٣٨٥ـ٤٦٠
١١	التحرير والتنوير	محمد طاهر بن عاشور	١٢٩٦ـ١٣٩٣
١٢	التسهيل لعلوم التنزيل (ابن جُزّي)	محمد بن احمد الجزّي الكلبي	٦٩٣ـ٧٤١
١٣	تفسير القرآن الحكيم	محمد بن عبد المنعم الخفاجي	
١٤	تفسير القرآن العظيم	أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المعروف بابن كثير	٧٠١ ـ ٧٧٤
١٥	تفسير القرآن الكريم	السيد مصطفى الموسوي الخميني	١٣٤٩ـ١٣٩٧
١٦	تفسير القرآن الحكيم (المشتهر بالمنار)	محمد رشيد بن علي رضا	١٢٨٢ـ١٣٥٤
١٧	التفسير القرآني للقرآن	عبد الكريم الخطيب	
١٨	تفسير كتاب الله العزيز	هود بن محكَم الهواري	
١٩	تقريب القرآن الى الأذهان	سيد محمد الحسيني الشيرازي	١٣٤٨ـ
٢٠	تفسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	١٣٠٧ـ١٣٧٦

المصادر

المذهب	ج	المطبعة
شيعي	٢ ج في مجلد واحد	دار احياء التراث العربي - بيروت
سني	١١ مجلداً	دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ط . ٣
سني	١٠ مجلدات	عالم الكتب - بيروت
شيعي	٢٠ مجلداً	مؤسسة البعثة - بيروت
سني	٨ج في ١٠ مجلدات	دار الفكر - بيروت ط . ٢
شيعي	٤ مجلدات	مؤسسة اسماعيليان ط . ٣
شيعي	١ مجلد واحد	
شيعي صوفي	٤ مجلدات	مطبعة دانشگاه طهران - ط . ٢
سني	٣٠ج في ٦ مجلدات	مطبعة الترقى - دمشق
شيعي	١٠ مجلدات	دار احياء التراث العربى - بيروت
سني	٣٠ج في ١٠ مجلدات	الدار التونسية للنشر
سني	٤ مجلدات	دار الكتاب العربى - بيروت ط . ٢
سني	١٣ مجلداً	دار العهد الجديد للطباعة - العراق
سني	٤ مجلدات	دار المعرفة - بيروت
شيعي	٤ مجلدات	مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الارشاد الاسلامى
سني	١٢ مجلداً	دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - ط . ٢
سني	١٦ مجلداً	دار الفكر العربى - القاهرة
أباضي	٤ مجلدات	دار الغرب الاسلامي - بيروت
شيعي	٣٠ج في ١٠ مجلد	مؤسسة الوفاء - بيروت ط . ١
سني	٧ مجلدات	عالم الكتب بيروت ط . ١

ت	أسماء التفاسير	أسماء المؤلفين	م ـ ت
٢١	جامع البيان في تأويل القرآن	محمد بن جرير الطبري	٢٢٤ـ٣١٠
٢٢	جامع التفاسير	الراغب الأصفهاني	ـ٥٠٢
٢٣	الجامع لأحكام القرآن	محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي	٥٧٨ـ٦٧١
٢٤	جواهر الحسان في تفسير القرآن	عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي	٨٨٦ ـ
٢٥	دقائق التفسير	احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيميّة، جمع: محمد بن السيد الجليند	٦٦١ ـ ٧٢٨
٢٦	رحمة من الرحمن في تفسير واشارات القرآن	محيي الدين ابن عربي، جمعه: محمود الغراب	٥٦٠ ـ ٦٣٨
٢٧	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم	السيد محمود الآلوسي البغدادي	ـ١٢٧٠
٢٨	زاد المسير في علم التفسير	محمد الجوزي القرشي	٥٠٨ـ٥٩٧
٢٩	الصافي	ملا محسن الفيض الكاشاني	١٠٠٧ـ١٠٩١
٣٠	صفوة العرفان في تفسير القرآن	محمد فريد وجدي	ـ١٣٧٣
٣١	تفسير العيّاشي	محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي	ـ٣٢٠
٣٢	غرائب القرآن ورغائب الفرقان	نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيشابوري	ـ٧٢٨
٣٣	الغيب والشهادة من خلال القرآن	محمد علي البازوري	قرن ١٤
٣٤	فتح البيان في مقاصد القرآن	صديق حسن خان قنوجي بخاري	١٢٤٨ـ١٣٠٧
٣٥	الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة	محمد صادقي طهراني	١٣٠٧ـ
٣٦	تفسير القمّي	علي بن ابراهيم القمي	ـ٣٢٩
٣٧	التفسير الكاشف	محمد جواد مغنية	١٣٢٢ـ١٤٠٠
٣٨	التفسير الكبير (تفسير ابن تيمية)	أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية	٦٦١ ـ ٧٢٨
٣٩	لباب التأويل في معاني التنزيل (خازن)	علي بن محمد بن إبراهيم خازن	٦٧٨ـ٧٤٠

المذهب	ج	المطبعة
سني	١٠ مجلداً	دار الكتب العلمية ـ بيروت
سني	١ مجلد واحد	دار الدعوة ـ كويت
سني	٢٠ مجلداً	دار احياء التراث العربي ـ بيروت ط . ١
سني	٤ مجلدات	مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت
سني	٤ مجلدات	دار الانصار ـ قاهرة
سني	٤ مجلدات	مطبعة نضر ـ دمشق
سني	٣٠ مجلد	دار احياء التراث العربي ـ بيروت
سني	٨ مجلدات	دار الكتب العلمية ـ بيروت
شيعي	٥ مجلدات	مؤسسة اعلمي للمطبوعات ـ بيروت
سني		مطبعة الواعظ
شيعي	٢ مجلدان	المكتبة العلمية الاسلامية ـ تهران
سني	٣٠ج في ١٠ مجلدات	مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر
شيعي	٦ مجلدات	دار القارىء ـ بيروت
سني	١٠ مجلدات	المكتبة العصريّة ـ بيروت
شيعي	٣٠ مجلداً	انتشارات فرهنگ اسلامی ـ طهران ط . ٢
شيعي	٢ مجلدات	مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت
شيعي	٧ مجلدات	دار العلم للملائين ـ بيروت
سني	٧ مجلدات	دار الكتب العلمية ـ بيروت ط . ١
سني	٤ مجلدات	مطبعة الاستقامة ـ قاهرة

ت	أسماء التفاسير	أسماء المؤلفين	م - ت
٤٠	مجمع البيان في تفسير القرآن	أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي	ـ٥٤٨
٤١	محاسن التأويل للقاسمي	أحمد جمال الدين القاسمي	١٢٨٣ـ١٣٣٨
٤٢	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن عطية الاندلسي الغرناطي تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي	٤٨١ ـ ٥٤٢
٤٣	تفسير المراغي	احمد بن مصطفى المراغي	ـ١٣٧١
٤٤	معالم التنزيل في التفسير والتأويل	حسين بن مسعود الفراء البغوي	٤٣٨ـ٥١٦
٤٥	التفسير المعين	محمد بن مرتضى الكاشاني	ـ١١١٥
٤٦	من هدى القرآن	سيد محمد تقي مدرسي	١٣٦٦ـ
٤٧	المنير في العقيدة والشريعة والمنهج	وهبة الزحيلي	١٩٣٢ـم
٤٨	مواهب الرحمان في تفسير القرآن	عبدالكريم بن محمد المدرس	
٤٩	الميزان في تفسير القرآن	السيد محمد حسين الطباطبائي	١٣٣١ـ١٤٠٢
٥٠	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور	ابراهيم بن عمر بن حسن الخرباوي البقاعي	٨٠٩ـ٨٨٥
٥١	تفسير النسائي	أحمد بن شبيب بن علي النسائي تحقيق: ابو عبدالله سيد عباس وابو ذر صبرى بن عبدالخالق	٢١٥ ـ ٣٠٣
٥٢	نفحات الرحمن في تفسير القرآن وتبيين الفرقان	محمد بن عبدالرحيم النهاوندي	١٢٨٩ ـ
٥٣	النكت والعيون	علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري	٣٦٤ ـ ٤٥٠
٥٤	تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل	ابي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي .تحقيق خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار	ـ ٥١٦
٥٥	تفسير البحر المحيط	ابي حيان الاندلسي .تحقيق: عادل احمد عبدالموجود والشيخ على محمد معوض	ـ ٧٥٤

المذهب	ج	المطبعة
شيعي	١٠ مجلدات	دار المعرفة للطباعة والنشر
سني	١٧ مجلداً	دار الفكر ـ بيروت ط . ٢
سني	٥ مجلدات	دار الكتب العلمية ـ بيروت
سني	٣٠ج في ١٠ مجلدات	دار احياء التراث العربي
سني	٤ مجلدات	دار الكتب العلمية ـ بيروت ط . ١
شيعي	٣ مجلدات	مكتبة آية الله النجفي ـ قم
شيعي	١٨ مجلداً	دار الهدى ـ طهران
سني	٣٢ج في ١٦ مجلداً	دار الفكر ـ بيروت ـ دمشق
سني	٧ مجلدات	دار الحرية ـ بغداد
شيعي	٢٠ مجلداً	مؤسسة اسماعيليان ـ قم ط . ٣
سني	٢٢ مجلداً	دار الكتاب الاسلامي ـ قاهرة ط . ٢
سني	٢ مجلدان	مكتبة السنة ـ قاهرة
شيعي	٤ مجلدات	مطبعة علمى ـ تهران
سني	٦ مجلدات	دار الكتب العملية ـ بيروت ط . ١
سني	٤ مجلدات	دار المعرفة ـ بيروت
سني	٨ مجلدات	دار الكتب العلمية ـ بيروت

الفهرس الاجمالي للمجلد الاول

مقدّمة الكتاب ٧

١ ـ كليات حول القرآن ١٩

أسماء القرآن وصفاته ٢١

خصائص القرآن فى السنة ٥٣

جامعية القرآن ٧١

عربية القرآن وآثارها ٨٧

المجاز فى القرآن ١٠١

حدوث القرآن ١٢٧

أصناف الآيات ومقاصدها ١٥٧

علاقة القرآن والعترة عليهم‌السلام ١٨٧

الف ـ حديث الثقلين ١٨٧

ب ـ موقف القرآن من الأئمة عليهم‌السلام ٢٠٧

٢ ـ نزول القرآن ٢١٩

بيان فى الوحى ٢٢١

مراحل نزول القرآن ٢٢٩

أسرار النزول الدّفعى ٢٣٩

أسرار تنجيم القرآن ٢٤٤

أول ما نُزّل ٢٤٩

آخر ما نُزّل ٢٦١

معنى السورة وعدد السور ٢٦٥

معنى الآية وعدد الآى ٢٧٥

معنى الكلمة والحرف واعدادهما ٢٨٩

معنى الحزب وحدوده ٢٩٥

ميزان المكية والمدنية ٣٠٣

مميزات المكية عن المدنية ٣٠٧

السور المكية والمدنية ٣١٣

أسماء السور ٣٢١

٣ ـ جمع القرآن ٣٣٥

جمع القرآن فى الأثر ٣٣٧

شكل القرآن ونقطه وتعشيره ٤١٣

حروف ليست على القاعدة فى القرآن ٤١٧

ترتيب السور والآيات ٤٣٣

تناسب السور والآيات ٤٦٢

٤ ـ سلامة القرآن ٤٨٣

٥ ـ المصادر والفهارس ٥٨٧

الفهرس التفصيلي المجلد الأول

مقدّمة الكتاب ٧
كليات حول القرآن ١٩
١ ـ أسماء القرآن وصفاته ٢١
كلام الطبرى ٢١
كلام الماوردى............ ٢٥
كلام الطوسى ٢٧
كلام ابن عطية............ ٢٩
كلام الطبرسى............ ٣٠
كلام ابن عربى ٣١
كلام ابن تيمية ٣٥
كلام النيشابورى ٣٨
كلام ابن جزّى ٣٩
كلام الآلوسى............ ٤٠
كلام النهاوندى ٤٣
كلام ابن عاشور............ ٤٤
كلام السيد مصطفى الخمينى............ ٤٧
كلام البازورى ٤٨
كلام الزحيلى ٤٩
كلام المدرسى ٥٠
٢ ـ خصائص القرآن فى السّنة ٥٣
كلام العياشى ٥٣
كلام البغوى ٥٥
كلام القرطبى ٥٦
كلام البغدادى ٥٧
كلام الفيض الكاشانى........ ٥٨
كلام البحرانى............ ٥٩
كلام الكاشانى ٦٠
كلام النهاوندى ٦١
كلام الخوئى............ ٦٤
كلام الصادقى............ ٦٩
كلام المدرسى ٧٠
٣ ـ جامعية القرآن ٧١
كلام القمى ٧١
كلام العياشى ٧٢
كلام الفيض الكاشانى........ ٧٣
كلام البحرانى............ ٧٥
كلام القاسمى ٧٨
كلام النهاوندى............ ٨٢
كلام الغزالى ٨٣
كلام البازورى ٨٤
كلام صدر الدين الشيرازى ٨٤

٤ ـ عربية القرآن وآثارها........ ٨٧
كلام الطبرى............ ٨٧
كلام ابن عطية............ ٩٣
كلام ابي عبيدة............ ٩٤
كلام الطبرى............ ٩٤
كلام القرطبى............ ٩٥
كلام ابن عطية............ ٩٥
كلام ابن كثير............ ٩٦
كلام الزحيلى............ ٩٦
كلام الشافعى............ ٩٧
آثار القرآن فى اللغة والادب ٩٨
كلام الخفاجى............ ٩٨
كلام الزحيلى............ ١٠٠
٥ ـ المجاز فى القرآن......... ١٠١
كلام ابن عربى............ ١٠١
كلام البحرانى............ ١٠١
كلام القاسمى............ ١٠٢
كلام ابن تيمية............ ١٠٢
كلام الزحيلى............ ١٢٥
٦ ـ حدوث القرآن............ ١٢٧
كلام العياشى............ ١٢٧
كلام القرطبى............ ١٢٧
كلام النيشابورى............ ١٢٨
كلام الآلوسى............ ١٢٩
كلام الدوانى............ ١٣٤
كلام عفيف الدين الايجي............ ١٣٧
كلام سليمان الطوفى............ ١٣٩
كلام غنى زاده............ ١٤٢
كلام الماتريدى............ ١٤٤
كلام المعتزلة............ ١٤٦
كلام الامامية............ ١٤٦
كلام الخوارج............ ١٤٦
كلام الكرامية............ ١٤٦
كلام الواقفية............ ١٤٦
كلام الجبائى............ ١٤٦
كلام عبدالقادر............ ١٤٧
كلام الشافعى............ ١٤٨
كلام المعتزلة............ ١٤٩
كلام الخوئى............ ١٤٩
كلام الأشاعرة............ ١٥٠
٧ ـ أصناف الآيات ومقاصدها ١٥٧
كلام القمى............ ١٥٧
كلام ابن جزّى............ ١٧١
كلام القاسمى............ ١٧٢
كلام عزالدين بن عبدالسلام............ ١٧٧
كلام النهاوندى............ ١٧٩
كلام عبدالقادر............ ١٨١
كلام عبدالرحمن............ ١٨٢
كلام ابن عاشور............ ١٨٣
كلام الشاطبى............ ١٨٤
٨ ـ علاقة القرآن والعترة عليهم السلام.. ١٨٧
الف ـ حديث الثقلين............ ١٨٧
كلام القمى............ ١٨٧
كلام العياشى............ ١٨٧
كلام ابن عطية............ ١٨٩
كلام الطبرسى............ ١٩٠
كلام البغدادى............ ١٩٠
كلام أبي حيان............ ١٩١

كلام الفيض الكاشانى...... ١٩١
كلام البحرانى........... ١٩١
كلام احمد بن حنبل........... ١٩٩
كلام مسلم........... ٢٠٠
كلام ابن حنبل........... ٢٠٠
كلام الثعلبى........... ٢٠٠
كلام أبي داود........... ٢٠١
كلام الترمذى........... ٢٠١
كلام ابن المغازلى........... ٢٠١
كلام الحميدى........... ٢٠٢
كلام ابن شاذان........... ٢٠٢
كلام عبدالقادر........... ٢٠٣
كلام الترمذى........... ٢٠٣
كلام البلاغى........... ٢٠٤
ب ـ موقف القرآن من الائمة ٢٠٧
كلام العياشى........... ٢٠٧
كلام الفيض الكاشانى ٢٠٨
كلام البحرانى........... ٢١٢
كلام شرف الدين النجفى........... ٢١٣
كلام الطوسى........... ٢١٣
كلام الفضل بن شاذان........... ٢١٤
كلام الجنابذى........... ٢١٤
كلام النهاوندى........... ٢١٥
نزول القرآن........... ٢١٩
١ ـ بيان فى الوحي........... ٢٢١
كلام عبدالقادر........... ٢٢١
كلام محمد عبده........... ٢٢٣
كلام رشيد رضا........... ٢٢٣
كلام الطباطبائى........... ٢٢٤
٢ ـ مراحل نزول القرآن........ ٢٢٩
كلام المدرس........... ٢٢٩
كلام ابن الجوزى........... ٢٣٠
كلام ابن عربى........... ٢٣٠
كلام الفيض الكاشانى ٢٣٠
كلام عبدالقادر........... ٢٣٢
كلام المدرس........... ٢٣٣
كلام الطباطبائي........... ٢٣٣
٣ ـ أسرار النزول الدُفعى........ ٢٣٩
كلام النهاوندي........... ٢٣٩
٤ ـ أسرار تنجيم القرآن........ ٢٤٤
كلام النهاوندي........... ٢٤٤
كلام الزحيلى........... ٢٤٤
كلام المدرس........... ٢٤٦
٥ ـ اول ما نُزّل........... ٢٤٩
كلام هود بن مُحكَم........... ٢٤٩
كلام ابن الجوزى........... ٢٥٠
كلام ابن جزى........... ٢٥٠
كلام البحرانى........... ٢٥١
كلام عبدالقادر........... ٢٥٢
كلام السيد مصطفى الخمينى........... ٢٥٥
كلام المدرس........... ٢٥٨
كلام الخفاجى........... ٢٥٨
كلام الزحيلى........... ٢٥٩
٦ ـ آخر ما نُزّل........... ٢٦١
كلام هود بن مُحكَم........... ٢٦١
كلام ابن الجوزى........... ٢٦١
كلام ابن جزى........... ٢٦٢
كلام عبدالقادر........... ٢٦٢

كلام الزحيلي ٢٦٣
كلام الخفاجي ٢٦٣
كلام المدرس ٢٦٤
٧ـ معنى السورة وعدد السور ٢٦٥
كلام الطبري ٢٦٥
كلام الماوردي ٢٦٦
كلام الطوسي ٢٦٧
كلام ابن عطية ٢٦٧
كلام ابن جُزّي ٢٦٨
كلام القرطبي ٢٦٩
كلام النيشابوري ٢٦٩
كلام ابن كثير ٢٧٠
كلام عبدالقادر ٢٧٠
كلام ابن عاشور ٢٧٠
كلام ابن عطية ٢٧١
كلام النهاوندي ٢٧٢
كلام الطباطبائي ٢٧٢
كلام النهاوندي ٢٧٣
كلام الطباطبائي ٢٧٤
٨ـ معنى الآية وعدد الآي ٢٧٥
كلام الطبري ٢٧٥
كلام الماوردي ٢٧٥
كلام الطوسي ٢٧٦
كلام ابن عطية ٢٧٦
كلام القرطبي ٢٧٧
كلام ابن كثير ٢٧٧
كلام النيشابوري ٢٧٨
كلام الثعالبي ٢٧٩
كلام ابن عاشور ٢٧٩
كلام الطباطبائي ٢٨٣
كلام الطبرسي ٢٨٤
كلام ابن كثير ٢٨٥
كلام القرطبي ٢٨٥
كلام ابن عاشور ٢٨٦
كلام الداني ٢٨٦
كلام المازري ٢٨٦
كلام الخطيب ٢٨٧
كلام الطباطبائي ٢٨٨
٩ ـ معنى الكلمة والحرف وأعدادهما في القرآن ٢٨٩
كلام النيشابوري ٢٨٩
كلام القرطبي ٢٩٠
كلام القرطبي ٢٩١
كلام النيشابوري ٢٩٢
كلام القرطبي ٢٩٣
كلام ابن كثير ٢٩٤
كلام الخطيب ٢٩٤
١٠ ـ معنى الحزب وحدوده ٢٩٥
كلام ابن تيمية ٢٩٥
كلام ابن كثير ٣٠١
١١ ـ ميزان المكية والمدنية ٣٠٣
كلام هود بن مُحكَّم ٣٠٣
كلام ابن جزّي ٣٠٣
كلام عبدالقادر ٣٠٤
كلام السيد مصطفى الخميني ٣٠٤
كلام الخفاجي ٣٠٥
كلام الزحيلي ٣٠٥
كلام المدرس ٣٠٥

١٢ـ مميزات المكية عن المدنية ٣٠٧
كلام ابن جزّی ٣٠٧
كلام عبدالقادر ٣٠٧
كلام الخفاجی ٣٠٩
كلام الزحيلی ٣١٠
كلام المدرس ٣١١
كلام الطباطبائی ٣١٢
كلام المدرس ٣١٢
١٣ ـ السور المكية والمدنية ٣١٣
كلام البغدادی ٣١٣
كلام ابن كثير ٣١٤
كلام الخطيب ٣١٤
كلام السيد مصطفی الخمينی ٣١٧
كلام الطباطبائی ٣١٨
١٤ ـ أسماء سور القرآن ٣٢١
كلام الطبری ٣٢١
كلام الماوردی ٣٢٤
كلام الطوسی ٣٢٥
كلام الطبرسی ٣٢٦
كلام النيشابوری ٣٢٧
كلام عبدالقادر ٣٢٩
كلام ابن عاشور ٣٢٩
كلام النهاوندی ٣٣١
كلام الفيض الكاشانی ٣٣٢
كلام المدرس ٣٣٣
جمع القرآن ٣٣٥
١ ـ جمع القرآن فی الأثر ٣٣٧
كلام ابن عطية ٣٣٨
كلام القرطبی ٣٣٨
كلام ابن شهاب ٣٤١
كلام أبي بكر الانباری ٣٤٢
كلام أبي الحسن ابن بطّال ٣٤٣
كلام ابن الطيب ٣٤٥
كلام أبي بكر الانباری ٣٤٦
كلام البغدادی ٣٤٧
كلام ابن جزی ٣٥١
كلام النيشابوری ٣٥٢
كلام البحرانی ٣٥٣
كلام الآلوسی ٣٥٤
كلام عبدالقادر ٣٥٧
كلام وجدی ٣٦١
كلام ابن عاشور ٣٦٢
كلام النهاوندی ٣٦٣
كلام البلاغی ٣٧٥
كلام الطباطبائی ٣٧٨
كلام الخوئی ٣٨٣
كلام الحارث ٣٩٩
كلام المدرس ٣٩٩
كلام الزحيلی ٤٠٧
كلام الخفاجی ٤١٠
٢ ـ شكل القرآن ونقطه وتعشيره ٤١٣
كلام ابن عطية ٤١٣
كلام القرطبی ٤١٤
كلام الدانی ٤١٥
كلام ابن جزی ٤١٥
كلام الزحيلی ٤١٥
٣ ـ حروف ليست علی القاعدة فی القرآن ٤١٧

كلام النيشابوري ٤١٧
٤ ـ ترتيب السور والآيات ٤٣٣
كلام القمي ٤٣٣
كلام ابن عطية ٤٣٥
كلام أبي بكر بن الطيب ٤٣٥
كلام مكي.................. ٤٣٥
كلام هود بن محكم ٤٣٥
كلام ابن جزي........... ٤٣٥
كلام القرطبي............ ٤٣٦
كلام ابن الطيب.................. ٤٣٦
كلام مكي.................. ٤٣٦
كلام ابن وهب ٤٣٦
كلام أبي بكر الانباري............... ٤٣٧
كلام أبي الحسن ابن بطال ٤٣٧
كلام أبي بكر الانباري............ ٤٣٨
كلام الآلوسي............... ٤٣٩
كلام ابي بكر الانباري.............. ٤٤٠
كلام الكرماني............... ٤٤٠
كلام عبدالقادر.......... ٤٤٠
كلام ابن عاشور........... ٤٤١
كلام ابن وهب ٤٤٥
كلام شمس الدين اصفهاني ٤٤٧
كلام ابن بطال ٤٤٨
كلام النهاوندي ٤٤٩
كلام السيد المرتضى ٤٥١
كلام الطباطبائي.......... ٤٥١
كلام البغوي.............. ٤٥٥
كلام ابن الحصار.......... ٤٥٥
كلام الزحيلي............ ٤٥٧
كلام المدرس ٤٥٧
كلام ابن عطية ٤٥٩
كلام ابي جعفر بن الزبير ٤٥٩
كلام السيوطي............ ٤٦٠
٥ ـ تناسب السور والآيات ٤٦٢
كلام النهاوندي ٤٦٢
كلام ولي الدين الملوي............ ٤٦٣
كلام ابن عربي............ ٤٦٤
كلام البقاعي ٤٦٥
كلام السعدي............ ٤٧٠
كلام سعيد جوّى........... ٤٧١
كلام فخر الدين الرازي............ ٤٧٣
كلام ولي الدين الملوي.......... ٤٧٤
كلام المدرسي............. ٤٨٠
سلامة القرآن ٤٨٣
كلام القمي............... ٤٨٥
كلام هود بن محكم ٤٨٦
كلام الطوسي.............. ٤٨٨
كلام الطبرسي ٤٨٩
كلام القرطبي............. ٤٩٠
كلام الفيض الكاشاني......... ٤٩٥
كلام الجنابذي............. ٥٠٨
كلام الآلوسي............. ٥٠٩
كلام البلاغي ٥١٤
كلام عبدالقادر............ ٥٢٥
كلام النهاوندي ٥٢٦
كلام الطباطبائي ٥٣٢
كلام الصادقي ٥٥٢
كلام الخوئي ٥٥٩
المصادر والفهارس.......... ٥٨٧

چکیده

علوم قرآنی یکی از دانش‌های پایه‌ای در تفسیر قرآن و راه‌یابی به ساحت کلام الهی است. در این‌باره بحث‌های گوناگونی از سوی دانشوران اسلامی - به ویژه مفسران قرآن کریم - صورت گرفته، اما مطالب آنان به صورت پراکنده در مقدمه‌های تفسیر یا در ضمن مباحث تفسیری بیان شده است. جمع‌آوری آنان اینک در اثر حاضر به کوشش جمعی از پژوهش‌گران مرکز فرهنگ و معارف قرآن، به شکل منطقی و منظم در سه جلد سامان یافته است.

مؤسسه بوستان کتاب

مؤسسه بوستان کتاب
(مرکز چاپ و نشر دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم)
پرافتخارترین ناشر برگزیدهٔ کشور
نشانی دفتر مرکزی: ایران، قم، اول خیابان شهدا، نبش کوچهٔ ۱۷، ص پ: ۹۱۷
تلفن: ۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۵+، فاکس: ۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۴+، پخش: ۹۸۲۵۱۷۷۴۳۴۲۶+

علوم القرآن عند المفسرين

جلد اول

مرکز فرهنگ و معارف قرآن

بوستان کتاب

۱۳۸۶

Abstract

Qur'ānic sciences are one of the fundamental groups of knowledge that are instrumental in the exegesis of the Glorious Qur'ān and hence, highly influential in understanding the Word of God and the Divine Revelation. Although a great deal of discussion has been conducted by the Muslim scholars, and in particular the commentators of the Glorious Qur'ān, on Qur'ānic sciences throughout past centuries, such discussions, mostly in the form of written materials, are often randomly placed in introductions to Qur'ānic interpretations or included in between the lines of exegetical texts and articles.

This work prepared in three volumes and made possible through efforts by the researchers of Markaz-e Farhang va Ma'āref-e Ghor'ān, has embarked on a logical and categorical compilation of a large amount of material related to Qur'ānic sciences that have been included in Qur'ānic commentaries since early times.

The Publisher

Būstān-e Ketāb Publishers

Frequently selected as the top publishing company in Irān, Būstān-e Ketāb Publishers is the publishing and printing house of the Islāmic Propagation Office of Howzeh-ye Elmīyeh-ye Ghom, Islāmic Republic of Irān.
P.O. Box: 37185-917
Telephone: +98 251 774 2155
Fax: +98 251 774 2154
E-mail: info@bustaneketab.com
Web-site: www.bustaneketab.com

‘Ulūm-u l-Ghur’ān ‘ind al-Mufassirīn

Qur'ānic Sciences and Exegetists

Volume 1

Markaz-u th-Thighāfa(h)t-i va l-Ma'ārif-i l-Ghur'ānīyyah

Būstān-e Ketāb Publishers
1386/2007